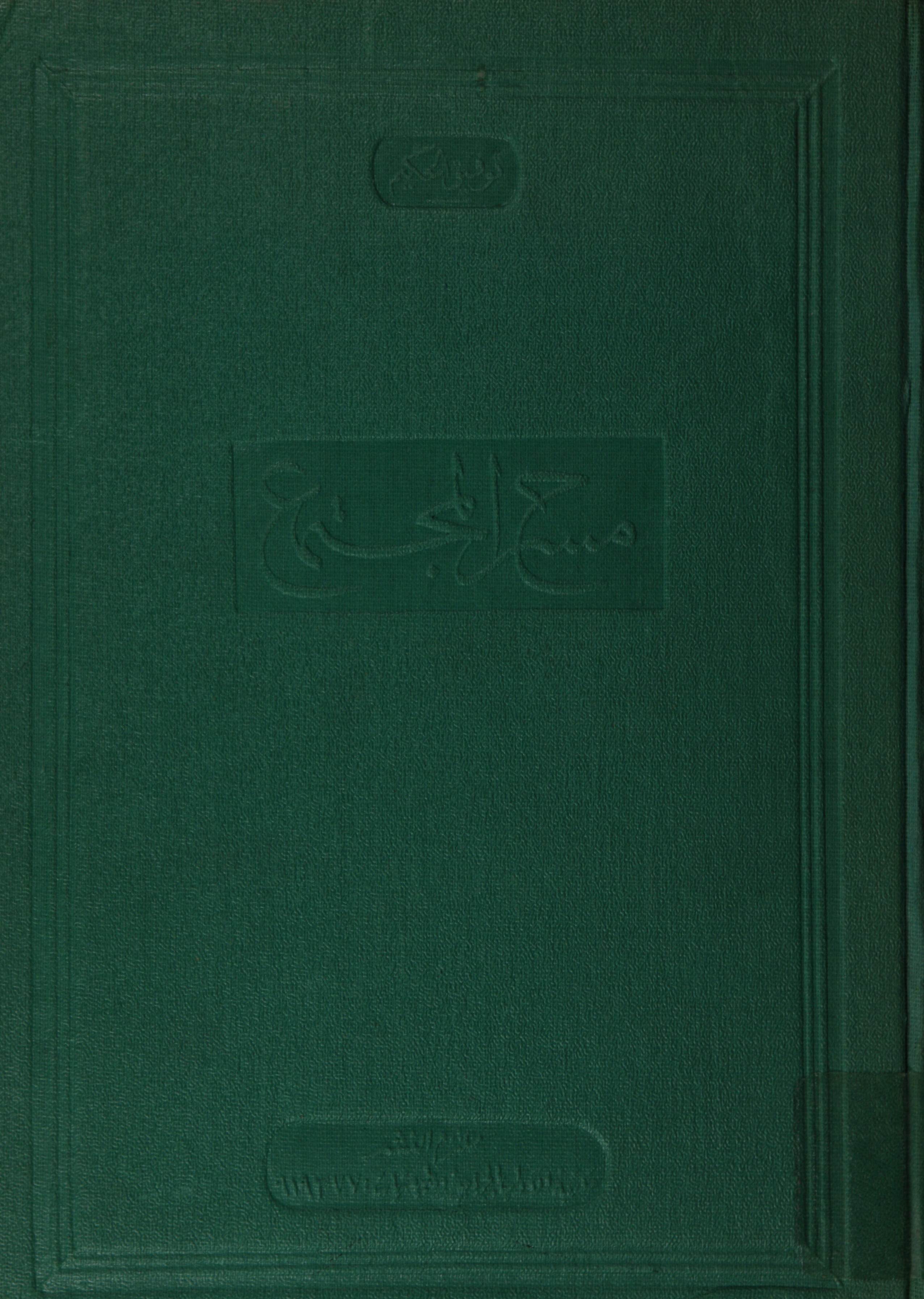
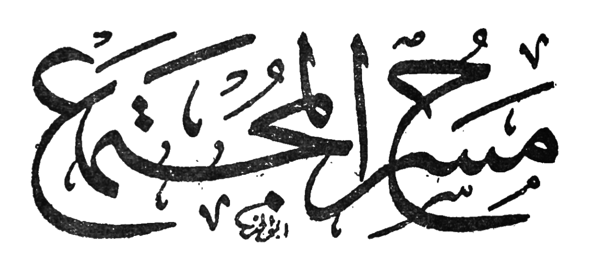


توفيق الحكيم



ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ١١٩٣٧٧
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

كتب للمؤلف

نشرت باللغـــة العربية

كتب للمؤلف ... نشرت باللغة العربية

١ ـ محمد . ١٩٣٦
٢ ـ شهرزاد . ١٩٣٤
٣ ـ عودة الروح ١٩٣٣
٤ ـ أهل الكهف ١٩٣٣
٥ ـ تحت شمس الفكر ١٩٣٨
٦ ـ أشعب . ١٩٣٨
٧ ـ عهد الشيطان . ١٩٣٨
٨ ـ براكسا: أو مشكلة الحكم ١٩٣٩
٩ ـ راقصة المعبد . ١٩٣٩
١٠ ـ نشيد الإنشاد . ١٩٤٠
١١ ـ حمار الحكيم . ١٩٤٠
١٢ ـ سلطان الظلام ١٩٤١
١٣ ـ من البرج العاجى ١٩٤١
١٤ ـ تحت المصباح الأخضر ١٩٤٢
١٥ ـ تأملات فى السياسة ١٩٥٤
١٦ ـ بجماليون . ١٩٤٢
١٧ ـ الأيدى الناعمة ١٩٥٤
١٨ ـ لعبة الموت . ١٩٥٧
١٩ ـ حمارى قال لى . ١٩٣٨
٢٠ ـ أشواك السلام ١٩٥٧
٢١ ـ رحلة إلى الغد . ١٩٥٧
٢٢ ـ رحلة الربيع والخريف ١٩٦٤
٢٣ ـ يوميات نائب فى الأرياف ١٩٣٧
٢٤ ـ عصفور من الشرق ١٩٣٨
٢٥ ـ سليمان الحكيم ١٩٤٣
٢٦ ـ زهرة العمر . ١٩٤٣
٢٧ ـ الرباط المقدس ١٩٤٤
٢٨ ـ شجرة الحكم . ١٩٤٥
٢٩ ـ الملك أوديب . ١٩٤٩
٣٠ ـ مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٣١ ـ فن الادب . ١٩٥٢
٣٢ ـ عدالة وفن ١٩٥٣
٣٣ ـ أرنى الله . ١٩٥٣
٣٤ ـ عصا الحكيم ١٩٥٤
٣٥ ـ التعادلية . ١٩٥٥
٣٦ ـ إيزيس . . ١٩٥٥
٣٧ ـ الصفقة . . ١٩٥٦
٣٨ ـ المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
٣٩ ـ السلطان الحائر ١٩٦٠
٤٠ ـ ياطالع الشجرة ١٩٦٢
٤١ ـ الطعام لكل فم ١٩٦٣
٤٢ ـ سجن العمر . ١٩٦٤
٤٣ ـ شمس النهار . ١٩٦٥
٤٤ ـ مصير صرصار ١٩٦٦
٤٥ ـ الورطة . . ١٩٦٦
٤٦ ـ ليلة الزفاف . ١٩٦٦
٤٧ ـ قالبنا المسرحى . ١٩٦٧

كتب للمؤلف

نشرت باللغـــة الأجنبية

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد	ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل إيديسون لاتين) وترجم إلى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك فى عام ١٩٤٥
عودة الروح	ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار «فاسكيل» للنشر ، وبالانجليزية ، نشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢
يوميات نائب فى الأرياف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ وترجم إلى الإسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١
أهل الكهف	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦

(تابع) الكتب التى نشرت باللغة الأجنبية

عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى . ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .
عدالة وفن	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان « مذكرات قضائى شاعر » عام ١٩٦١
بجماليون	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
الملك أوديب	: » » » » » » »
سليمان الحكيم	: » » » » » » »
نهر الجنون	: » » » » » » »
عرف كيف يموت	: » » » » » » »
المخرج	: » » » » » » »
بيت النمل	» » » » » » » وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢
الزمار	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
مشكلة الحكم	: » » » » » » ١٩٥٤
السياسة والسلام	: » » » » » » »
الشيطان فى خطر	: » » » » » » »
بين يوم وليلة	» » » » » » » وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣
العش الهادئ	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
أريد أن اقتل	: » » » » » » »

(تابع) الكتب التي نشرت باللغة الأجنبية

الساحرة	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
دقت الساعة	: » » » » » » »
أنشودة الموت	» » » » » » » وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣
لو عرف الشباب	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
الكنز	: » » » » » » »
رحلة إلى الغد	: » » » » » » ١٩٦٠
الموت والحب	: » » » » » » »
السلطان الحائر	» » » » » » » وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤
ياطالع الشجرة	: ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ (فى دار نشر اكسفورد يونيفرستى بريس)

[الترجمات الفرنسية عن دار نشر «نوفيل إيديسيون لاتين» بباريس]

هذا الكتاب يعرض من صور الأشخاص والأوضاع والأخلاق ما صدر عن وحي المجتمع المصري في أعوامه التي تمخضت عنها الحرب العالمية الأخيرة... ويظهر أن الحروب وما تثيره في الأمة من هزات اجتماعية ؛ ترغم المشتغل بالفن على الإستقاء من هذا النبع ، وتدفعه إلى الاستيحاء مما يضطرب فيه هذا المجتمع... هكذا كان الحال أيضاً بالنسبة إلى الحرب العالمية الأولى ... فقد كان المجتمع المصري وقتئذ يهتز لأمرين . الخلاص من الاحتلال ، والتخلص من الحجاب... في ذلك العهد دفعتني تلك الهزة حوالى ١٩١٨ – ١٩١٩ إلى كتابة قصة تمثيلية اسمها « الضيف الثقيل » ترمز إلى معنى الاحتلال في صورة عصرية انتقادية .. فقد كانت تدور حول محام هبط عليه ذات يوم ضيف ، ليقيم عنده يوماً ؛ فمكث شهراً ... وما نفعت في الخلاص منه حيلة ولا وسيلة ... وكان المحامي يتخذ من سكنه مكتباً لعمله ... فما أن يغفل لحظة أو يتغيب ساعة ، حتى يتلقف الضيف الوافدين من الموكلين الجدد ، فيوهمهم أنه صاحب الدار ، ويقبض منهم ما يتيسر له قبضه من مقدم الأتعاب ... فهو احتلال واستغلال ، وأحدهما يؤدي دائماً إلى الآخر ... ثم كتبت عقب ذلك ببضعة أعوام أي حوالى ١٩٢٣–١٩٢٤ قصة تمثيلية أخرى هي المرأة الجديدة ، عن طرح المرأة للحجاب وما يمكن أن يترتب على السفور من آثار ... ولكن الحروب ، ما يكاد يختفي شبحها ويسكن ثائرها ، وتنقشع غيومها ، حتى يطيب

أحيانا للفن أن ينطلق من جو المسائل القومية إلى جو المسائل الأنسانية ... لهذا ، ماكادت الحرب العالمية الأولى تبعد شقتها وتهدأ هزتها باتجاه المجتمع المصرى إلى التغير الهادئ والتطور الطبيعى ، حتى اتجهت إلى مصدر آخر هو الانسان فى أفكاره الثابتة فى كل زمان ... كان ذلك منذ عام ١٩٢٨ حيث اخذت فى كتابة تمثيليات أهل الكهف وشهر زاد والخروج من الجنة ونهر الجنون إلخ ... واليوم عند خروجنا من الحرب العالمية الثانية أى منذ نحو خمس سنوات أو اكثر قليلا مضى المجتمع المصرى يضطرب فى هزات اجتماعية جديدة ، لم تكن ملحوظة على هذا النحو فى ١٩١٨ أوعام ١٩١٩ ...

فقد اتجه أكثر الناس إلى نشاطهم الداخلى فى مضمار التقدم الشخصى أو المنافسة العامة فأصبح للمال وسلطانه والسعى إلى طرائق جمعه وتدعيمه الأهمية الكبرى ... فعرفت مصر طرازاً حديثا من الناس هم رجال الأعمال والشركات وأثرياء الحرب ، كما كان للنظم الحديثة وسرعة التقلبات السياسية ، ومقتضيات الحياة العصريه أثر فى تصرفات الناس ، فنجم عن ذلك كله أنماط من الأخلاق تساير رغبة الطموح وتتابع سرعة الوصول ... كما أن المرأة لم تعد تقنع بالسفور بل سعت إلى أن يكون لها مكان بارز فى السياسة والحياة العامة وأن تكون لها حرية أوسع وإرادة أقوى وغير ذلك كثير مما جد على المجتمع المصرى من اتجاهات وشخصيات كانت هى الوحى لما فى هذا الكتاب من صور وحوادث وأناس ... وإن الحقيقة لتقتضينى التصريح بأنه ما من قصة هنا خلا منها مشهد على الأقل انتزع بالفعل من واقع الحياة ... حتى ماقد يبدو أحيانا أنه عجيب ... إن الحياة أجرأ من الفنان ...

ويضم هذا الكتاب ، عشرين قصة وقصة ، تمثيلية عصرية . منها ما يقع فى فصل ... ومنها مايقع فى منظرين ومنها ما يقع فى أربعه فصول ... ويبدو

من تاريخ الآداب العالمية أن التمثيلية ذات الفصل كان لها فضل فى تصوير المجتمع فى أوضاعه العديدة المختلفة ... فقد استخدمها لهذه الغاية موليير ودى موسيه وماريفوو تشيخوف وتورجنييف وجوته وشيلر وفرنر ودولى ووايلد وشو الخ . فالعمل على إقرارها أيضا فى الأدب العربى لما يمكن لهذا الادب العريق فى أساليب أدائه ، وينوع له فى وسائل تعبيره ...

أما بعد ... فإنا نملك الجهد ولا نملك الثمرة ... والجهد الذى نملكه قد أعطيناه ، والثمرة لا يمنحها غير الله ...

ت . ا



١ - من وحى أخلاق المجتمع

بين يوم وليلة

قصة تمثيلية فى منظرين

المنظر الأول

« حجرة الوزير ... فى إحـدى الوزارات ...
مدير المـكتب يدخل من أحد الأبواب وخلفه الساعى
يحمل مظروفا به رزمة من الخطابات . . . . . »

الساعى : بوستة معالى الوزير ...

مدير المـكتب : الوزير السابق ...

الساعى : نوصلها إلى منزله ؟ ...

مدير المـكتب : طبعا إذهب بها إلى منزله ... كما ذهبت أمس إليه بأوراقه الخصوصية ... ألم تسلم إليه أوراقه ؟ ...

الساعى : سلمتها إلى معـاليه يداً بيد ... وقد ظهر على وجهـه التأثر الشديد ... وسأل عن سعادتك ...

مدير المـكتب : سأل عن سعادتى ؟ ...

الساعى : قال : « كنت أنتظر من مدير مكتبى أن يحضر على الأقل ليودعنى...خصوصاً وهو يعلم أنى كنت قد أعددت مذكرة بترقيته ترقية استثنائية.. لولا سقوط الوزارة المفاجىء ... »

مدير المـكتب : أكان يريد منى أن أودعه ؟... أغاب عن فطنة معـاليه أننا كنا نترقب زوال عهده البغيض بفروغ صبر ! ...

الساعى : قلت لمعاليه إن سعادتك مشغول ...

مدير المكتب : طبعا مشغول ... هـذه الحجرة تحتاج إلى تنظيف ... قبل تشريف الوزير الجديد ... اذهب وأرسل إلىّ كبير الفراشين...

« الساعى يخرج . . . بينما يفتح مدير المكتب « أدراج » مكتب الوزير ويخرج منها الأوراق القديمة وينظر فيها ويمزقها . . . . »

الساعى : « يعود بعد لحظة » نسيب معالى الوزير السابق ...

مدير المكتب : « ببرود » نسيبه ؟! ...

الساعى : خطيب كريمة معاليه ...

مدير المكتب : وما شأنى به ؟

الساعى : يريد مقابلة سعادتك ...

مدير المكتب : «صائحا» ما شاء الله !... أيوجد فى رأسك ذرة من العقل ؟! أتظن أن وقتى نهب مباح لمن يريدون أن يصاهروا الوزير السابق ويناسبوه ويطلبوا يد ابنته ؟! ...

الساعى : أقول له إن سعادتك غير موجود ...

مدير المكتب : قل له ما شئت ...

« الساعى يهم بالخروج ... وإذا الخطيب يدخل مندفعا قبل أن يستطيع منعه . . . . »

الخطيب : « لمدير المكتب » نهارك سعيد يا بك ! ...

مدير المكتب : « بجفاء » نهارك سعيد ! ...

الخطيب : لا تؤاخذنى ... ليس من حقى الدخول عليك بهذه الصورة ... ولكن الموضوع فى غاية الأهمية ... تسمح لى بكلمة على انفراد ...

مدير المكتب : كلمة واحدة فقط لأنى مشغول ...

الخطيب : لن أستغرق من وقتك أكثر من دقيقة

مدير المكتب : تفضل ...

« يشير إلى الساعى فيخرج .... »

الخطيب : الموضوع دقيق .. وإنى أعلم أن أمامى رجلا من رجال الوزير السابق ، المعروف عنهم شدة الاتصال به والتشيع له ...

مدير المكتب : من هذا الرجل ؟ !

الخطيب : سعادتك طبعا .

مدير المكتب : « ينظر إلى الأبواب بقلق » ادخل فى الموضوع ... ادخل فى الموضوع ! ...

الخطيب : هل الخطابات المرسلة إلى الوزير تفتحها سعادتك ؟ ...

مدير المكتب : أى خطابات ؟ ...

الخطيب : الخطابات الخاصة ...

مدير المكتب : وما دخلى أنا فى خطاباته الخاصة ؟ ! ...

الخطيب : لا تطلع عليها إذن ، ولا تعرف محتوياتها ...

مدير المكتب : أنا ؟ ! ...

الخطيب : هذا معقول ... ولكن بقى شىء ... هو أنك تتسلم هذه الخطابات قبل أن تصل إلى يد الوزير ...

مدير المكتب : ماذا تريد حضرتك أن تقول بالضبط ؟ ...

الخطيب : هل تسلمت الخطابات الواردة باسم الوزير هذا الصباح ؟ ...

مدير المكتب : تسلمتها ...

الخطيب : « فى أمل » أهى موجودة عندك الآن ؟ ...

مدير المكتب : مع الأسف .. لقد أرسلناها إلى منزله مع أحد السعاة ...

الخطيب : « فى يأس » يا للمصيبة ! ...

مدير المكتب : مصيبة ؟! ...

الخطيب : مصيبتى أنا . لقد جئت من عزبتى فى الصعيد بقطار الليل... ولكن كل شىء ذهب سدى ... القسمة !... أشكرك على كل حال « يتحرك للإنصراف »

مدير المكتب : لم أفهم منك شيئاً حتى الآن ...

الخطيب : لا داعى ... ولا فائدة ... إنه سوء حظ والسلام ...

مدير المكتب : سوء حظك ! ...

الخطيب : وسوء حظك أنت أيضاً ...

مدير المكتب : سوء حظى أنا لماذا ؟...

الخطيب : لسقوط الوزارة ... وذهاب هذا الوزير النافع ... المصلح... النشيط ... الشهم ... ألست معى فى هذا الرأى ؟! ...

مدير المكتب : « ناظراً بخوف إلى الأبواب » طبعاً ...

الخطيب : كان من خيرة الوزراء ... وكان محبوباً من الجميع ... أليس كذلك ؟...

مدير المكتب : جداً ...

الخطيب : ولكنه ذهب ... ولن يعود ... وذهبت آمالنا معه إلى غير رجعة ... إنى كما تعلم رجل مزارع ... من الأعيان والملاك... صاحب أطيان واسعة ... ومصالح كثيرة ...«يهمس» ألا ترى أن اتصالى به سيعرضنى لغضب الوزارة القادمة ؟! ...

مدير المكتب : هذا محتمل الحدوث ...

الخطيب : وأنت أيضاً ؟... ماموقفك ؟

مدير المكتب : كما ترى ...

الخطيب : أرى أنه موقف لاتحسد عليه ... ألم تتنسم أخباراً عن تشكيل الوزارة الجديدة ؟...

مدير المكتب : ربما تم تأليفها اليوم ...

الخطيب : لو لم تسارع إلى إرسال خطابات الوزير السابق إلى منزله هذا الصباح ، لـكان لى شأن آخر ...

مدير المكتب : ما الذى يهمك من هذه الخطابات ؟...

الخطيب : خطاب واحد ... لا غير ...

مدير المكتب : أفيه شيء خطير ؟...

الخطيب : فيه ارتباطى بتحديد يوم الخميس القادم لعقد قرانى بكريمة هذا الوزير الساقط ... أقصد السابق !...

مدير المكتب : أنت الذى حررت هذا الخطاب ؟...

الخطيب : نعم وبعد أن وضعته فى صندوق البريد ، جاءت الصحف.. وإذا فيها خبر سقوط الوزارة !...

مدير المكتب عندئذ قمت فى الحال إلى مصر ...

الخطيب : بقطار الليل ... وجئت كما ترى فى الصباح الباكر ... عسى أن ألحق الخطاب قبل وقوعه فى يد الوزير ...

مدير المكتب : وماذا كنت تنوى أن تفعل لو أن خطابك وصل إلى يدك قبل أن يصل إلى يد الوزير ؟

الخطيب : طبعا ... أنت سيد العارفين ... ما دامت الفاس لم تقع فى الراس ... ما الذى يحملنى على أن ألقى بمصالحى فى يد شخص لم يعد فى العير ولا فى النفير ! ؟

مدير المكتب : حقا ... رجل ماعاد ينفع ولا يضر .

الخطيب : بالعكس ياسيدى البك ... بل قد يضر ولا ينفع ... فإن مجرد الانتساب إليه الآن قد يلحق بنا أضراراً ليست فى الحسبان .

« الساعى يظهر وتحت إبطه المظروف . . . »

الساعى : نبهت على كبير الفراشين بالحضور مع أعوانه لتنظيف الحجرة لمعالى الوزير الجديد ... والآن ... هل تأمر سعادتك بذهابى لتوصيل البوستة إلى منزل الوزير السابق ؟

الخيطب : « صائحا » بوستة الوزير السابق ؟ !

مدير المكتب : « للساعى » هات المظروف ! ... وانتظر فى الخارج حتى أناديك ...

« الساعى يسلم مظروف الخطابات إلى مدير المكتب ويخرج . . . »

الخطيب : « فى صيحة فرح » لم يكن قد ذهب بها ... ياحسن الحظ !

مدير المكتب : « يفرغ المظروف وينثر مافيه من خطابات على المكتب » أين خطابك من بين هذه الخطابات ؟ !

الخطيب : « يفرز خطاباً من بين الخطابات » ها هو ذا خطى ... ها هو ذا خطى ! ...

مدير المكتب : انتظر ... ماذا تريد أن تصنع به ؟

الخطيب : وأنت ؟ ... ماذا كنت تصنع به لو كنت فى مكانى ؟ ...

مدير المكتب : تريد أن تمزقه ؟ ...

الخطيب : لو أمكن فتح الغلاف بحرص ... فإنى أستخرج منه الورقة التى فيها تحديد يوم القران ... وأضع بدلا منها ورقة فيها فسخ للخطبة أجعل تاريخها سابقا لتاريخ سقوط الوزارة . بذلك يكون تصرفنا فى منتهى الكياسة ... ألا ترى ذلك ؟ ...

مدير المكتب : أرنى الغلاف ! ...

الخطيب : « يناوله الخطاب » صمغه ليس شديد الالتصاق ...

مدير المكتب : « يفحصه » حقا ... من الميسور فتحه وإعادة تصميغه ... خذ وافعل به ما شئت ! ...

الخطيب : « يتناول الخطاب ثم يتناول فتاحة معدنية من فوق المكتب يفتح بها الغلاف بحرص » فتاحة معالى الوزير ! ...

مدير المكتب : الوزير الجديد ! ...

الخطيب : أتعرف من سيكون ؟ ...

مدير المكتب : ما من أحد يعرف بعد ... إن كل وزير جديد هو على أى حال خير من كل وزير سابق ! ...

الخطيب : « وهو يضع الفتاحة » فتح الغلاف بكل احتياط ، بدون أن يمس ختم البريد ... « يستخرج ورقة من داخل الغلاف ... » وهذه هى الرسالة التى كانت ستوقعنا فى شر أعمالنا ! ...

« يمزق الرسالة قطعا صغيرة .... »

مدير المكتب : « مشيراً بيده » إليك سلة المهملات ! ...

الخطيب : « وهو يلقى بالقطع الصغيرة فى السلة ، والآن ورقة بيضاء من فضل سعادتك !...

مدير المكتب : « يبحث بين أوراق المكتب » خذ هذه ورقة عادية !...

الخطيب : «وهو يتناولها مع قلم من فوق المكتب شكراً .. سأضع تاريخ أمس الأول ... أو الأفضل تاريخ اليوم السابق لأمس الأول ... « يكتب » ... حضرة صاحب المعالى ... بعد تقديم واجب الاحترام ... جدت ظروف عائلية ترغمنى على إرجاء التفكير فى الزواج فى الوقت الحاضر ... لذلك يؤسفنى أن أرجو من معاليكم اعتبار موضوع الخطبة كأن لم يكن ... وتفضلوا ... إلى آخره . لاداعى للإطالة . أليس فى هذه الكلمة كل المطلوب؟.

مدير المكتب : هذه الكلمة كافية جداً ...

الخطيب : « وهو يضع الورقة فى الغلاف ، قليلا من الصمغ لنغلق الغلاف كما كان .. » يلمح زجاجة الصمغ على المكتب فيتناولها ويغلق الغلاف » ...

مدير المكتب : خلصت الآن ؟...

الخطيب : كالشعرة من العجين ... بفضل الله وفضلكم .. إليك الخطاب ... ضعه كما كان بين «بوستة» معالى الوزير ... السابق !...

مدير المكتب : « يتناول منه الخطاب ويدسه بين بريد الوزير ويضغط على زر الجرس فيدخل الساعى » خذ بوستة الوزير السابق واذهب بها فى الحال إلى منزله ...

الخطيب : « للساعى » بغاية السرعة من فضلك !...

مدير المكتب : « للساعى » عندك العجلة طبعاً ...

الساعى : « وهو يتناول مظروف البريد » نعم ... سأركب العجلة ... وأذهب فى طرفة عين ! ... « يخرج مسرعا ... »

الخطيب : « لمدير المكتب » لسانى عاجز عن الشكر ... ولن أنصرف الآن حتى آخذ منك وعداً أكيداً بأن تشرفنى فى بلدنا لنحتفى بك ونذبح الذبائح ونقوم نحوك ببعض الواجب ...

مدير المكتب : لم أفعل شيئاً يستحق كل ذلك ...

الخطيب : بل فعلت من المروءة مالا أنساه ... ولكن الله ألهمنى أن أرسل خطابى على الوزارة ، تباهياً أمام الفلاحين ... كى يتيح لى رجلا شهما مثلك ينقذنى من المأزق ...

مدير المكتب : بل قل إن الله هو الذى أراد إنقاذك وإزالة هذه الغمة عنك كما أزالها عنا ...

الخطيب : حقاً كانت غمة وانزاحت ...

مدير المكتب : كان عهداً بغيضاً وزال بشره ...

الخطيب : كان هذا الوزير والشهادة لله ثقيل الظل على قلبى ...

مدير المكتب : وماذا نقول نحن الذين عاشرناه فى العمل ... كان رجلا فى غاية الحمق والسخف والغباء ...

الخطيب : كان الله فى عونكم !.. إنى لم أكن قد خالطته بعد كل المخالطة ، ولكنى بالفراسة أدركت أنه مثل « شرابة الخرج » !...

مدير المكتب : كل هذا فضلا عن ظلمه وقلة نزاهته وارتباكه واعوجاجه فى تصريف الأمور ...»

الخطيب : ياحفيظ ! ...

مدير المكتب : لذلك كان من الضرورى أن يأتى عهد جديد ... نرى فيه اصلاحاً لهذا الفساد ! ...

الخطيب : البركة فى الوزير الجديد ...

مدير المكتب : هذا هو أملنا ... وموضع ...

« جرس التليفون يدق ... فيرفع مدير المكتب السماعة ويضعها على أذنه . . . . »

مدير المكتب : ألو .. ألو ... رياسة مجلس الوزاره ؟.. من حضرتك ؟ آه ... صباح الخير .. أفندم .. الوزارة الجديدة تألفت مبروك ...

الخطيب : مبروك ...

مدير المكتب : «يشير إليه بالصمت ويستأنف حديث التليفون ألو ... ألو ... قل لى من الوزاره الجدد ... أسماء الوزراء ... وزاتنا أولا ... أخبرنى من هو وزيرنا الجديد ؟... ماذاتقول ؟... هو .. عين الوزير السابق .لم يتغير دخل الوزارة الجديدة فى نفس وزارته ! كفى كفى . لاداعى لسماع البقية .. متشكر ! ... «يضع السماعة»

الخطيب : هو نفسه ! ؟ ...

مدير المكتب : وزيرنا الجديد هو نفسه الوزير السابق ! ...

الخطيب : « صائحا » ياداهيتنا الكبيرة ! ... الخطاب ... الخطاب ! ...

مدير المكتب : صه ! ... أين الأوراق التى سأعرضها على معاليه ! ... «ينفض» .. الآن ... فى منزله .. منزل معاليه ! ...

الخطيب : «يثب ناهضا» وخطابى ؟ ... من يرد إلى هذا الخطاب الملعون ... إلى منزله فى طرفة عين .. منزل معاليه ! ...

« ستار »

المنظر الثانى

« بهو فى منزل الوزير ... فى صدره باب يؤدى إلى الحديقة ... وفى جانبه باب مفتوح يؤدى إلى حجرة مكتب ... وقد جلست فى البهو كريمة الوزير وهى تحتضن كلباً صغيراً ... وبقربها جاس الخطيب ... يحادثها وعينه لاتفارق حجرة المكتب . . . . »

الخطيبة : لماذا تنظر هكذا دائما إلى إلى حجرة المكتب ؟ ! ...

الخطيب : معاليه ... والساعى ...

الخطيبة : إنه لن يبطىء علينا ... بعد لحظة يفرغ من هذا الساعى وأوراقه ... ويأتى إلينا ...

الخطيب : « يمد عنقه نحو حجرة المكتب » الخطابات ...

الخطيبة : أى خطابات ؟ ! ...

الخطيب : « يرسل نظراته إلى حجرة المكتب » فى يده ... إنها فى يده ... أسيفتحها الآن ؟ ! ...

الخطيبة : لا أظن ... ولا ينبغى لنا أن ندعه مشغولا عنا طويلا ...

الخطيب : نعم ... أرجوك ... امنعيه من أن يقرأ الآن ...

الخطيبة : لاتخف ... إنه سيأتى إلينا حالا ... وسيشترك فى الحديث ... لماذا كل هذه السرعة منك فى إعداد برنامج القران ؟ ! ...

الخطيب : « وهو ينظر » أسرعى ... امنعى ... إنه يقلب بين يديه الخطابات ! ...

الخطيبة : « مبتسمة » كن صبوراً ... تعلم الصبر ... على ذكر الخطابات لماذا لم تكتب إلينا حتى الآن ... كنا ننتظر منك على الأقل خطابا ... تحدد فيه الموعد ... وتقترح الترتيبات ...

الخطيب : « وهو ينظر إلى حجرة المكتب » كتبت ... أقصد ... أقصد فكرت ... ولكنى فضلت الحضور بنفسى ... حتى يتم القران يوم الخميس القادم إن شاء الله !...

الخطيبة : الموعد قريب جداً ...

الخطيب : « وهو ينظر » أسرعى ... إنه يريد أن يفتح خطاباً ...

الخطيبة : «تلتفت إلى حجرة المكتب وتنادى» بابا... بابا... نحن فى انتظارك

الوزير : « من الداخل صائحاً » لا تؤاخذنى ...

« ثم يظهر مشيراً إلى الساعى بالانصراف ... ويتقدم نحوهما . . حاملا الخطابات فى يده . . ويجلس على مقعد أمامه منضدة صغيرة ... بينما الخطيب ينهض لمجيئه ويجلس بجلوسه . . . . »

الوزير : « لابنته » ألم تطلبى قهوة لخطيبك ؟!...

الخطيبة : طبعاً يا بابا !...

الوزير : « يضع الخطابات فوق المنضدة التى أمامه » قبل أن أنقطع لكما ويجرفنا الحديث ... اسمحا لى بلحظة أتصفح هذه الخطابات ...

« ويخرج نظارته من جيبه ... »

الخطيب : « بسرعة ورجفة » لا يا معالى الباشا ... لا ... موضوعنا فى غاية الأهمية ... ويستحق من معاليك أن تنقطع الآن إلينا ... التفت إلينا ...

الخطيبة : الحق معه يا بابا ... يحسن أن تترك القراءة الآن ... وتشاركنا في الحديث ...

الوزير : « وهو يعيد نظارته إلى جيبه » تركت القراءة ... أخبراني بما انتهى إليه الرأى بينكما ...

الخطيبة : « لخطيبها المحملق فى الخطابات » قل رأيك ...

الخطيب : « يرفع عينيه عن الخطابات مرتبكا » أنا ؟! ...

الخطيبة : « لخطيبها » مالك ؟... لماذا تنظر هكذا إلى هذه الخطابات ؟! ...

الخطيب : أنا ؟!... أنا نظرت إليها ؟!...

الخطيبة : أتخشى أن يعود إلى القراءة ويشغل عن موضوعنا ؟!...

الخطيب : « بسرعة » نعم ... هو ذاك ... « يمد يده نحو الخطابات » اسمح لى يا باشا ... أضعها فوق ذلك المكتب ... سأذهب بها بعيداً ... هناك ... هاتها ... هاتها ...

الوزير : « يضع يده فوق الخطابات » لا ... دعها واطمئن ... إنى معكما الآن بكل فكرى وقلبي ... وهل عندى موضوع أهم من موضوعكما ... تكلما ... إنى مصغ !...

الخطيب : لن أطمئن حتى آخذ هذه الخطابات ... بعيداً ... بعيداً عن أنظارك يا باشا !... « يمد يده محاولا أخذ الخطابات » ...

الوزير : « يسبقه إلى الخطابات » انتظر سأريحك .. سأضعها فى جيبي ... لأقرأها فيما بعد ... عندما آوى إلى حجرة نومى ... « يدس الخطابات فى جيب جاكتته ... » هدأ بالك الآن ؟... هيا تكلم ... وقل رأيك ...

الوزير : « ناظرا فى يأس إلى جيب الوزير » رأيى ؟ ! ...

الخطيبة : نعم ... رأيك الذى أبديته لى منذ قليل ...

الخطيب : « وهو يختلس النظر يائساً إلى جيب جاكتة الوزير التى فيها الخطابات » رأيى أن كل شىء انتهى ! ...

الوزير : انتهى ؟ ! ...

الخطيب : « مستدركا » على خير بركة الله ! ...

الوزير : والموعد ؟ ! ...

الخطيب : يوم الخميس القادم إن شاء الله ...

الوزير : سوف يكون يوما مشهودا ... أرى فيه وجوها تنكرت لى بسرعة البرق ... إن هذه الساعات الأربع والعشرين التى مرت ما بين استقالى وعودتى للحكم قد أرتنى عجائب وغرائب من طباع الناس ... حتى مدير مكتبى ... مدير مكتبى الذى شرعت فى ترقيته ترقية استثنائية قد رفض توديعى ودخول منزلى ... ووصف عهدى ، كما بلغنى ، بالعهد البغيض ! ...

الخطيب : قصر نظر يا معالى الباشا ... قصر نظر ! ...

الخطيبة : وما ذا تنوى يا بابا أن تفعل بمثل هذا الموظف ؟ ! ...

الوزير : مدير مكتبى ؟ ! ... سوف تسمعون بما أنا صانع به وبأمثاله من الزائفين الذين يرتدون ثياب المخلصين ! ...

الخطيب : « وهو ينظر إلى جيب جاكتة الوزير » لعنة الله على الذبذبة والمذبذبين ! ...

« يدخل الخادم يحمل صينية القهوة ويتقدم نحو الخطيب »

الخطيبة : « وهى تدلل كلبها الصغير » بوبى هذا الصغير لم يتغير وفاؤه فى الأيام السود ولا الأيام البيض ! ...

الخطيب : « للخادم المقبل عليه بالقهوة » معالى الباشا أولا ! ...

الوزير : لا ... الضيف أولا ! ...

الخطيب : « يتناول فنجانا وينهض به إلى الوزير » لا يمكن ... مستحيل أتناول القهوة قبل معاليك ...

الوزير : استغفر الله ! ...

« الخطيب يتعمد اسقاط الفنجان على جاكتة الوزير .... »

الخطيب : « متظاهرا بالألم » يا للكارثة ! ... يالخيبتى وسوء فعلى ! ... كيف أعبر عن أسفى يا معالى الوزير ؟ ...

الوزير : لا تنزعج ... هذا شىء بسيط ! ...

الخطيب : اخلع « الجاكتة » يا باشا ... وأنا أتولى تنظيفها بنفسى ...

الخطيبة : « تطلق كلبها فى الخارج وتصيح » وأنا ... ما وظيفتى ؟ ...

الخطيب : « وهو يحاول أن يخلع الجاكتة عن الوزير » أقسم ما من أحد يمس هذه « الجاكتة » غيرى ! ... أنا الذى أصلح ما أفسدت ... دعوها لى ... دعوها لى ...

الوزير : « يبعد عنه يد الخطيب برفق » مهلا ... مهلا ... لا أنت ولا خطيبتك ... « يشير إلى الخادم » خذ « الجاكتة » إلى محل التنظيف والمكوى ... وأحضر لى « الروب » من حجرتى ! ... « يخلع الجاكتة ويسلمها إلى الخادم ... » هل هناك أبسط من هذا الحل ؟ ! ...

« الخادم يمشى بالجاكتة ... وأنظار الخطيب تمشى خلفها ... ثم يتحرك خلف الجاكتة بدون وعى ...

الخطيبة : « لخطيبها » إلى أين ؟... إلى أين ؟...

الخطيب : « يقف مرتبكا » الجيب ... مافى الجيب ... الجيوب !...

الوزير : صدقت ... هات « الجاكتة » يا ... « الخادم يعود بالجاكتة إلى الوزير فيخرج مافى جيوبها ثم يشير إليه بالذهاب بها » ...

الخطيب : « يمد يده إلى محتويات الجيوب فى يد الباشا » ناولنى هذه الأشياء يا معالى الباشا ... حتى لا تتعب يديك !...

الوزير : ولماذا أتعب بها يديك أنت ... « يلتفت إلى ابنته » خذيها أنت وضعيها فى « درج » المكتب.. واغلقى عليها.. هاك المفتاح !... « يخرج من جيب « بنطلونه » سلسلة بها بضعة مفاتيح صغيرة ... »

الخطيبة : « تتناول من أبيها المحتويات وبينها الخطابات وسلسلة المفاتيح وتتجه إلى حجرة المكتب وهى تنادى كلبها » بوبى ... بوبى !...

« الخطيب يتتبع بنظراته الحائرة الخطابات فى يد الخطيبة المتجهة إلى حجرة المكتب ... ويمشى خلفها بلا وعى . . . . »

الوزير : « للخطيب » إلى أين ؟... إلى أين ؟...

الخطيب : إنها تناديني ...

الوزير : إنها تنادى « بوبى » ...

الخطيب : ربما كنت أنا « بوبى » ...

الوزير : « ضاحكا » لا ... تعال ... تعال اجلس ... إنها لاتقصدك أنت ... سوف تطلق عليك اسما من أسماء التدليل ... فيما بعد .. ولكنه

لن يكون « بوبى » على كل حال ...

الخطيب : « وهو يجلس يائساً فى مقعدة » هذا من سوء حظى !...

الخطيبة : « من الداخل » ما الذى أضحكك يا بابا؟...

الوزير : خطيبك يقول لك !... « يعطس » ...

الخطيبة : «تظهر وهى تلعب بسلسلة المفاتيح » انت يا بابا الذى عطست؟...

الوزير : نعم ...

الخطيبة : سيصيبك برد من تخفيف ثيابك ...

الوزير : « ينهض » حقاً يحسن أن ألبس ثياباً كاملة... انتظرونى... سأعود بعد لحظة !... « يخرج مسرعاً » ...

الخطيبة : « لخطيبها » ماذا كنتما تقولان فى غيبتى ؟...

الخطيب : « ناظراً إلى سلسلة المفاتيح فى يدها » هذه السلسلة من الفضة ؟...

الخطيبة : لا ... إنها عادية ... من المعدن ...

الخطيب : « يمد يده إليها » أرينى ... أرينى ...

الخطيبة : ماذا ترى فيها يثير الاهتمام !...

الخطيب : شكلها ... شكل المفاتيح ...

الخطيبة : مفاتيح عادية جداً ...

الخطيب : إنها متشابهة فيما بينها ... أهى كلها « لأدراج » المكتب ؟...

الخطيبة : نعم ... كل « درج » له مفتاحه ...

الخطيب : وكيف تستطيعين التمييز بين المفاتيح ؟...

الخطيبة : أهو أمر صعب إلى هذه الدرجة ؟!...

الخطيب : يبدو لى أن من الصعب استخراج مفتاح كل «درج» بمجرد النظر .

الخطيبة : هذا شيء سهل ... يكفى أن تنظر إلى سن كل مفتاح ... إن الأسنان فيما بينها تختلف ...

الخطيب : حقيقة ... ولكن كيف تعرفين أن هذا الدرج بالذات له مفتاحه بهذه الأسنان بالذات ؟...

الخطيبة : مدهش !...

الخطيب : ما هو المدهش !...

الخطيبة : هذا الموضوع الذى نتحدث فيه ... إنه فى غاية الشاعرية !... ألا تلاحظ ؟... منذ وجد الزواج ... وكل خطيب وخطيبة ، إذا اجتمعا فى خلوة ، تحدثا فى القمر وفى النسيم وفى الفراق وفى اللقاء ... ولكن ... قلما خطر لواحد منهما أن يتحدث فى الأدراج والمفاتيح ...

الخطيب : « يفيق » آه ... لا مؤاخذة !...

الخطيبة : لعل هذا الموضوع له عندك أصل أو مناسبة ...

الخطيب : لا ... لا ... أبداً ... لا يوجد أصل ولا مناسبة ... المسألة مجرد ...

الخطيبة : مجرد ماذا ؟...

الخطيب : مجرد ... إعجاب بذكائك ...

الخطيبة : ذكائى ؟!...

الخطيب : نعم ... لقد لفت نظرى الآن منك أنك لم تستغرقى وقتاً طويلا وأنت تضعين الخطابات ... أقصد محتويات جاكتة الباشا ... فى درج المكتب .. وفتحت الدرج وأغلقته بالمفتاح ... مع أن المفاتيح فى السلسلة متشابهة ... هذا طبعاً يدل على الذكاء ...

الخطيبة : متشكرة ...

الخطيب : العفو ... أنا مثلا لو كنت فى موضعك لكنت حرت وتهت بين الأدراج والمفاتيح ... وإذا لم تصدق فلنجرب ... هلمى امتحنى درجة ذكائى ...

الخطيبة : إنى واثقة أنك ستنجح ...

الخطيب : من يدرى ... عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان ...

الخطيبة : كيف تريد منى أن أمتحنك ؟...

الخطيب : المسألة بسيطة ... أرينى بسرعة مفتاح الدرج الذى وضعت فيه الخطابات ... أقصد المحتويات ... وقولى لى : اذهب وافتحه بمفردك ...

الخطيبة : انك ستفتحه طبعاً ...

الخطيب : أبدا ...

الخطيبة : فلنجرب ...

الخطيب : نعم ... فلنجرب ...

الخطيبة : « بسرعة » هذا هو المفتاح ...

الخطيب : ليس بهذه السرعة ... إنى لم أر شيئا .. مرة أخرى من فضلك ...

الخطيبة : « ضاحكة وهى تشير إلى مفتاح من بين مفاتيح السلسلة » التفت جيداً هذه المرة ... هذا هو المفتاح ...

الخطيب : « يسرع ويقبض عليه » هاتى ...

الخطيبة : « تتركه له » خذ واذهب وافتح فى طرفة عين مثلما فعلت أنا !...

الخطيب : « ينهض بالمفتاح مسرعا وقد جاءه الفرج » بقى أن أعرف الدرج !...

الخطيبة : سأعد من واحد إلى عشرة ...

الخطيب : إلى عشرين من فضلك ..

الخطيبة : « فى تسامح » إلى عشرين ...

الخطيب : « وهو متجه بالمفتاح إلى حجرة المكتب » يا بركة الله !

الخطيبة : وعند العشرين أهرع أنا إلى المكتب لأرى النتيجة ... « تعد بصوت مرتفع » واحد ... أثنين ... ثلاثة ...

الخطيب : « على عتبة حجرة المكتب » انتظرى ... وحياة عينيك ... « غششينى » قليلا والا سقطت سقوطا شنيعا ... قولى لى أين الدرج ... ؟

الخطيبة : « ضاحكة » وماذا بقى إذن من مواد الامتحان ؟ ...

الخطيب : « متوسلا » قولى لى .. الله لا يفضحك ! ...

الخطيبة : « ضاحكة متسامحة » الدرج الذى فى الصدر ! ... سأستأنف العد ... أربعة ... خمسة ...

الخطيب : لا ... لا ... أرجوك ... عدى من الأول ... « ثم يختفى سريعا فى حجرة المكتب » ...

الخطيبة : أمرك .. احد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة

الخطيب : « صائحا من الداخل » اسكت يا بوبى ... ! ... ابعد يابوبى ! ... « يسمع نباح الكلب من الداخل » ...

الخطيبة : « ضاحكة ومستمرة فى العد » ثمانية ... تسعة ... عشرة ...

الخطيب : « صائحا » حوشى بوبى ... يا للكارثة ... الكلب خطف السلسلة . خطف المفاتيح ...

الخطيبة : «ناهضة بسرعة» بوبى ! ...

الخطيب : «يظهر مهرولا ، قفز بالمفاتيح من النافذة إلى الحديقة ...

الخطيبة : وأنت ... إلى أين تجرى ؟ ...

الخطيب : خلفه ... أمسك به ... أحضر المفاتيح ... لم أفتح بعد ... يااللحظ العاثر. يااليوم الشؤم ! ... «يهرول من الباب المؤدى إلى الحديقة»

الخطيبة : «تتبعه بأنظارها عند الباب ضاحكة» لن تلحق به ... ارجع ... خيرا لك ...

الخطيب : «فى الحديقة يمصمص بفمه للكلب ، بوبى ... تعال ... تعال ياحبيبى ... أرجوك ... أنا فى جاهك ... كن لطيفا ... ارجع المفاتيح ! ... « يخفت صوته كمن ابتعد خلف الكلب ...)

« الخطيبة بالباب تضحك ... وعندئذ يسمع فى الخارج قرب الباب جلبة وهمهمه أصوات مقتربة ... ثم صوت مدير المكتب يهتف . . . . . . »

مدير المكتب : « فى الخارج » فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

أصوات : « فى الخارج تردد هاتفة ، فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

مدير المكتب : «فى الخارج لمن معه» لا تدخلوا ... لا تزعجوا الباشا انتظروا أنتم حتى يخرج لكم ... « يظهر بالباب وتحت إبطه مظروف» معالى الوزير فى حجرة المكتب ؟ ...

الخطيبة : إنه يلبس ... لحظة واحدة ! ... « تخرج مسرعة من أحد الأبواب الجانبية ...

«مدير المكتب يتقدم فى البهو... ويضع مظروفه على المنضدة ويهم بالجلوس ... وعندئذ يظهر «الخطيب» داخلا من الحديقة يمسح عرقه بمنديله . . . . »

الخطيب : اف ! ... اختفى الكلب ! ...

مدير المكتب : « يلتفت نحوه » الكلب ؟ ...

الخطيب : « يرى مدير المكتب » انت ؟ . . . وقعتى « هباب » . . . « يهمس فى أذنه » . . . كلام فى سرك . . . الخطاب الملعون فى هذا المكتب .. فى درج الصدر ... ومكثت ساعة أحاول الحصول عليه بكافة الوسائل ... وأخيراً نجحت فى أخذ المفتاح ... وما كدت أدنو به من الدرج ... حتى خطفه ذلك الكلب الأزعر ... إنى فى أحرج مركز ... إنى منكوب . لن أعرف طعم الراحة ماذام الخطاب هناك ... لم أحصل عليه قبل أن يقرأه ...

مدير المكتب : هدىء بالك .. اعتمد على ...

الخطيب : اعتمد عليك أنت ... الآن ؟! ... أنت أيضاً وقعتك ثقيلة .. سبحان المنجى ! ...

مدير المكتب : « يلتفت إلى الباب الجانبى » صه ! ... معالى الوزير ...

الوزير : « يظهر ويقول بنبرة تهكم » أهلا بمدير مكتبنا المخلص ! ...

مدير المكتب : دائماً يامعالى الوزير ...

الوزير : طبعاً ... دائماً وفى كل وقت ... حتى بعد الاستقالة ...

مدير المكتب : هل عند معاليك شك فى إخلاصى ؟! ...

الوزير : « متهكماً » أبداً ... حاشا لله ! ... وهل هناك إخلاص أشد من أن تدخل بيتى بعد استقالتى ... وتودعنى ذلك الوداع المؤثر ... دون أن تتنصل أو تخاف أو تهرب ؟! ...

مدير المكتب : أودع معاليك ؟ ... لماذا ؟ ... لا يامعالى الوزير .. إنى لم أرد أن

أجيئك مودعاً ... لأنى كنت عميق الإيمان بك وبعودتك في الوزارة الجديدة ... يودعك اليائس ... أما أنا فلم أيأس ... كنت على يقين أن كفاءتك العظيمة ومواهبك النادرة لا يمكن أن توضع على الرف ...

الوزير : أهذا حقاً كان تفكيرك ؟! ...

مدير المكتب : تفكيرى وإيمانى وعقيدتى يامعالى الوزير .. وإنه من بواعث فخرى أن إيمانى بك لم يتزعزع فى يوم من الأيام ...

الوزير : وعهدى ألم يكن بغيضاً ؟! ...

مدير المكتب : طبعاً ... كان بغيضاً .. عند خصومك وحسادك .. وأولئك الجاحدين الذين لم يروا أعمالك ومشروعاتك واصلاحاتك! ...

الوزير : كانوا هم إذن الذين يقولون ذلك !! ...

مدير المكتب : بالتأكيد . . . كل الأفذاذ والمصلحين يسمعون أحياناً ما يكرهون ويبلغهم من تقولات الناس مالا يحبون ... ويشهد الله كم كان يؤذى سمعى أن أسمع فيك بعض هذا الجحود ... ولكنى كنت أعزى نفسى دائماً بقولى : معاليه من العباقرة العظماء ... وتلك ضريبة العبقرية والعظمة ...

الوزير : إنى على كل حال لم أصنع لك إلا كل خير ...

مدير المكتب : وهل من المعقول أن أنسى ... كل ترقية لى كانت على يدى معاليك ! ... ان أقل الواجب وأضعف الإيمان أن أكون على الأقل من أشد المتحمسين لك وأخلص المتصلين بك ! ...

الوزير : يجب أن يكون الأمر كذلك ...

مدير المكتب : أقسم لمعاليك أن هذا هو الواقع ... وإن كره الواشون والحسادو النمامون ... إن إخلاصى لمعاليك شىء فى دمى . وإيمانى بشخصيتك الممتازة وعقليتك الجبارة دين راسخ فى قلبى ...

الوزير : أرجو أن تكون دائماً مدير مكتبى الذى أضع فيه كامل ثقتى ! ...

مدير المكتب : ثقة معاليك الغالية كل زادى ... وكل ثروتى ... والله يشهد فى سمائه أنى بهذه الثقة جدير ...

الوزير : عندى مجلس وزراء بعد نصف ساعة ...

مدير المكتب : «يتناول المظروف» جهزت لمعاليك كل الأوراق اللازمة ...

الخطيبة : «تدخل حاملة بوبى والمفاتيح» ها هو بوبى جاءنى بنفسه يحمل سلسلة المفاتيح ...

الخطيب : «بدون وعى» هاتى ... أرجوك ...

الوزير : «لابنته» اعطى المفاتيح لمدير مكتبى ليعرض على ما فيه من بريد وأوراق .. كالعادة ...

مدير المكتب : «وهو يتسلم المفاتيح» شكراً ... تسمح معاليك لحظة ...

الوزير : ماذا ؟ ...

مدير المكتب : «يقترب من الباب ويهتف» فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

الأصوات : «فى الخارج» فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

الوزير : ما هذا ؟ ...

مدير المكتب : موظفو مكتبى جاءوا مى يظهرون ابتهاجهم بعودة معاليك للوزارة ...

الوزير : «باسماً» أنت الذى نظمت هذه المظاهرة !! ...

« يتجه الوزير نحو الباب وخلفه ابنته . . . . »

مدير المكتب: هذا شعور طبيعى قد تفجر ... ومنذا الذى ينسى إحسان معاليك لموظفى مكتبك ؟...

الوزير : لا تنسى أن تذكرنى بقرار ترقيتك الاستثنائية ! ...

« يخرج إلى عتبة الباب ويحيي الهاتفين بيديه ... وخلفه ابنته تشاهد مى وكلبها بوبى ... بينما يمسك الخطيب بذراع مدير المكتب ويحاول جذبه إلى ناحية حجرة المكتب . . . . »

الخطيب : « هامساً لمدير المكتب » المفتاح فى يدك ... أنا فى جاهك... أنقذنى ! ...

مدير المكتب: « هامساً » هدىء بالك ! ... قلت لك اعتمد على ... ولكنك لم تصدق ...

الخطيب : صدقت ... وآمنت ... كنت مغفلا ولم أفهم ...

مدير المكتب: تفهم ماذا ؟...

الخطيب : أن صاحب السلطة بسهولة يصدق الملق . . . وبسرعة ينسى النفاق ! ...

(ستار)

٢ - من وحى الطبائع البشرية

أريد أن أقتل

قصة تمثيلية فى فصل واحد

بهو استقبال صغير فى « شقة » يقطنها زوجان وحيدان ... كل شىء فيها ينم على البساطة والهدوء والاطمئنان ... وفى وسط البهو منضدة عليها حقيبة صغيرة مفتوحة لمندوب شركة التأمين على الحياة وهو يقدم إلى الزوج عقدا ... ويناوله قلما من الأبنوس ...

مندوب التأمين : وقع بامضائك هنا ... بقلمى الأبنوس ... فهو يجلب السعد ! ...

الزوج : « وهو يلقى على العقد نظرة أخيرة » إذا مت فإن زوجتى تقبض من الشركة ألفى جنيه ؟ ...

المندوب : فى الحال بمجرد الوفاة ...

الزوج : « وهو يتناول منه القلم » إليك إمضائى ...

« يوقع على العقد ثم يضع القلم فوق المنضدة ويسلم العقد للمندوب . . . . »

المندوب : « وهو يتناول العقد » مبروك ! ...

الزوج : على وفاتى ؟ ! ...

المندوب : على إتمام « البوليصة » ...

الزوج : أهم شىء عندى هو أن زوجتى لا تعلم بخبر هذا التأمين وأنا على قيد الحياة ... إنها رقيقة الشعور ... شديدة الاخلاص إلى حد يؤثر أحيانا فى صحتها ... ما من أمر يزعجها فى النهار ويؤرقها فى الليل إلا فكرة موتى قبلها ... فهى لا تطيق أن تتصور هذا يحدث يوما ... وإذا مر شبح ذلك بخاطرها صاحت : « اللهم اجعل يومى قبل يومه ! ... » ولكنى أنا أشد منها انزعاجا ، ولا أسأل الله شيئا

إلا أن يجعل يومى قبل يومها !...

المندوب : ما شاء الله !... إخلاص متبادل ...

الزوج : لذلك أخشى أن يبلغها خبر هذا التأمين على حياتى من أجلها فتتشاءم ، ويتملكها الفزع !...

المندوب : اطمئن !... لن يبلغها شيء من جهتنا.. المحافظة على الأسرار من أهم واجباتنا واختصاصاتنا ...

الزوج : من حسن الحظ أنها الآن فوق... عند الجيران... تعود فتاة مريضة، ولكن... إذا شاءت المصادفة السيئة أن تلقاك هنا أو تفاجئك... فحذار أن تخبرها أنك مندوب شركة التأمين على الحياة !...

المندوب : لا تخف !... اعتمد على لباقتى ...

الزوج : إنى معتمد على الله وعليك وعلى الشركة فى أن تعيش أرملتى فى سعة وبحبوحة وعزة وراحة ...

المندوب : لكن فى العقد شرطاً، إذا توفيت أرملتك قبلك. أقصد زوجتك . فإن كل ما دفعته أنت من أقساط ، وإن بلغ المئات ، يضيع عليك...

الزوج : ‹فزعاً› صه !... صه !... تتوفى قبلى ... تموت قبلى ... وما فائدة حياتى بعدها ... وما قيمة مالى ... ولماذا أطالبكم بشيء ... وأفكر فى شيء ... أجننت أيها المجنون ... أيها المندوب ...

المندوب : عفوا ... معذرة ... إنى ما قصدت إلا مجرد الإشارة إلى نص من نصوص ...

الزوج : كفى .. لا أريد أن تقع عينى على مثل هذا النص المؤلم ...

المندوب : خانتنى اللباقة .. سامحنى ... سأحتاط منذ الآن .. كل ما أرجوه

أن ترضى ... وأن يطيل الله بقاء الست ...

الزوج : وأن يتوفانى قبلها ...

المندوب : وأن يتوفاك قبلها... وتقبض هى مبلغ التأمين فى خير وسرور...

« يحمل الحقيبة الصغيرة ويتأهب للانصراف . . . »

الزوج : تنصرف ... ولم أقدم إليك القهوة ... لا تؤاخذنا ... خادمنا اليوم فى أجازة .. وأنا والست وحدنا فى «الشقة».. وهى كما قلت الآن لك فوق عند الجيران ...

المندوب : لا داعى للكلفة ... إنى سعيد أن أكون دائما فى خدمتك ...

الزوج : تذكر دائما ... زوجتى لا يجب أن تعلم ...

المندوب : لن تعلم ... إلى اللقاء ...

« فى هذه اللحظة يدفع باب الشقة المفتوح وتظهر الزوجة نازلة من عند الجيران ... فترى المندوب متجها إلى الباب وفى يده الحقيبة الصغيرة . . . . . »

الزوجة : « للمندوب بلهجة سريعة » الدكتور ... حضرتك الدكتور ؟...

المندوب : « مفاجأ » أنا ؟...

الزوج : « للمندوب بسرعة » زوجتى ... زوجتى ...

المندوب : الست ؟... آه ... تشرفنا يا هانم ...

الزوجة : وحضرتك طبعاً ...

الزوج : « بارتباك » نعم ... حضرته طبعاً ...

الزوجة : الدكتور ...

المندوب : « ينظر إلى الحقيبة الصغيرة فى يده » دكتور ؟...

الزوج : « يغمز بعينه للمندوب » نعم ... دكتور ... ولكن اطمئنى ...

اطمئنى ... إنى فى أتم صحة ...

الزوجة : الدكتور طبعاً غلط فى الطابق ... المريضة فوق عند الجيران... لقد طلبوك بالتليفون منذ نصف ساعة ...

الزوج : اصعد يادكتور ... اصعد ..

المندوب : سأصعد ... حالا ...

« يتجه بسرعة إلى الباب كمن يريد أن ينجو بنفسه من الموقف... »

الزوجة : انتظر يادكتور ... حذار أن تقول للمريضة إنك طبيب جاء لعلاجها ... فهى لا تعتقد أنها مصابة بمرض... وهى تتكلم بكل هدوء، وكل منطق... وقد ترفض مقابلتك إذا علمت أنك طبيب... فيحسن أن تقول لها إنك ... أى شىء آخر ... قل لها مثلا إنك

المندوب : إنى مندوب شركة تأمين ... جاء يؤمن على حياتها ...

الزوج : « للمندوب » ألم تجد شيئاً آخر غير هذا !؟...

الزوجة : لا بأس ... لا بأس ... فلينتحل أى صفة يراها ... المهم أن يخفى عنها أنه دكتور ...

المندوب : « بسرعة وهو منصرف » لن تعلم ... لن تعلم ...

الزوجة : انتظر يادكتور ... انتظر ... انك ستجدها الآن منفردة فى حجرتها ... مستغرقة فى تأملاتها ... فهى كثيرة العزلة ... تعيش وحدها مع أمها ... لا تخرج كثيراً، وتقرأ طويلا ... وقلما أراها عندما أصعد زائرة ... ولكنى أرى أمها المسكينة التى تحدثنى عن أمرها العجيب ودموعها تسيل ... وما من خادمة أو خادم يطيل المقام عندها خوفا على حياته ...

المندوب : خوفا على حياته ؟! ...

الزوجة : نعم يا دكتور .. لقد أصبحت هذه الفتاة خطرة ... وإن كان ظاهرها لا يدل على ذلك ... بالعكس ... إنك ستراها حسناء وديعة دمثة مؤدبة مثقفة ، ولكنها ما تكاد تنفرد بخادم فى المطبخ وفى يدها سكين ... حتى تلمع عيناها ببريق غريب ... وتهم بطعنه ... لولا صياحه وفراره وظهور الأم ...

المندوب : « فى خوف » يا مغيث ! ...

الزوجة : ماذا تسمى هذه الحالة يا دكتور عندكم فى الطب ؟ ...

المندوب : « مرتبكا » هذه الحالة ... تسمى ... تسمى ...

الزوج : « بسرعة » تسمى من غير شك اختلالا عصبيا أو على الأقل اختلالا نفسانيا ...

الزوجة : « لزوجها » دع الدكتور يتكلم . . . إنه أدرى بمهنته . . . ما رأيك يا دكتور ؟ ...

المندوب : رأيى أن هذا شىء مخيف جداً ...

الزوجة : بماذا تشخصه ؟ ... بماذا تعلله ... بماذا تعالجه ؟ ...

المندوب : « بارتباك » من رأيى أن المستحضرات الطبية تعالج الآن كل شىء ... ومخازن الأدوية مملوءة بالعقاقير ... وكل يوم يظهر اختراع جديد ... والأمراض فى انقراض .. والأعمار تضاعف طولها فى المتوسط ... حتى أصبحت شركات التأمين...

الزوج : « همساً » مالنا ومال التأمين ؟! ...

الزوجة : « للمندوب » تقصد الدكتور أنه يوجد مستحضر طبى لعلاج هذه الحالة؟!

الزوج : « لزوجته » أتطلبين من الدكتور أن يتكلم عن حالة لم يفحصها بعد .

المندوب : هذا صحيح ... لا أستطيع الكلام عن حالة لم أفحصها بعد ...

الزوجة : عفواً يادكتور ... اعذرنى ... إن الفضول دفعنى إلى كل هذه الأسئلة ؛ بل شيئاً آخر أكثر من مجرد الفضول ... هو شفقتى على الأم المسكينة ... لا ينبغى أن أحجزك هنا أكثر من ذلك ... إنهم فوق فى انتظارك ... وأرجو أن يتم لهذه الفتاة الشفاء على يديك ...

المندوب : شكراً ... ليلتكم سعيدة ! ... « يتحرك للانصراف » ...

الزوجة : انتظر يادكتور ... خذ حذرك من الفتاة ... لقد أخبرتنى أمها منذ لحظة أنها لمحت فى حجرتها اليوم شيئاً يشبه المسدس ...

المندوب : مسدس ؟ ! ...

الزوجة : نعم ... لقد خرجت الفتاة فى الصباح ؛ كما قالت لى أمها ... ولم تعد إلا فى الظهر ... ولا تدرى الأم من أين جاءت ابنتها بهذا المسدس ... ولماذا جاءت به ... ؟ ...

المندوب : « مسرعا بالانصراف » سلام عليكم ! ...

الزوجة : انتظر لحظة يادكتور ... هل تعرف أين هى شقة هؤلاء الجيران ؟ ..

المندوب : « باندفاع » لا ...

الزوجة : تعال معى ... أنا أريك الشقة ... وأصعد بك إلى هناك ...

المندوب : « بفزع » لا ... لا ... أرجوك ... أنا أعرفها ... أعرفها ... سأسأل عنها ... لا داعى اتعب حضرتك ...

الزوج : « يبادر إلى إنقاذه فيمسك بزوجته » نعم ... لاداعى لتعبك أنت ياعزيزتى ... دعى الدكتور يذهب بمفرده ... ابقى معى هنا ...

أريد أن أحدثك بشيء ...

الزوجة : « للمندوب » الشقة يادكتور فوقنا مباشرة ... على اليمين ...

المندوب : « وهو يخرج مهرولا » سأنزل حالا ... أقصد ... سأصعد ... أشكركم ! ...

« يخرج بسرعة . . . . »

الزوجة : « تتجه إلى زوجها » والآن ... حدثني ...

الزوج : بماذا ؟ ...

الزوجة : ألم تقل إنك تريد أن تحدثني بشيء ؟ ...

الزوج : آه ... نسيت ... نسيت ما كنت أريد أن أقول لك ...

الزوجة : أهو شيء مهم ؟ ...

الزوج : لا أذكر ...

الزوجة : أهو شيء يتعلق بك ؟ ...

الزوج : لا ...

الزوجة : يتعلق بي ؟ ...

الزوج : لا ...

الزوجة : إذن لا تفكر ولا تهتم ... كل ما خرج عنا نحن الأثنان لا قيمة له ...

الزوج : صدقت يا عزيزتي ... نحن الاثنان كل الدنيا ... وكل الكون ... روح في جسدين ، وحياة في شخصين ... وهذا سر عذابي ! ...

الزوجة : أنت أيضاً يا عزيزي فؤاد ؟ ...

الزوج : نعم ... إني أعيش في خوف دائم من أن يصيبني سوء ... فتفجعي ... ومن أن يصيبك سوء ... فأموت ...

الزوجة : إذا كان لابد للسوء من أن يصيب أحدنا ... فإنى أفضل دائماً أن أكون لك الفداء ...

الزوج : إنك لن تنقذينى بذلك ... فأنت تعرفين النتيجة ! ...

الزوجة : حقاً ... هى روح واحدة ... لنا معاً ... لا يمكن لأحدنا أن يستقل بها ...

الزوج : لو كان لنا أطفال يالطيفة ... لكانت لك فيهم أرواح أخرى وحيوات عدة ...

الزوجة : إنى لست آسفة ...

الزوج : ولا أنا بآسف ...

الزوجة : تكفينا هذه الروح الواحدة يافؤاد ، نتقاسمها معاً ... ولا يستأثر بها واحد منا ... وإذا انطفأت عند أحدنا ...

الزوج : انطفأت فى الحال عند الآخر ...

الزوجة : كفى يافؤاد ... أرجوك .. اترك هذا الموضوع ... إنى أحس الدوار وأشعر بالدنيا تسود فى عينى ... اللهم اجعل يومى قبل يومك ! ...

الزوج : لا تسمع منها يارب ! ...

الزوجة : لا تقل ذلك ... لا تقل ذلك ! ...

الزوج : اللهم اجعل يومى أنا قبل يومها ! ...

الزوجة : لا تسمع منه يارب ! ...

« تظهر فتاة فى الثامنة عشرة ... رشيقة أنيقة ... آتية متسللة من جهة باب الشقة ...... »

الفتاة : إنه لن يسمع من أحدكما دون الآخر ! ...

الزوجة : « مأخوذة » سهام ! ...

الزوج : من هذه ؟ ...

الزوجة : « بخوف » فتاة الجيران ...

الزوج : « همساً فى رعدة » المجنونة ! ...

الفتاة : « تبرز مسدسا من جيبها » أرجو منكما أن تجلسا هاهنا أمامى ... أحدكما بجوار الآخر ... وأن تصغيا ملياً إلى ما أقول ...

« تشير لهما بطرف المسدس إلى الأريكة ... فيجلسان متلاصقين وقد عقد الخوف لسانيهما . . . . . »

الفتاة : اسمحا لى أولا أن أجلس على هذا الكرسى أمامكما ...

« تجلس على الكرسى المجاور للمنضدة ... بحيث تكون المنضدة فاصلا بينها وبين الزوجين . . . . »

الفتاة : وأذنا لى فى أن أشكر الظروف التى شاءت أن يكون بابكما مفتوحا ... فتهيأ لى هذه الفرصة السعيدة ! ...

« الزوجان فى صمت وذهول . . . . . . »

الفتاة : لقد وصل إلى علمى أنكما وحدكما اليوم فى هذه الشقة ... وهذا أيضا من حسن حظى ! ... تعرفان طبعاً الغرض من زيارتى المفاجئة ...

« الزوجان يهزان الشفاة ... دون أن ينبسا بجواب ... »

الفتاة : « بهدوء » المسألة فى غاية البساطة : جئت لأقتل ... أقتل أحدكما ...

الزوجة : « بصوت مرتجف » سهام ! ... سهام ! ...

الفتاة : « بأدب » إنى متأسفة ... إنى فى شدة الأسف ... ولكن لا بد من أن أفعل ذلك ..

الزوجة : « بتوسل » سهام ! ...

الفتاة : مضطرة ... رغبة جامحة ... قوة قاهرة تدفعنى إلى أن أقتل شخصاً ...

الزوجة : «بلفظ مرتجف» نحن جيرانك ياسهام ... إنى صديقة والدتك ... إنك مثل أختى الصغرى ... كيف يطاوعك قلبك أن تلحق بنا شراً ...

الفتاة : إنى لا أريد أن ألحق بكما شراً ... ولا أفكر فى الضرر الذى يصيبكما ... ولكنى أفكر فى خنق هذا الصوت الصارخ فى نفسى : أن أقتل ... أقتل ... أقتل ...

الزوجة : « برجاء » ... اعقلى يا سهام ... أرجوك ... أرجوك !...

الفتاة إنى أعقل ما أفعل ... إنى فى أتم قواى العقلية ...

الزوجة : لو كنت تعقلين ما كنت تقدمين على هذا الفعل الشنيع ...

الزوج : « يغمز زوجته ويهمس » لا تثيرى غضبها ...

الفتاة : إنى أعلم أنه فعل شنيع ... ولكن ماحيلتى ؟... ليس فى استطاعتى أن أمتنع عن فعله ... لقد حاولت كثيرا أن أصد نفسى عنه ... لطالما استعنت بإرادتى وبحكمى ... وقاومت وحاربت ... وقامت فى نفسى معارك طويلة ... ولكنى هزمت ... ما من شىء تغلب على هذه الرغبة الجارفة عندى : أن أقتل ... أقتل ...

الزوج : « بصوت مهزوز » يا آنسة ... كلمة ...

الفتاة : تفضل ...

الزوج : إنك آنسة مهذبة ... وكثيراً ما كنت أقابلك فى السلم فأحييك وتحييننى بكل احترام ... ألا تذكرين ؟...

الفتاة : وإنى لم أزل أحمل لك كل احترام ...

الزوج : أيرضيك إذن أن ترفعى يدك نحونا بسوء ؟ ! ...

الفتاة : لا يرضينى ذلك بالطبع ، ولكنى مدفوعة إلى ذلك على الرغم منى ...

لابد أن أقتل الليلة شخصاً ... وإلا جننت ... علاجي الوحيد لما أنا فيه من ضيق هو أن أقتل ...

الزوج : تريدين قتل أى شخص ؟ ..

الفتاة : نعم ...

الزوج : لماذا إذن لا تهبطين الشارع وتقتلين أى شخص يصادفك ؟...

الفتاة : فكرت فى ذلك بالفعل.. وكنت فى طريقى إلى تنفيذه... ولكنى وجدت بابكما مفتوحاً ، وتذكرت أنكما وحدكما ...

الزوجة : يالسوء بختنا !...

الفتاة : بل هذا من حسن بختى أنا ... لأن الشخص الذى أقتله فى الشارع سيحدث ضجيجاً يجمع حوله الناس ، فلا أستطيع أن أجنى بهدوء ثمرة هذا الفعل ...

الزوج : أهناك ثمرة تجنينها من مثل هذا الفعل ؟...

الفتاة : بالتأكيد ... لقد ألحفت على نفسى فى السؤال لماذا تضطرم فيها شهوة القتل هذا الإضطرام ؟... فكان جوابها : «إنى أريد أن أعرف شعور الإنسان وهو يموت ... وشعور القاتل وهو يحدث الموت !... وإذا كانت هناك صلة معرفة بين القاتل والمقتول ، فإن هذا الشعور يتضح ويبرز ويأتى بنتيجة ... لذلك أرى فيكما خير مثال لمطلبى ... ها أنذى قد شرحت لكما حالى باختصار ... كى تعذرانى وتساعدانى .. إن شفائى فى يد أحدكما ... إنى سأكون شاكرة طول حياتى .. معترفة بالجميل لمن سأقتله منكما ... والآن استعدا ...

« ترفع مسدسها ... فيلتصق الزوجان رعبا ويدرآن بيديهما . . . . »

الزوجه : « صائحة » سهام ! ...

الزوج : « متوسلا » يا آنسة ! ...

الفتاة : إنى لا أريد أن أقتلكما معا ... لأن هذا لا يلزمنى ... بل قد يفوت غرضى .. ويشتت ذهنى .. أريد أن أقتل واحداً منكما فقط ... أما الحى منكما فسينفعنى أجزل النفع ... لأنى سأقرأ على وجهه من مختلف الشعور ، مالا يقل فى القيمة عما أطالعه فى وجه المقتول ..

الزوجة : « بصوت باك » يا سهام ... ياحبيبتى سهام ... إنى لم أصنع لك شيئاً ... نحن لكم خير الأصدقاء وخير الجيران ... وأنت عندى أعز من كثيرات من قريباتى ... لكم تمنيت أن تكون لى بنت مثلك .. لطالما قلت ذلك لوالدتك ... وامتدحت أدبك وسلوكك ورقتك ... أتفعلين ذلك بنا ؟ ...

الفتاة : بالرغم منى ...

الزوج : نحن يا آنسة أبرياء ... تذكرى أنك تريدين سفك دماء بريئة ... نحن لانحمل لك غير الود أتعتدين على أناس وادعين طيبين أبرياء؟!.

الفتاة : نعم ... أنتم أبرياء . وهذا عين مطلبى ... لأن رغبتى فى القتل ليس باعثها الانتقام ... وأنتم فى غاية الطيبة والوداعة ... لأنكم لو كنتم أشراراً وأهل سوء ، لحمل باعثى على أنه عقاب ... لا ... لا ... إن فعلى لا باعث له على الإطلاق ... ولا ينبغى أن يكون له باعث ... إنه شهوة القتل لذاتها ... مجردة عن أى باعث ...

الزوجه : أأنت قاسية القلب بهذا المقدار ! ...

الفتاة : إنك تعرفين أنى لا أطيق سماع مواء قطة جائعة ! ...

الزوجة : حقا يا سهام .. سمعت ذلك من والدتك ... ورأيتك بعينى تصومين وتصلين ، ويتمزق قلبك رحمة بالطفل البائس ابن الكناس ، فتصنعين له بيدك ثوبا يكسو عريه ...

الزوج : يا آنسة ... لك مثل هذا القلب ، ولا ترحمين زوجين متحابين وحيدين مثلنا ؟ ! ...

الزوجة : ألم تحدثك والدتك عنا يا سهام ؟ . ألم تقل لك إننا أخلص زوجين؟! ..

الفتاة : أعلم ذلك ...

الزوج : وتريدين بعد ذلك أن تهدمى هذه الأسرة الصغيرة ؟ ! ...

الفتاة : إنكما لم تفهما بعد موقفى ... ولم تدركا ما أنا فيه ... اعلما جيداً أن فى أعماق نفسى الآن صوتاً يطغى على رحمتى وحكمتى وعلى أصوات توسلاتكم وحججكم ... ليس يهمنى الآن هذا العالم بناسه وجيرانه ورحمته ومنطقه وبراهينه وثوابه وعقابه وخيره وشره ... لا ... لا .. لا يهمنى كل ذلك الساعة ... كل ما يهمنى فى هذه اللحظة هو أن أخنق هذا الصوت الخفى ، الذى لا أدرى من أين هو صاعد ! ... صوتاً يقول لى : اقتلى ... يجب أن تقتلى ! ... هذا الصوت لا مفر لى من أن أطيعه ...

الزوج هذا الصوت ... لم يقل لك لماذا يأمرك بذلك ؟ ...

الفتاة : لا ... إنه لا يفسر ولا يعلل ... إنه يأمر ... ما من شك أن هنالك أناساً غيرى سمعوا فى حياتهم أصواتاً تأمرهم بفعل أشياء .. فلم يجدوا بداً من فعلها ... ولعل من بين تلك الأشياء ما كان له معنى ... أو ما كان له غرض عظيم ... فغيروا بذلك مصير البشر ... كما أن من

بين تلك الأشياء ما ليس له معنى على الإطلاق ... فيحار الناس في تأويله .. صوتي هو من هذا النوع الأخير .. إنه يأمرني بشيء، حرت في معناه ومغزاه ... شيء لاخير فيه ... ولكن لاقبل لي بالامتناع عنه ... لابد أن أحققه وأؤديه لأستريح ... هل فهمتما وأدركتما حقيقة موقفي ؟ .. الآن اسمحا لي أن أطلق النار ...

« ترفع المسدس ... فيتراجع الزوجان رعباً . . .
ويرفعان الأذرع توسلا . . . .

الزوجة : « باكية » ستفعلين ... ستفعلين ...

الفتاة : الوقت أزف ... يجب أن أكف عن الكلام ... وأن أعمل ... وأسرع في العمل ...

الزوج : « مرتجفاً متوسلا » لحظة يا آنسة ... لحظة ... لحظة ...

الفتاة : ثقا أنه لا فائدة من المناقشة ومن التوسل ومن البكاء ... سأطلق الرصاص على أحدكما ... هذا أمر مفروغ منه أيكما؟.. أيكما؟...

الزوجة : « برعب » أينا ؟؟

الفتاة : نعم ... أيكما ... على أيكما أطلق ... بسرعة ... يجب أن يقع الاختيار على أحدكما ...

الزوج : « في رعدة » أستختارين ؟ ...

الفتاة : « وهي تتأمل كل واحد منهما » .. يجب أن أختار واحداً منكما وهذا ليس بالأمر السهل ... كيف أرجح بلا مرجح ... وأنتما هكذا جامدان متلاصقان ... مامن واحد حاول الهرب أو همَّ بحركة، حتى ألاحقه برصاصي ... وأطرح عن نفسي مشقة التخير .. إنكما تضعان

على كاهلى عبئاً ثقيلا ... من أختار منكما ؟.. الزوجة؟والزوج؟

الزوجة : « تشهق » أسنموت الآن؟ ... حقاً سنموت ... اللهم الرحمة ... الرحمة ... الرحمة ...

الزوج : أنموت هكذا يارب بهذه السرعة ؟! أهو إذن الموت؟... ارحمينا أيتها الآنسة ... الرحمة ؟ ...

الفتاة : « كالمخاطبة نفسها » كلما ذكرتما الموت ، تأججت شهوتى لإحداثه. أزف الوقت «صائحة» اسمع الصوت ... يجب أن أقتل... أيكما ... أيكما...؟ يجب أن أقرر الآن ... يجب أن أختار من ؟ من ؟...

« ترسل نظرات حائرة بين الزوج والزوجة . . .
بينما يتبعان هما نظراتها واجفين والهفاه منهما تهتز فرقا»

الفتاة «صائحة فى تصميم» أنت أيتها الزوجة ... تقدمى ! ...

الزوجة : «فزعة منهارة» أنا !! ... لا ... لا ... لا ...

الفتاة : لا تريدين أن تموتى ؟

الزوجة : لا ... لا أريد أن أموت ...

الفتاة : إذن فليتقدم زوجك بدلا منك... أيها الزوج ... تقدم ! ...

الزوج : «فزعا» أنا ؟... لا ... لا يا آنسة... لا ... أترسل إليك دعينى أعش ...

الفتاة : لا تريد أن تموت ؟ ...

الزوج : لا ... لا أريد ... أرجوك ...

الفتاة : هذا مستحيل. هذا الوضع مستحيل لا بد لأحدكما أن يموت. لا بد أن أطلق الرصاص على أحدكما ..على من؟ .على من ؟.. لا توقعانى

في هذه الحيرة .. ساعداني ... عاوناني ... سأطلق المسدس على أحـــدكما في الحال كيفما اتفق ... « ترفع المسدس في يدها » فليكن عليك أنت أيتها الزوجة !...

الزوجة : « صائحة برعب » لا ... لا يا سهام ... لا تطلق على أنا ... يجب أن أعيش ... يجب أن أعيش لأني ... لأني ... لأني حامل ...

الفتاة : حامل ؟... لماذا لم تقولي ذلك من قبل ... حمداً لله الذي نجاك في الوقت المناسب ... حقاً يجب أن تعيشي أنت لطفلك ... أي جرم كنت ارتكبته لو أني قتلتك وفي بطنك جنين !... ستعيشين .. وليتقدم زوجك !...

الزوج : « مرتجفا من الهلع » ... يا آنسة .. لا تقتليني أنا ... لا تقتليني !...

الفتاة : « وهي تصوب المسدس نحوه » لا مفر من قتلك أنت ... لم يبق غيرك .. وقد رجحت كفة ... وليس من المعقول ولا من المقبول أن تبقى أنت حياً وتموت زوجتك وهي حامل ! ...

الزوج : إنها ليست حاملا ... إنها تكذب ... أقسم لك أنها تكذب ...

الفتاة : تكذب ؟... أأنت واثق من ذلك ؟...

الزوج : أحلف بأغلظ الأيمان ... لقد أكد لها كل الأطباء أنها لا يمكن أن تأتي بأطفال ...

الزوجة : « لزوجها » يالك من وغد !...

الفتاة : « للزوجة » تكذبين هكذا لتنقذي حياتك ؟!...

الزوجة : « تشير إلى زوجها » بل هو الذي يحتال لينقذ حياته !...

الفتاة : يخيل إلى أني سمعت من أمي أنك عاقر ... مهما يكن من أمر فقد

أوقعتمانى فى الحيرة من جديد ... ها أنذى لم أخط بعد خطوة وما من واحد منكما يريد أن يموت .. أو يقبل أن يتقدم بدلا من الآخر ... ماذا أصنع الآن ؟ ... لابد من العمل السريع ... هل أطلق الرصاص فى اتجاهكما وأصب النار منكما من تصيب ؟ ...

« ترفع المسدس وتصوبه نحوهما فيدرآن بأيديهما صائحين »

الزوجة : لا ... لا ... لا تطلق ...

الزوج : لا تطلق ... لا تطلق ...

الفتاة : لابد أن أطلق هكذا عليكما معاً ... إذن ... اتفقا فيما بينكما على وضع ... من منكما يتطوع بتلقى الرصاصة عوضاً عن صاحبه ؟ ...

« الزوجان يصمتان . . . . »

الفتاة : « بعد لحظة » أيخيف الموت إلى هذا الحد ؟ ... أحلوة الحياة إلى هذا الحد ! ... تكلما ... لا تريدان الاتفاق اسمعا إذن ... ما رأيكما فى أن أجرى القرعة بينكما ؟ .. وليحكم الحظ وحده فيكما بما يرى ... أخرج من جيبك قطعة عملة صغيرة أيها الزوج ... وليختر أحدكما وجهاً من وجهيها ... ولتلق العملة على هذه المنضدة فمن كانت له الصورة أنقذ ، ومن كان له الرقم قتل ...

« الزوج يخرج من جيبه عملة صغيرة . . . . . . »

الزوج : أنا اخترت الصورة ... « يهم بإلقاء العملة على المنضدة .. »

الزوجة : « تمسك » لا .. لا تلق أنت ... إنى الآن لا أثق بك ...

« يظهر عندئذ مندوب التأمين مطلا برأسه ، آتياً من جهة باب الشقة ... وينقر بأصابعه على باب القاعة منبهاً »

المندوب : لامؤاخذة !... نسيت هنا قلبى «الأبنوس».. وهو تذكار ثمين !...

الزوجة : « ترى المندوب فتصيح به » الدكتور ... انقذنا يادكتور ! ...

المندوب : المريضة... فوق ... بخير !... اطمئنى ! ...

الزوجة : « تغمزه مشيرة إلى الفتاة هامسة » هامى ...

الفتاة : « ملوحة بالمسدس » حضرته دكتور ؟... يادكتور اجلس بكل هدوء إلى جانب البك والست .. دون أن تجادل أو تناقش !...

المندوب : « بخوف » لا ... لا داعى للمناقشة !... « يجلس حيث أشارت له الفتاة بالجلوس » .

الفتاة : أنتم الآن ثلاثة ... لا اثنان ... وهذا قد يجعل المسألة بالنسبة إلى أشد تعقيداً أو أكثر بساطة .. على كل حال سأنفض يدى... وسأترك لكم أنتم اتخاذ القرار النهائى ...

المندوب : أى قرار نهائى ؟ ! ...

الفتاة : واحد منكم أنتم الثلاثة يجب الآن أن يموت ...

المندوب : « مذعوراً » ياحفيظ !... « يتلفت حوله ... »

الفتاة : « تلوح بالمسدس » أى حركة فى ذاتها قرار . . . وقد تريحنى وتعفينى من حيرة الاختيار ...

المندوب : « يثبت فى كرسيه » انى تمثال من حجر ! ...

الفتاة : لاتحاولوا أن تضيعوا وقتا . ها أنذى أحذركم فقد تأتى لحظة مفاجئة لاأتمكن فيها من التحكم فى الموقف . فأطلق النار على غير هدى...

الزوجة : « هامسة بلا حراك » يادكتور ... أما من علاج ؟ ...

المندوب : « هامسا » علاج لى أنا ؟... أين هو؟.. دمى هرب ! ...

الزوجة : « همساً بدون أن تتحرك » أو تتركها تقتلنا هكذا يادكتور ؟!...

الزوج : « بصوت عال » إنه ليس بدكتور ... انه مندوب شركة تأمين على الحياة !...

الزوجة : ليس بدكتور ؟ ... حضرته ؟ ...

المندوب : « للزوج همساً » تذكر أن ألست زوجتك لايجب أن تعلم ...

الزوج : « بصوت مرتفع » فلتعلم .. فلتعلم لم يبق هناك محل لأن نخفي عنها ... فكرة موتى لن تفزعها أو تفجعها أو تصيبها بمكروه ! ..

الزوجة : « للزوج » وفكرة موتى... هل هزت منك الآن شعرة ! ...

الفتاة : « صائحة فيهم » وأخيراً ... وأخيراً انكم تلعبون بالنار ... إنكم لا تقدرون أنى قد أخرج عن طورى وارتكب عملا طائشاً . . . فيه فناؤكم جميعاً . . . قلت لكم أريد واحداً منكم فقط ... وعليكم أن تعينوه ... أنتم الآن ثلاثة ... حكموا فيكم الأغلبية ... كما يحدث فى المحاكم ... يكفى أن يتفق أثنان منكم على قرار ليصبح هو النافذ ... أسمعتم .. لن أقف منكم غير موقف المنفذ .. اثنان منكم يستطيعان أن يصدرا حكم الإعدام فى الثالث... هلموا ... تداولوا .. وانطقوا بالحكم ... سريعاً ... سريعاً ...

« الزوج والزوجة يتبادلان النظرات . . . . . »

الزوج : هذا معقول ...

الزوجة : هذا عدل ...

الزوج : « يشير إلى نفسه وإلى زوجته » نحن الأثنان متفقان ...

الزوجة : نعم ... أنا وزوجي من رأى واحد ...

الفتاة : حكمتها طبعاً على ... « تشير إلى المندوب »

الزوج : « ومعه زوجته فى صوت واحد » نعم ...

المندوب : « صائحاً » حكما على أنا ... بماذا ...

الفتاة : « وهى ترفع مسدسها » بالموت ...

المندوب « يرفع يديه صائحاً متوسلا » ياست ... يا آنسة ... لا تطلق ... لا تطلق .. كلمة .. كلمة واحدة ... كلمة لا غير ...

للفتاة : « تتمهل » ماذا تريد أن تقول ؟...

المندوب : « وهو يتنفس » فهمونى من فضلكم ... ماهذا الحكم وماهذه المحكمة ... وماجنايتى ؟... أنا رجل مسكين ... مندوب تأمين ... جئت هنا أؤمن على الحياة ... فأجد أمامى الموت ؟!...

الفتاة : لم يبق عندى وقت لأقص عليك أنت أيضا القصة من جديد ... نعم ... أنت رجل مسكين ... ومندوب تأمين ...

المندوب : وزوج أمين ...

الفتاة : وزوج أمين ...

المندوب : ووالد أطفال صغار ...

الفتاة : ووالد أطفال صغار تعولهم وتربيهم ... ولا جريمة لك ولا ذنب ... وما من سبب يدعو إلى قتلك ... ولم تسىء إلى ... ولم أحمل لك أنا ضغنا ... كل هذا أعلمه علم اليقين ... ومع ذلك لا بد لى من أن أقتلك

المندوب : يامغيث يارب !...

الفتاة : « وهى ترفع المسدس » هل عندك كلام آخر بعد ذلك ؟...

المندوب : « يرفع يديه » انتظرى يا آنسة . انتظرى ... لحظة ... لحظة أخرى

الفتاة : تفضل... إنى كما ترى هادئة الأعصاب إلى حد أحسد عليه... تكلم .

المندوب : افرضى يا آنستى أنى لم أحضر الآن ... ولم يرجعنى إلى هنا قلبى الأبنوس النحس .. ماذا كنت ستصنعين ؟...

الفتاة : كنت سأقتل أحد هذين الزوجين ...

المندوب : اجعلى إذن أنى غير موجود ... وامضى فى إجراءاتك السابقة ...

الفتاة : هذا غير ممكن... لأنك موجود بالفعل وصدر عليك حكم الأغلبية...

المندوب : الأغلبية ؟!... إن هذه الزوجة لا تدرى ما ينفعها... لو أنها عرفت مصلحتها لحكمت معى ضد هذا الزوج ... فإنها بمجرد موته تقبض ألفين من الجنيهات ...

الزوج : أيها المندوب... لا تلجأ إلى هذا الإغراء الوضيع!... إنك فى قرارة نفسك تتمنى موت الزوجة ... لأن شركتك تكسب بذلك كل مادفعت أنا من قسط .. ولا بد أن يكون لك من وراء ذلك عمولة..

الفتاة : « صائحة » كفى ... كفى ... لقد ضقت بهذا الجدل... أريد التنفيذ .. أريد العمل.. أريد أن أقتل ... تقدم أيها المندوب !...

المندوب : يا آنستى ... رحماك ... أقبل قدميك... لا تقتلينى بهذه السرعة... ابقى على دقيقة ... ألا تعرفين الرحمة ؟...

الفتاة : أعرف الرحمة ... ولطالما غمرت قلبى ...

المندوب : ألا تعرفين الله ؟...

الفتاة : أعرف الله ... ولطالما صمت له وصليت ...

المندوب : ألا تعرفين الحب ؟...

الفتاة : الحب ؟!.. ماذا تعنى ؟...

المندوب : الحب ...أعني الحب .. الذى يجعلك تعيشين .. وتدركين للحياة معنى نابضا راقصا ... ذلك الحب الذى شعرت به عندما رأيت زوجتى أول مرة وهى فتاة ... خيل إلى يومئذ أنى أحيا لأول مرة وان كل شيء ألمسه يحيا تحت لمسانى ... وكل منظر أراه يحيا تحت نظرانى ... الحب ذلك الشعور الذى يحيى الأشياء والأشخاص ...

الفتاة : ما هذا الـكلام ؟... إنى ما سمحت لنفسى قط ، وما سمحت لى أمى أن أجعل لمثل هذه العواطف مكانا فى قلبى إنى لم أزل فى الثامنة عشرة من عمرى ... ومنذ الصغر وأمى تحذرنى من هذا الشعور الآثم الذى تجرؤ أنت فتطريه هذا الإطراء ...

المندوب : آه ... لقد قتلت فيك حب الحياة ... فحى فيك حب الموت ...

الفتاة : احتفظ بهذه الأفكار لنفسك .. لست أنت على كل حال من يقدر أن يرى ماتنطوى عليه نفسى ... منذا الذى يستطيع أن يعرف حقيقة ما يحب ومدى ما يحب ... إليك زوجين هما مثال الإخلاص والوفاء ... طالما لمحت ذلك منها بعينى وسمعت من أمى ...

الزوجة : أوكان يدور بخاطرى أن زوجى يخدعنى هذا الخداع ؟!...

الزوج : أأنا الذى خدعتك أم أنت التى خدعتنى ؟!...

الفتاة : ما من واحد منكما خدع صاحبه ... إنما كان كل واحد منكما يخدع نفسه !... أو نفسه هى التى تخدعه ... لأنه ما من إنسان هبط إلى قاع نفسه ليرى ما فيها .. هذا البحر ذو الوجه الصافى الذى تختلط فى جوفه الرمال بالأعشاب والصخور بالأسماك واللآلىء بالعقارب... هكذا قال لى الطبيب الذى ذهبت إليه هذا الصباح ...

الزوجة : أوذهبت إلى طبيب هذا الصباح ؟...

الفتاة : نعم ... طبيب من أبرع الأطباء فى الحالات النفسية ... لم أر بدا من أن أستشيره اليوم ... دون أن أخبر أحداً ، حتى ولا أمى ... لقد استشرته فى أمر هذا الصوت الداخلى الذى يأمرنى بالقتل ...

الزوجة : وبماذا أشار عليك ؟...

الفتاة : أشار على بأن أطيع الصوت ... ولا أخالفه ولا أكبته ... وأن أقتل ...

المندوب : « صائحاً » قال لك اقتلى ؟!...

الفتاة : قال لى إذا قتلت فإنك تشعرين فى الحال بأنك استرحت ... وأعطانى هذا المسدس ...

المندوب : أعطاك المسدس وقال لك اقتلى ؟!... هكذا بكل بساطة ؟!... كما لو أعطاك برشامة « اسبرين » وقال لك اشربى ؟!...

الفتاة : لقد أكد لى أن هذا هو الدواء ... ولا يجوز لى أن أهمل تعليمات الطبيب ... ويحسن بك أن تساعدنى على الشفاء ... لأقدر لك هذه الخدمة فيما بعد ... تقدم ! ... « تصوب مسدسها نحوه ... »

المندوب : « فى ذهول » فيما بعد ؟!... أين ؟... ومتى ؟... وأنت تخطفين الآن روحى !... « يفيق ويصيح » لا تصوبى نحوى ... انتظرى ... انتظرى ...

الفتاة : انتظرت أكثر مما يجب ... أريد أن أستريح ... أريد أن أستريح ...

المندوب : تتعاطين الدواء !...

الفتاة : نعم ... وبسرعة ... وأرجو أن تتلطف معى وتترفق بى ... ولا تؤخرنى عن مباشرة العلاج ...

المندوب : ارحمونى ياناس ! ... سأجن قبل أن أموت !... تريد منى أن أترفق بها ، ولتطلق رصاصها فى صدرى ! ...

الفتاة : نعم... ترفق بى وأرحنى... أرحنى . عالجنى... امنحنى الراحة والشفاء

المندوب : « صائحا » بموتى ... بدمى ...

الفتاة : وأى غرابة فى ذلك ؟! .. إن دماء البعض علاج للبعض ... وليس هذا بالشىء الجديد تحت الشمس ! ... أرجوك أن تتقدم خطوة حتى لاتصيب الرصاصة غيرك .. انى سأطلق ... « تصوب المسدس ... »

المندوب : « صائحاً بفزع » يا آنسة ... ارحمينى ... ارحمى الأيتام ! ... « يسرع إلى الزوجين فيلتصق بهما » ...

الزوج : « يدفعه عنه » ابعد عنا ... ابعد ...

المندوب : « يتشبث به » أبعد عنك الآن . . . وانت سبب المصيبة ! . . . يازبون الشؤم ! ...

الزوج : « يحاول التخلص » اتركنى ... اتركنى ...

المندوب : « يستميت فى التشبث به » لن أتركك أبدا ... فلنمت معا ... لن أموت وحدى . ما ذنبى أدخل بيتك لأؤمنى عليك ... فإذا أنت الزبون تعيش ... وإذا أنا المندوب غير المؤمن عليه أموت ؟! ...

الزوج : « لزوجته » خلصينى ... خلصينى منه ! ...

الزوجة : كيف أخلصه ... وذراعاه قد ماتتا عليك ! ...

الزوج : حاولى ... ابذلى مجهوداً ! . . . لاتقفى هكذا تشاهدين ! « يتماسكون جميعاً » .

الفتاة : « وهى ترافبهم » آه .. المسألة قد تعقدت فيما أرى .. وقتى ضيق ..

وأنفاسى تكاد تقف... أشعرانى أختنق... لا ... لابد من العمل حالا... لأستعيد تنفسى... لن أموت من أجلكم ... ولامن أجل أحد ... تماسكتم وأصبحتم كتلة ... ربما كان فى ذلك انفراج العقدة . . . سأطلق رصاصة واحـــدة على كتلة أجسامكم المتلاصقة ... ولتصب منكم من تصيب ... كل وحظه .. هأنذى أقتل واحداً من بينكم .. أى واحد ... أقتل... أقتل... أقتل .

« تقول هذه الكلمة من بين أسنانها وتلمع عيناها بيريق عجيب ... وتطلق عياراً نارياً ، يدوى فى القاعة ، على الثلاثة وهم متكتلون يتدافعون . . . . . . »

الثلاثة : « يسقطون على الأرض صائحين » قتلتنا ...

الفتاة : « تتجه إليهم » من منكم الذى أصيب ؟...

الزوجة : « صائحة » أنا ... أنامت ...

الزوج : « صائحاً » أنا توفيت ...

المندوب : « صائحاً » أنا انتقلت إلى رحمة الله ! ...

الفتاة : مستحيل . . . مستحيل أن تموتوا جميعاً . . . انتم الثلاثة من رصاصة واحدة ! . . . فيكم اثنان على الأقل فى صحة جيدة . . . انهضوا لأرى... واحد من بينكم فقط هو الذى أصيب ...

« الثلاثة ينهضون على أقدامهم . . . وهم يجسون أعضاءهم فاحصين . . . . »

الفتاة : « وهى تنظر إليهم » ما هذا السواد فى وجوهكم وعلى ثيابكم ؟!...

المندوب : « هباب » بارود ! ...

الفتاة : والرصاصة ؟... أين الرصاصة؟... من منكم استقرت فيه الرصاصة ؟...

الزوج : « وهو يفحص جسمه ويبحث فى جيوبه » أو تلقين علينا أيضاً عبء البحث عن رصاصتك ؟! ...

الفتاة : هذا لا يحتاج إلى بحث ... أما من دم سال من أحدكم ؟...

الزوجة : « وهى تمسح عرقها » وهل بعد كل هذا يبقى فى أحدنا قطرة دم! ...

« المندوب يتناول المسدس حيث كانت قد وضعته الفتاة على المنضدة بعد الطلقة ... ويفحصه ويصيح ... »

المندوب : المسدس لم يكن محشواً بغير البارود ! ...

الفتاة : « تلتفت نحوه » أأنت واثق ؟...

المندوب : « يقدم إليها المسدس » خذى وانظرى بنفسك ! ...

الفتاة : هذا إذن تدبير من الطبيب ... مهما يكن من أمر فإنى أشعر حقاً انى استرحت ... وكأن كابوساً انزاح عنى ...

المندوب : وعنى أنا أيضا ... اسمحى لى يا آنسة بالانصراف ... توبة إلى الله! ... لن أدخل هذا البيت ... قبل أن أؤمن على حياتى لمصلحة الأولاد ! ...

« يحمل حقيبته الصغيرة ... ويلتقط قلمه الأبنوس الذى كان قد نسيه فوق المنضدة ... ويخرج بسرعة ... »

الفتاة : « للزوجين » آسفة ... أزعجتكما كثيراً ... اعذرانى ... وافهما حالى ... إنى على كل حال شاكرة لكما أجزل الشكر ... لقد استرحت حقاً بعد أن أطلقت النار ... واعتقدت أنى قتلت ...

« تشير بالتحية وتتحرك منصرفة بينما تتجه الزوجة مطرقة الى باب حجرتها على اليمين دون أن تنظر إلى زوجها »

الزوج : « للفتاة المنصرفة » لقد قتلت سعادتنا الزوجية ! ...

« ستار »

٣ - من وحي الحركة النسوية

النائبة المحترمة

تمثيلية في منظرين

المنظر الأول

« حجرة طفل فى الرابعة من عمره ... وهو جالس فى سريره الصغير ، بملابس النوم ... وإلى جانبه أبوه ... على مقعد ... فى ثياب البيت . . . والساعة تدق التاسعة مساء . . . . »

الطفل : كم دقت الساعة يا بابا ؟ ...

الأب : التاسعة ... موعد نومك فات ... ياميمى ... يجب أن تنام فى الحال

الطفل : لا أريد أن أنام الآن ...

الأب : يجب أن تنام ... أغمض عينيك ...

الطفل : ليس فى عينى نوم ...

الأب : « نافد الصبر » وما العمل ؟ ...

الطفل : لماذا تريد منى أن أنام ؟ ..

الأب : لأنى لا أستطيع أن أبقى بجوارك طول الليل ... ألم تر المحفظة الكبيرة التى جئت بها اليوم ؟ ...

الطفل : ماذا فيها ؟ ...

الأب : أوراق ... عمل مصلحى ... لا بد من إنجازه ... نم ... أرجوك ... هل تحبنى ؟ ...

الطفل : نعم ...

الأب : كثيراً ؟ ...

الطفل : كثيراً جداً ... أكثر من براغيت الست ! ...

الأب : « مأخوذاً » براغيت الست ؟! ...

الطفل : نعم.. ألا تعرفها ؟ إنها أصغر من «البونبون» الذى تحضره لى ... ولكنى أحبها أكثر من«البونبون»... أتعرف من أين أشتريها؟... من الرجل الذى يسير بالعربة الصغيرة أمام البيت ، وينفخ فى النفير ...

الأب : «كالمخاطب نفسه» أهذه الحلوى نظيفة ؟ ...

الطفل : نعم ... أتريد أن تذوق منها ؟ ...

« يحاول النزول من سريره ... فيمنعه الأب برفق ... »

الأب : ابق فى سريرك...ابق .. كل ما أريد منك ياميمى هو أن تنام...

الطفل : تريد أن أنام ؟ ...

الاب : « بعجلة ورجاء » نعم ياميمى ...

الطفل : قص على حكاية...وأنا أنام.. هكذا تفعل ماما... أين ماما الليلة ؟...

الأب : « بغير انتباه » فى البرلمان ...

الطفل : ما هذا ؟ ...

الاب : لن تفهم الآن ما هو .. عند ما تكبر ستعرف ...

الطفل : أريد أن أعرف الآن ...

الاب : سلها هى عندما تحضر ...

الطفل : ومتى ستحضر ؟ ...

الاب : « كالمخاطب نفسه » الله أعلم متى ستحضر .. هذا يتوقف على جدول الاعمال ...

الطفل : ماذا تقول يا بابا ؟ ...

الاب : لا شيء ... لا شيء ...

الطفل : ربما كانت ماما فى السينما.. ذهبت بدونى... لترى الفيل وخرطومه الذى يحمل به الاشياء ... والببغاء ذات الألوان الحمراء والخضراء والصفراء ... لقد اخذتنى مرة ... فرأيت كل ذلك ... ولكن الببغاء لم تكن فى السينما ، محبوسة فى القفص... كما رأيتها فى حديقة الحيوانات... بل كانت منطلقة فى مكان واسع به أشجار ... نعم رأيتها كذلك فى السينما ولكنى نمت بعد ذلك.. ولم أشاهد ماذا جرى...

الأب : نم الآن أيضا ياميمى أرجوك ! ...

الطفل : قص على الحكاية أولا ...

الأب : « فى حيرة » أى حكاية ؟ ...

الطفل : الحكاية التى تعرفها ماما ...

الأب : لا أعرفها ...

الطفل : وماذا تعرف إذن ؟ ...

الأب : « فى يأس » لا أعرف شيئاً ...

« التليفون يرن فى الخارج ... وهو ذو حبل طويل...
فلا يلبث الخادم أن يظهر وهو يحمله إلى رب البيت . . »

الخادم : الست فى التليفون ! ...

« ويسلم السماعة لسيده . . . ويضع آلة التليفون
على منضدة ويخرج . . . . »

الاب : آلو ... نعم ياعزيزى... ميمى لا يزال مستيقظا. لا يريد النوم بدون حكاية... ماذا تقولين ؟... أنا أقص عليه ؟؟ حكاية الفيل والببغاء ؟! لاأعرفها.. ماذا؟ اخترع له؟ ربنا يقدرنى!...وأنت؟ أين أنت الآن؟

فى البهو الفرعونى! ... شىء جميل جداً ... فى الاستراحة ... مفهوم! ... ومتى تحضرين؟ ... لا تعرفين بالضبط ... مناقشة ميزانية وزارة الأشغال ... ماذا إذن؟.. آه ... استجواب عن مشروع تعلية خزان جبل الاولياء! ... طبعاً ... طبعاً ... معلوماتك الفنية ضرورية جداً فى هذا الموضوع ... أفندم؟ ... اخرس؟ ... خرست وقطعت لسانى! ...

« يضع السماعة بكل هدوء . . . . »

الطفل : « مشيراً إلى التليفون » هذه ماما؟...

الأب : هى بعينها ...

الطفل : ماذا كانت تقول لك؟...

الأب : قالت لى أن أقص عليك حكاية الفيل والببغاء ...

الطفل : نعم ... نعم ... قص على هذه الحكاية ...

الأب : انها حكاية طويلة إذا داعب جفنك النوم ، وأنا أحكيها فنم ...

الطفل : أبدأ من أولها ...

الأب : « محاولا أن يهيئه للنوم » ضع أولا رأسك على الوسادة! ... واغلق عينيك نصف إغلاق .. هكذا يعطيه المثل » ...

الطفل : « يقلده » هكذا؟...

الأب : نعم هكذا ... وإياك أن تتكلم أنت ... دعنى أنا احك ...

الطفل : احك يا بابا ...

الأب : تريد حكاية عن الفيل والببغاء ... حكاية جديدة طبعاً ... آه يا ربى! ... ماذا اقول له ... كان هناك فيل ... فيل له خرطوم ...

الطفل : كل فيل له خرطوم يا بابا ...

الأب : طبعاً ... طبعاً هذا ما أقصد ... ألم أوصيك أن لا تتكلم أنت ؟...
اغمض عينيك قليلا ... نعم هكذا ... كان الفيل يمشى فى طريق متسع به أشجار ... وكانت هناك شجرة عظيمة ... وكانت تحت الشجرة ببغاء حمراء خضراء صفراء .. تريد أن تثرثر ... وأن تظهر فصاحتها .. فلما رأت الفيل فرحت وقالت له : سعدت صباحا أيها الفيل ... ماذا جئت تصنع هاهنا ؟...

فقال لها الفيل من فوق الشجرة جئت أبحث عن الماء ...

الطفل : « مقاطعا » وكيف يكون الفيل فوق الشجرة ؟!

الأب : أنا قلت ذلك ؟...

الطفل : نعم ... ألم تقل الآن أن الفيل قال لها من فوق الشجرة : « جئت ابحث عن الماء » ؟!...

الأب : أقصد أنه قال لها من تحت الشجرة ...

الطفل : وأين كانت الببغاء إذن ؟...

الأب : ماذا قلت أنا ...

الطفل : قلت يا بابا انها كانت تحت الشجرة ...

الأب : لا ... أبداً ... أقصد أنها كانت فوق الشجرة

الطفل : وبعد ... ماذا حصل ...

الأب : اغمض عينيك ... اغمض عينيك .

الطفل : ماذا حصل للفيل ؟...

الأب : لم يحصل له شيء .. أقصد أنه جعل يبحث عن الماء فوجد بحيرة كبيرة ...
فيها تمساح ... فلما مد خرطومه ليشرب من البحيرة امسك التمساح

بالخرطوم بين فكيه ... فقال له الفيل : « ماذا تريد ؟ ... »

فقال التمساح : « امنعك من شرب الماء ... » فقال الفيل : « ولماذا تمنعنى ؟ » ... فقال التمساح : « لأن البحيرة ملكى » ... فقال الفيل : « وأنا من أين أشرب ؟ ... » فقال له التمساح : اشرب من البحر ! ... » فقال : « وأين البحر ؟ ... » فقال له : ابحث عنه ... » فمشى الفيل ... ومشى ... ومشى ... ومشى ...

« ينظر فى وجه طفله ويسكت الحمد لله ! ... « هامسا » دب النوم فى عينيه ...

الطفل : وبعد أن مشى ... ماذا حصل ؟ ...

الأب : أعوذ بالله ! ... ألم تزل مستيقظا ؟ ! ...

الطفل : نعم ... احك لى ما الذى حصل ... بعد أن مشى الفيل ؟ ...

الأب : مشى ... ومشى ... ومشى ... فوجد شيئاً يلمع من بعيد ... فقال : « هذا هو البحر وهذه أمواجه تلمع فى الشمس » فمشى أيضاً ... ومشى ... ومشى آه « يتثاءب » ...

الطفل : انك تتثاءب يا بابا ... أستنام ؟ !

الأب : لا ...

الطفل : اياك أن تنام قبل أن تقول لى ماذا وجد الفيل ؟ ...

الأب : لم يجد شيئاً ...

الطفل : والبحر ؟ ...

الأب : لم يكن هناك بحر ...

الطفل : وما هذا الشىء الذى كان يلمع ؟ ...

الأب : سراب ...

الطفل : سراب ؟ ... ما هذا ؟ ... ماذا يعنى ...

الأب : عندما تكبر تعرف ... « يتثاءب » ...

الطفل : عدت تتثاءب يا بابا ... أريد أن أعرف ماذا صنع الفيل ...

الأب : مشى عائدا ... مشى ... ومشى ... ومشى ...

الطفل : ولماذا يمشى مرة ثانية ...

الأب : لأنه يجب أن يمشى ... ويمشى ... ويمشى ...

الطفل : ليقابل التمساح ...

الأب : « وهو يغالب النعاس » نعم ...

الطفل : ليسأله عن الماء ...

الأب : طبعا ...

الطفل : الببغاء ... ما ذا حصل لها ...

الأب : الببغاء ... أى ببغاء ...

الطفل : أنسيتها ! ؟ ...

الأب : آه ... حقا ... الببغاء ... نسيناها ...

الطفل : انك تنام يا بابا ...

الأب : لا ... أبدا ... الببغاء حقيقة ...

الطفل : أين هى ...

الأب : هناك ...

الطفل : هناك أين ...

الأب : « ناعسا » فى ... البرلمان ...

الطفل : البرلمان ... !

يفتح الباب ... وتدخل الأم بسرعة ... وهى تلهث ...

الأم : « مندفعة نحو الطفل » ميمى ! ... ألم تزل مستيقظا حتى الآن ؟! ..

الطفل : نعم يا ماما ... « يشير إلى أبيه » بابا هو الذى نام ! ...

الأم : « تلتفت إلى زوجها » ما شاء الله ! ... « تصيح به » عبد السلام عبد السلام !

الأب : « يتنبه فجأة » ماذا ؟... ماذا حصل ؟...

الأم : قلت لك أن تنيم طفلك ... لا أن تنام أنت ! ...

الطفل : حكى لى ياماما حكاية « بايخة » لم تنمنى ...

الأم : أنامته هو طبعاً ! ...

الطفل : قال لى يا ماما إن الببغاء فى البرلمان ... أين هذا البرلمان ياماما ...

الأم : « وهى ناظرة إلى زوجها » أهو قال لك ذلك ؟! ...

الأب : يا للمصيبة ! ... أأنا قلت ذلك ؟...

الأم : « وهى ترقد الطفل فى فراشه » لا بأس ! ... نم الآن ياميمى .. إذا كنت تحب ماما ... « تجس رأسه » جبينه ملتهب ! ... الولد عنده حرارة ! ...

الأب : حرارة ! ...

الأم : الترمومتر بسرعة ! ... كان يجب أن تدرك ذلك ...

الأب : كيف يخطر لى هذا أيضا ! ...

الأم : انه مستيقظ إلى الآن من أثر الحمى ... والقلق ... والارق ...

الأب : « كالمخاطب نفسه » الحمى ... لابد أنها نتيجة براغيث الست ! ...

الأم : ماذا تقول ...

الأب : لاشىء ... الترمومتر .. أين هو الترمومتر ! ...

الأم : « مشيرة إلى خزانة ملابس الطفل » فى هـذا « الدولاب » ابحث

في الرف الأعلى ...

« التليفون يرن ... يسرع الأب إليه ... ويتناول السماعة »

الاب : ألو ! ... من؟ معالى وزير الاشغال؟ ... موجودة يا افندم! ... « يقول لزوجته هامسا باحترام » معالى الوزير طالبك فى التليفون ! ...

الام : ماذا يريد؟ ... الاستجواب تأجل إلى جلسة الغد ... « تتناول السماعة » معالى الباشا؟ ... الآن؟ ... بعد ربع ساعة؟ ... أمر خطير ... ألا يمكن تأجيل المقابلة للصباح؟ ... خمس دقائق فقط ... وهو كذلك ... أنا فى الإنتظار ...

الآب : « باهتمام » سيأتى هنا الآن ... لا بأس ... دعى لى ميمى ... واذهبى انت لمشاغل الدولة ! ...

(ستار)

المنظر الثاني

« حجرة الاستقبال . وفى نفس الليلة ... بعد نحو ربع ساعة ... يدخل الوزير فتستقبله النائبة وزوجها ... »

النائبة : « وهى تقود الوزير إلى مقعد وثير » تفضل هنا يا باشا ...

الوزير : أخشى أن أكون قد أزعجتك ... ولكن الضرورة ...

الزوج : « وقد ارتدى ملابس الخارج كاملة لاستقبال الوزير » معاليك شرفت منزلنا الليلة ! ...

الوزير : « سائلا النائبة » حضرته ... ؟

النائبة : زوجي ... عبد السلام حموده .. مهندس بمصلحة الطرق والكبارى ...

الزوج : مهندس منسى ... منذ عشر سنوات يامعالى الوزير ! ...

النائبة : عبد السلام ... اطلب قهوة للباشا ...

الزوج : حالا ...

« يخرج مسرعا ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، »

الوزير : لماذا لم تخبريني أن زوجك فى مصلحة تابعة لى ؟ ...

النائبة : وما الداعى أن أخبرك ؟ ...

الوزير : أمرك ...

النائبة : الإستجواب تأجل ... فما هو الأمر الخطير ياترى ...

الوزير : هذا الأمر الخطير هو ...

الزوج : « يدخل » حالا تأتى القهوة ... « يجلس » ...

الوزير : « وهو يراه قد جلس » لم تسألى كيف أريدها ؟ ...

الزوج : سكر مضبوط ...

الوزير : ساده من فضلك ...

الزوج : « ناهضا » لحظة واحدة !... « يخرج مسرعا » ...

الوزير : « للنائبة فى شبه همس » أنا الذى أريد لحظة واحدة ... أحادثك فيها على انفراد . . . أسرار السياسة العليا لا يصح أن تقال أمام صغار الموظفين ! ...

النائبة : إنى مصغية ...

الزوج : « يدخل » من حسن الحظ أن البنت الخدامة لم تكن قد وضعت السكر بعد.

« يريد أن يجلس . . . . »

النائبة : أرجوك يا عبد السلام أن نلاحظ ميمى .. وأن تعطيه نصف قرص اسبرو..

الزوج : « ناهضا » وهو كذلك ...

« يخرج متباطئاً . . . . »

النائبة : « للوزير » إنى مصغية ...

الوزير : الموضوع بالاختصار أن الاستجواب يجب أن يسحب من المجلس غداً ..

النائبة : لماذا ؟ ...

الوزير : لانه مجرد مناورة سياسية من المعارضة ...

النائبة : لانه محرج لمركز الوزارة ...

الوزير : لان المعارضة تستغله لا للمصلحة العامة ... بل للتشنيع ...

النائبة : هل أنت متأكد أن مشروع تعلية الخزان ، وما سيتكلفه من ملايين ... ليس فيه غبن للمصلحة العامة ...

الوزير : ثق أن رفع منسوب المياه نصف متر فقط ... تفهمين طبعا فى الهندسة ...

النائبة : لا ... بكل أسف ... زوجى هو المهندس ...

الوزير : آه ... ولكنك أنت المختصة بالمناقشة فى المشروعات الهندسية !...

النائبة : شعورى العميق هو أن هذا المشروع على هذا الوضع ليس فى مصلحة البلد ...

الوزير : الشعور لا يكفى ياسيدتى ... بحثت المشروع لجنة فنية لا يرقى الشك إلى كفاءتها وخبرتها ...

النائبة : ولكن الحزب الذى أنتمى إليه يعارض هذا المشروع ...

الوزير : نعم ... مع الأسف ! ..

النائبة : ماذا تنتظر منى إذن أن أصنع ...

الوزير : أن تساعدينا على سحب الاستجواب ...

النائبة : وأخون حزبى ... ! ...

الوزير : ليس فى الأمر خيانة على الاطلاق ... إنك تقومين بعمل شخصى ... وتتوسطين بصفتك الخاصة ... لقد أدت لنا مثل ذلك وأكثر منه وأصعب ، كثيرات من حزبك ... زميلتك الشقراء نائبة ...

النائبة : كرموز ...

الوزير : نعم ... وزميلتك النائبة المحترمة الأخرى التى تضع دائما فى شعرها مشط نيلون بنفسجى مسخسخ ...

النائبة : نائبة شبرا العنب ...

الوزير : نعم ... نعم ... المسألة فى غاية البساطة ... هذا النائب الشاب الذى قدم الاستجواب ... يحاول دائما أن يجلس فى الصف الذى تجلسين فيه ... ويبدى الاهتمام دائما بكل ما تقولين ... وليس غيرك يستطيع أن يقنعه بسحب استجوابه ...

النائبة : كيف أقنعه ... ؟ ...

الوزير : بابتسامة ...

النائبة : « ثائرة » ما هذا الذى تقول يا باشا ... ! إنك تهيننى فى بيتى ...

الوزير : معاذ الله ؟ ... معاذ الله انى ماقصدت قط إهانة ... ولكنه اقتراح صغير ... تقدمت به إلى مروءتك ، خدمة للمصلحة العامة ...

النائبة : المصلحة العامة ... المصلحة العامة ... اهكذا تخدم المصلحة العامة ... ! ... وإذا كنت تعتقد حقا أيها الوزير أن فى مشروعك مصلحة عامة ، فلماذا تخشى هذا الاستجواب ... !

الوزير : لأن ... لأن الغرض منه غير شريف ...

النائبة : ولماذا لاتكون أنت شريفا بكشف الاوراق وإعلان الحقائق ! ...

الوزير : سرية المشروع ضرورية للتنفيذ ...

النائبة : الحكومة التى تخفى عن البرلمان مثل هذه الاسرار ، كالزوجة التى تخفى عن زوجها مايجب أن يعرف عن حقيقة سلوكها وتصرفها ..

الوزير : منطق نسائى ... لامنطق سياسى ! ...

النائبة : هذا ما أعتقد ... وهذا مايجب ! ...

الوزير : ثقى أن الحكومة لاتخون زوجها البرلمان ... بإخفائها عنه تفاصيل بعض الإجراءات ... انت مثلا ... وكلنا يعرف أنك زوجة نموذجية ... ألم تخفى عن زوجك شيئاً قط ...

النائبة : لم أخف عنه قط شيئاً يجب أن يعلمه ...

الوزير : « برافو » ! ...

النائبة : والان ... هذا هو كل موقفى مما تريد ... ولا تنتظر منى أبداً أغير هذا الموقف ...

الوزير : وزوجك ...

النائبة : ما شأن زوجي !...

الوزير : مهندس منسى فى مصلحة الطرق والكبارى ...

النائبة : نعم ...

الوزير : فى أى درجة ...

النائبة : فى الدرجة الخامسة ...

الوزير : فقط !... منذ عشر سنوات ... هذا وضع غريب ... هذا ظلم ... عشر سنوات منسى فى مصلحة الطرق !... فى أى طريق من هذه الطرق نسوه !... وانت كيف تسكتين عن المطالبة بحقه ... وانت امرأة عمو ... لامؤاخذة ... امرأة مشتغلة بالسياسة العامة !...

النائبة : وماذا أستطيع أن أصنع له ...

الوزير : تستطيعين كثيراً ... ولكنك لا تعرفين ولا تريدين ...

النائبة : لا أريد أن أعرف إلا الإخلاص لمبدئى ...

الوزير : إن المرأة لا تستطيع أن تخلص لمبدأ.. بل تستطيع أن تخلص لشخص!..

النائبة : ليس هذا رأيك وحدك...إنه رأى الرجال جميعاً ... ورأى الدنيا منذ خلقت ..وهذا هو الذى يجعلنى أحرص على مسلكى هذا ... إلى حد العنف أحيانا والصرامة والتعصب ...

الوزير : وما فائدة ذلك ... ما دمت بمفردك !... إن غيرك من النائبات المحترمات لهن ، كما تعرفين ، أشياء أخرى يخلصن لها ...

النائبة : ماذا تعنى ...

الوزير : أنسيت المشروع الذى اقترحن فيه تخفيض الضريبة الجمركية عن الأحمر

والأبيض وأصابع «الروج» للشفاه ، وأدوات الزينة ... والجوارب الحريرية ... والاقمشة الحريرية ... والاقمشة السائية !...

النائبة : لقد عارضت أنا هذا المشروع ...

الوزير : لأنك شاذة فى تفكيرك ...

النائبة : ألست على حق ؟! ..

الوزير : لا ... لست على حق ... إنك تأخذين صفتك النيابية على سبيل الجد ، أكثر من اللازم .. هذا حقاً عيب المرأة ، عندما تخلص مرة لشىء ، فإنها تتطرف وتتعصب ... لا تنسى أن لاسرتك ولزوجك عليك حقوقا ... إن المصلحة العامة لن تمس منها شعرة ، إذا فكرت قليلا فى مستقبل زوجك .. هـذا الضال التائه فى « الطرق والكبارى » .. إنه فى حاجة إلى « كوبرى » يصل به إلى الدرجة الرابعة والثالثة .. وفى يدك أنت هذا الكوبرى ...

النائبة : فى يدى أنا ؟!...

الوزير : الكوبرى الذى يوصله إلى الدرجة الثالثة مباشرة ... إن مجلس الوزراء ... وأنا أعطيك عهداً بلسانه الآن .. يستطيع أن يسوى حالة زوجك فى الجلسة القادمة بدون تأخير ...

النائبة : مفهوم .. إذا ساعدتكم على سحب الاستجواب ! ..

الوزير : إن الذكاء لا ينقصك ...

النائبة : مرفوض !...

الوزير : ترفضين ؟! ..

النائبة : أرفض ...

الوزير : نهائياً ؟! ...

النائبة : نهائيا ! ...

الوزير : « ناهضا » ماذا كنت قبل انتخابك ؟ ... مدرسة ... كما بلغنى ... فى التعليم الثانوى ... نعم . . . إنك لا تعرفين الدنيا . . . لم تعيشى إلا بين جدران المدارس ... تحسبين البرلمان جدران مدرسة ... لن يكون لك مستقبل فى السياسة ولا فى الحياة العامة . . . إنى لأبشرك من الآن ! ... أرجو أن تصبحى على خير ...

النائبة : أشكرك ! ...

الوزير : « على عتبة الباب » إذا غيرت رأيك ، فأخبرينى ... فى أى ساعة ! ...

« يخرج الوزير ... وتشيعه النائبة . . . ثم تعود وترتمى على مقعد وتضع رأسها فى كفيها ... ويدخل الزوج من باب آخر يحمل صينية القهوة . . . . »

الزوج : « يبحث بعينيه فى القاعة » أين معالى الوزير ؟ ...

الزوجة : « وهى فى اطراقها » انصرف ...

الزوج : والقهوة ؟ ...

الزوجة : اشربها انت . . .

الزوج : أشربها أنا ... !

الزوجة : « ثائرة الأعصاب » نعم ... اشربها أنت ... اشربها أنت ...

الزوج : طبعاً .. أنا الذى أشربها ... من غيرى ... لأنها « سادة » . . . مرة ... سوداء ... كحياتى وحظى وأيامى ...

الزوجة : « تلتفت إليه » لا تنتظر منى أنا أن أضع السكر فى حياتك ...

الزوج « باذعان » لاسيدتى لقد طرحت من رأسى هذا الأمل ... منذ زمن ...

صمت . . . . »

الزوجة : « كالمخاطبة نفسها » إن هذا السكر باهظ الثمن ! ...

الزوج : ماذا تقولين ؟ ...

الزوجة . لا شيء ..

« صمت . . . . »

الزوج : لو كنت على الأقل تحادثيننى ملياً فى أعمالك وما يشغل بالك ! ...

الزوجة : ماذا أقول لك ... ! انك لاتفهم شيئاً فى السياسة ! ...

الزوج : طبعاً ... لست أفهم شيئاً إلا أن أقوم بعمل المرضعة للولد بالليل ... وبعمل كناس نظيف فى مصلحة الطرق بالنهار ... أما حضرتك ...

الزوجة : حضرتى ...

الزوج : تقومين بمناقشة الوزراء والحكام . والمداولة فى تصميمات المشروعات والخزانات ...

الزوجة : ألن تكف عن هذه السخرية بى ...

الزوج : لست أسخر بك ... بل بنفسى ! ...

الزوجة : ومن الذى قال لميمى إنى ببغاء فى البرلمان ...

الزوج : لعله لفظ خرج من فمى وأنا نعسان ...

الزوجة : بل هذا رأيك دائما ، أعرف جيداً ، من يوم ترشيحى للإنتخابات ...

الزوج رأيى ... أنا حر فى رأيى ...

الزوجة : دائماً كنت تقول ذلك متهكما : المرأة فى البرلمان ... ببغاء فى قفص ... ستحفظ كلمات مما يلوكه رجال السياسة ، كى ترددها ، وهى فى ريشها

الأحمر والأخضر والأصفر ... من ثياب الموسم آخر «موضة» ! ... ألم تقل ذلك ... ولكنك لم تستطع التنبؤ بالمتاعب التى ستتعرض لها النائبة المحترمة حقا ... تلك الشباك من المغريات ، التى تنصب لها ، لتكون ألعوبة فى أيدى الحكومات ! ... الكل يعتقد أن النساء سريعات التحول ، سريعات التقلب ، ينجرفن مع التيار بسهولة ... ويتركن مبادئهن للريح ... كما يتركن شعورهن على شاطئ البحر يحركها النسيم ... أصواتهن مكسوبة مقدما لمن يلوح لهن بإشارة برّاقة ! ... ربما كان هذا صحيحا بالنسبة إلى أغلب النساء ... لأن تلك التى تريد أن تثبت على مبدئها وتخلص لحزبها لابد أن تضحى ... تضحى ... تضحى ...

الزوج : تضحى بماذا ...

الزوجة : بأشياء كثيرة ! ...

الزوج : بزوجها ...

الزوجة : هذا أهون الضرر ...

الزوج : شكراً ... شكراً ...

الزوجة : نعم .. هذا ضرر هين ، أن تبقى فى الدرجة الخامسة كما أنت .. بل قد يضغط علينا لوزير أو يسخط . فينتقم منك أنت ، وينقلك إلى أقاصى الصعيد

الزوج : ارحمونى يا ناس ! ... ماذنبى أنا .. امرأتى تشاكس الحكومة ... وأنا الذى ينتقم منى .. وأنقل إلى آخر البلاد ! ...

الزوجة : الثبات على المبدأ مرتفع التكاليف ! ...

الزوج : المبدأ ... ! وماشأنى أنا بمبدئك ! ... وما مصلحتى .. وما منفعتى ... أنسى .. وأمتهن .. وأضطهد . هل إذا جاء حزبك إلى الحكم يصلح حالتى ؟ ..

الزوجة : أبداً ...

الزوج : « منفجرا » يا للكارثة التى وقعت على رأسى ! ... ياللمصيبة التى جاءتنى بك ! ... أيتها النائبة ! ... النائبة الى قصمت ظهرى ! ...

الزوجة : « ترهف الأذن » صه ما هذا ؟ ... ميمى قد استيقظ ! ...

« يدخل الطفل ميمى ... وهو يفرك عينيه . . . . . »

الطفل : ماما ... ماما ...

الأم : ميمى ! ... لماذا قمت من فراشك ياحبيبى ... « تحتضنه » إنك تتصبب عرقا .

الطفل : أريد أن أشرب ...

الأم : « لزوجها » كوب ماء بسرعة يا عبد السلام ! ...

الزوج : « فى إذعان » حاضر ...

« يخرج وهو يتنهد . . . . »

الأم : « تجس طفلها » أنت محموم ياميمى ... ماذا تحس ؟ ...

الطفل : بطنى ...

الأم : بطنك ؟ ... أين ؟ ...

الطفل : « يشير إلى معدته » هنا ...

الأم : « تجس الموضع » هنا ؟ ... بماذا تشعر هنا ...

الطفل : توجعنى ...

« يدخل الزوج بكوب الماء . . . . »

الأم : « لزوجها وهى تتناول منه الكوب لتسقى الطفل » يشعر بألم فى المعدة ! ...

الزوج : من براغيت الست ! ...

الأم : ماذا ...

الزوج : براغيت الست التى يشتريها من أمام الباب ، ويملأ بها بطنه !... هذا أهون ضرر يصيبه.. مادام متروكا لعناية بنت خدامة صغيرة جاهلة... بينما الست فى البرلمان ثابتة على المبدأ !...

الأم : كيف تدعه البنت يأكل شيئاً من الطريق ... لقد أوصيتها مراراً ونبهتها ..

الزوج : ماذا تنتظرين من خادمة لا يزيد مرتبها على تسعين قرشاً فى الشهر !...

الأم : إلهى !... ماذا أستطيع أن أصنع ...

الزوج : لو كان زوجك فى الدرجة الثالثة.. أما كان لطفلنا ميمى الآن مربية محترمة ... أيتها النائبة المحترمة !...

الأم : «بصوت ضعيف مطرقة» آه ياعبد السلام.. لاتحاول أن تضعفنى...

الزوج : لست أحاول شيئاً .. هــذا حقك ... من حقك أن تضحى بزوجك و... بطفلك !...

الام : « تضم طفلها بشدة » ميمى !...

الطفل : ماما ...

الام : نعم يا ميمى ...

الطفل : أين كنت الليلة ...

الام : كنت فى ... فى ...

الطفل : فى السينما ...

الام : لا ... فى مكان ... آخر ...

الطفل : لماذا لم تأخذينى معك فى هذا المكان ..

الام : لأنى ... لا أستطيع أن آخذك معى ... هناك ...

الطفل : ولماذا تركتنى بالليل ؟...

الام : لانى .. لانى ... ألم يكن معك أبوك ...

الطفل : بابا لم يعرف كيف يحكى لى الحكاية .. قصى على أنت حكاية الفيل والببغاء

الام : « كالمخاطبة نفسها » الببغاء ... « تفكر لحظة ثم تنهض فجأة ... » عبد السلام .. خذ ميمى لحظة ... « تضع الطفل فى حضنه » ...

الزوج : لماذا !... ماذا تريدين أن تصنعى !...

الام : ستعرف الآن تتجه إلى مكتب صغير فى ركن القاعة ... وتكتب خطابا سريعاً ...

الزوج : « وهو يراقبها » إنى أعرفك ... إنك مقدمة على قرار خطير ... أقرأ كل شىء على صفحة وجهك .. قبل أن أقرأه على صفحة خطابك ...

الام : والآن ... إلى التليفون ...

« تترك القلم ... وقد فرغت من الخطاب السريع ...
وتمسك السماعة وتدير القرص . . . . »

الزوج : تطلبين من ... فى هذه الساعة !...

الام : « فى التليفون » الو .. الو ... معالى الباشا .. مساء الخير ... نعم ... غيرت رأيى فعلا ... ماذا إقناع النائب بكل وسيلة ... لا ياسيدى ... لن أتخذ أبدا هذه الوسائل .. انت لم تفهم قصدى ... غيرت رأيى فى حياتى نفسها ... كتبت خطابا إلى رئيس المجلس ، أستقيل من عضوية البرلمان ... مفاجأة غير سارة لك ؟... ولكنها سارة لى ولزوجى ولابنى ، أرجو أن تصبح على خير !...

« تضع السماعة ... وتتجه إلى زوجها . . . . . . »

الزوج : « مذهولا » تستقيلين من البرلمان !...

الام : « تمد يديها نحو طفلها » أعطنى ميمى الآن لاحكى له الحكاية ...

(ستار)

٤ - من وحي الحياة الزوجية

أصحاب السعادة الزوجية

تمثيلية في فصل واحد

« حجرة استقبال ... حسنى وزوجه عليه فى ثياب السهرة : جالسان ينتظران بصبر نافد ، وأعينهما تتطلع إلى أحد الأبواب المغلقة . . . . . .

حسنى : « يلتفت إلى زوجته » هل عرفت من ستزف العروس الليلة من المطربات ؟...

علية : والله فاتنى أن أتحرى لك هذا ...

حسنى : لا داعى للتحرى ... لم يعد سراً ... إن لى صلة شخصية وثيقة بأكثر مطربات البلد !...

علية : نعم ... إنك تطلعنى أولا بأول على كل صلاتك وعلاقاتك !...

حسنى : إنها ليست كلها بريئة ...

علية : « بهدوء » قلت لى ذلك أيضاً مراراً يا زوجى العزيز !...

حسنى : أنا كما تعرفين رجل صريح ... عيبى الأساسى أنى رجل فى غاية الصراحة ...

علية : صراحتك لا تسوؤنى على كل حال ...

حسنى : نعم ... لا تسوؤك .. لا شىء يسوؤك أو يؤلمك أو يزعجك أو يثيرك ... وهذا من حسن حظى ... فأنا رجل اعتدت أن أخونك مع كثير من النساء ... لا رغبة فى جرح إحساسك غير الموجود ... بل لأنى هكذا خلقت ... ملتهب العواطف ... قلبى فرن ... فرن متسع ... لا يكفيه أن يلقى فيه رغيف واحد ... « يشير إلى زوجته »

علية : « باسمة » هذا الرغيف دخل الفرن منذ خمسة أعوام ... لابد أن يكون قد احترق !...

حسنى : « صائحا » أبدا ... لم يزل عجينا باردا ... وهنا المصيبة ... من أى مادة أنت مصنوعة ... من حجر ... من أسمنت ... من حديد ... من صلب ...

علية : بل من الدقيق الرقيق الذى يصنع منه البسكويت ...

حسنى : بسكويت ... انت ... ولا تتفتتين من الغيرة على زوجك ...

علية : لقد منحت زوجى ثقتى الكاملة ... إليست الثقة الكاملة هى خير ماتعطيه الزوجة ازوجها ...

حسنى : الثقة الكاملة ... هذا شىء يفرح به السياسى والوزير والبرلمانى ... أما الزوج ... الزوج يا سيدتى ... الزوج ...

« يفتح الباب المغلق قليلا ... ويسمع من خلفه لغط . . »

علية : صه ... أختى تحية انتهت من اللبس ... أخيراً ...

حسنى : « وهو يرى الباب يغلق من جديد » عادا فأغلقا الباب ...

علية : لتناقش زوجها ... سنصل إلى بيت العرس آخر الناس ... لأنهما فى حجرتهما غارقان يتناقشان ...

حسنى : « متحسرا » زوجان سعيدان ...

« يسمع صوت ضجيج وصياح فى الحجرة المغلقه ، وأون تتحطم ، وأثاث يلقى على الأرض ... ثم لايلبث الباب أن يفتح ، وتخرج « تحيه » ولم تتم كل لبسها ... وخلفها زوجها « صلاح » . . . . »

تحية : لن أذهب إلى هذا الفرح ...

علية : لماذا ... ما الذى جرى ؟ ! ...

تحية : « تشير إلى زوجها صلاح » سلى هذا الزوج الكاذب الغادر الخائن ...

صلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ...

علية : ما ذا حدث ؟ ...

صلاح : المسألة فى غاية البساطة ...

تحية : بل فى غاية الخطورة ...

صلاح : بالطبع فى غاية الخطورة لو أنها كانت قائمة على أساس ... ولكن مجرد الاتهام ...

تحية : ليست المسألة مجرد اتهام ... إنها حقيقة لا تقبل الشك ... حقيقة امسكها بيدى ... حقيقة إراها بعينى .. إنى أقسم .. أقسم ... أقسم ...

صلاح : اعقلى يا تحية ... اعقلى ...

تحية : أقسم أنك تخوننى ...

صلاح : أنا ؟ ...

تحية : أقسم انك متصل بكثيرات من النساء ... ومنهن مطربة الفرح ... الليلة ...

صلاح : ما هذا الظلم ياناس ... يالها من زوجة ظالمة ...

حسنى : « كالمخاطب نفسه متحسراً » يا له من زوج سعيد ...

صلاح : ثقوا انى لا أعرف من هذه المطربة ...

تحية : ألم تسمع باسم المطربة الشهيرة « نهاد » ...

صلاح : سمعت ... ولكنى لا أعرفها معرفة شخصية ...

تحية : هذا لا يمنع من أنك تعرف كيف تداعبها وتغازلها ...

صلاح : وهل هذا حصل ؟ ...

تحية : حصل .. وشاهدته بعينى التى فى رأسى ...

صلاح : أين ومتى ... أين ومتى ؟ ...

تحية : صلاح لا تحاول الكذب على زوجتك ...

صلاح : عقلى سيطير من دماغى ...

علية : أأنت واثقة ياتحية مما تقولين ... إن المعروف عن صلاح أنه في منتهى الاستقامة ... وأنه لا يقل فى الاستقامة عن زوجى ...

حسنى : « محتجا » ومن قال لك إنى مستقيم ...

علية : ثقتى بِكَ التى لا حد لها ...

حسنى : يا مصيبتى ... يا شقائى ...

تحية : ظنونى دائماً فى محلها . . . مع الأسف الشديد . . اذهبوا أنتم بدونى ... أرجوكم ...

علية : العروس بنت خالتنا ... وسيكدرها تغيبك

تحية : زوجى ينوب عنى ... قولوا إنى مريضة ...

صلاح : لن أذهب ...

تحية : ستذهب ... لن أحرمك من حضور هذه السهرة الممتعة ... ومن مقابلة هذه المطربة الساحرة ... ومن ..

صلاح : كفى ... لن أذهب بدونك ..

تحية : لا ... لا أحب أن أحرجك بوجودى معك ... أو اضطرك إلى مغافلتى لاختلاس النظر إليها ... اذهب وحدك ... لتكون على راحتك ...

صلاح : لن أذهب أنا ... أبدا ... اذهبى انت بدونى ..

تحية : بدونك . . نعم . . . لأنك تخشى أن أرى احمرار وجهك وانت تحادثها ... وأن أسمع دقات قلبك وأنت تدنو منها ...

صلاح : أف ... إذن ... لا نذهب نحن الاثنين ...

تحية : هذا هو الحل .. الآن فى رأيك .. وقد انكشف امرك ... على وعلى أعدائى يارب أليس كذلك . فليكن فلنخلع ثيابنا .. ولنمكث

في بيتنا ... ولأتحمل أنا اطراقك الطويل ، وتقريعك الصامت لى ، إذ كنت السبب فى هذا التفريق الليلة بينك وبينها ...

صلاح : بيني وبينها !... من هي ياناس... إني سأجن... ياعلية... هل اختك هذه فى حالة طبيعية ...

علية : « تتجه نحو اختها » دعونا لحظة على انفراد ! ...

حسنى : « يتشبث بمقعده » لن أترك مكانى ... ماذا ستقولين لها ... إنها فى حالة طبيعية جداً... إنها الزوجة المثالية ... إياك أن تحاولى تغيير طباعها وإفساد أخلاقها ...

علية : ابقيا إذن ها هنا... ولنترك لكما نحن المكان...هلمى بنا يا تحية إلى حجرتك ... أساعدك على إتمام لبسك ...

تحية لن ألبس ... ولن أذهب ... أكان هذا الكلام كله فى الهواء ...

علية إذن هلمى أساعدك على خلع ملابسك هذه . وارتداء ثياب البيت...

تحية أما هذه فنعم ... هيا بنا ...

صلاح : «كالمخاطب نفسه» مستحيل ... إنى لا أصدق ...

« تدخلان الحجرة وتغلقانها عليهما ... يبقى الرجلان «الزوجان» فى مكانهما . . . . »

حسنى : لا تصدق ماذا ؟...

صلاح : لا أصدق أن زوجتك ستنجح فى إقناع زوجتى !.

حسنى : إقناعها بماذا ؟ ...

صلاح : بأن تطرح هذه الظنون السيئة التى لا مبرر لها ...

حسنى : أتسمح لى أن أطرح عليك سؤالا ؟...

صلاح : تفضل ! ...

حسنى : جاوبنى بصراحة ؟... ماهى حقيقة شعورك الخفى الداخلى؟... بماذا تشعر فى أعماق نفسك عندما ترى امرأتك تشك هكذا فى إخلاصك ، وتظن فى حبك الظنون...وتنزعج...وتتألم...وتنفعل وتثور عليك !

صلاح : أشعر إنى فى جهنم !...

حسنى : كفى !...

صلاح : ماذا دهاك ... لماذا تنظر إلى هذه النظرات !...

حسنى : أتأملك لأفحصك وأدرسك ... آه ... لولم أكن محامياً ... وكانت لى قدرة على التصوير وصناعة التماثيل ... لكنت الآن قد صنعت لك تمثالا أطلقت عليه اسماً منطبقا ناطقاً فى لفظ واحد !...

صلاح : ما هو ...

حسنى : البطر ...

صلاح : البطر ؟!...

حسنى : نعم ... البطر بالنعمة والكفر بالسعادة ! ...

صلاح : أتمزح ؟...

حسنى : « وهو يتأمله » تمثال يصورك وأنت تتبرم بزوجة ، تحيطك بدفء الحرص وحرارة الاهتمام ...

صلاح : الحرارة عندما ترتفع إلى درجة الغليان ...ألا يسمونها «الجحيم» ؟!...

حسنى . لا ياعزيزى ... «الجحيم» هوعندما تنخفض الحرارة إلى ماتحت الصفر !

صلاح : اسمع يا حسنى ... إنك تدافع عن موقف تحية ... لأنك محام ... لابد لك بحكم مهنتك وطبيعتك من شخص تترافع عنه ... حتى وإن كنت لا تنتظر « أتعابا » . ولكن ...

حسنى : لا ... ليس المحامى الآن هو الذى يتكلم ... ولست أدافع عن تحية ولا عن قضية ...

صلاح : عن أى شىء تدافع إذن ؟...

حسنى : عن الحقيقة التى أعرفها وأحسها وألمسها .

صلاح : إنك لاتعرف عنها شيئاً كثيراً ، هذه الحقيقة ... ومارأيت منها الليلة أمامك ليس إلا قدراً يسيراً مما يقع بينى وبين تحية ... ولو قصصت عليك ماتتبادله من أحاديث ملتهبة ومناقشات طوال الساعات واللحظات

حسنى : قص على ... وأمتعنى !...

صلاح : إن عملى فى « العيادة » مرهق كما تعلم ... ما أكاد أنتهى منه وأعود إلى منزلى .. حتى أجد « تحية » فى استقبالى بماذا ؟... بابتسامة ؟.. لا ... بخبر لطيف ؟... لا ... بحكاية ظريفة ... لا ... أتدرى بماذا تستقبلنى ...

حسنى : بماذا ؟ ..

صلاح : بفتح ...

حسنى : بفتح قلبها لك ...

صلاح : بفتح « محضر تحرى » لى ... من جاء « العيادة » اليوم من النساء ... كم عددهن ... وهل كن جميلات ... ألم تعجبك واحدة من بينهن .. ماذا قلت لهن .. ولماذا جئن إليك ... بأى مرض .. أولم تحادثهن بغير هذه الكلمات ... أهذا معقول ؟... ألم تضرب لك إحداهن موعدا ... ألم تنظر إليك واحدة منهن نظرة ذات معنى ؟... ماذا كن يرتدين من الثياب والزينة والحلى عند حضورهن إليك .. لم تلق بالا إلى ذلك ! ... هاها ... من تريد أن تستغفل بهذا الكلام ... والشعر ... ستقول أيضا إنك لم

تلتفت إلى «تسريحة الشعر ...! والعطر ... ستزعم أنك «مزكوم» ... وأحمر الشفاه ستقول إنه فى عينك قد انقلب أصفر! ... والنطق «بدلع ودلال» ستزعم أنه لم يقرع طبلة أذنك! ... تريد من زوجتك التى شاء لها سوء الحظ والطالع أن يكون فى رأسها عقل ومنطق، أن تقتنع بأنك فى البيت سليم معافى، وفى «العيادة» أعمى، أخنف، أخرس أصم! ... أيها الزوج الخائن ... أيها الزوج القاتل إنك تعذب زوجتك .. إنك تقتلها ... إنك تحرقها .. إنك تدميها .. إنك تشويها ... ثم تأخذ هذه الزوجة بعد هذا البرق والرعد تذرف من عينيها الدموع كأنها المطر ...

: «ملتذا» ما أجمل كل هذا ... وما أبدعه! ...

: كارثتى الكبرى هى أنى لم أكذب قط. وما على زوجتى ومع ذلك نهى تأبى أن تصدق حرفا واحدا مما أقول .. ثق انى أحب امرأتى ... ولا أحب النظر إلى غيرها أبدا من نساء الأرض ... ولكنها إذا رأتنى ألاطف عجوزا شمطاء ... أو أحادث خادمة حقيرة ... أو أجامل زائرة عابرة ... فإنها توقن لساعتها أن خيانة قد وقعت أو فى طريق الوقوع ... وتطوى الأمر فى صدرها أياما ... وتجسمه الوهم حتى يصيره حقيقة .. فإذا هى تعاملنى كما لو كنت مجرما .. إنها أحيانا تخيفنى وتضعنى فى مواضع الحرج ... بلا ضرورة ولا مبرر .. زارتها صديقة لها ذات يوم ... وكنت على وشك الخروج إلى العيادة، فأصرت على أن أمر بالصالون وأحيى الضيفة ... فلما فعلت ما أرادت قالت لى الضيفة مازحة :

«مامن أحد يراك إلا فى عيادة أو فى حالة مرض؟! ... أتمنى أن أراك فى ظرف سار .. ما رأيك لو دعوتك إلى تناول الغداء أو العشاء،

وقدمت إليك اللون الذى تحبه من الطعام»؟... فوعدتها خيراً وانصرفت لشأنى ، فلما عدت إلى البيت فى المساء وجدت امرأتى متجهمة تقول : « لماذا كانت مهتمة بك كل هذا الاهتمام... » فقلت : «لم ألاحظ اهتماما غير عادى ...» فقالت فى غيظ مكتوم : انتظر إذن دعوتها» فقلت : «هذا مزاح ... أأخذته مأخذ الجد ؟ . إنها كانت تمزح » أو تدرى ياحسنى ماذا حدث فى اليوم التالى ؟ ...

حسنى : ماذا حدث ؟ ...

صلاح : خاطبتنى بالتلفون هذه الضيفة حقيقة ... طلبتنى فى العيادة ... ودعتنى إلى العشاء وقالت لى إنها أعدت لى لونا من الطعام سيعجبنى ...

حسنى : وقبلت الدعوة ؟ ...

صلاح : أأنا مجنون ؟ ...

حسنى : ماذا قلت لها إذن ؟ ...

صلاح : سألتها : « هل اتصلت بزوجتى ودعوتها ؟... فأجابت «لا» ... فقلت لها عندئذ بلهجة خشنة جافية ... « وهل تظنين أنى أقبل حضور عشائك بدون أن تكون زوجتى معى ؟ ... » ووضعت فى الحال السماعة دون أن انتظر منها كلاما ...

حسنى : ياللامانة والوفاء بادرت طبعا وأخبرت زوجتك بموقفك المشرف...

صلاح : لا ... لم أخبرها بشىء على الاطلاق ...

حسنى : ولماذا لم تخبرها ؟ ..

صلاح : لأنى أعرف طباع «تحية» زوجتى ... إنها لن تتلقى منى الخبر بالشكر والحمد ... بل ستقول لى مهتاجة منتصرة «ألم أقل لك أنها ستدعوك؟...

إن شعورى لايخطىء إنها مهتمة بك ...» أماموقنى المشرف فإنهالن تصدقه أبدا ولو حلفت لها الأيمان المغلظة على المصحف والبخارى... هذا إذا كانت صديقتها حقا هى التى خاطبتنى فى التليفون ...

حسنى : ألست إذن واثقا ؟...

صلاح : إنى أستبعد كثيرا أن تكون هذه الصديقة قد خاطبتنى حقا ... فهى سيدة فاضلة ، لم يعرف عنها عوج ولا طيش ، وزوجها رجل محترم ، لاشك أنها تخلص له . ومن غير المقبول عقلا ان تتصرف هذه السيدة هذا التصرف الشاذ غير اللائق فتدعونى بمفردى إلى بيتها .. على غير علم من صديقتها زوجتى ومعرفتى بها ، كما ذكرت لك ، سطحية عابرة ...

حسنى : ومن التى خاطبتك إذن ؟...

صلاح : هنا اللغز ...

حسنى : ألم تتبين الصوت ؟...

صلاح : أصوات النساء فى التليفون تتشابه ... خصوصاً لمن كانت صلتك بهن ضعيفة ... ولكنى موقن بأن الصوت على كل حال ليس صوت زوجتى

حسنى : زوجتك ... ومادخل زوجتك هنا ... آه ... أتظن أنها ...

صلاح : أظن ؟... بل أرجح أنها هى التى دبرت حكاية مخاطبتى بالتليفون على هذه الصورة لتمتحننى ...

حسنى : لقد نجحت فى الامتحان ... بتفوق ! ... فما خوفك فى هذه الحالة من اخبارها

صلاح : انتظرت أن تفاتحنى هى ... قائلة لى بحنان وإيمان : «عرفت إخلاصك أيها الزوج الأمين الوفى ... »

حسنى : أو لم تفاتحك ؟...

صلاح : أبداً .. مضى الآن على ذلك الحادث نحو أسبوعين فما لم يفتح بحرف ، ووجهها لم يبد عليه أثر لشيء .. حتى أخذ الشك يدب فى نفسى من جديد وبدأت أقول لنفسى : ربما كانت هى بريئة بعيدة عما حدث. وان تكون تلك السيدة الفاضلة قد فقدت عقلها حقا وارتكبت تلك الحماقة بالفعل

حسنى : وبعد ؟...

صلاح : لا يوجد بعد ... المسألة واقفة عند هذا الحد... انى أكتم عنها للآن أمر تلك المحادثة التليفونية لأنى حائر محرج...لا أستطيع الجزم بحقيقة من خاطبنى ... ولا أستطيع التكهن بنتيجة اخبارى ... ولا بما سيكون من موقفها حيالى ... لعلها أول مرة أكذب فيها على زوجتى ... أو على الأصح أخفى فيها شيئاً عنها ... ولكن ثق أنها هى التى ترغمنى على هذا الاخفاء بظلمها وسوء ظنها ...

حسنى : ما أحلى هذا الظلم !...

صلاح : ماذا تقول ؟...

حسنى : لا شيء ... استمر استمر ...

صلاح : هذا كل مافى الأمر ...

حسنى : لا .. لا تقل إن هذا كل مافى الأمر ... قص على البقية ، بقية مايحدث بينكما ... تكلم .. افصح ... واشرح ، واسرد لى التفاصيل ...

صلاح أيعجبك هذا الموضوع ؟ ..

حسنى : جداً ...

صلاح : عجباً ... أولم يحدث لك مثل هذا ؟...

حسنى : أنا ؟... « يتنهد » ... آه ...

صلاح : كلنا فى الهم سواء . . أليس كذلك . ما زوجتك إلا أخت زوجتى ... فلا بد أنه يحصل لك مثل ما يحصل لى ...

حسنى : «صائحاً» اسكت من فضلك ... لا تجعلنى أنفجر إنى على وشك الانفجار ... إنى لحم ودم يا ناس إنى إنسان إنى زوج . لا أستطيع أن أبقى متفرجا . أشاهد كل هذا ... ولا أبكى حظى واندب محنتى ومصيبتى وطامتى ...

صلاح : طامتك ؟ ... إلى هذا الحد ؟ .. أنت أيضاً ؟ ! ...

حسنى : نعم ... طامتى ومصيبتى ومحنتى ! ...

صلاح : ولكن المعروف أن زوجتك أعقل من زوجتى بكثير وألين عريكة وأربط جأشاً وأضبط أعصاباً .. وأهدأ روعاً ...

حسنى : «صائحاً» هنا المصيبة ... هنا المصيبة ...

« يفتح باب الحجرة ... وتظهر تحية ومعها عليه وتسمع تحية الكلمة . . . . »

تحية : «متجهمة» تتحدثان عن مصيبة ؟ ! ...

حسنى : مصيبة أخرى ... لا مؤاخذة .. أقصد ...

عليه : «باسمة» تقصدنى أنا بالطبع ...

حسنى : «متحديا» بدون شك أقصدك انت ...

عليه : لأنى ناقشتك الحساب وضيقت عليك يوما الخناق ؟ ...

حسنى : أبداً ...

عليه : لأنى عنفتك يوما وأنبتك ووبختك ؟ ...

حسنى : أبداً ...

عليه : لأنى أهدرت يوما حريتك وعارضت إرادتك ؟ ...

حسنى : أبداً ...

عايه : لأنى ارتبت يوماً فى سلوكك... وشككت فى تصرفاتك ؟ ...

حسنى : أبداً ...

عليه : إذن لماذا أنا مصيبة ؟! ...

حسنى : لأنك ... لأنك ... ماذا أقول ياناس ؟ ...

عليه : اعقل يا حسنى ... اعقل ...

حسنى : أف !... العقل العقل! العقل صائحاً، إنى زوج غير سعيد... وكفى! ...

عليه : فلنؤجل الكلام فى سعادتك حتى نكون فى بيتنا ! ... نحن الآن فى بيت تحيه ... ويجب أن نتكلم فى شأنها هى ... لقد حاولت إقناعها... ولكنها تريد قبل كل شيء أن تستفسر من زوجها عن أمر... ها هو ذا صلاح أمامك يا تحية ... تكلمى ...

تحية : صلاح ... أتعتقد حقاً أنى أتهمك ظلماً ...

صلاح : بالتأكيد ...

تحية : أتقسم لى إذن أنك لم تكذب على مرة ولم تكتم عنى شيئاً ؟ ...

صلاح : « يلتفت إلى حسنى فى حيرة وحرج » أسامع ؟ ...

تحية : لـ « صلاح » أجب ؟! ...

صلاح : لـ « حسنى » لو كنت فى مكانى الآن ياحسنى ، ماذا صنع !؟ ...

حسنى : إنى لست فى مكانك ... إنى فى مكان آخر ... أنت فى النعيم ولا تدرى ... أما أنا ففى ...

تحية : « لأختها » أرأيت يا عليه !... إنه يتردد ... إنه إذن يخفى عنى أمراً ...

صلاح : وأنت ... أتقسمين أنك لا تخفين أمراً عنى ؟ ...

تحية : لا تهرب من الإجابة بالسؤال ... أجبنى أنت أولا ... وبعد ذلك

أجيبك أنا ...

صلاح : ماهو سؤالك بالضبط ...

تحية : ألم تكتم عنى شيئاً ؟...

صلاح : شيئاً ؟... من أى نوع ؟... ما له صلة بك طبعاً ؟...

تحية : طبعاً ...

صلاح : شىء لايخزينى ولا يشيننى أن أخبرك به ؟ ...

تحية : هذا لا يشترط ...

صلاح : شىء لو أخبرتك به لكان ذلك فى مصلحتى ؟...

تحية : لو كان ذلك فى مصلحتك لما كتمته عنك ...

صلاح : سمعت ياحسنى ؟!... ألم أقل لك ؟!...

تحية : أجبنى ولا تراوغ ...

صلاح : وأنت لماذا كتمت عنى هذا الأمر ولم تفاتحينى به ...

تحية : أى أمر ؟...

صلاح : هذا الذى تلمحين اليه ...

تحية : أفصح ...

صلاح : « متردداً » صديقتك ...

تحية : صديقتى من ؟...

صلاح : التى خاطبتنى بالتليفون ...

تحية : ماذا تقول ؟...

صلاح : أولا تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع ؟!...

تحية : وكيف تريد منى أن أعرف ؟... هل أخبرتنى أنت به ...

صلاح : « كالمخاطب نفسه » آه ... انزلقت قدمى وانهى الأمر ...

تحيـة : وماذا قالت لك تلك الصديقة فى التليفون ؟... ومن هى ؟... لابد أنها تلك التى كانت مهتمة بك ذلك الاهتمام .. شعورى لايخطىء ... دعتك طبعا إلى العشاء ...

صلاح : ولـكننى رفضت ...

تحيـة : ولماذا ترفض ؟...

صلاح : أو كنت تنتظرين منى أن أقبل ...

تحيـة : ماذا قلت لها ؟ ..

صلاح : قلت لها : « كان الواجب أن توجهى الدعوة إلى زوجتى ... لأنى لا أذهب بدونها » ...

تحيـة : أتدرى لماذا قلت لها ذلك ؟... لأنك اعتقدت أنى بجوارها فى التليفون أراقب إجابتك ...

صلاح : يا حفيظ ...

تحيـة : أتقسم ان هذا لم يكن اعتقادك فى تلك اللحظة ؟...

صلاح : أف ! ... انت زوجة ؟... انت نائب عمومى ...

تحيـة : لا يكره النائب العمومى غير المذنب ...

صلاح : لست أكرهك ولست مذنباً ...

تحيـة : لماذا تضيق إذن بمجرد استفسار منى ...

صلاح : لأن حياتنا تضيع بحماقة فى سين وجيم ... بينما الدنيا مملوءة بأشياء أخرى نقولها ، وأحاديث أخرى نتبادلها ...

حسنى : تريد أحاديث فى السياسة ، فى الانتخابات ، فى هيئة الأمم ، فى

مجلس الامن ! ...

علية : اسكت انت ولا تتدخل بينهما ...

حسنى : « يضع رأسه فى كفيه » سكت ...

تحية : « لزوجها » ومن المسئول عن ضياع حياتنا بهذا الشكل ؟... اليس هو أنت ؟ ... أنت .. لو أنك فتحت لى قلبك لا قرأ كل ما فيه ...

صلاح فتحت لك قلبي من أول يوم ... بصفحته البيضاء النقية ... ولكنك تقرئين ما فى ذهنك أنت ... لا ما فى قلبي أنا ...

تحية : ذهنى أنا هو الذى جعلنى اكتشف الحقيقة ...

صلاح : تكتشفين الحقيقة ؟ ... أى حقيقة ؟ ... من يسمعك تقولين هذا ، يعتقد أنك ضبطتنى متلبسا أو رأيتنى رؤية العين ؟.. ماذا حدث منى ؟... ماذا حصل ؟ ... ألم تضعينى تحت الملاحظة الدقيقة ، كما يضعون المشبوهين ... ألست أخرج فى ميعادى وأعود فى ميعادى ... هل تأخرت ؟ ... هل سهرت ؟ ... ألم تجرى لى أمتحانا نجحت فيه ...

تحية : ومن قال إنك نجحت ؟ ...

صلاح : « صائحا » سقطت ؟ ! ...

تحية : وماذا كنت تنتظر إذن ...

صلاح : سقطت لأنى رفضت الدعوة ؟؟ .. وماذا كان يجب أن أصنع لأنجح ؟... أكنت أقبل ؟ ؟ .. مستحيل ! ... ماهى إذن الإجابة الصحيحة ؟ ... من فضلك ، أرجوك ، عقلى سيذهب ... دلينى على الإجابة المطلوبة ؟...

تحية : لقد غششت !.. رتبت الاجابة . لأنك عرفت الامتحان وفهمت أنى موجوذة خلف كل هذا ... ولو كان الموضوع طبيعيا ، وكانت المرأة

التي خاطبتك بعيدة عني غير معروفة لي ، لكنني قبلت دعوتها ، وذهبت إلى موعدها ...

صلاح : وكيف تحكمين بذلك ؟ ...

تحية : إني متأكدة ...

صلاح : يا زوجتي ! ... ارحميني ! ... ماذا فعلت في دنياي يا ربي ! ... إني موقن لو أن الله تعالى أرسل لي ملكين من السماء ، لملازمتي وتتبع خطاي ... وجاءا اليك بعد ذلك يا تحية ، يشهدان لي بالاستقامة وحسن السير والسلوك ... لاتهمتهما بالمداراة علي والتحيز لي ... ومكثت على ظنك السيء بي ... لا فائدة ما دامت الثقة معدومة ... حياتنا الزوجية يا تحية تعسة ... مريضة ... تعاني فقراً شديداً ، ونقصاً خطيراً في « فيتامين » اسمه « الثقة » ... لو استطعت فقط أن تحصلي لي منه على ذرة ... حبة .. جرام ... جرام « ثقة » ! ...

حسني : « كالمخاطب نفسه » وأنا عندي تضخم في « الثقة » ! ...

تحية : إني يا صلاح لا أتمنى شيئاً إلا أن أمنحك كل ثقتي ... ولكن يجب يجب أيضاً أن تساعدني أنت على تحقيق هذه الأمنية ؟ ...

صلاح : إني رهن إشارتك ... ما ذا تطلبين ؟ ...

تحية : جاوبني فقط بصراحة ... بصراحة مطلقة ... عن هذا السؤال ...

صلاح : تفضلي ! ...

تحية : ما مدى معرفتك بنهاد ؟ ...

صلاح : نهاد ؟ ! ... من هي نهاد ؟ ! ...

تحية : مطربة الفرح الليله ...

صلاح : أقسم لك أني لا أعرفها ...

تحية : حذار من الكذب ...

صلاح : أقسم لك ...

تحية : ألم تقابلها ؟ ...

صلاح : قلت لك لا أعرفها ... تحية أصدقيني أنت ... لماذا تتهمينني هذه التهمة ؟ ... على أي أساس ... أهي وشاية ؟ .. أهو خبر مدسوس ... أهي إشاعة ؟ .. أخبرني ما هو أصل الموضوع ...

تحية : رأيتها وهي تداعبك ... ورأيتك وأنت تغازلها ...

صلاح : رأيتنا بعينيك ؟ ...

تحية : بعيني ...

صلاح : أين ؟ ... أين ذلك ؟ ...

تحية : في الفرح ...

صلاح : أي فرح ...

تحية : فرح الليلة ...

صلاح : الليلة ؟ ... وهل نحن ذهبنا إليه بعد ؟ ...

تحيه : رأيته البارحة في المنام ... وما أراه في المنام يصدق دائماً ... ولا يخيب أبداً ... رأيت الفرح وحفلة الزفاف .. والمطربة «نهاد» تزف العروسة على السلم ... وأنا في ثوبي هذا الذي سأذهب به .. وثوب أختي «علية» هذا الذي ترتديه .. وكل التفاصيل الدقيقة واضحه لعيني كأنها حقيقة لا حلم وإذا بي أراك تغافلني وتنسل من جانبي وتلحق بالمطربة نهاد وتلاطفها وتضاحكها .. وهي تمازحك وتداعبك ... وتكاد تسهو عن الحفلة

وتشغل بك ... ثم أخذت فى مغازلتها على نحو فاضح مكشوف تهامس له المدعوون والمدعوات ... بينما الدم يغلى فى عروقى من الحنق ؛ ويصبغ وجهى من الخجل ... ولا أجد لنفسى من هذا الموقف مخرجا ...

صلاح : طبيب محترم مثلى يصنع ذلك فى حفلة عرس ؟ ...

تحية : هذا ما رأيته ...

صلاح : رأيته فى أو هامك ...

تحية : فى حلمى الذى لا يخيب وسترى أن كل هذا سيتحقق ...

صلاح : « صائحا » شاهدة يا عليه ؟ ... يعجبك هذا من اختك ؟ ... تتهمنى هذه التهم ... وتغضب هذا الغضب ... وتثور هذه الثورة ... لحكاية : أولا ... رأتها فى المنام .. ثانيا ... لم تحدث بعد ...

تحية : ستحدث ...

علية : هذا كثير يا تحية ... كثير ... أكثر ... اكثر من اللازم ... انت مجنونة يا تحية ... مجنونة ... اعقلى اعقلى ...

حسنى : « لزوجته » لا تعنفيها هكذا ... أيتها العاقلة ! ... آه منكم يا حضرات العقلاء ! .. كل من كان واسع الخيال ترمونه بالجنون ! . وتقولون له : اعقل .

علية : « لتحية وهى تتناول ذراعها » هيا بنا إلى الفرح ؟ ... لقد أضعت علينا الوقت بهذه المزاعم الوهمية ...

تحية : سيضايقنى أن أرى وجه « نهاد » ! ...

علية : انسى يا تحية هذا الحلم ... لا تظلمى الناس بناء على رؤيا فى المنام ! ...

تحية : إنك لا تعرفين احلامى .. إنها دائما ...

علية : وهل حلمك هو الذى قال إن نهاد ستكون مطربة الفرح ؟ ... أو إن مصدر

علمك العروس أو أهلها ؟ .. إنى لم أحاول بعد الاستعلام ...

تحيـة : ومن سيحضرون غير « نهاد » ؟ .. إنى أقرأ اسمها دائماً فى الصحف والمجلات فى مناسبات الزفاف ...

عليـة : « تلتفت حولها بسرعة » أين التليفون ؟...

صلاح : « يتجه إلى التليفون ويديره لها » تطلبين رقم ؟...

عليـة : خالتنا .. بيت الفرح .. تسمح ... « تمسك بالسماعة وتديرهى الرقم ثم تتكلم ... » ألو ... من خالتى .. مساء الخير ! ... تأخرنا الآن تحية أبطأت فى اللبس ... نعم أتكلم من عندها ... حالا .. سنحضر بعد لحظة قولى لى ياخالتى ... من مطربة الليلة ؟ ... من ؟ ... لا توجد زفة ... آه حفلة جد .. من المطرب ؟ ... صالح عبد الحى . فقط ... متشكرة ... « تضع السماعة »

تحيـة : « بدهشة » صالح عبد الحى ...

عليـة : نعم فقط ... هذه هى أحلامك التى لا تخيب ...

حسنى : « لزوجته » خير من أحلامك التى لا صخب فيها ولا غضب ... حتى الأحلام فى بيتنا معقولة ... لعنة الله عليها من حياة ...

صلاح : « لزوجته » براءة ؟...

تحيـة : حالفك الحظ الليلة ... مجرد مصادفة ... ولكن غداً ... قد يكون هناك استئناف ...

صلاح : مفهوم ... لا أمل ... محكوم على حياتى بالخنق ... ما أنت إلا رباط رقبة ... « كرافته » من حرير ... تزين الصدر ... وتضغط على العنق !...

« ستار »

٥ - من وحي حرب فلسطين

ميلاد بطل

تمثيلية في منظرين

المنظر الأول

«مستشفى عسكرى في القاهرة ... ضابط شاب على سرير وقد ربطت ذارعه اليسرى برباط صحى ... وعلى مقربة منه إحدى المتطوعات تقوم بتمريضه . . .»

الضابط : لماذا تضعين على رأسى ثلجا ؟ ...

الممرضة : لأن حرارتك مرتفعة ...

الضابط : هذا صحيح ... ولكنك أخطأت المكان ... كان يجب أن تضعى الثلج ها هنا ... « يشير إلى قلبه » ...

الممرضة : المغازلة ممنوعة من فضلك ...

الضابط : المغازلة ؟ ... مع من ؟ ...

الممرضة : مع المتطوعات ...

الضابط : تقصدين حضرتك ؟ ... أأنا غازلت حضرتك ؟ ...

الممرضة : ألم تشر إلى قلبك وحرارته ؟ ...

الضابط : يا للنساء ... أولا يمكن أن يكون فى قلب رجل حرارة غير حرارة حبكن ؟ ! ...

الممرضة : « باسمة » نتمنى ذلك ...

الضابط : كلا ... أنتن لا تتمنين ذلك أبدا ... أما أنا فباعتبارى رجلا قادما من الميدان فإنى أؤكد لك أن فى قلبى دخانا ولهبا ... لعل أثرهما فى عينى

الممرضة : أرى اللهب ، ولكنى لست أرى الدخان ...

الضابط : ثق أنه ليس لهب الحمى ... إنه لهب المدفع ! ...

الممرضة : أعرف أنك بطل ... وأنك قمت باقتحام كثير من الحصون ...

الضابط : أقالوا لك إنى بطل ؟ ...

الممرضة : نعم ... كلهم هنا يقولون ذلك .. إنى فخورة بتمريضك ! ...

الضابط : « باسما » المغازلة ممنوعة من فضلك ! ...

الممرضة : لست أفخر بشخصك ... بل بعملك فى الحرب ...

الضابط : « بأسف » لماذا هذا التحديد والتفريق ؟ ... إذا أردت أنا أيضاً أن أعجب بك ، فهل تظنين أنى مستطيع طرح شخصك من الحساب ؟

الممرضة : ألم تحس بعد أن أشخاصنا أصبحت اليوم تافهة بالقياس إلى العمل الذى نؤديه من أجل الوطن ؟ ...

الضابط : لست أعرف الآن ما أحس ... لا تسأليني الآن عن مشاعرى ... إنها أعقد من أن أفهمها لأول وهلة .. يخيل إلىّ أن شيئاً فى نفسى قد تغير ... شيئاً لا أتبينه ... ولا أدرى بعد كيف أصفه ... لن تفهمى بالضبط ما أقصد ... لا بد أن أبسط لك طرفا من حياتى السابقة ، ليبدو لك هذا الكلام واضحاً ...

الممرضة : كلامك واضح لى ... لإنى أحس عين إحساسك ...

الضابط : « دهشا » كيف ذلك ؟ ... فسرى لى إذن ...

الممرضة : لا ... ليس الآن ... لقد تركتك تتكلم أكثر مما ينبغى ... ليس من الحكمة أن تبذل مجهوداً وأنت لم تستكمل بعد الشفاء ... سأدعك لحظة لتستريح ، وتستغرق فى الهدوء ... ومن الخير أن تنام قليلا ...

الضابط : لا ... لا أريد أن أنام ...

المرضة : إذن ... لا تتكلم ... أصغ الى الراديو ، إذا شئت ...

« تفتح جهازاً صغيراً للراديو قرب سريره . . .
فيسمع صوت المذيع يقول « تسمعون الآن أغنية :
الحب كله أنين . . . . »

الضابط : ما أحسن حظى .. هذه أغنية طالما أحببتها ...

المرضة : مثلى إذن ... إنها أغنيتى المفضلة ...

« يصغيان إليها صامتين . . . . »

الضابط : « بعد برهة » ما هذا ؟ إنها ليست هى ... أواثقة أنت أنها هى ...

المرضة : هى بعينها ...

الضابط : لم يكن فيها هذه التأوهات السخيفة ولا هذه المعانى الضعيفة ...

المرضة : أوَ تظن إدارة الاذاعة قد وضعت فيها هذه التعديلات أخيراً ؟ ...

الضابط : لا بالطبع ... ولكن فيها مع ذلك شيئاً قد ... تغير ...

المرضة : ليست هى التى تغيرت ...

الضابط : إذا لم يكن فى طلبى إزعاج لك ، فإنى أرجو منك أن تغلق الراديو ...

المرضة : « وهى تضغط على مفتاح الجهاز وتغلقه » حسناً فعلت ... أنا أيضاً أفضل لك جو الصمت ...

الضابط : لا تنتهزى الفرصة كى تتركينى وتنصرفى ... لا أريد أن أنام ، لا أريد أن أنام ... لقد نمت طويلا ...

المرضة : سأقيس درجة حرارتك ... فإذا كانت معتدلة ، فإنى أسمح لك بالحديث لحظة أخرى ... موافق ؟ ...

الضابط : موافق ... ومع ذلك ، ثقى أنى بخير ... وإلا ما شعرت بهذه اليقظة ولا بهذا النشاط ... أريد أن أنهض قليلا ...

المرضة : مهلا ... مهلا ... حذار أن تصدم ذراعك الجريح ... دعنى أسند ظهرك

إلى الوسادة ...

الضابط : « يتأمل ذراعه المربوطة » عجبا ... ما هذا المشبك البديع ... إنه من ذهب فيما اعتقد ...غاية فى سلامة الذوق ودقة الصناعة !... لن يستطيع أحد أن يقنعنى بأنه من أدوات المستشفى ...

الممرضة : هومشبكى .. لم أجد غيره أحكم به رباطك الذى فك وأنت نائم

الضابط : لن يفك الرباط بعد اليوم ما دمت قد شبكتنى بمشبكك ! ...

الممرضة : « وهى تخرج مقياس الحرارة » أتنوى الاحتفاظ به ؟ ...

الضابط : إلى آخر لحظة من حياتى ...

الممرضة : « باسمة » بلا ثمن ؟ ...

الضابط : ما ذا تطلبين فيه من ثمن ؟ ...

الممرضة : لست ادرى .. إنى أمزح خذه منى هدية إذا راق لك أنه زهيد القيمة

الضابط : لاشىء منك زهيد القيمة ... إنى أقدر له ثمنا مرتفعا ... سأحاول الوفاء به فيما بعد ! ...

الممرضة : « وهى تضع فى فمه المقياس » عندما تهبط حرارتك سيهبط ذلك الثمن المرتفع ... لاتفكر الآن فى تقدير شىء ! ...

الضابط : « يهز رأسه أن : » كلا ... كلا ...

الممرضة : لا تهز رأسك هكذا ومقياس الحرارة فى فمك !... أصغ إلى دون حراك ... أتراني مخطئة ؟...أرجو أن أكون كذلك! بل إنى لمخطئة... هأنذى ألمح فى عينيك الساعة بريقا ، ليس من السهل ان ينطفىء .. مابى حاجة إلى أن اتلقى منك جوابا على اسئلتى .. انى اقرأ كل شىء .. لا على صفحة نفسك بل على صفحة نفسى أنا ...اردت أن تكشف لى عن

ماضى حياتك، لتفسر لى ما اعتراك من تغيير ... يكفينى أن أستعرض حياتى أنا كى أفهم .. ألم يخطر لك أن تتساءل : «لماذا أنا هنا بجوارك أنا الفتاة المصرية التى ما عرفت قط يوما غير التافه من المشاعر ؟!» هذه الأغنية التى كانت تملأ حياتنا : «الحب كله أنين» .. أتصدق أنها كانت تبكينى الليالى الطوال ؟ . ما حدث لى اليوم ، حتى أسمعها فلا تهتز منى شعرة . لا تحسب الدموع قد نضبت من عينى ... انى أسكبها فى بعض الأحيان مدراراً . لا حزنا بل فرحا ... إنها تتساقط مع البسمات كالمطر فى شروق الشمس ... كلما ولد لنا فى ميدان الشرف بطل ... «تتناول من فمه المقياس و تنظر فيه» صدقت ... إنك بخير ... أستطيع الآن أن أمحى عن رأسك هذا الثلج ...

الضابط : أيتها ... الآنسة ! ...

الممرضة : «تلتفت إليه» ماذا بك ؟ ... لماذا تنظر إلى هكذا ؟ ...

الضابط : إنك ... تخيفيننى ...

الممرضة : أخيفك ؟ ...

الضابط : نعم ... كلما ذكرت هذه الكلمة ...

الممرضة : أى كلمة ؟ ! ...

الضابط : أود لو أعلم منك شيئاً ... أتعديننى أن تصارحينى القول ؟ ...

الممرضة : أعدك ... ماذا تريد أن تعلم ؟ ...

الضابط : من هو «البطل» ؟... إنى لم أره قط .. أتمنى لو أراه مرة ...

الممرضة : تريد أن ترى بطلا ؟ ! ...

الضابط : نعم ...

المعرضة : لاشيء أيسر من ذلك .. لحظة واحدة من فضلك ... وأنا أقدمه إليك ... « تأتى بحقيبة يدها وتفتحها » ...

الضابط : عجباً ! ... أهو فى هذه الحقيبة ؟ ! ...

الممرضة : « تخرج من حقيبتها مرآة صغيرة تدنيها من وجهه » انظر فى هذه المرآة وأنت تراه ! ...

الضابط : آه ... لا تمزحى ! ... « يقصى عنه المرآة » إنك تجرحين شعورى بهذا القول .. ثقى أنى لا أتواضع عندما أؤكد لك أنى لم أر ذلك الذى ترين ... لا أود أن تظنينى رجلا مجرداً عن حب الزهو ... على النقيض .. لطالما شعرت انى بطل العالم كله يوم كنت متفوقا فى لعبة كرة القدم . كنت أصيب الهدف بقدمى ، وأسمع هتاف الجماهير فأعتقد إن تلك القدم ليست من لحم وعظم ... إنها من ذهب إبريز ... وكنت أسير بها مختالا فوق الأفاريز .. فيخيل إلى أن عيون العجب والإعجاب تتبعها وتكلؤها وترعاها ، كما لو كانت ذخراً قومياً لا يقدر بمال ... اليوم أمشى بهذه القدم بين الألغام .. واقتحم بها الحصون ، تحت وابل النيران ، فما شعرت قط لحظة أنها قدم بطل .. ! نعم ، صدقينى أنك لا تعرفين جو المعركة أيتها الآنسة ! . ولا تدركين تلك اللحظات التى ينسى فيها الجندى الفرق بين الجد واللعب ... هناك حيث ينزل إلى ميدان واسع غامض ، وبين قدميه مصيره كأنه كره .. لا يطرق سمعه تصفيق الناس ولا هتاف الجماهير . لا تخطر فى باله فكرة البطولة . فهو مشغول عنها وعن غيرها من الأفكار ! ... إنه يفكر فى مواجهة الموت كما لو كان يواجه امرأة خطرة الحسن ، بقلب يتأجج ناراً ... بل إنه لا يفكر على

الاطلاق ... إنما الذى يفكر هو سلاحه الذى فى يده ... عندما نتلقى الأمر بالهجوم ، نشعر كأن مركز التفكير فينا قد انتقل من الرأس إلى المسدس كأنه يعرف بغريزة مجهولة ماذا يصنع وماذا ينبغى أن يصنع ؟.. وأننا نندفع يقودنا فى خضم الخطر ، دون أن نتيح له من حب السلامة مقاوماً . ننطلق معه ، ولا نفكر عندئذ فيما سوف يحدث ... لهذا أغضب عليك ، وأخاف منك ، كلما وصفتنى بشىء ما رأيته فى نفسى اليوم قط !

المرضة : ليس من الضرورى أن ترى أنت ... يكفى أن نرى نحن ...

الضابط : أو أثقة أنت أنك لست مخدوعة ؟ ...

المرضة : اطمئن ! ... لست أنا التى يسهل الآن خداعها ! ...

الضابط : من يدرى . ربما كان هذا أيضاً نوعا من التمريض . هذه المبالغة والمغالاة وهذا التشجيع والتضخيم ! ولكنك لا تعرفيننى !.. إنى شاب صريح ، أحب الصدق .. وإنك لتحملييننى بتمريضك الروحى هذا على السخرية منك ومن نفسى !. أقسم لك ان لا شىء يريحنى حقاً غير الوضع الصحيح للأشياء ... لا اقبل مطلقاً ان أحاط بإطار مسرحى من الثناء أيها الآنسة !.. حذار من سخطى ومن احتقارى ! ... أنا الذى كاد يعتقد ان الحرب قد خلقت منى ومنك ومن امثالنا جيلا آخر ، يجرى فى دمائه شعور جديد .. عندما قلت لك انى قد تغيرت ، ما قصدت أنى قد صرت بطلا فى نظر نفسى !.. «بطل» !.. انى امنعك من ذكر هذه الكلمة لى او نسبتها إلى . انك لا تدركين مبلغ ما فيها لى من إيذاء ! ...

المرضة : ايذاء ؟. لك انت ؟ .. أيقوم فى روعك انى اوذيك بهذه الكلمة ...

الضابط : إنها نوع من الصدقة لا أقبله !...

الممرضة : صدقة !... أرجوك ... لا تقل ذلك ...

الضابط : هدية .. إذا شئت ... رداء موشى خاطف البريق ... لا أجرؤ أن أرتديه وأمشى به فى الطريق .. دون أن يعتريني الخجل ، وأتصور الناس تتبعنى بأنظارها قائلة ها سة : ياله من ادعاء !...

الممرضة : ما خطر لى ببال أن أقدم اليك هدية !... حتى ولا هذا المشبك الذهبي الصغير ... أنت الذى أردت الاحتفاظ به ... وأرجو من فضلك أن ترده إلى فى يوم من الأيام ...

الضابط : سأرده ... فى يوم من الأيام ...

الممرضة : نم الآن ... قبل أن تصيبك نكسة من كثرة الكلام ... إنى ذاهبة

الضابط : « بشىء من العنف » قلت لك لن أنام ...

الممرضة : « ببعض العنف » آمرك أن تستريح ، وأن تغمض عينيك ، وأن تكف عن كل ماينهك قواك ...

الضابط : لست أتلقى منك أمراً ...

الممرضة : إذا كنت فى الميدان مكلفاً بطاعة قوادك ورؤسائك ، فأنت هنا فى المستشفى مكلف بطاعة أطبائك وممرضيك ...

الضابط : فى مقدورى أن أطيع أمراً بالهجوم .. ولكنى لا أستطيع أن أطيع أمراً بالنوم ...

الممرضة : وأنا لا أستطيع أن أتحمل تبعة عصيانك !.. «وتتحرك للانصراف»

الضابط : « يلطف لجأة من لهجته » أتذهبين ؟...

الممرضة : سأنصرف إلى غيرك من الجنود ... أوتحسبني منقطعة لتمريضك وحدك

الضابط : أصبت ... اذهبي إليهم ... ولـكنني ...

الممرضة : ماذا ؟...

الضابط : سأنتظر عودتك !...

الممرضة : شفاؤك قريب ... وستخرج من هنا بعد أيام ...

الضابط : أعرف أن فراقنا قريب ... ولهذا ... « يرمقها صامتاً »

الممرضة : لماذا تنظر هكذا إلى ؟...

الضابط : لاشيء ... اذهبي ... هأنذا أطيعك وأغمض عيني !...

الممرضة : نعم ... نم الآن قليلا .. بغير أحلام !...

الضابط : « وهو يغمض عينيه » صورة واحدة ستلازمني في النوم واليقظة ... إلى آخر لحظة !...

(ستار)

المنظر الثاني

« في ميدان القتال ... « الضابط » وهو قائد الفصيلة الأولى المرابطة في الخط الأمامي يتحدث همساً إلى قائد السرية وقد جاء يتفقد الحالة قبل الهجوم على حصن الأعداء ... وقد كاد ينتصف الليل ... وقصف المدافع المصرية يهز الأرجاء . . . . »

قائد السرية : « ينظر في ساعته » بعد سبع دقائق تتوقف بطارياتنا عن الضرب ...

الضابط : نعم ... لقد فرغت من مهمتها .. وبقي علينا نحن القيام بالباقي ..

قائد السرية : يجب أن تعلم أن مهمتك خطرة ! ..

الضابط : ليست أخطر من مهمة غيرنا ...

قائد السرية : أظن أنها أخطر ... لا تنس أن عليك أن تتقدم على رأس دوريتك المقاتلة ، لتفتح ثغرة في الأسلاك الشائكة حول هذا الحصن المنيع !...

الضابط : معنا قصافات الأسلاك ...

قائد السرية : أمامك حقل من الألغام ، مغطى بنيران العدو ...

الضابط : معنا مجسات الألغام ...

قائد السرية : صدرك قد يتلقى رصاص القناصة الغادرين ...

الضابط : فليروا صدري ... ولكنني سأعرف كيف أرى ظهورهم ! ..

قائد السرية : كل شيء إذن على ما يرام ...

الضابط : نعم ... اعتمد على فصيلتي ، وعد مطمئناً إلى موقعك ...

قائد السرية : ما كنت أظن أني سأراك هنا بهذه السرعة !... ولا أدري كيف

عدت إلينا هكذا على عجل بعد خروجك من المستشفى ...

الضابط : لا تذكرنى الآن بالمستشفى ...

قائد السرية : أكان جرحك أليماً ؟...

الضابط : « يشير إلى جهة الحصن » انظر .. انظر ... لقد أطاحت قنبلة المدفع ببرج الحصن !...

قائد السرية : « ينظر بمنظاره » نعم .. ياله من عمل رائع لمدفعيتنا ...

الضابط : الدخان يرتفع من أرجاء الحصن ... أنبدأ زحفنا ؟...

قائد السرية : « ينظر فى ساعته » انتظر لحظة ... إن الدقائق السبع لم تنقض بعد ... أخبرنى ... إنك لم تحدثنى ...

الضابط : عن ماذا ؟...

قائد السرية : عما رأيت وسمعت فى القاهرة أثناء مدة علاجك ...

الضابط : آه ... لقد رأيت ...

قائد السرية : إنى مصغ ...

الضابط : لا شىء ...

قائد السرية : مالصوتك قد تهدج ؟...

الضابط : كم الساعة الآن ؟...

قائد السرية : إذا صدقت فراستى فإنك قد قابلت هناك شخصاً عزيزاً ...

الضابط : الأمر لايحتاج إلى فراسة... كلنا لنا هناك شخص عزيز ...ولكن .

قائد السرية : ولكن ماذا ؟...

الضابط : أهذا مكان وزمان نتحدث فيهما عن ذلك ...

قائد السرية : إنه خير موضع وظرف نستأنس فيهما بالصور الموضوعة فى قلوبنا .

الضابط : قلوبنا.. عجيب ذلك الذى حدث لهذه القلوب لقلبى أنا على الأقل... لكأنه هو أيضاً قد تحول إلى ميدان حرب... طغى فيه هدير المدافع على الهمسات والبسمات ... ولكن سجع اليمام يسمع أحيانا رقيق النغم حلو الهديل بين طيات الرعد القاصف... صدقت ... هنالك صورة ، وهنالك صوت ... لا بد أن نحملهما معنا فى أخطر المواقف وأحرج اللحظات ...

قائد السرية : « يحدق فى صدر الضابط » ما هذا الشىء الذى يبرق فى صدرك ؟.

الضابط : هذا ... «شبك ذهبى ...

قائد السرية : « باسما » يالها من أناقة جديرة بعاشق يسير فى حديقة أزهار ، لا فى حقل ألغام ! ...

الضابط : لست أجد الآن فرقا كبيراً بين الحديقتين ... لكل من الزهر تحت الخمائل ، واللغم تحت الأسلاك ، مقص ومجس ! ...

قائد السرية : إنت أيضا تنتابك هذه الأفكار ؟ ...

الضابط : أى أفكار ؟ ...

قائد السرية : خيل إلىّ أنى وحدى الذى اكتشف حقيقتنا المدفونة ككنز ، التى كنا نجهل وجودها فى أنفسنا ... إنى لم أعد بعد إلى القاهرة ، منذ بدء المعارك ... ولكن إذا قدر لى عمر وعودة إلى الوطن، فإنى على ثقة من أنى سأكون رجلا جديداً ... لذلك سألتك الساعة عما رأيت هناك .. هل نحن وحدنا الذين تغيرنا ... أو أن أهل بلادنا حدث لهم كذلك مثل الذى حدث لنا ؟ ...

الضابط : «يشير إلى الحصن» انظر... ماهذا ؟.. أحقٌ ما أرى أم هو سراب ؟.

قائد السرية : « يمسك بمنظاره » ماذا ؟ ...

الضابط : هذه الرايات البيضاء التى ترفع فوق الحصن ؟ ! ...

قائد السرية : « يرى بمنظاره » نعم ... نعم ... حقاً ... إنها رايات التسليم ! ...

الضابط : إذن .. فلنقتحم الحصن فى الحال ...

قائد السرية : مهلا ... يجب أولا أن نخبر مركز القيادة الرئيسى ... « يسرع إلى تليفون الميدان ويخاطب القيادة » : رفعت رايات التسليم فوق الحصن .. أفندم ؟... يحتمل أن تكون خدعة ؟... نرسل الفصيلة الأولى ؟ ...

الضابط : فصيلتى ...

قائد السرية : « وهو يترك جهاز التليفون » نعم ... ولكن يجب أن تكونوا على حذر ... فهؤلاء الأعداء غادرون .. وقد يكون التسليم خدعة ، لاجتذاب عدد كبير من جنودنا ... حتى إذا اقتربوا من العدو ، فتح عليهم النيران ...

الضابط : لن يذهب أحد من جنودنا ...

قائد السرية : ومن يذهب ليتلقى التسليم ! ...

الضابط : أنا ... بمفردى ...

قائد السرية : وإذا كان فى الأمر غدر ، وأطلق عليك قناصتهم الرصاص ...

الضابط : لن يظفروا عندئذ بغير قتيل واحد ! ...

قائد السرية : لا .. لن أفرط فيك أنت ... فليذهب ...

الضابط : لا تبحث عن أحد غيرى .. أنا قائد الفصيلة الأولى ... ولن أعرض أحداً من رجال فصيلتي ... سأذهب وحدي ...

قائد السرية : لن أصدر إليك هذا الأمر ...

الضابط : لقد صدرت إليك تعليمات القيادة بتحرك الفصيلة الأولى .. فصيلتى ... وليس لك أن تخالف أوامر القيادة ...

قائد السرية : هذا صحيح ... فلتذهب إذن فصيلتك ...

الضابط : أنا حر إذن فى اختيار من يذهب معى منها . فأنا قائدها ... وقد اخترت نفسى ...

قائد السرية : إذا صدقت فراستى فأنت مقتول ...

الضابط : يسرنى أن أضع فراستك هـــذه المرة موضع الامتحان .. خذ هذا ...

قائد السرية : « يتلقى من يد الضابط شيئاً نزعه من صدره ، مشبكاً الذهبى؟...

الضابط : إنه ليس لى ... إنه لممرضة متطوعة فى المستشفى العسكرى بالقاهرة ... إذا قتلت أنا ... وعدت أنت إلى الوطن سالماً ... فاذهب وابحث عنها ... ورد هذا المشبك إليها ..

قائد السرية : ما اسمها ؟...

الضابط : لست أدرى ... إنى ما سألتها قط عن اسمها ... ولكنى واثق أنك ستجدها ... قل لها : لقد كان وعدك أن يرد إليك هذا المشبك فى يوم من الأيام ... وقد بر بوعده ... أما الثمن المرتفع الذى تدره فى نظير الاحتفاظ به هذه اللحظات ، فإنه لم يستطع أن يدفع أكثر من ... حياته ... إلى اللقاء أو وداعاً ...

« يقفز الضابط إلى سيارة صغيرة ويمضى إلى الحصن »

قائد السرية : اذهب فى حفظ الله ...

« يرفع قائد السرية منظاره إلى عينيه ويتبع الضابط »

الضابط : « صائحاً » إذا أطلقت لكم وهجاً من مسدسى فهى إشارة إلى أن التسليم صادق ...

قائد السرية : « للجنود » اصطفوا وارقبوا الإشارة ... ها هو ذا قائدكم يذهب بمفرده « يتبعه بمنظاره » إنه الآن يقترب من أسلاك الحصن ... آه ... ياللجبناء ... ياللأنذال ... « صائحاً » إنهم ينزلون الرايات البيضاء ... لقد سحبوا التسليم ... ماهذا ... ماهذا ؟ ... صوت طلقات مدفع رشاش ... قتلوه ... لقد قتلوه ... قتلوه ... مات الرجل ...

الجنود : « بغيظ وتأثر » مات الضابط ! ..

قائد السرية : « بجلد وفى عينيه دمعة » ولكن ... ولد البطل ...

(ستار)

٦ ـ من وحي رجال الأعمال وصراع الأجيال

اللص

تمثيلية في أربعة فصول

الفصل الأول

«حجرة نائية فى منزل فخم بالزمالك ... بها فرش وثيرة ، ومقاعد مريحة ، وخزانة للملابس ، وخزانة للزينة وبها نافذة مفتوحة تطل على حديقة المنزل ... الحجرة غارقة فى الظلام ... ولكن شعاعاً من بطارية كهربائيه صغيرة ينطلق فى الحجرة من جهة النافذة ... ويظهر شبح يتسلق جدار النافذة صاعداً من الحديقة إلى الحجرة . . . . »

« ويتحرك الشبح فى أرجاء الحجرة مصوبا شعاع بطاريته إلى أركانها . . . . »

« ويقع الشعاع أخيراً على الفرش ... ثم على مصحف فوق الوسادة ... فيتقدم الشبح إليه ... ويتناوله فى يده ويقرأ غلافه تحت ضوء البطارية . . . . . . »

الشبح : « يقرأ ثم يهمس فى عجب » مصحف ... نشر المكتبة الأحمدية بالأزهر ! ... « وعندئذ تدق الساعة دقة واحدة بعد منتصف الليل ... فينطفىء شعاع البطارية فى الحال « كالمفزوع » ... ثم تسمع أصوات تقترب ... فيترك الشبح المصحف فوق الفرش ... ويسرع باحثاً عن مكان يختبىء فيه ... ويهتدى إلى ستارة النافذة فيختفى خلفها ... وعندئذ يفتح باب الحجرة ... وتدخل الآنسة خيرية ... بملابس الخروج ... وتدير زراً فى الحائط قرب الباب فتضىء الحجرة ... وإذا خلفها « الباشا » داخلا الحجرة بملابس الخارج ... »

خيرية : « تصد الباشا بأدب » لا تدخل ... أرجوك ! ...

الباشا : «يرسل أنظاره فى أنحاء الحجرة متنهداً» الجنة ! ... بأى حق تصدينني عن دخول الجنة ! ؟ ...

خيرية : انصرف ... من فضلك ...

الباشا : أى ذنب ارتكبت لأطرد من هذه الجنة ؟ ...

خيرية : حجرتى ليست الجنة ...

الباشا : كل مكان تحلين فيه هو بالنسبة إلىّ نعيم معطر بأنفاسك ! ...

خيرية : إنى لفى جحيم ... فى جحيم ...

الباشا : مرحباً بهذا الجحيم ! ... مهما يكن من سعير جحيمك فإنه لاشىء إلى جانب نيران قلبى ! ...

خيرية : أهى رواية السينما التى أخرجتك الليلة عن أطوارك ؟ ...

الباشا : كان العاشق فى الرواية أبرد من لوح الثلج ...

خيرية : كان سلوكك معى فى السينما غير لائق ... أحذرك من أن تمسك بيدى هكذا فى الظلام مرة أخرى ... تذكر أمى التى كانت بجوارى ... غارقة فى ثقتها العمياء ، وحبها العميق لك ...

الباشا : لم يكن لى على يدى حكم ولا سلطان ... لكأن فى تلك اليد قلباً مستقلا يدفعها إلى يدك ...

خيرية : إنك ستدفعنى إلى كارثة ...

الباشا : إنى واثق أن صدك لن يدوم طويلا ... أومستطيع كيانك الرقيق أن يقاوم اللهب ... مهما نفعلى فأنت محترقة بما يضطرم به قلبى من غرام ...

خيرية : «مرتاعة» بابا ...

الباشا : لا تنطق بهذه الكلمة ... لا تنطق بهذه الكلمة ...

خيرية : أرجوك أن تذهب ... اذهب ...

الباشا : أرجوك أن لا تحرميني هذه اللحظة ! ... حذار أن تحرميني هذه اللحظة بقربك فى هذا الليل الساكن الجميل . لحظة واحدة منك اشتريها بكل مافى رصيدى من أموال .. اسأليني شيئاً مهما يكن باهظاً ... اطلبى ... لا تخجلى .. ليس أحب إلى نفسى من أن أراك تطلبين إلى طلبا ... ولو كان روحى ...

خيرية : اطلب خروجك ...

الباشا : خروج روحى !؟ ...

خيرية : خروجك أنت من هنا ... من حجرتى الآن ...

« الجرس يدق فى البهو . . . . »

خيرية : هذه أمى ! ... أمى تدعو الخدم لتسأل عنك ... إنها لم ترك صاعدا إلى حجرتك ... اذهب إليها ... اذهب ...

الباشا : سأذهب لأخلع ثيابى ثم أعود ...

خيرية : إنى متعبة ... سأغلق بابى وأنام ...

الباشا : لا تنامى ياخيرية قبل أن أراك مرة أخرى ... وأقدم اليك ما أعددته لك من مفاجأة ... ألا تعرفين أنى سأفاجئك بما يبهرك ؟!! ...

خيرية : فى الصباح ... قدم إلى ما أعددت فى الصباح ...

الباشا : بل الليلة ... إن هده المفاجأة لا يكون لها معنى إلا فى الليل ...

« الجرس يرن فى البهو . . . . »

خيرية : اذهب قبل أن تقلق امى وتأتى فتجدك هنا ! ...

الباشا : إلى اللقاء بعد ربع ساعة لا تنامى ... سأطرق بابك ، ولأوقظك ..

« يخرج وهو يرسل إليها قبلة فى الهواء . . . »

خيرية : « تندفع إلى الباب وتغلقه بالمفتاح » أف ... إلهى ... إلهى ... أنقذنى مما أنا فيه ... أرسل إلى ملاكا أو شيطاناً يخرجنى من هذا المأزق ...

« الشبح يخرج من خلف الستار ... وإذا هو شاب وسيم فى ثياب نظيفة ، ولكنها غير فاخرة »

الشاب : ها أنا ذا ...

خيرية : « تصرخ صرخة فزع مكتومة » النجدة !! ...

الشاب : « يبادر ملاطفاً » لا تصرخى ... ولاتستنجدى ... ألست أنت التى سألت الله أن يرسلنى إليك ...

خيرية : من أنت ؟...

الشاب : ملاك أو شيطان ... لست أدرى ...

خيرية : « تنظر إلى النافذة المفتوحة بجوار الستارة » لص ؟؟...

الشاب : ياللناس !... أهكذا تسمون من يأتى اليكم من السماء ؟...

خيرية : إنك جئت من هذه النافذة ...

الشاب : لأنها أسهل طريقة ...

خيرية : ماذا أنت تصنع هنا فى حجرتى ؟...

الشاب : أولا ... ألا تذكرين أننا تقابلنا قبل الآن ؟...

خيرية : تقابلنا !؟... أين نستطيع أن نتقابل ؟...

الشاب : « يتناول المصحف » من أين اشتريت هذا المصحف ؟...

خيرية : من مكتبة فى حى الأزهر ...

الشاب : بالضبط ... من المكتبة الأحمدية ... ألا تذكرين البائع الذى يدير المكتبة ... تفرسى فى وجهى جيّداً ...

خيرية : « تتفرّس فى وجهه » أنت ! .. حقاً ... حقاً ... تذكرتك ...

الشاب : كان ثمن المصحف ثلاثين قرشاً ... ولكنك دفعت إلى ورقة من فئة الخمسة جنيهات ... فأوقعتنى فى حيرة ... ولم يكن فى المحل وقتئذ نقود صغيرة لأرد اليك الباقى ...

خيرية : نعم . نعم ... أذكر الآن . وقد قدمت إلى كرسياً ... وطلبت لى كوباً من العرقسوس .. من بائع جائل ... وذهبت تبحث عن الفكة ...

الشاب : تاركا المحل فى حراستك ...

خيرية : وجاء فى غيبتك بعض الزبائن يسألوننى عن كتب فى التفسير والفقه ... ويدهشون لبائعة فى حىّ الأزهر بثيابى هذه ...

الشاب : التى على آخر « موضة » ! ...

خيرية : « تتأمله » حقاً ... هذا أنت ... ولكن ماذا جئت هنا تصنع فى حجرتى ... فى مثل هذه الساعة من الليل ؟! ...

الشاب : جئت كى ... أتريدين الصراحة ؟ ...

خيرية : أريد الصراحة طبعاً ...

الشاب : إنى الآن خجل من ذكرها ... ما كنت أحب القدر يوقعنى فى بيتك أنت بالذات ... وفى حجرتك ... ولكنى تخيرت منزلا فخماً فى حى الزمالك ، لا أعرف لمن ... وبعد أن تمكنت من دخول الحديقة ، وجدت نافذة مفتوحة ، فى هذا الطابق الأول ... فمن غير المعقول أن أتركها ، وأتسلق إلى حجرة مغلقة فى الطابق الثانى ... خصوصاً وأنا حديث عهد بهذا العمل غير الشريف ...

خيرية : « فى دهشة واستنكار » جئت تسرق ؟ ...

الشاب : بل أقترض ... لقد كان فى نيتى أن آخذ من هنا حاجتى من النقود على سبيل "قرض . . ثق بذلك .. ولو لم تفاجئينى الساعة لوجدت هاهنا قرب فرشك ورقة هى إيصال بالمبلغ ، ووعد بالسداد عندما ينجح المشروع ...

خيرية : أى مشروع؟ ..

الشاب : مشروع تجارى لا يهمك فيما أظن أن تعرفى الآن تفاصيله ...

خيرية : أولا يستطيع البنك أن يقرضك ما تريد ؟ ...

الشاب : أنا لا أحب التعامل مع البنك .. أتدرين لماذا ؟... لأنه لا يثق بى ... إنه يقول لى : قبل أن تقترض منى أخبرنى أين رصيدك وأين ضامنك؟ ... يجب أن أكون غنياً ليدفعوا الى .. ثراء يقرض ثراء ... تلك هى البنوك .. خلقت لتمد الأغنياء . أما بنك الفقراء فلم يخلق بعد . ذلك البنك الذى لا يطالب المحتاج المعدم إلا برصيد من نيته وضامن من ضميره ...

خيرية : « تفتح حقيبة يدها » كم تريد أن أقرضك ؟ ...

الشاب : مائة جنيه بالتمام ...

خيرية : مائة جنيه . هذا مستحيل . . إنى لا أملك فى حقيبتى أكثر من .. انظر بنفسك .. من ثلاثة وعشرين ...

الشاب : آسف ... إن سوء الحظ يلازمنى ... ألا أستطيع يا ربى العثور على مائة جنيه بشرف أو بغير شرف ...

خيرية : أنت أيضاً تريد أن تعتدى على الشرف !؟ .. كل الناس من حولى لا يعنيهم الشرف ! ... إلهى إلهى ! ..

الشاب : عفوا أيتها الآنسة . أعلم لماذا تقولين ذلك ... أنانيتى حبستنى فى نطاق

مصالحى وأهدافى ... ولكننى أعرف ما أنت فيه ... لقد سمعت كل شىء من خلف هذه الستارة ...

خيرية : سمعت كل شىء ؟؟ ... نعم ... لابد أنك سمعت ...

الشاب : إنها حقاً لكارثة ! ... أهذا الرجل أبوك ؟ ...

خيرية : لا ...

الشاب : ليس أباك .. ؟ ولكننى سمعتك تقولين له يا بابا ...

خيرية : أقول له يا بابا ، ولكنه ليس أبى « كالشاردة » آه ... إن هذا فظيع

الشاب : ما هذا الاصفرار على وجهك ، وما لشفتيك ترتجفان ! ...

خيرية : تجلس متخاذلة على مقعد « أرجو أن تتركنى الآن وحدى ...

الشاب : أخبرينى ماذا بك ؟ ..

خيرية : « تضع رأسها فى كفيها » دعنى ... دعنى لمصيرى ...

الشاب : لمصيرك ؟.. لست أفهم شيئاً ... يا له من أمر عجيب... لقد قابلتنى بشجاعة ... وقد رأيتنى فجأة فى حجرتك ... وها هى ذى شجاعتك تخونك فجأة لأمر لا أعرفه ...

خيرية : أرجوك ... لا شأن لك بى « تتناول حقيبتها » ألا يكفيك هذا المبلغ الذى معى ؟ ...

الشاب : ألاتريدين أن تطلعينى على مايعذبك؟.. ربما استطعت لك بعض المعونة.

خيرية : لاأظن فى مقدورك أن تصنع لى شيئاً... تكلم فى شأنك أنت... ليس فى حقيبتى الآن ما أقدم إليك سوى ...

الشاب : صدقت ليس من حقى أن أسألك الإفضاء إلى بأسرارك . فلأرجع إلى شئونى أنا . أصارحك أن المبلغ الذى احتاج إليه هو مائة جنيه ..

لا تنقص قرشاً .. ولا تزيد قرشاً ...

خيرية : ولماذا تصر على هذه المائة جنيه ...

الشاب : للمشروع ...

خيرية : ما هذا المشروع ؟ ...

الشاب : اسمى ... لا بأس عندى الآن من أن أطلعك على مشروعى ... بل ولا ضير من أن أكشف لك عن كل حياتى أنا يا آنستى كنت طالبا فى كلية الآداب ... وكان أبى موظفاً فى إحدى الشركات الكبرى ، وله سبعة أولاد غيرى ... فمات ولم يترك لنا شيئاً .. إنما ترك بعض أولاده عاجزين عن مواصلة دراستهم .. فتشردوا يطلبون الرزق من أعمال مختلفة وكان نصيبى هذا العمل فى المكتبة التى رأيتنى فيها بحى الأزهر .. صاحبها أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. فكنت أنا له اليد اليمنى بل المعين والعقل والروح .. وأخلصت لعملى كل الإخلاص .. فكنت أنا الذى أعقد له صفقات الكتب القديمة والحديثة .. وأقتنى له المصاحف النفيسة والرخيصة ثم أبيعها له بأحسن الأثمان وآتى له بأوفر الأرباح ... وأنظم له المكتبة وأنظفها وأكنسها وانفض الغبار عن رفوفها وأرش بالخرطوم أمام بابها ... بينما يجلس هو يدخن الشيشة ويشرب الشاى الأخضر فى المقهى المجاور ... ثم فوق ذلك احتال له على مغمورى المؤلفين فآخذ منهم مؤلفاتهم وعصير أذهانهم بأبخس الأجر ... ملوحاً لهم بسراب المجد نافخاً فيهم روح الفخر ... فيطبعها هو أو على الأصح أباشر أنا طبعها له وأشرف على نشرها .. فيكون له من وراء ذلك جميع الغنم ... ولمؤلفيها الأفاضل المتضورين جوعاً لا شىء غير الوهم ... وكان لى

على كل هذا التفانى فى الخدمة و الإخلاص فى العمل مرتب شهرى ...
أتدرين كم مقداره يا آنستى ؟ ...

خيرية : كم ؟ ... عشرون جنيها على الأقل ...

الشاب : سبعة جنيهات لا غير ...

خيرية : ماذا تقول ؟ ...

الشاب : الحقيقة وكلما رجوته أن يرفع مرتبى قليلا بكى و اشتكى ثم هدد و توعد ... ثم جعل أذناً من طين و أخرى من عجين ... وردد عبارته الدائمة « اصبر وتحمل » فصبرت وتحملت إلى أن شيد فوق أكتافى عمارة فى السكة الجديدة مكونة من سبع طبقات ... وأخيراً يا آنستى حدث ذات يوم أن دب بيننا خلاف ... إذ اتهمنى بأنى حابيت مؤلفاً مغموراً فاتفقت معه على أجر لكتابه استكثره على واستهوله ... مع أنه أجر لا يكاد يمسك الرمق .. فصرخ فى وجهى وشتمنى وسبنى وسمع كل أهل الحى صياحه وهو يقول لى « سرقتنى ، جعلت المؤلفين يسرقوننى أيها اللص .. أيها اللص ... ونسى خدماتى الطويلة له ... وعرقى لذى سال فى جيوبه ذهباً وهو جالس « بشيشته » فى المقاهى .. فطردنى أشنع الطرد .. نعم طردنى أمس فقط ... فخرجت من دكانه على غير هدى ... لا أدرى ماذا أصنع .. أسائل نفسى ماهو ذلك الشىء الذى جعل منه سيداً ... وجعل منى كلباً ؟ .. أهو العلم ؟ .. لا .. أهو العمل ؟ .. لا . فأنا الذى من نصيبى هذان الشيئان ! .. ماهو ذلك الشىء إذن ؟ .. لاشك أنها تلك « المائة » جنيه التى اعترف لى يوماً قائلا بزهو إنها كانت كل رأسماله الذى فتح به تلك المكتبة فى أول عهدها ! ... نعم ... مائة جنيه .. عندئذ أقسمت

أن أعثر على مبلغ ١٠٠ جنيه مثل التى فتح بها مكتبته من أى طريق لأفتح مكتبة واستخدم موظفاً اعتصر جهوده قطرة قطرة وأشيد فوق كاهله - حجراً حجراً - عمارة من سبع طبقات فى السكة الجديدة أو الحسينية أو حتى فى باب الشعرية ! ذلك هو مشروعى أيتها الآنسة .

خيرية : نعم ... نعم ... فهمت ... ولكن ...

الشاب : لكن ماذا ؟ ...

خيرية : كل هذا لا يبرر أن تكون لصا ! ؟ ...

الشاب : وهل كنت كذلك حقا عندما اتهمنى مخدومى ظلما وصاح بى فى حى الأزهر أيها اللص .. لقد كنت وقتئذ أشرف إنسان ... ولكن الناس صدقوه هو ... وما دار فى خلدهم قط أن اللص الحقيقى هو ذلك الصارخ المستنجد ... ما عاد يهمنى مصدر النقود يا آنستى ... ما دمت لم أضبط ... وما دام فى جيبى هذه المائة جنيه ، فسوف أرغم الدنيا كلها على احترامى واتهم بملء فمى أشرف الناس باللصوصية ...

خيرية إنى أعذرك ... وادرك ما أنت فيه ... إن الإنسان فى مثل موقفك ليثور أحياناً على كل الأوضاع .. ويفقد إيمانه بالفضيلة ... ولكنى مع ذلك لا أقرك على هذا المسلك ... ثق أنى لا أقولها تنصلا من إعطائك ماتريد .. فإنى سأدبر لك المبلغ مهما يكلفنى ذلك ... ولكن أنسى مطلقا أنك لص ضبطته فى حجرتى ...

الشاب : رأيك فىَّ له قيمته ولاشك ... لكن الذى أطمع فيه الآن ليس نبل المسلك ، ولا حسن السمعة .. ولا طيب الأحدوثة ...

خيرية : أخشى أن تندم يوما على هذه الزلة ..

« يسمع طرق خفيف على باب الحجرة ... فيرتبك الشاب ولايدرى مايفعل ... ويضع أصبعه على فمه طالباً من الفتاة أن لا تكشف أمره ... ويستمر الطرق فيسرع الشاب إلى الاختفاء خلف ستارة النافذة بينما تتجه خيرية إلى الباب وتلمس مقبضه ولاتفتحه . . »

الباشا : « يهمس من خلف الباب » أنا ياخيرية ... هل أدخل ؟ ...

خيرية : « تنظر إلى الستارة ثم إلى الباب مترددة ثم تسرع قائلة » لا ... لا يا بابا ... لاتدخل الآن ... إنى .. إنى لم أخلع ثيابى بعد ...

الباشا : « همسا من الخارج » خذى راحتك ... سأعود بعد قليل ...

« يسكت صوت الباشا ... وتظل خيرية لحظة بلا حراك تنظر إلى الباب ... ويبرز الشاب رأسه خلف الستارة فتلتفت إليه الفتاة طالبة إليه بإشارة من يدها ألا يحدث صوتاً ولا ضجة . . . »

الشاب : « يخرج من خلف الستارة هامساً » شكراً لك أيتها الآنسة ... لقد أنقذت حياتى ... أو حياة ذلك الرجل .. إذ لو كان دخل وضبطنى ...

خيرية : يجب أن تذهب الآن ...

الشاب : نعم ... قبل أن يعود ...

خيرية : « كالمخاطبة لنفسها » يعود ؟... نعم .. إنه لاشك عائد الليلة ! ... إنى أفضل أن أفتح بابى هذا للموت على أن أفتحه الليلة لهذا الرجل ...

الشاب : هذا الرجل الذى يعرض عليك غرامه ... ويعد لك مفاجأة ... ؟

خيرية : ألا تستطيع الأرض أن تبتلعنى قبل أن يأتى ؟... ألا تستطيع السماء أن تخطفنى ؟ ... أين أذهب ؟ ... أين أهرب ؟ ...

الشاب : لو أخبرتنى بأمرك أيتها الآنسة !؟ ... لقد أخبرتك أنا بأمرى ... إنى أراك

فى محنة لا أعرف ما هى ؟ ... أطلعينى على محنتك ... ثق أنى حفيظ لأمانتك . انها السعادة كبرى أن تتيح لى الظروف أن أكون موضع سرك !

خيرية : بل قل إنها لسخرية كبرى ! ... لكن ... ماحيلتى ... مامن شىء أمسى يصدمنى أو يحرجنى بعد هذا الحرج الذى أنا فيه ... إنى لست فقط فى حرج ... بل إنى انى خطر ... نعم ... إنى فى هذه الحجرة أشد تعرضاً للخطر منك أنت ...

الشاب : تتعرضين للخطر وأنت فى حجرتك هذه أيتها الآنسة ؟ ... ليس لى حق التدخل فى حياتك أو الإطلاع على شئونك ... ولكن واجبى كإنسان تتحتم عليه حمايتك ، يرغمنى على أن أطلب إليك الإفضاء إلىّ فى الحال بأمرك ! ... تكلمى ... بل أحتم عليك الكلام ...

خيرية : « تطرق لحظة تفكر ثم ترفع رأسها » اسمع إذن ياسيدى ... اللص أو المفترس أو المجتهد أوماشئت لاتهمنى صفاتك ولا مؤهلاتك ... كل مايهمنى أنك إنسان ... أستطيع الآن أن أسمعه قصتى التى كتمتها فى صدرى وكدت بها أختنق .. قلت لك إن هذا الرجل ليس أبى ... لقد مات أبى منذ أكثر من ثمانية أعوام .. وكنت فى الثالثة عشرة ... فلم ينقض عام حتى تزوجت أمى هذا الرجل .. فقد كانت فى عنفوان جمالها ... وما كان من الممكن أن تظل طويلا بلا زوج ؛ فتتعرض لأقاويل الناس .. ومنذ زواجها أُلحقت بالقسم الداخلى فى المدارس الأجنبية إلى أن تخرجت منذ شهور ... وكان لا بد لى بعدئذ أن أتخذ هذا البيت سكنى .. وأن أعيش مع والدتى وزوجها ولقد أوصتنى أمى أن أتخذ من هذا الرجل أباً ... فأطعتها وصرت أناديه يا بابا .. وكان هو

يحدب على حقاً ... ويحوطنى بعطف وعناية وحنان امتلأ بها قلبى اطمئنانا ، وأفعم بها قلب والدتى اغتباطا .. ومرت الأيام وهو يزداد حرصا على إرضائى وتدليلي ويكثر من الذهاب بي إلى السينما مع والدتى أحيانا وأحيانا بدونها ... وفى الظلام الدامس يأخذ يدى فى يديه ... ويميل بوجهه حتى يلامس خده شعرى ... وأحس حرارة أنفاسه تهب لافحة محرقة على أذنى كريح الخماسين .. إنها ليست حرارة الحب الأبوى ... إنها شيء ارتجف له قلبى خوفا . وجسدى اشمئزازاً وصرت أظهر التعامى والتجاهل وأبدى التغابى والتغافل . وصار هو يلاحقنى بالتلميح تارة ثم بالإشارة ... ثم أخيراً بالتصريح ... ثم انتهى إلى التوسل والتذلل والترغيب والإغراء ... لا يخجله استنكارى الذى أبديه بفزع وجزع ... ولا تصده عنى كلمة «بابا» التى ألقيها بينى وبينه كأنها تعويذة تقى من شيطان . لقد أسفر الآن عن وجه مأربه ... إنه لا يرانى كابنته ... ولكن كامرأة ... وهو يريدنى بأى ثمن أن أكون له ...

الشاب : «مرتاعا» ماذا ؟ ... «هامسا» عشيقة ؟! ...

خيرية : صه ! ... نعم ... ياله من أمر فظيع كما ترى ... ولكنها حقيقة الموقف ... إنه يريد أن يسلبنى أعز ما أملك .. ولا يفطن إلى فداحة ما يأخذ منى ... نعم .. لقد هالنى انه يريد ذلك ببساطة ... وبغير تفكير .. كأنما هو شيء طبيعى ؛ شأن من اعتاد أن يأخذ كل ما يريد بلا تفكير ولا جهد .. وهو معتاد ذلك ولا شك ... هذا «الباشا» الذى يدخن سيجاره الكبير ويجلس فى ناديه ، وعلى النقود أن تصب فى حساباته الجارية فى البنوك دون أن يحفل كيف تنبعث ولا كيف صنعت .. فهو كما قد

تعلم مساهم فى كل الشركات تقريبا .. إنه من أولئك المدرجة أسماؤهم فى تلك القائمة الخاصة التى توزع فيما بينها أسهم كل شركة مضمونة الربح قبل أن تعرض النفاية القليلة على الجمهور ، ذراً للرماد فى العيون ... إنك لا شك سمعت عن هذا النوع ...

الشاب : من رجال الأعمال ...

خيريه نعم ... كما يقولون ... هؤلاء الذين يأخذون المال من الأعمال .. ويتركون للآخرين الأعمال بغير المال ...

الشاب : مثل صاحب مكتبتى ...

خيرية : أرجوك ... لا تفكر الآن فى أمرك ... أصغ إلى مصيبتى أنا ... فهى أفدح من مصيبتك .. إن ذاك الذى يشترى عرقك بدراهم .. ليس مثل الذى يشترى عرضى ، مهما يكن الثمن .. إن هذا الباشا الذى أدعوه أبى ... لا يريد أن يفهم خطورة ما يريد .. لقد جعل يبذل لى من الهدايا ما أدهش والدتى ، ما من أسبوع يمر دون أن يقدم لى حلية من ماس أو لؤلؤ حتى امتلأت خزانة زينتى هذه بالجواهر وينظر الشاب إلى هذه الخزانة مليًّا ، إن قاموس هذا الرجل لا يحوى غير كلمة واحدة : النقود .. ذلك أنه لا يطالع فى الدنيا غير وجهها وحدها .. فيها يتنفس ويعيش ويبطش . ليس أخطر من إنسان لا يدرك أن فى الحياة قيما أنفس من المال وأسمى ... لذلك عجزت عن أن أفهمه لغتى .

الشاب : إنها عين العقلية عند هؤلاء جميعاً .. إن الذهب ليس فقط نوعا من المعادن النفيسة ، ولكنه أيضاً نوع من المعادن السامة ، قاتل لكثير من الفضائل الإنسانية ... إنى مقدر للخطر الذى أنت فيه وأخشى أن يكون الأمر قد ...

خيرية : لا ... لم يقع شيء بعد ... إنى أدافع عن نفسى دفاع المستميت ... ولكن هجومه شديد ... كان الأمر يسيراً علىّ يوم كان يكتفى بمغازلنى فى اللهو نهاراً أو فى ظلام السينما . ولكنه تجرأ منذ أيام على اقتحام حجرتى فى الليل بعد أن تنام والدتى والخدم ...

الشاب : ألم تخبرى والدتك ؟ ...

خيرية : كيف تريد أن أخبر هذه المسكينة ؟ إنها تهيم به حباً . أى فاجعة تصيبها لو علمت ... ثم هى وحيدة فقيرة لا عائل لها غيره وهنا موضع ضعفى الذى يستغله هذا الرجل عندما طرق بابى فى الليل أول مرة ... همس راجياً أن أفتح له لأمر ضه فقد زعم أنه أصيب ببرد فى الكلى .. ويريد شراباساخنا ولا يود إزعاج والدتى فلم يسعنى إلا أن أفتح له ، فدخل يبسم ويلثم يدى . ويضع فى معصمى سواراً فاخراً .. فأطرقت شاحبة مرتجفة وزجرته برفق واحتلت عليه حتى خرج ... لكنه كرر هذا العمل بعد ذلك ، فرفضت عندئذ أن أفتح له الباب وهنا بدأ يتوعد ويتهدد بأنه سيوقظ أهل المنزل ويجعلها فضيحة ويطلق والدتى . فهو وحده الذى يستطيع أن يبطش بها ويطردها ويشردها وأنا وحدى ، كما يقول ، التى أستطيع أن أشتريها وأنقذها وأدرأعنها وأحميها ، ففتحت له وجعلت أتضرع إليه وأبكى بين يديه ولكنه ما كان يذعن وينصرف إلاّ على وعد بالرجوع فى ليلة أخرى ... وعلى أمل بأن يظفر يوماً بما يسميه الرضا والوصال . تلك حالى ماذا أصنع ؟ ... أخبرنى ... ما من أحد جرؤت على أن أفضى إليه بهذا السر ... انصحنى بما يجب أن أفعل إن مقامى فى هذا البيت أمسى مستحيلا ... وخروجى منه ليس أيضاً بالأمر

اليسير ... فهذا الرجل لا يقبل طبعاً مغادرتى لمنزلى وسكنى عند أهل والدى المرحوم .. وهؤلاء أيضاً ليسوا الآن فى ظروف عائلية تسمح لهم بإيوائى ... ومن المتعذر أن أتزوج فهذا الرجل يرفض ويطرد كل خاطب .. وليتنى تعلمت فى الجامعة أو غيرها ذلك النوع من التعليم الذى أستطيع به اكتساب رزقى فى الحياة . والاستقلال بنفسى . إنى حيرى ، ضعيفة ، مهددة فى شرفها فى كل لحظة .. لا أجد غير هذا المصحف ، ... جئت به لأستمد منه الشجاعة والعزاء ... أطالع فيه كل ليلة آية بعينها : « فإن مع العسر يسراً ... إن مع العسر يسراً » وإنى لأتخذه درعاً كلما دخل على ذلك الرجل ليلا ... أتناوله فى يمينى لأخجله .. وأجعله بينى وبينه سداً يحمينى ... إنى تعسة ... تعسة « تخرج منديلها وتكفكف دموعها » ...

الشاب : لا تبكى يا آنسة ... إن الذى يجب أن يسيل ليس دمعك ... بل دم هذا الشقى ... اصغى إلى جيداً ... تريدين مخرجاً من كارثتك ؟... لا أرى الآن غير حل واحد ...

خيرية : ما هو ؟...

الشاب : هذا الحل الوحيد هو ... أتعدينى أولا أن لا تترددى ؟ ..

خيرية : ما هو ؟...

الشاب : قتل هذا الرجل ... إنه عائد إليك الآن ... سأكمن له خلف هذه الستارة .. فإذا دخل حطمت رأسه بهذا « يلتفت حوله باحثاً فيرى كرسياً » بهذا الكرسى ... ثم خنقته بيدى وقفزت من هذه النافذة حاملا جواهرك ... وبعد ذلك تصيحين « اللص ... اللص » بهذا أبنى أنا لنفسى حياة جديدة ... وتتحررين أنت منه ، وتتنفسين حياة طليقة شريفة ...

خيرية : شريفة !؟... بعد هذا الجرم !؟... أجننت ؟... أيخطر فى بالك أنى أوافقك على ارتكاب جريمة !؟ وهل تظن أنك بهذا الحل المنكر تسعدنى؟... وقد شقيت أمى بموت الرجل الذى تحبه ؟... ثم أنت؟ .. كيف يسوغ لك ضميرك مثل هذا الفعل الأثيم !؟...

الشاب : لقد رضيت لنفسى أن أكون لصاً . فهل أرفض من أجلك أن أكون قاتلا

خيرية : لا ... لا ... إنك قد زللت بدخولك حجرتى كلص .. وقد كدت أعتقد انك الآن نادم على هذه الزلة ... فلا تفجعنى فى عقيدتى ...

الشاب : أيهمك أن أكون رجلا شريفاً ؟...

خيرية : نعم ...

الشاب : الآن ؟.. وأنت معرضة لهذا الخطر الذى يهدد طهرك ؟...

خيرية : سأدافع عن نفسى ... وأظل أدافع حتى أموت .. ولكن لا ينبغى لك ولالى أن نفقد الشرف دفاعاً عن الشرف ...

الشاب : أنت فتاة غريرة تتغذين بالكلمات ... بينما الآخرون يتغذون بدمائنا..

« يسمع طرق خفيف على الباب ... وصوت الباشا يهمس خيرية ... خيرية ... فترتعد الفتاة . . . »

خيرية : « بصوت مرتفع » انتظر لحظة يا ... بابا ... لحظة « للشاب هامسة » اذهب من النافذة بسرعة ... اذهب ... اذهب ...

الشاب : « همساً » سأبقى ... وسأنفذ مافى رأسى ...

« يجذب الكرسى قرب الستارة ثم يختبىء خلفها »

خيرية : « همسا » أتوسل إليك ... أتوسل إليك أن لا تقدم على هذا الإثم ...

الشاب : « همسا وهو يطل برأسه من خلف الستارة » إذا استفزتنى دناءة هذا الرجل فلن أضبط أعصابى ...

الباشا : « من الخارج » من عندك يا خيرية ؟... أسمع كلاماً فى حجرتك ... افتحى حالا « يدير مقبض الباب » .

خيرية : « تسرع إلى فتح الباب فيدخل الباشا فى روب دى شامبر حريرى » إنى متعبة ... وما كان ينبغى أن أذهب إلى السينما الليلة ... كنت أود أن آوى تواً إلى فراشى .

الباشا : « يتأملها » ومع ذلك لا تزالين بملابس الخروج ... من كنت تحادثين ؟ « يجيل ببصره فى الحجرة » خيل إلىّ أنى سمعتك تخاطبين أحداً .

خيرية : « رابطة الجأش » نعم ... خيل إليك ... أوَ لم تقل إنك عائد ... لم أرد خلع ملابسى انتظاراً لمجيئك .

الباشا : أحقاً ... كنت تنتظريننى أنا ؟ ...

« يجول فى الحجرة منقباً بعينيه . . ويدنو من النافذة المفتوحة ويطل منها . . . . »

خيرية . عمن تبحث ؟ ...

الباشا : الليل ساكن . . . والهواء منعش . . . والشجر فى حديقتنا يهمس ... و ... « يلتفت إليها » وجمالك مغر ... وشبابك يسحر ... ونضارتك تسكر ...

« يجلس إلى الكرسى المجاور للستارة . . . . . . »

خيرية : « تسرع صائحة » لا ... لا تجلس على هذا الكرسى ...

الباشا : لماذا ؟ ...

خيرية : « مخفية ارتباكها » إنه بجوار النافذة وبرد الليل مضر لمن فى سنك ...

الباشا : إنى لست مسناً متهدماً يا عزيزتى خيرية ... ومع ذلك أشكر لك هذا الحرص على صحتى « ينهض من الكرسى ويجلس على المقعد

الـكبير وظهره للستارة » ما دامت صحتى تهمك ... فأنا إذن أهمك .

خيرية : « بفتور » طبعاً ...

الباشا : هذا تقدم كبير ياخيرية ، لقد بدأ العقل يهديك ..وبدأت تقدرين حبى ، وتدركين أن صدك لامعنى له ...وأن صداقتى خير لك وأبقى . اعترفى أنك كنت مخطئة يوم أظهرت لى بعض النفور ...

خيرية : إنى لا أنفر منك يا بابا ... ولـكن ...

الباشا : بابا ؟... أتلفظينها عمداً ؟... نبهتك كثيراً إلى أن هذه الكلمة تجرح إحساسى ... تريدين إيهامى أيتها الخبيثة أنى لا أصلح لك حبيباً ...

خيرية : أرجوك أن لاتتفوه بهذا الكلام المعيب الشائن المخجل البذىء ...

الباشا : حياؤك ؟ ما أجمل احمرار خديك وأنت تقولين لى ذلك ..حياء العذارى يزيدك فتنة وإغراء ويزيد قلبى هياماً .. «خيرية» عثرت لك على بروش من الماس «يخرجه من جيب الروب» مبتكر الصياغة .لم يوضع مثله على صدر امرأة ... إنه يمثل شق القمر «ينهض ويدنو من خيرية» دعينى أضعه يستمد الحرارة من هاتين الشمسين الطالعتين فى هذا الصدر ...

« يمد يده إلى صدرها . . . . »

خيرية : « صائحة » لا تلمسنى « الستارة تهتز قليلا » .

الباشا : لا تصيحى هكذا ... أتريدين أن توقظى والدتك والخدم ؟..

خيرية : اخرج ..

الباشا : ما هذا الارتجاف فى صوتك ! ؟ ... إنكِ خائفة منى ...

خيرية : إنك لا ترى نفسك .. إن ماتأتيه لبشع ...

الباشا : أتعودين؟... لقد مضى الحديث فى ذلك كما تعلمين . إنك لن تصدى عنك

غرامى بآرائك الصبيانية ... لقد صبرت أكثر مما ينبغى وما احتمل.. لقد كنت ضعيفاً أمام تمنعك وتعللك ... وكنت أغادرك فى كل مرة خائبا فارغا ... حتى ولا قبلة صغيرة أنا لها منك ... أقسم لك أنى ان أتركك الليلة حتى أنال ...

خيرية : تنال من شرفى !!! ...

الباشا : عدنا إلى هذه الكلمات التى تعكر الجو .. خيرية .. أنت تعرفين جوانب فى ذلك .. أنا عندى أيضاً كلماتى المعكرة وإذا كنت تحرصين على سعادة أمك

خيرية : أعرف سلاحك الدنىء ...

الباشا : ماذا تقولين ! ... لا يعنينى أن أسمع ... ما من شىء يخرج من شفتيك الرطبتين يسيئنى أو يؤلمنى ... أيتها النحلة المحبوبة ، الذعى ماشئت .. فإن الذى يهمنى هو عسل فمك !! ...

خيرية : أنت يامن لا تعرف غير لغة الأخذ والشراء ... أريد أن أشترى منك طهرى ... ماذا تطلب منى فى مقابله ... كم أدفع لك فيه ؟ ...

الباشا : أنا الذى أدفع فى قبلة منك كل مال الأرض يا خيرية ... أرجوك ألا تسمى الأشياء بغير أسمائها ... أهنالك اليوم فتاة تتحدث هكذا عندما تجد الغرام ... إنى لست غراً ... رجل حنكته الدنيا ... إذا رفضت حبى فمعناه أنك تحبين آخر ...

خيرية : آخر !؟ ...

الباشا : نعم ... رجل آخر لا تكرهين أن تمنحيه فمك ... فمن هو إذن حبيبك الآخر الحقيق أيتها الماكرة ...

خيرية : ليس لى حبيب ...

الباشا : أنا إذن حبيبك ...لأن هذا الهيكل البديع ... لابد له من عابد يحرق البخور وينثر العطور .. خيرية ... هذا القمر الماسى لم يزل فى يدى مظلما معتما ... دعينى أجعله يضىء فى صدرك ...

« يمد يده بالمشبك الماسى إلى صدرها . . . . . . »

خيرية : ابعد عنى أيها الرجل ... لا تلمسنى ...

« الستارة تهتز بعنف . . . . »

الباشا : كل فتاة قالت هكذا ... وهكذا فى أول الأمر صاحت ... وكان لا بد أن تؤخذ منها القبلات غصباً ... لن يروعنى صدك ...أنت لى ياخيرية ... لن تهربى الليلة من ذراعى ...

« يهجم عليها ليضمها فتدفعه عنها وتبرز عندئذ يد الشاب من خلف الستارة لتناول الكرسى القريب ... »

خيرية : « تلمح الستارة ويد الشاب فتصيح » لا ... لا ... لاتفعل .. لا تفعل ..

الباشا : لا تصيحى هكذا ... ستوقظين البيت ...

خيرية : لا تفعل .. من أجلى ... من أجلى ...

الباشا : «متعجباً» من أجلك ؟ .. ماذا تقصدين ؟ ... لماذا تنظرين إلى جهة النافذة

خيرية : « حاضرة البديهة » التى بنفسى منها ... إذا فعلت أنتحر ... أسامعنى أنت ؟ ... إياك ... إياك ..

الباشا : « مصغياً إلى ناحية الباب » أسمع صوتاً يقترب ...

« صوت الأم فى الخارج تصيح . . . . »

الأم : « من الخارج » خيرية ... أتصرخين ... ماذا بك ؟ ...

الباشا : « هامسا بسرعة » تصنَّعى المرض ياخيرية ... بسرعة ... رأفة بأمك ...

« خيرية تضطجع على فراشها سريعاً . . . . . . »

الأم : « تدخل ، ماذا جرى « تنقل بصرها بين ابنتها وزوجها »

الباشا : يظهر أنها أصيبت ببرد وهى فى السينما ... برد فى الكلى .. وقد تنبهت أنا فبادرت إليها ... ولم نشأ إزعاجك ...

الأم : «لزوجها» اشكر لك اهتمامك بها « لابنتها » أتشعرين بألم ياخيرية ...

خيرية : لا ياماما ... لقد زال الآن كل ألم ... إنه ليس بردا فى الكلى كما حسبنا إنها مجرد وخزة بسيطة عابرة فى جنبي وانصرفت ...

الأم : هل أحضر لك شرابا ساخنا ...

خيرية : لا لزوم ياماما .. لا أشعر الآن بشيء .. كل ما أحتاج اليه هو النوم والراحة

الأم : لم تخلعى ملابسك بعد ... هل أساعدك على خلعها ؟..

خيرية : أشكرك ياماما ... سأخلعها بنفسى الآن ...

الباشا : دعيها تستريح .. فلندعها لتستريح .. هلمى بنا يأخذ يد زوجته ليخرجا معا»

الأم : « تسحب يدها منه برفق » سأتبعك بعد قليل . عد أنت إلى فراشك ..

الباشا : « وهو يخرج » لا تطيلى المكث هنا وهى متعبة .. إنها كما ترين فى حاجة إلى الراحة « يخرج » ...

الأم : « لابنتها » ألا تحتاجين إلى فى شيء ياخيرية ؟...

خيرية : لا ياأماه .. اذهبي إلى فراشك أنت أيضا ..

الأم : « ترى المشبك وتتناوله » ماهذا البروش الملقى بجوارك ... هو طبعا الذى أهداه إليك ؟ ...

خيرية : نعم ...

الأم : الليلة ؟... نعم لا بد أن يكون الليلة ... لأنى لم أره من قبل ...

خيرية : نعم ... الليلة ...

الأم : «تضعه بجوار ابنتها» مبروك .. لديك الآن ثروة من جواهره ياخيرية

خيرية : نعم ...

الأم : ما كنت أتصور يوما ان يتفتح قلبه لك على هذا النحو ...

خيرية : « تنظر إلى أمها مليا » ماذا تقصدين ؟...

الأم : إنك لاشك تشعرين بمقدار عنايته بك ياخيرية ...

خيرية : نعم .. إنه شديد العناية بى ...

الأم : ألاحظ ذلك ... وها هوذا نفسه يبادر إليك فى جوف الليل ليسهر على راحتك ...

خيرية : إنى ماأردت قط أن يهتم بى ذلك الاهتمام ...

الأم : أهذا شعورك حقاً ؟...

خيرية : أراك لاتصدقين ... ماعدت تصدقين ابنتك التى لم ترزقى غيرها ... ولكنى أقسم لك يا أماه ... أقسم لك أن هذا شعورى حقا ...

الام : يدهشنى ذلك منك ياخيرية كم أتعذب بسببك ...

خيرية : « تمسك بيد أمها » أعرف ياأماه ... أعرف ... ولو علمت كم أتحمل أنا من أجلك .. إن سعادتك ياماما هى وحدها التى تلهمنى الصبر وتدفعنى إلى الرضا صامتة بما أنا فيه ...

الام : بما أنت فيه ؟؟... ماذا أسمع منك ياخيرية ... أنت حقا إلى هذا الحد لست سعيدة هنا ...

خيرية : سعيدة بجوارك أنت وحدك ...

الام : يالنكران الجميل .. ماذا كنت تطمعين فى أن يصنع لك كى يرضيك ... ألا يكفيك هذه الهدايا التى يغدقها عليك .. بمناسبة وغير مناسبة ...

وهذه النزهات وهذه الملاهى التى يخرجك اليها فى كل آن . وهذا الإغراق فى الإعزاز والتدليل والحنان ، وهذه اللهفة والحماسة والحرارة التى تبدو فى نظراته ونبراته كلما حدثك أو دنا منك ... أو تعلق الأمر بك .. إذا صدق ظنى فأنت معبودته الصغيرة ... أنت شغله الشاغل .. أنت كل ما فى عقله وقلبه وفكره .. « اسمك » هو الكلمة الأولى التى يلفظها عند دخوله البيت ... إن ألذ لحظاته ساعة يجلس إليك إن كل مايسره الآن أن يبقى بجوارك ... وكل ما يسعده أن يلصق بك دائماً ... ولا يفارقك أبداً ... إنه لمن الواضح يا خيرية أنك الآن كل شىء فى حياته ...

خيرية : « تنظر إلى أمها طويلا لتستشف ما وراء كلامها » وأنت يا ماما ؟... أراضية بهذا ؟ ...

الأم : ماذا تقصدين ؟ ... أنا التى يجب أن ألقى عليك هذا السؤال ؟...

خيرية : لاشىء يرضينى غير سعادتك أنت يا أمى ... هل أنت الآن سعيدة؟ ..

الأم : أرى أنك تكثرين من الحديث فى سعادتى ... لا تشغلى بالك كثيراً بأمرى يا ابنتى .. هنالك أحوال لا يحق فيها الأم أن تفكر فى هنائتها هى ... إنك وحيدة يا خيرية ... ولست أدرى كيف اتصرف نحوك ... وما واجبى حيالك ... ولكنى عظيمة الثقة بالله ... وبشجاعتك .. إن الحياة يا ابنتى لتضعنا أحياناً فى ظروف لا يستطيع غير الله وحده أن يجد لها مخرجاً ... لقد وضعت أمرك فى يد الله ... وهو خير مصرف للأمور ... نامى الآن يا خيرية ... بملء جفنيك ... وأريحى نفسك وفكرك .. أتركك فى حمى الله ... تصبحين على خير ...

« تقبلها وتخرج وتغلق الباب خلفها ... وعندئذ تقفز خيرية من مضجعها ويبرز الشاب من خلف الستارة ... »

خيرية : « للشاب » سمعت حديثها ؟ ...

الشاب : نعم ... ولم أفهم منه شيئاً ...

خيرية : ولا أنا ... إن موقف والدتى ما زال شديد الغموض .. لم استشف منها بعد إذا كانت تعرف أو تجهل ...

الشاب : يبدو لى أنها تجهل وأنها تحسب اهتمام هذا الوغد بك عطفا أبوياً ...

خيرية : اتظن ذلك... أخشى أن تكون عارفة وتتجاهل ببراعة ... ولم لا تقول إن هذه الأم المسكينة تعرف .. ولكنها لا تدرى كيف تتصرف ! ... وهى تخاف أن تثيرهـ فى هذا البيت عاصفة تنتهى بجرفنا جميعاً ... وفضيحتنا الشاملة فى المجتمع .. إنى أعرف والدتى .. سيدة متدينة .. شديدة الإيمان بالله ... وقد ورثت ذلك عنها .. نعم ... ربما آثرت إخفاء شعورها عن الجميع ... وترك الامر لتدبير المولى وحده ...

الشاب : دعينا الآن من علمها بالحقيقة أوجهلها .. مهما يكن من أمرها فإن عليك أنت اليوم أن تحددى موقفك ... وأن تقررى شيئاً ...

خيرية : لست أرى غير شىء واحد ... أن وجودى فى هذا البيت أمسى متعذراً .. إن شجاعتى لن تخوننى ... ولكنى أخشى لؤم هذا الرجل وجرأته على سلوك كل سبيل دنىء ... كفاحى ضد مآربه الآثمة يجب أن يوضع له حد .. وشكوكى فى أمر أمى التى قد تكون ملاحظة لكل شىء وتعيش صامتة تتعذب ، يجب أن يوضع لها حد ... ما رأيك أنت ؟ ...

الشاب : لقد رأيت لك الحل .. ولكنك نزعت وصحت بى صيحة دهتنى ومنعتنى من التنفيذ ...

خيرية : آه ... لا تذكرنى ... عندما مددت يدك إلى الكرسى لترتكب جريمتك

شعرت كأن روحي تسقط في الجحيم ...

الشاب : وأنا عندما لمحت من خلف الستارة يد ذلك الرجل تمتد إلى صدرك ... شعرت كأن نيران الجحيم كلها تأكل قلبي .. وأن دم هذا الرجل حلال كدم كافر يلقى الدنس على أعتاب حرم مقدس ...

خيرية : أعتاب حرم مقدس ! ياله من تشبيه . يسرني أن أتلقى منك هذا التشجيع

الشاب : العفو : أعترف أنه أمر مضحك حقا أن تتلقى ذلك التشجيع مني ... أنا الذي ما تشرفت بزيارتك إلا من هذه النافذة ... ولكن ثقي ، على الرغم من كل شيء اني رجل بدأ يحس الآن الطهر يدب في روحه كأنه خمر ما كنت أظن الفضيلة تعدى كالمرض بهذه السرعة ...

خيرية : انك لم تكن يوماً ، فيما أعتقد ، روحاً شريراً ... ولكن الغضب أضلك وظلم الأقوياء أعماك ، والرأى الفاسد أغواك ... فأشرفت على الزلل ...

الشاب : « بعد تفكير كالمخاطب نفسه » كانت بالفعل زلة ... يداخلني احساس غريب أني لا بد دافع ثمنها يوماً ...

خيرية : إنس كل شيء الآن ... وتذكر فقط اني أنقذتك في الوقت المناسب ... وأن عليك أن تنقذني أنت بدورك ...

الشاب : هل تمكنينني حقا من إنقاذك ؟ ... هل تصغين إلى نصيحتي هذه المرة وتنفذين ما قام برأسي الآن ؟ ...

خيرية : ماذا قام برأسك الآن ؟ ...

الشاب : قبل كل شيء اسمحي لي أن ألقي عليك سؤالا ... هل تثقين بي ؟ ...

خيرية : « تنظر إليه مليا » لست أدري ... لكن إذا استمعت إلى صوت شعوري الداخلي فإني أستطيع أن أثق بك ...

الشاب : ضمى أمتعتك فى حقيبة ... واتبعينى ...

خيرية : إلى أين ؟...

الشاب : إلى حيث تعيش والدتى . إنهـــا تعيش الآن بعد وفاة أبي مع أسرة أخى الأكبر ... إنه موظف ، وتقطن مع زوجته وأولاده فى حى السيدة زينب ...

خيرية : أتظن هذا حلا أن أعيش عالة على أسرة أخيك ...

الشاب : مؤقتا حتى نبحث لك عن عمل ...

خيرية : نعم ... أريد أن أعمل .. وأن أحيا من عرق جبينى ...

الشاب : أعرف ذلك ... وأطالع أفكارك ... لاننا نلتقى فى آراء كثيرة ... ونشترك فى ظروف متشابهة . لست أدرى هل تصدقيننى إذا قلت لك . إنه قد تبين لى الآن أن لا أمل لأمثالنا ... أنا وأنت .. إلا فى العمل الشريف لنعيش

خيرية : نعم ... الشريف ...

الشاب : تجيدين بالطبع لغة أجنبيه .. إذن من السهل أن تعملى كبائعة فى محل تجارى ...

خيرية : أفضل العمل فى مكتبة ...

الشاب : انت ايضا ؟ أرأيت إلى أى حد نتحد فى الاتجاه والميول ... لقد يسرت مهمتى .. هذا ميدان أعرفه ... ولن يشق علىّ أن أجد لك وظيفة بائعة أو صرافة فى مكتبة .. ولكن لن تكون بالطبع فى حى سيدنا الحسين .

خيرية : فى أى حى شئت ...

الشاب : «مازحا» لو كنت سمحت لى بسرقة جوهرة واحدة من جواهرك التى فى هذه الخزانة ... لأنشأت انا المكتبة ... ووضعتك أنت موظفة بالمحل

خيرية : حذار أن تمس شيئاً مما فى هذه الحجرة . يجب أن نترك لهذا الرجل كل جواهره وهداياه . لن أحمل معى غير ملابسى الخاصة الضرورية .

الشاب : « جاداً » هذا حقاً ما ينبغى أن نفعله ...

خيرية : يسرنى أنك طرحت أفكارك القديمة ... ونبذت مشروعاتك السابقة ... آه ياصديقى ... لقد قلتها أنت الساعة ... لن تكون سعادتنا ... وأنت وأنا وأمثالنا ... من أصحاب النفوس الرفيعة ... إلا فى الخبز الشريف والعرق الطاهر ... ثق ياصديقى انه ليس ألذ طعماً فى الوجود كله من كسرة خبز اكتسبت بشرف ...

الشاب : يا « صديقى » ... تقولين لى « ياصديقى » ما أسعدنى بهذه الكلمة ...

خيرية : ولم لا ... أو لسنا من نفس النوع والروح والطبقة ...

الشاب : هلمى بنا إذن ... إلى حقيبتك ...

خيرية : « بتردد » الآن ... معك ؟... نخرج معاً ...

الشاب : نعم ... معى لكن انتظرى ... أنت على صواب ... لدى اقتراح ، سخيف بلا شك ... أو جرىء ... أو فيه تطاول عليك ...

خيرية : قل ولا تخف ...

الشاب : لا . لن أقول . إنى ولا شك جننت نعم ... كل ما فعلت ورأيت وسمعت فى هذه الليلة الغريبة ، كان عجيباً وسريعاً ومفاجئاً إلى حد عطل فى رأسى كل أداة للتفكير ... ما أنا الآن إلا إنسان لا يصلح إلا للإقدام على الأشياء الجنونية . حقاً ... لم يعد بينى وبين مستشفى المجاذيب غير خطوة .

خيرية : قل كل ما يجول فى خاطرك ...

الشاب : حتى وإن كان لا يقبله العقل الصحيح ولا الذوق السليم ؟ ...

خيرية : نعم ....

الشاب : يجول فى خاطرى ... انى .. لو لم أكن هكذا بائساً مضبوطا متلبساً بالشروع فى سرقتك ، لكنت رأيت أن أتقدم إليك بطلب .. يدك .

خيرية : طلب يدى ؟ ...

الشاب : لأحمى سمعتك .. وأكافح من أجلك ، ومعك ... بذلك لا تتعرضين لألسنة السوء وأنا أخرج إلى جانبك فى الحياة الواسعة ... ولكنى أسترد فى الحال هذا الاقتراح الجنونى ... وألتمس منك المغفرة على هذا التهجم المهين ... إنه لمن سوء الأدب أن أتجاهل الفارق الذى بيننا ...

خيرية : حقا ... إنه لفارق كبير ...

الشاب : «خجلا» نعم .. لم أفقد بعد كل الوعى والبصر حتى لا أراه ..

خيرية : من حيث الأسرة ... كان المرحوم والدى موظفاً فى الحكومة متوسط الحال ...

الشاب : «دهشاً» كالمرحوم والدى تقريباً ...

خيرية : من حيث الدراسة .. لم أذهب إلى الجامعة ولم أنل دبلوماً عالياً ...

الشاب : أما أنا فذهبت ... وكدت أظفر بهذا الدبلوم ...

خيرية : ومن حيث الأخلاق ... فأنا لم تزل بى القدم .. ولم يضلنى اليأس ... ولم يذهب عنى الإيمان لحظة بقيمة المبادىء الفاضلة ...

الشاب : أما أنا فمع الأسف ...

خيرية : هذا هو الفارق الوحيد الذى بيننا ...

الشاب : «بتأثر صادق» صديقتى .. ائذنى لى فى أن أناديك باسمك مرة ... خيرية ... أعاهدك وأقسم لك أنى سأكون مدى حياتى جديرة بك ...

خيرية : أصدقك ...

الشاب : هلمى بنا إذن ... حياتى لك منذ هذه اللحظة ... ضعى ثيابك فى حقيبتك ولنذهب تواً إلى حيّنا ... فنوقظ المأذون لعقد زواجنا ...

خيرية : « تتحرك إلى خزانة الملابس » ساعدنى فى إعداد الحقيبة « وهى تخرج ثيابها » أواثق أنت انى لن أزعج حياتك ... ولن أكون عبئاً على كاهلك

الشاب : « بفرح » واثق انى سأكون شخصاً أسمى وقلباً أنبل ... نسيت أن أطلعك على خبر ... بعد تركى لعملى القديم عرضت مكتبة أخرى أن أعمل فيها بمرتب شهرى عشرة جنيهات ... فإذا عملت أنت أيضاً ... فلن يكون مرتبك أقل من ستة جنيها ... أفلا تعتقدين أن فى مقدورنا أن نكون سعداء بستة عشر جنيها ...

خيرية : وأنا نسيت أن أطلعك على خبر ... انى أحسن الطهى بأقل نفقة ... وأجيد تفصيل ثيابى وثيابك وأحذق تنظيم البيت ... انظر ... ألا ترى حجرتى هذه منظمة ... سأجعل بيتك أجمل نظاما ولو كان غرفة فوق سطح ...

الشاب : وسأقتصد أنا فى مصروفى .. فأنا كما أحب أن تعلمى . لا أدخن ولا أجلس فى مقهى ... لقد كان عملى مستغرقاً كل وقتى ... انى شاب مستقيم ... وما أوفره من مصروفى أستطيع به أن أدعوك إلى السينما مرة كل شهر ...

خيرية : كل شهرين لا تكن زوجا مسرفا متلافا . تعلم الاعتدال وإلا اضطررت إلى تعليمك كيف تعيش بحكمة ... هنالك أنواع من النزهة فى الهواء الطلق لا تكلف قرشاً ... دعنى أدبر كل ذلك والآن افتح لى الحقيبة من فضلك ... ولا تقف هكذا مكتوف اليدين « يسرع هو إلى الحقيبة » لا تنتظر منى تدليلا فى كل وقت ... اسرع ... يا ... عجبا ...

ماأسمك ؟... كل شيء تحدثنا فيه ... وبحثناه وديرناه ... إلاشيئاً واحداً نسيت أن أعرفه منك ... اسمك !...

الشاب : خير لك أن تعرفي نفسي قبل أن تعرفي اسمي ... وان كان عكس ذلك هو الذي يحدث عادة بين الناس ... اسمي يا خيرية ... لا بريق فيه ولا رنين ... « حامد حمدى حسنين » ...

خيرية : إنه عندى ذو بريق ... ما الإسم للنفس إلا كالزجاج للسرجة ، يضيء بضوئها ... هلم بنا يا « حامد » لاأحسب انى نسيت شيئا مما احتاج اليه ... بل انتظر ... ناولني هذا المصحف ...

حامد : « يسرع إلى المصحف ويناوله إياها » أول شيء لمسته يدى فى حجرتك

خيرية : « حاملة المصحف فى يدها ... تعبر رأسها فكرة » حامد !...

حامد : ماذا بك ياخيرية ؟...

خيرية : الآن ... وأنا أحمل هذا الكتاب المطهر تذكرت شخصاً ... أمى ... كيف أخرج الساعة معك .. واتركها هكذا نهباً للهواجس ؟... لا ... لابد أن أمكث الليلة فى هذا المنزل ... فإذا طلع النهار حاولت أن ألمح لوالدتى أو أصرح لها بعزمى على الاستقلال بحياتى ... يجب يا حامد أن أمهد الأمر هنا قبل الرحيل .. حتى تستطيع أمى أن تواجه على الأقل من يسألها عن غيبتى ...

حامد : اترين ذلك ...

خيرية : وأنت ؟... ألست ترى اننى على صواب فى هذا ؟...

حامد : هذا هو المعقول حقيقة ... لابد أن تطلعى والدتك على ما انتويت أمازوجها فحذار أن يعلم ... تستطيع والدتك أن تخترع حجة مقبولة .

فتقول له مثلا بعد ذهابك ... أنك فى ضيافة أهل أبيك ...

خيريه : هذا ما سأصنع ...

حامد : أتركك الآن أذن يا خيرية ... لكن ... كيف القاك غدا ؟ ...

خيرية : تعال قبيل الظهر فى غيبة ذلك الرجل ... من الباب الكبير طبعاً ... وقل للخدم « بائع الكتب » ...

حامد : إلى الغد إذن يا خيرية ... ولا تنسى أنى خطيبك أمام الله ...

خيرية : لن أنسى ذلك أبداً ...

« يتناول يدها ويقبلها باجلال ... ثم يتجه إلى النافذة »

خيرية : ما ذا تفعل ؟ ... اتخرج من هنا ؟ ...

حامد : كيف أخرج إذن ؟ ...

خيرية : من الباب ياعزيزى ... لاينبغى لخطيبى أن يتسلق النوافذ بعد اليوم ... اتبعنى وأنا أخرج بك بلاجلبة من باب البيت ...

« تقوده وتخرج به من الحجرة ... ويخلو المكان ... ويسمع فى الخارج صوت باب خارجى يفتح ... ولا تمر لحظة حتى يدخل الباشا الحجرة شبه راكض يبحث بعينيه فى أرجائها ... ثم يسرع إلى النافذة يطل منها »

خيرية : « تدخل وتبغت لوجود الباشا » ماذا تفعل هنا ؟ ...

الباشا : «يستدير» وأنت أين كنت ومن الذى خرج الساعة من الباب الخارجى

خيرية : « متهربة » أتريد أن توقظ ماما مرة أخرى ؟ ...

الباشا : « بحدة » أجيبى على سؤالى ... من كان هنا معك ؟ ... ومع ذلك لاحاجة بى اليك لأعرف سرّك ... « يحدق ببصره من النافذة » أرى شبح رجل يتخبط فى الحديقة كلص ... عشيقك بالطبع ...

خيرية : خسئت أيها ... أيها الظالم ...

الباشا : « يترك النافذة والحجرة ويهرع إلى الخارج صائحا » اللص ... إلى اللص ... إلى اللص ..

« ويسمع الباب الخارجى يفتح ... ولا تمضى لحظة حتى يدوى طلق نارى فى الحديقة ثم ضجة أهل المنزل وهم يهبون صائحين لاغطين . . . . »

خيرية : « تسرع إلى النافذة » يا ربى ... يا ربى ... رحمتك بى و ... به

« تحدق فى الحديقة المظلمة وفجأة تسمع صوتا هامساً »

حامد : « يهمس من الحديقة تحت النافذة » خيرية ! ...

خيرية : « تطل عليه هامسة » أنت ؟ ... تزحف إلى نافذتى ...

« تظهر بعد قليل يداه تتسلقان النافذه ... ثم يبدو رأس حامد وهو شاحب الوجه . . . . . . »

حامد : « بصوت هامس متمزق » لا تغضبى يا خيرية .. هذه آخر مرة أتسلقها ... لأراك ...

خيرية : « جزعة ملهوفه » حامد ... ما هذا الدم فى صدرك ؟ ...

حامد : « منتزعا ابتسامة » قتلنى ... ولكنى ... دفعت ... ثمن ... زلتى ...

« تترك يدا النافذة ويسقط جثة فى الحديقة ... »

خيرية : « تضع كفها على عينيها وتبقى بلا حراك ... ثم تقع بلا حراك ... ثم تقع متهالكة على المقعد الكبير هامسة » رباه ... ما أبهظ الثمن الذى ندفعه نحن ... لنكون شرفاء ...

(ستار)

الفصل الثاني

« بهو منزل الباشا ... سلم كبير يؤدى إلى الطابق الثانى ... أبواب جانبية تؤدى إلى حجرات . . . وباب كبير يؤدى إلى الحديقة وهو مدخل الفيلا . . . رياش فاخرة ... وتليفون فوق منضدة ...

« خيرية واقفة بقرب باب حجرة مغلقة وهى فى قلق تتسمع ... بينما الباشا يوافيها كاظماً مايجيش فى نفسه ... »

الباشا : « فى سخرية خفية » إنه لم يزل على قيد الحياة ! ...

خيرية : « هامسة من بين أسنانها » أيها القاتل ...

الباشا : لم أقتله ... لقد رأيت وجهه ... وهم يدخلون به الساعة من الحديقة إلى هذه الحجرة ... ما هو بوجه شخص سيموت ...

خيرية : سنعرف الحقيقة عندما يخرج الطبيب من الحجرة ...

« تلتفت إلى باب الحجرة كالمترقبة . . . . . »

الباشا : ياله من اهتمام رائع ... من غادة بلص ...

خيرية : إنه ليس لصاً ...

الباشا : بائع كتب ! ... جاء يعرض كتبه المحشوة بالعلوم والمعارف والفلسفة والحكم والأدب ... فى الهزيع الأخير من الليل ...

خيرية : ليس هذا وقت السخرية منه ...

الباشا : ربما ... ولكنه على كل حال وقت التحرى عن شخصيته البارزة ... وعن موقفه الشريف ...

« يتجه إلى آلة التليفون . . . . »

خيرية : « تهرع إليه فى جزع » ماذا أنت صانع ؟ ...

الباشا : « ويده تمتد إلى السماعة » أبلغ البوليس ! ...

خيرية : « تمسك بيده مرتاعة » البوليس !؟ ...

« تظهر الأم تهبط السلم وفى يدها لفافة . . . . . »

الأم : هذا كل ماوجدت الآن عندنا من قطن طبى ... أيكفى هذا ياخيرية ؟...

خيرية : « وهى شاردة » اسألى الدكتور يا ماما ...

الأم : « تلمح السماعة فى يد الباشا » من تريد أن تخاطب بالتليفون ؟ ...

الباشا : البوليس ...

الأم : « وقد لمحت خيرية وهى تجذب يده » ولماذا تمنعينه ياخيرية ؟ ...

خيرية : اقترحت عليه أن يتمهل حتى نتحقق من مدى الإصابه ...

الأم : « للباشا » الحق معها يامحمود ... ما الداعى إلى العجلة .. ربما كانت الإصابة خفيفة وأمكن تسوية الموضوع بغير حاجة إلى إثارة ضجة ...

الباشا : تسوية « الموضوع » بالنسبة إلى من !؟ ...

الأم : بالنسبة إلى الجميع ...

الباشا : « يلتفت بعينيه إلى خيرية » لمصلحة من ؟ ...

خيرية : لمصلحتك أنت .. لا تنس أنك أطلقت الرصاص على هذا الشخص ...

الباشا : القانون يعطينى هذا الحق ...

خيرية : إذا استطعت أن تثبت أنه جاء بقصد السرقة ...

الباشا : هو الذى عليه أن يثبت ذلك القصد الكريم ، الذى أدخله هذا البيت فى هذه الساعة المتأخرة ! ...

خيرية : « بنبرة ذات معنى خفى رداً على نبرته ذات المغزى الخفى » ... قد لا يجد

صعوبة فى إثبات ذلك ...

الباشا : هناك جهة وظيفتها تحرّى المقاصد النبيلة ، وتقصى الأغراض السامية ، هذه الجهة يسمونها « البوليس والنيابة » ! ...

« يتجه إلى آلة التليفون . . . . »

خيرية : « فى رعدة » وما وجه الإسراع يا بابا ؟ ...

الباشا : وما وجه الابطاء ...

الأم : خيريه حريصة على سمعتك ... يا باشا ...

الباشا : « بنبرة ذات مغزى وعيناه إلى خيرية » سمعتى أنا؟ ...

الأم : إنها لا تريد لك أن تقف أمام البوليس موقف السؤال ... على أى شكل من الأشكال ...

الباشا : عواطف رقيقة ... فلتطمئن عزيزتى خيرية ... إن موقفى أمام البوليس هو موقف صاحب القضية الذى يريد ويشكو ويتهم ...

خيرية : تشكو ماذا ؟ ... هل سرق منك شيء ؟ ...

الباشا : أكان يجب أن أنتظر حتى ترتكب الجريمة ؟ ... يكفى أن أضبط فى بيتى اللص ...

خيرية : إنك لم تضبط فى بيتك لصا ... ولكنك أطلقت النار على شخص يمشى فى الحديقة ... !

الباشا : فى الحديقة ؟ ... بالعواطف الرقيقة ! ... لعله أيضاً شاعر ... يمشى يترنم فى الحديقة وينشد فى ضوء القمر ... ولو أننا فى أواخر الشهر العربى ولكن هذا لا يهم ... فقمر الشاعر لا يضىء حسب الشهور الهجرية أو النتيجة الرسمية .. ولكنه يراه حسب مواعيد أخرى ... إنك يا خيرية تغلفين

الحقائق فى ثياب من الحرير الناعم ... ما أسعد حظ ذلك الذى تتولين عنه الدفاع ...

خيرية : «فى حيرة تنظر إلى أمها ثم إليه» لست أتولى دفاعاً عن أحد ... ولكنى أرى هذا الحادث لا يستوجب منك كل هذا الجد والعنف...

الأم : حقاً يا محمود ... رجل وجد فى الحديقة ... ماذا كان عليك لو أخذت الأمر باللين والتؤدة ... ولم تلجأ إلى القوة وإطلاق النار ... عهدى بك راجح العقل ... واسع الحيلة ... كثير الاتزان ... ما الذى دفعك إلى هذا التصرف العنيف ؟ ...

الباشا : أتستطيعين أن تجيبى .. ياخيرية ؟! ...

خيرية : لعله الوهم ... لقد تخيلت شيئاً لا وجود له ...

الباشا : أرجو ذلك ياخيرية ... وإن كنت أرى من القرائن أن مخاوفى كانت فى موضعها ...

خيرية : لا ينبغى أن تحكم بما يقوم فى رأسك من وهم ...

الباشا : ليس وهما . بل هاهوذا رجل قد وجد . بلحمه ودمه . ماذا تقولين فيه ؟

الأم : كان يجب أن تناديه فى الحديقة أولا ... وأن تسأله ...

الباشا : وأن أقدم له سيجارة ... وأدعوه إلى تناول فنجان من القهوة ... فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ! ...

خيرية : بل تتركه وشأنه ... وعلى البواب والحراس أن يقبضوا عليه ... إذا وجدوا من أمره ما يريب ...

الباشا : آسف إنى لم أدعه يذهب معززاً ... ولم أوصله بنفسى إلى الباب الخارجى مشيعاً بالتجلة والإكرام ... لأستحق بعدئذ تقدير الآنسة خيرية ...

خيرية : لتستحق راحة ضميرك ! ...

الباشا : ضميرى مستريح ... ثق بذلك .. فقد قمت بالواجب الذى تفرضه على كرامتى ! ... وكرامة هذا البيت ! ...

الأم : وهل كرامة هذا البيت يخدشها حادث مثل هذا ؟ ...

الباشا : « يشير لها إلى خيرية » سلى ابنتك ! ...

الأم : لست أفهم ... أفهمت أنت يا خيرية ؟ ...

خيرية : لعله يعتقد أن دخول هذا الرجل فيه اعتداء على كرامة البيت ...

الباشا : « لخيرية بنبرة ذات معنى » وأنت ألا تعتقدين ذلك ؟ ... دخول رجل لا فى الحديقة ... بل فى حجرة داخل هذا البيت ... افرضى أن رجلا دخل حجرتك فى ساعة متأخرة من الليل ... ألا ترين فى ذلك اعتداء على كرامتك ؟ ...

خيرية : « بنبرة ذات مغزى » أترك لك أنت الجواب عن هذا السؤال ! ...

الباشا : « يباغت ولكنه يتمالك » صدقت ... أعرف رأيك ...

خيرية : « فى لهجة ذات معنى » أرجو أن نكون الآن متفقين فى الرأى .

الباشا : « بنفس اللهجة » لاتنسى أن الظروف مختلفة كل الاختلاف ...

خيرية : الظروف واحدة .. لا يوجد اختلاف الا فى وجهة النظر ...

الأم : ما الداعى إلى كل هذا الخلاف بينكما ... هو يرى أن يبلغ ... وأنت لا ترين ذلك .. ربما كان الباشا أدرى بالظروف ياخيرية ... دعيه يفعل مايريد ... ما الذى يهمك أنت من هذا الأمر ...

الباشا : حقا ... سليها هذا السؤال ...

خيرية : « مرتبكة » طبعا ... لاشىء ... ولكن ... ألم نتفق على تأجيل

التبليغ ؟ ... إلى أن نعرف مدى الأصابة ويقول لنا الطبيب شيئاً عن حالة هذا الشخص ، هل سيموت ؟ ... هل سيعيش ؟ ...

الباشا : وما الذى يهمك أنت من هذا الشخص ؟ ... مات أو عاش ؟ ...

الأم : حقا ... ماذا يهمك انت يا خيرية ... لماذا تشغلين بالك بهـــذا الحادث ... فلنضع المسألة فى يد الباشا فهو أخبرمنا بهذه الأمور ..

الباشا : نصيحة ثمينة من أم .. لعلك تصغين إليها ...

« يتجه إلى التليفون . . . . »

الأم : إذا أردت رأيي يا خيرية .. فاذهبي توا إلى فراشك ... فأنت لا تتحملين السهر الطويل ...

خيرية : « تتبع بأنظار قلقة الباشا وهو يضع يده على السماعة فتلفظ صيحة مكتومة » إلهى ...

« عندئذ يفتح باب حجرة جانبية ... ويبرز رأس الطبيب »

الطبيب : « بعجلة » القطن ... من فضلكم ... القطن ...

الأم : « مبادرة إلى الطبيب » معى يادكتور فى يدى . كان يجب أن أسرع به إليك

الطبيب : « وهو يتناول » شكراً ... هل لى أن أطلب معونتك لحظة ...

« تدخل الأم مع الطبيب ويغلق باب الحجرة ... »

خيرية : « تهرع عندئذ إلى الباشا وتضع يدها على التليفون » لن تبلغ البوليس .. أعرف نواياك ... تريد أن تنتقم .. تريد أن تلوث إسم هذا الشاب وتزج به فى السجن ...

الباشا : عشيقك ! ...

خيرية : خسئت ... لا تقل هذه الكلمة ...

الباشا : مخاوفى كانت فى محلها ... ما كنت أرى لصدك معنى ، إلا أن يكون فى حياتك رجل ...

خيرية : ليس فى حياتى رجل ...

الباشا : هذا الشاب ... كيف دخل هنا ؟ ...

خيرية : لست أدرى ... لم أره ساعة جاء ...

الباشا : ولماذا جاء ؟ ...

خيرية : جاء يقترض منى نقوداً ...

الباشا : بعد منتصف الليل ! ...

خيرية : ربما جاء مبكراً .. فلما لم يجدنى انتظر عودتى ...

الباشا : فى الحديقة ؟ ... أو فى ... حجرتك ؟! ...

خيرية : لست أدرى ... أين وجدته أنت ؟ ...

الباشا : سمعتك تخرجينه من هذا الباب ! ...

« يشير إلى باب البهو المؤدى إلى الحديقة . . . . . »

خيرية : سمعت هذا الباب يفتح .. هذا كل ما تستطيع أن تسمع ...

الباشا : ووجدت حجرتك خالية منك ...

خيرية : خرجت أشيعه فى الحديقة ...

الباشا : ووجدت نافذتك مفتوحة . ووجدهو عقب الاصابة، ملقى تحت النافذة !

خيرية : لقد تسلق كى يخبرنى بفعلتك ...

الباشا : روميو يتسلق نافذة جولييت ...

خيرية : لا تسخر من هذا البائع الفقير الذى ألقته المقادير فى يدك ...

الباشا : بائع كتب ... قلت لى أين ؟؟ ...

خيرية : فى مكتبة بحى الأزهر .. اشتريت منها مصحفى ...

الباشا : معرفة وثيقة ... تتيح له تسلق النوافذ ... واقتراض النقود ...

خيرية : إنه شاب بائس ... لو عرفت قصته لرحمته ... ولكن ... أين لقلبك أن يعرف الرحمة بمثله !؟ ...

الباشا : حسبه قلبك أنت ! ...

خيرية : ثق أنى منذ رأيته لأول مرة فى المكتبة ، لم أره قط إلا الليلة ... على غير انتظار ... كانت مفاجأة لى ...

الباشا : مفاجأة سارة تزرى بكل ماعداها . بل كل مفاجأة أخرى إلى جانبها رخيصة !

خيرية : انك تخطىء لو ظننت أن بينى وبينه علاقة سابقة ...

الباشا : العلاقة الحاضرة بينكما تكفينى ... فهى على فرض حداثة عهدها ، بادية النمو ، غائرة الجذور ، دانية الثمار ...

خيرية : لا تبالغ ... لا تبالغ ...

الباشا : دعينى إذن أنتزعها من أصولها ...

خيرية : تنتزع ماذا ؟ ...

الباشا : هذا السدّ الذى يقوم بينى وبينك لا بد من تحطيمه ...

خيرية : إن الغيرة تعميك ...

الباشا : لن يأخذك هذا الشاب منى .. إنى أعرف أين ألقى به ...

خيرية : فى أعماق السجون ...

الباشا : سأتخير له مكاناً يليق به ! ...

خيرية : إنى أمنعك .. لن تستطيع أن تناله بسوء .. لن تمس منه شعرة ... لن تمس منه شعرة ...

الباشا : يا للشرر المتطاير من عينيك . لكأنك هرة تذود عن صغارها . هنيئا له هنيئا له .

خيرية : أراك مقدما على شر ... أرنى ماذا فى مقدورك أن تصنع .

الباشا : تتحدين الآن ؟... أنت تعرفين ما أنا صانع !..

خيرية : ستبلغ البوليس ؟ .

الباشا : « وهو يرفع السماعة » نعم

خيرية : « بعزم » بلغ وأسرع

الباشا : « يلتفت إليها مباغتا » مرحى !... مرحى !... هـذا شىء جديد ... لا تخشين التبليغ الآن .

خيرية : لا ... لأنى أعرف ما سأقول أمام البوليس والنيابة .

الباشا : ماذا ستقولين ؟

خيرية : سأقول ان هذا الشاب لم يدخل بقصد السرقة. بل دخل لأنه خطيبى امام الله.

الباشا : خطيبك أمام الله !

خيرية : أيستطيع القانون أن يدينه فى هذه الحالة ؟

الباشا : أو حدث هذا حقاً ؟ ... أم هى فكرة نيرة لانقاذ الشاب من ورطته ؟

خيرية : فليكن هذا أو ذاك . . . المهم هو أن تصريحى هذا فى التحقيق سيوقعك أنت فى ورطة كبرى .

الباشا : يوقعنى أنا ؟ ؟

خيرية : لقد أطلقت الرصاص على خطيبى ... فعليك أن تثبت أنك لم تقصد إصابته عمداً لغرض فى النفس !

الباشا : غرض فى النفس ... ستقولين بالطبع سر تفاصيله

خيرية : بكل دقة وصراحة ! . .

الباشا : يا لك من ماكرة ... قصيرة النظر . .

خيرية : بل بعيدة النظر ... اعترف أنى بذلك سأثيرها فضيحة فى المجتمع ... تلوث اسمك ، وتقضى على سمعتك ... وتجرفك من فوق مقاعدك العديدة فى مجالس الشركات .

الباشا : خنجر حاد حقاً ... ولكنه سيصيب قلباً آخر ...

خيرية : قلب من ؟

الباشا : قلب أمك .

خيرية : أمى ؟!

الباشا : خنجر ذو حدين . لأن الفضيحة ستكون فضيحتك أنت ، قبل أن تكون فضيحتى... وستفجع أمك فى بنتها وزوجها فى آن ... لست أنت التى تتحدين ... بل أنا الذى أتحدى ... التليفون أمامك ... اطلبى بنفسك البوليس وبلغيه أن خطيبك قد اطلق عليه الرصاص ، وأن الجانى هو محمود باشا نعمان .

خيرية : « هامسة بلا حراك » أمى ! . .

الباشا : ما لك وجمت ! ... أقدمى ... نفذى تهديدك .

خيرية : وأخيرا .. ماذا تنوى أن تصنع بى ؟

الباشا : بك أنت لا شىء ... أنك أعز على من أن أفكر فى اساءتك ... لقد رأيت الساعة كيف كنت أدارى الأمور أما أمك ... حتى لا تفطن إلى مرمى كلامنا ... ألم تفهمى من ذلك أنى حريص عليك . ضنين بك ولكنك دائما سيئة الظن بى ... متى تدركين أنى لك محب مخلص ... وأن مصلحتك فى أن تكونى لى صديقة ... إنى أريدك ياخيرية ... لقد أقسمت على ذلك

ولن يقف أحد ولا شيء فى سبيلى أبدا . وإنى أعنى ما أقول .

خيرية : « تنظر إليه يائسة وتقول كالمخاطبة نفسها » أرى أنك تعنى ما تقول .

الباشا : لا فائدة من مقاومتى ياخيرية .

خيرية : «تطرق مليا مفكرة ... ثم ترفع رأسها » أو مامن طريقة عندك غير البطش بهذا البرىء المسكين .

الباشا : خطيبك أمام الله .

خيرية : « وقد غيرت من لهجتها » يدهشنى كيف ذهبت فطنتك ... ألم تسائل نفسك عن السبب الحقيقى الذى من أجله أدافع عن هذا الرجل وأتمسك به .

الباشا : لأنك تحبينه .

خيرية : فى نصف ساعة ! ؟ أيمكن أن تصدق هذا ؟

الباشا : لأنك تكرهيننى .

خيرية : أكره من يمنحنى قلبه ... ويغمرنى بعطفه وهداياه . ؟

الباشا : ألا تكرهيننى ؟ إنك تحيريننى ... لماذا إذن تدافعين عن هذا الرجل ؟

خيرية : لأن فكرة هبطت على ساعة رأيته الليلة !

الباشا : ما هى هذه الفكرة ؟

خيرية : أن أتزوجه .

الباشا : « بدهشة » تتزوجينه ؟ !

خيرية : من أجلك .

الباشا : من أجلى ! ؟

خيرية : نعم من أجلك ... ألم تفهم قصدى ؟

الباشا : أفهم ... ولكنى ... لا أصدق .

خيرية : لأنك أنت الذى تسىء الظن بى دائما ... إنك على الرغم من خبرتك التى تتحدث عنها ... وحنكتك وتجاربك فى الحياة ، تفوتك أبسط الأشياء . كيف كنت تريد منى أن أبادلك العطف تحت سقف هذا البيت ؟ ... وعلى أى وضع من الأوضاع تطلب ذلك ... لقد نسيت انى فتاة لابدلها من زوج ... أفهمت؟ ... لو كنت تنظم شركاتك هناك كما تنظم أمورك هنا لما شككت فى أنها شركات مخفقة خاسرة ... هل أدركت الآن كيف أنه كان يجدر بك أن تنظم وضعى أولا ، وأن تجعلنى فى إطار اجتماعى مفهوم ، قبل أن تأتى لتطرق بابى وتطلب عطفى .

الباشا : « يتأمل كلامها » معقول . .

خيرية : ما هو الترتيب الذى قمت به أنت فى هذا السبيل ؟ ... لاشىء . كان على أن أفكر فيه أخيراً .

الباشا : ولماذا لم تنبهينى إلى هذا قبل الليلة ؟

خيرية : أتظن حياء المرأة وكبرياءها يسمحان لها فى كل الأحوال بهذه المصارحة؟! إن المرأة تحب دائماأن تشعر أن الرجل هوالذى يفكر لها ويدبر، وليست هىالتى تفكر وتدبر له .

الباشا : ولكنى لم ألمس منك حركة أو نظرة أو إشارة تنم على شىء غير الصد والنفور .

خيرية : مامن شىء ينفر المرأة الرقيقة مثل الأسلوب الهمجى ، الخالى من الكياسة واللياقة والذوق ... إن المرأة المهذبة تهمها الطريقة قبل الغاية ... وإن من الرجال من يستطيع الوصول إلى قلب المرأة التى يريدها ، إذا استطاع

أن يغطى أشواك هذا الطريق بحرير من المظاهر السليمة والأوضاع المقبولة ... إن المرأة تحب قبل أن تمنح قلبها أن تعتقد أنها لا تأتى أمراً يسقطها من الأعين .

الباشا : صدقت فى هذا ياخيرية ... لقد ظننت أنى ...

خيريه : لقدظننت أنك بالهدايا تصل إلى قلبي... إنك مخطىء... هذا أسلوب ينفع مع الغوانى والخليعات... غلطتك الكبرى ؛ هى إنك تحسب المال كل شيء ... لأنك به تشترى الأسهم فى الشركات ... لكن ثق أن الأسهم التى تصيب بها القلوب ، لا تشترى دائماً بالأموال .

الباشا : حقاً ... أنت امرأة ليست كالأخريات .

خيرية : كان يجب أن تعرف أن المرأة ذات الكرامة لا تقبل الحب إلا من الرجل الذى يشعرها بأنه مقدر لظروفها . . . حريص على مظهرها ... أمين على سمعتها . . . إن المرأة كالطاووس . . . لابد لها من ثياب من الريش الزاهى الجميل ، يغطى جسمها ويستر تصرفاتها .

الباشا : نعم . . . يجب أن أفكر لك قبل كل شيء فى زوج وفى بيت .

خيرية : هل ثبت الآن إلى صوابك . . . وأدركت حقيقة موقفى ؟

الباشا : وما الذى جعلك تتخيرين هذا الشاب بالذات ؟

خيرية : لم أتخيره ... ولكنه هو الذى جاء ... وهبط علينا الليلة من السماء ... فحرك فى رأسى الفكرة .

الباشا : « يهرش رأسه » فكرة فى الحق ، لا بأس بها . فهو على الأقل . .

خيرية : واقع فى أيدينا ... مدين لنا ... من طراز يلزمنا وينفعنا .

الباشا : آه ... أن رأسك الصغير لا يخلو من عبقرية .

خيرية : فى استطاعتك أن نرفعه إلى مستوانا ... كما فعلت بكثير من محاسيبك الذين وزعتهم فى الشركات .

الباشا : سيكون مديراً ... فى بضعة أشهر ، لشركة ناجحة .

خيرية : وسيكون لى بيت .

الباشا : يليق بك وبزياراتى لك !

خيريه : لن تزورنى فى البيت بالطبع إلا نهاراً .

الباشا : مفهوم . . . منذ اليوم لن تفوتنى اللياقة ولا الكياسة . . . سأدبر المسكن الآخر الذى سيكون فى يدك مفتاحه .

خيرية : « وهى تطرق » أخف هذه الأشياء عنى الآن .

الباشا : حقاً ... لامؤخذة ... من اللياقة والكياسه أن أفاجئك بها فى حينها ... والآن كيف ننفذ هذا المشروع ؟ . .

خيرية : أترك لى أنا الأمر فيما يختص بالشاب ... المهم أمى .

الباشا : أمك ... أنا أتولى الأمر عليها وإقناعها .

خيرية : ماذا ستقول لها ؟

الباشا : سأقول أن هذا الشاب لقطة .

خيريه : ما هذا الكلام ؟

الباشا . دعينى اتصرف فى الوقت المناسب . أنا لا أستطيع أن أعد الكلام قبل أوانه ... حتى عند انعقاد الجمعيات العمومية لشركاتى ... لا أحب تحضير خطبى مقدماً ... براعتى هى الارتجال ... أنا مرتجل من الطبقة الأولى ... سترين الآن حججى الدامغة أمام أمك ، تخرج من رأسى ومن فمى بدون وعى .

خيرية : بدون وعى ! ... بل يجب أن تزن الكلام .

الباشا : سيخرج موزونا أربعة وعشرين « قيراط » ! ..

(باب الحجرة يفتح وتظهر الأم)

خيرية : « هامسة » أمى .

الباشا : « يتنحنح توطئة للكلام » كيف حال هذا الشاب المهذب المؤدب ، الحلو الشمائل ، الكريم الخصال ؟

الأم : « تنظر إليه بدهشة » ماذا تقول ؟

خيرية : « تسرع » ماما ... ما رأى الطبيب ؟... أحالته خطرة ؟

الأم : أبدا ... الإصابة سطحية جداً .

الباشا : اللهم لك الحمد ... إن فى فقد هذا الشاب خسارة جسمة .

الأم : من حسن حظه أنه لم يصب إلا بخدش بسيط .

الباشا : بل هذا من حسن حظنا نحن .

الأم : اطمئن الآن ... المسألة لم تعد تستحق أى تبليغ .

الباشا : بل لابدمن التبليغ.

الأم : تبليغ البوليس ؟

الباشا : بل تبليغك أنت

الأم : « فى دهشة » تبليغى أنا؟ بماذا ؟

الباشا : بالخبر السار .

الأم : « فى عجب » أى خبر سار ؟ !

الباشا : خبر الخطبة .

الأم : خطبة من ؟ !

الباشا : ما رأيك فى هذا الشاب؟ ... ألم تلاحظى أنه مؤدب ، مهذب، وديع ، مطيع؟

الأم : لم ألاحظ شيئاً ... فقد لزم الصمت ولم نتبادل الحديث .

الباشا : أما أنا فقد لاحظت من أول نظرة ... قرأت على وجهه الدماثة والطيبة والتربية العالية .

الأم : سمعتك الساعة تصفه بأنه لص

الباشا : قول مرتجل لا وزن له ولا أساس له من الصحة .

الأم : مهما يكن من صفته فالمهم أن ينتهى الحادث بسلام .

الباشا : بل يجب أن ينتهى بالأفراح والليالى الملاح !

الأم : ما الذى جرى لك ؟

الباشا : هنئى خيرية ! .

الأم : « بدهشة » أهنىء خيرية ؟ ! ... بماذا اهنئها ؟

خيرية : « للباشا » طريقتك هذه فى الارتجال ، تجعل كلامك كما ترى ، غير مفهوم

الأم : فى الحق أنى لست أفهم شيئاً .

الباشا : المسألة بالاختصار أن هذا الشاب هو خير زوج لخيرية .

الأم : ماذا حدث لعقلك يا محمود ! .. ابنتى الوحيدة لا أجد لها زوجا غير هذا الذى . . .

الباشا : هذا الذى ما ذا ؟

الأم : الذى ضبط الليلة فى هذا البيت .

الباشا : من قال لك إنه ضبط ... هذه وشاية دنيئة ... هذه معلومات مستقاة من مصادر مغرضة .

الأم : أنت المصدر ، وأنت الذى أطلق عليه الرصاص .

الباشا : رصاصة طائشة فى ظلام الليل ... كان هذا الشاب المهذب يتمشى فى الحديقة يناجى القمر ، أقصد القمر الذى سوف يطلع فى الشهر الجديد ولكنه رأى قمراً آخر يطلع من هذه النافذة ... هو وجه خيرية .

الأم : أكانت إذن بينهما علاقة ؟!

الباشا : بريئه جداً .

الأم : « تنظر إلى خيرية بتأنيب » أنت ؟ . . . أنت التى كنت أحسبها ابنتى الطاهرة الفاضلة .

خيرية : إنى طاهرة فاضلة لو تعلمين يا أمى ، كعهدك بى دائماً ... ثقى أنى لم أرتكب شيئاً تكرهينه منى ؛ ولكنى أريد أن يكون لى زوج وبيت .

الأم : زوج مثل هذا الرجل ؟

خيرية : هو فقير حقاً ... ولكنه مجد نشيط ... وذو مبادىء عليا ... وأسرته فقيرة ولكنها فاضلة شريفة .

الباشا : أهله من خيار الناس ... اشتهروا دائماً بالدماثة ، والوداعة ، وطيب الأخلاق وجميل السجايا .

الأم : « لابنتها » أتعرفينه من قبل ؟

خيرية : رأيته فى المكتبة التى كان يعمل بها ، يوم اشتريت المصحف .

الأم : عامل مكتبة ؟

خيرية : كان طالباً فى كلية الآداب

الباشا : « للأم » ألم أقل لك إنى لاحظته ، من النظرة الأولى متحلياً بالفاضل والآداب .

الأم : عامل مكتبة .

الباشا : سيكون مدير شركة فى وقت قريب ، وهذا على عهدتى .

الأم : « للباشا » يدهشنى تحبيذك لهذا الخطيب بالذات .

الباشا : لأنه .. لأنه .. لأنها .. لأنها .. تحبذ ذلك ... رغبا خيرية يجب أن يحسب لها حساب . نحن الآن فى عصر يجب أن نزوج فيه البنات حسب رغباتهن ... لا حسب رغباتنا .

الأم : « لخيرية » أو لم يقع اختيارك إلا على مثل هذا الشخص ؟ !

خيرية: الظروف . ياماما . .

الباشا : يجب أن نحسب حسابا للظروف

الأم : أى ظروف ؟

الباشا : وجود هذا الرجل هنا ... فى هذه الساعة من الليل ... وانطلاق الرصاصة الطائشة ... ووجود الطبيب ... كل ذلك يدعونا إلى إنقاذ الموقف بمنتهى الكياسة واللباقة .

الأم : « بنظـــرة توبيخ لخيرية » فهمت ، فهمت ، انت التى وضعت نفسك فى هـذا الموضع الشائن .

الباشا : « بلهجة الشهامة » لا توبخيها ... مادام فى إمكاننا أن ندرأ الفضيحة قبل أن تشيع .. فلا محل للوم أو تقريع ... اتركى لى الأمر ... خيرية عزيزة على نفسى كما تعلمين . وسأعمل كل جهدى لأجعلها سعيدة فى بيتها الجديد... وسيكون زوجها ثرياً وجيهاً لائقاً بها ، مرفوعاً إلى مستواها . وسوف أسهر عليها فى حياتها الجديدة ، وأرفرف على هنائها بأجنحـــة العناية والحماية والحب

الأم : أعرف إنك لها فى مقام الأب ... ولـكن ..

الباشا : ولكن ماذا ؟... أتشكين فى حسن تقديرى للظروف وخبرتى بالحياة ؟... لو لم أر هذا الحل هو الحل الموفق السعيد ، لما حبذته ونفذته ... اطمئنى يا زوجتى العزيزة... اطمئنى دائماً لرأيى وحكمى .

الأم : « مطرقة فى إذعان » انى مطمئنة لرأيك وحكمك .

الباشا : قولى إذن لخيرية مبروك .

الأم : « تتحامل على نفسها » مبروك يا خيرية .

(باب الحجرة يفتح . ويظهر الطبيب ، يحمل حقيبته الصغيرة)

الباشا : « يلتفت إليه » خيراً يا دكتور .

الطبيب: سليمه يا باشا ! . . . الرصاصه لم تخدش غير الجلد فى أعلى الكتف بعد ثلاثه أيام لا يكون هناك أثر يذكر لهذا الجرح .

الباشا : ألا يحتاج لموالاة العلاج ؟

الطبيب: لا أظن ... عندما يرفع الرباط سيكون الجرح قد التأم .

الباشا : شكراً يا دكتور . ان صحته غاليه جداً .

الطبيب: هل لدى البوليس علم بالحادث ؟

الباشا : البوليس ؟ .. ولماذا البوليس ؟

الطبيب: لأن الحادث من رصاصة .. والمصاب ..

الباشا : الرصاصة من مسدسى . والمصاب نسيبى ..

الطبيب: نسيبك ؟

الباشا : « يشير إلى خيرية » خطيب الآنسة خيرية .

الطبيب: « يلتفت إلى خيرية» عفوا ... عفوا « ثم يلتفت إلى الباشا » لم أفهم ذلك فقد خيل إلى عند مجيئ أنى سمعتك يا باشا تقول ان المصاب ضبط فى الحديقه

الباشا : بالضبط ... فى الحديقة ... قولى ياخيرية للدكتور .

خيرية : « بدهشة » أقول له ماذا ؟

الباشا : كيف يتقابل الخطيبان فى هذا الجيل الجديد ! ؟... « للطبيب » إنهما يادكتور لا يعترفان بوجود الأبواب... بل يستخدمان النوافذ ... الخطيبة تطل من النافذة فى ظلام الليـــل ، والخطيب يناجيها من الحديقة . مثل روميو وجوليت . رحم الله الشيخ سلامه حجازى .

خيرية : وما دخل الشيخ سلامه حجازى هنا ؟

الباشا ، لن أنسى قصيدته « أجوليت ما هذا السكوت » شاهدته يمثلها منـذ أعوام كثيرة . . . وكنت بالطبع غلاماً يافعاً . . . ولكن ما فكرت يوماً ان أناجى خطيبتى تحت نافذة ... ها هى زوجتى تشهد ... أحدث أنى .

الأم : لا . . . لأنه لم يكن فى منزلنا حديقة .

الباشا : هذا صحيح . . . كانت نافذتك على الطريق العام . . . وفى عمارة فى الطابق الخامس لو أردت يومئذ تسلقها لكان لا بد لى من سلم المطافىء

الأم : ذاك منزلنا القديم ، ولكن أيام خطبتنا ، كنت فى منزل نافذتى فيـه من السهل تسلقها ... فقد كانت فى الطابق الأول .

الباشا : ومع ذلك لم أفكر فى تسلقها.

الأم : لأنك لو كنت تقدر على ذلك لفعلت .

الباشا : ومن قال لك إنى كنت غير قادر ؟ . . . أراهنك الآن أمام الدكتور أنى مستعد أن أذهب إلى الحديقة وأتسلق أى نافذة ... ولكن نافذة خيرية .

خيرية: لا . لا ... أرجوك ... لا تقرب نافذتى .

الباشا : لماذا ؟

خيرية :لا أريد أن ... ان أتحمل مسئولية ما يقع .

الباشا : وما الذى سيقع ؟

الأم : أنت ... ومن سيقع غيرك ؟

الطبيب: « ضاحكا » أنا أيضاً من هذا الرأى ... لا أحبذ هذه التجربة ... إن رواية روميو وجولييت تنتهى دائما بكوارث

الباشا : بسبب النوافذ ... هذا صحيح ... لو لم ألمح خطيب خيرية واقفاً فى الظلام تحت نافذتها ، لما ظننته لصاً وأطلقت عليه خطأ هذه الرصاصة .

الطبيب:حصل خير على كل حال ، وما دامت الإصابة بسيطة والأمر حدث خطأ فى محيط عائلى ، فيحسن عدم التبليغ .

الباشا : هذا ما رأيناه بالفعل .

الطبيب:والآن اسمحوا لى « يتحرك للانصراف ويسلم على الأم » نسيت أطلب إليك شيئاً ... إذا أمكن الآن تقديم شراب ساخن منعش مثل فنجان من الشاى إلى جريحنا العزيز ، فإن هذا يفيده كثيرا .

الأم : حالا يادكتور .

(وتترك المكان وتخرج من باب جانبى)

الطبيب:« لخيرية مسلماً » اطمئنى على خطيبك ، فهو فى أتم صحة .

(ثم يتجه إلى الباشا مسلما)

الباشا . دعنى أشيعك إلى باب الحديقة الخارجى ... لئلا تضل فى الظلام .

الطبيب . لاداعى ياباشا ... إن برد الليل . .

الباشا . برد الليل لا يؤذينى . لاتخف على بنيتى القوية . .

(يخرج الطبيب من باب البهو المؤدى إلى الحديقة . . خيرية تتبعهما بأنظارها إلى أن يخرجا . وعندئذ يفتح باب الحجرة ويطل منهـا رأس حامد)

حامد : « هامسا » خيرية !

خيرية: « تلتفت » حامد! ... تعال ... كيف صحتك ؟ ... أخبرنى بالصدق .

(تهرع إليه وتتأمل رباطه الصحى)

حامد : لاشىء ... صحتى على مايرام .

خيرية: « تقوده إلى مقعد مريح » اجلس هنا .. عندى كلام كثير أقوله لك . .

حامد : قبل كل شىء ... لا بد أن أريح ضميرى . . وأقوم نحوك ببعض الواجب ؟

خيرية: أى واجب ؟

حامد : انقاذك من هذا الموقف السىء الذى وضعتك فيه ... أين التليفون ؟

(يراه ويريد أن يتجه إليه)

خيرية : « تمنعه » التليفون ؟ ... لماذا ؟ ...ماذا تريد أن تصنع ؟

حامد : أبلغ البوليس

خيرية: اجلس هنا ولا تبرح مكانك ... تبلغه ما ذا ؟

حامد : أنى لص دخلت للسرقة ... فأنا واثق أنك لم تخبريهم بالحقيقة ، ولم تقولى لهم إنى جئت أسرق

خيرية : لا لزوم لـكل هذا الآن

حامد : بل لا بد لى من أن أعرف ماذا قلت لهم عنى ؟ ... بماذا عللت وجودى فى حجرتك؟لا ينبغى أن أسبب لك فضيحة ...أنت بريئة طاهرة ... ولا ذنب لك فى شىء ،ولـكن أنا المذنب الذى زل

خيرية: لاتقل ذلك ... كل شىء قد انتهى إلى خير حل . .

حامد: أى حل ! ... إنى أرفض أن تحملى عنى وزرى .

خيرية: إنك لم ترتكب وزراً ... تمهل وأصغ إلى ... تعرف كل ماحصل . .

حامد : أعرف أنك جاهدت لانقاذى ... هذا لاشك عندى فيه ... ولكن بأى ثمن ؟... ماهو الثمن ؟

خيرية : لم أنقذك : بل أنت الذى أنقذتنى !. .

حامد : أنقذتك أنا ؟ ... ماذا ؟

خيرية : أنسيتنى هكذا سريعاً ؟ . . . إنك لم تعد تفكر إلا فى موقفك أنت . . . إلا تذكر ساعة هتفت من أعماق نفسى : إلهى ... أرسل إلى من عندك ملاكا ينقذنى ، فبرزت أنت قائلا : ها أنذا . .

حامد : أذكر ... ولما سألتنى!... عمن أكون ؟... قلت لك:ملاك أو شيطان لست أدرى! ولكنى الآن أيقنت أنى كنت لك شيطانا ... جاء يوقعك فى ورطة . ويجعل اسمك مضغة فى الأفواه .

خيرية : بل لقد أخرجتنى أنت من الورطة . وصنت اسمى الذى كان مهدداً بالتلوث ... وحفظت شرفى الذى كان موشكا على الضياع .

حامد : أنا ؟ ... أنا فعلت ذلك لك ؟

خيرية : أنسيت أنك خطيبى أمام الله ؟

حامد : أنى أملك من هذا العهد ، بعد أن ضبطت فى منزلك كسارق .

خيرية : إنك لم تضبط كسارق ! . .

حامد : وهذه الرصاصة فى أعلى كتفى ! ؟

خيرية : رصاصــــة طائشة ... أطلقت عليك خطأ ... ولم يعرف الذى أطلقها شخصيتك فى الظلام.. فلما عرف أنك خطيبى اعتذر .

حامد : اعتذر ! ... أقلت لهم إنى خطيبك ؟

خيرية : طبعا ... إنى لم أتعود الكذب ... أليست هذه هى الحقيقة ؟ ! .

حامد : وكيف تلقوا هذا النبأ ؟

خيرية : كما يتلقى العقلاء الأمر الواقع .

حامد : والباشا ؟

خيرية : الباشا فى أيدينا ... أو فى يدك ...إذا أردت تبليغ البوليس أنه أطلق عليك الرصاص قاصداً قتلك باعتبارك خطيبي ... فإن فى إمكانك أن تزج به فى السجن

حامد : أهددته بذلك ؟

خيرية : نعم ... هددته ، فأبدى أسفه ... إنه لم يكن يعرف أنى ارتبطت بخطيب

حامد : والآن ... ما المخرج ؟

خيرية : لماذا تبحث الآن عن مخرج ؟ ! ... ألا تريد أن تنسى أنك الشخص الذى دخل إلى هنا خلسة ! ؟ ... أنت الآن هنا رجل معترف به رسمياً .

حامد : معترف به رسمياً ؟

خيرية : لقد أعلنت خطبتنا إلى أمى وإلى الدكتور ... وستعلن فى الغد إلى الجميع .

حامد : وماذا قالت أمك ؟

خيريه : قالت لى « مبروك » .

حامد : أنا لا صدق . .

خيرية : بل صدق ... أنت الآن فى بيت خطيبتك .

حامد : ما هذه الليلة العجيبة ... بدأتها مجرماً وختمتها متزوجا .

خيرية : كتب عليك فى هذه الليلة ، على كل حال ، أن تختار بين قيدين . قيد من حديد . . أو . . قيد من ذهب !

حامد : لاتقولى ذلك ياخيرية ... ان القيد يربطنى بك هو قطعة من النعيم !

خيرية : فليشرق الآن وجهك ... لنطرح عنا فواجع هذه الليلة ، ولا نذكر إلا

خاتمتها السعيدة !

حامد : « يعود إلى القلق » والباشا ... كيف كان موقفه منك بالدقة ... كيف لم يثر لفكرة زواجك منى ؟... كيف يتخلى عنك هذا الرجل بمثل هذه السهولة ؟... لقد سمعته من خلف ستارتك يقسم أنه يحطم كل ما يحول بينه وبينك ؟... ما الذى يمكن أن يصرفه عن هذا المأرب ؟... وينتزع من نفسه هذه الرغبة ، ويجعل قلبه صافياً ناصعاً نقياً ؟

خيرية : « تخفى ارتباكها » قلت لك ... قلت لك

حامد : « بحدة » تكلمى . .

خيرية : لا تنظر إلى هكذا كما لو كنت مجرمة ! !

حامد : إنى أريد أن أقتنع ... اقنعينى كيف تخلى عنك هذا الرجل ؟

خيرية : بالتهديد أولا كما قلت لك . . .

حامد : التهديد بأنه فى أيدينا ، لأنه أطلق على خطيبك النار ؟

خيرية : حذار يا حامد أن تخاطبنى هكذا بلهجة الارتياب .

حامد : أريد أن أقتنع .

خيرية : من حقك أن تكون غيوراً بعض الشىء ، ولكن إياك أن تشك فى منذ الآن .

حامد : إنى أثق بك ياخيرية كل الثقة ... ولكن أريد أن أقتنع .

خيرية : إذا كنت تثق بى حقاً فلا تثر هذه الأسئلة الخيالية ... هناك أشياء لايستطيع الانسان أن يقدم عنها جواباً مقنعاً ... لأن طبيعتها تأبى التعليل المعقول ... من ذلك مسائل العواصف والغرائز ... إن هذا الرجل الذى سمعته من خلف الستار يقذف من فمه ذلك الكلام كأنه حمم من بركان ،

قد خمد فجأة ... أتتصور هذا ؟ ... نعم ... لقد هدأ عندما أيقن أن هنــاك وثاقا متينا يربطني نهائيا بخطيب ... لـكأن كل أمل عنده قد أنهار ، وحل محل الرجاء فى قلبه يأس ... مريح مريح ... تنفس بعده الصعداء ... وكأنه أفاق من حلم مزعج ... فإذا السكينة تقر فى نفسه ممزوجة بالرضا ... إنك لاتصدق ... ولـكنك الآن ستراه ، وترى منه ما رأيت أنا ، وتلاحظ ذلك التغير الذى طرأ عليه ... أكاد أشعر أن عواطف الأبوة قد بدأت تتيقظ فيه ، وتقوم مكان تلك العواطف المستعرة الأخرى ؛ فهو الآن يتحدث فى هنائى ، ويجد راحة نفسية فى أن يعيننى على تأسيس بيتنا ، وأن يحدب ويعطف على سعادتنا الزوجية .

حامد : واثقة أنت إذن كل الثقة من نواياه الطيبة ؟

خيرية : كل الثقة .

حامد : ما دمت تثقين فأنا أثق ... إنه لمن حسن حظنا أن تتحول مشاعر هذا الرجل إلى ناحيه الخير .

خيرية : دخولك حياتى كان له هذا الفضل .

حامد : ربما ... إن الـكنز المتروك يغرى بالسطو .

خيرية : سطو من ؟

حامد : سطو الباشا بالطبع ... رآك وحيدة منفردة ... لا خطيب يحبك ولا حارس يحرسك فنبتت فيه غريزة السطو .

خيرية : أما أنت فلم تأت للسطو على هذا الـكنز ... بل على كنز آخر ! . .

حامد : ألا تريدين أن تنسى لى هذه الزلة ! ؟... ألا تظنين أنى قد دفعت ثمنها هذه القطرات من دمى ... من تلك الرصاصة التى كان يمكن أن تقتلنى .

أيسيؤك أنى لم أجىء للسطو عليك أنت ... إنها لمفخرة لى ... أنى جئت أحرس هذا الكنز الأسمى ، وأذود عنه ، وأحفظ كرامته ، وأكون دائماً فى خدمته ، خالصاً مخلصاً إلى آخر أيامى على هذه الأرض .

خيرية : أتعاهدنى على ذلك ؟

حامد : أعاهدك .

خيرية : هات يدك ..

حامد : هاتى يدك أنت !

(يتناول يدها ويلثمها طويلا ، يظهر عندئذ الباشا عائداً من الحديقة)

الباشا : « يراهما فيتنحنح » قبلة الخطبة المباركة . .

خيرية : « تنهض وتقدم حامد للباشا » أقدم لك خطيبى حامد .

الباشا : إننا سعداء يا حامد بك بوجودك .

حامد : أنا لى الشرف ياباشا .

الباشا : « ينظر إلى رباطه الصحى » كيف حالك الآن ؟ ... لعلك غير متألم من هذا الجرح .

حامد : إنه خدش بسيط لا يؤلم .

الباشا : إنى آسف أن يكون أول استقبال لك فى بيتنا ، لا أقدم إليك فيه شيئاً من المرطبات ، أو بعض الحلوى و « الملبس » .

خيرية : « بابتسامة » أما « الملبس » فقد تناوله فى شكل رصاصة .

الباشا : يؤلمنى ذلك ... ولكن الذنب ذنبكما ... بل أنت المخطئة يا خيرية ... كان الواجب عليك أن تقدمى إلينا خطيبك فى وضح النهار والشمس طالعة . فما من أحد يسعى فى الظلام ويوحى إلى الناس بالفضيلة والسلام .

حامد : الظروف يا باشا قد قضت بذلك .

الباشا : لقد تغيرت الظروف... ومنذ اليوم تدخل بيتنا وتدخل بيتك وقت ماتشاء

حامد : إنى أتشرف . .

الباشا : لابد لكما بالضرورة من بيت لطيف أنيق ؛ هذا على أنا ... ثق أنى سأجهز خيرية جهازاً يليق بها ... ويغريها باستقبال زوارها وهى مزهوة فخورة

خيرية : متى يتم ذلك ؟

الباشا : « بنظرة ذات مغزى » أإلى هذا الحد أنت نافدة الصبر ؟

خيرية : أيدهشك هذا ؟

الباشا : «بنظرة ذات معنى» يدهشنى قليلا...ويسرنى كثيراً ... لا تقلقى يا خيرية... ثقى إنى أشد منك حرصاً على سرعة التنفيذ ... فإن سعادتك تهمنى ... غداً أشرع فى إعداد كل ما يلزم ... نعم ابتداء من صباح الغد .

(تظهر الأم وخلفها خادم يحمل صينية عليها معدات الشاى)

الأم : ابتداء من صباح الغد ... ماذا ؟

الباشا : نقوم بتجهيز خيرية ... أليس هذا من رأيك ؟

الأم : ولماذا الإسراع ؟

الباشا : ولماذا الإبطاء ؟

خيرية : « وهى تساعد أمها فى إعداد فنجان الشاى » كم قطعة من السكر يا حامد ؟

حامد : ثلاث قطع فقط .

خيرية : « لأمها همساً » دعينى يا أمى أذهب إلى بيتى سريعـــاً ... أرجوك ... يا ماما ... أرجوك .

الأم : فليكن ما تريدين يا ابنتى ! ... إنى أفهمك .

الباشا : « يتثاءب » لا تنسوا أنى رجل على عاتقى مسئوليات خطيرة فى المجتمع ، وعندى غداً كالعادة اجتماعات هامة فى مجالس إدارات شركات وجمعيات ، فواجبكم أن تشجعونى على الذهاب إلى فراشي... كما يشجع الأطفال الأبرياء الأطهار .

الأم : وما الذى يرغمك على السهر ... اصعد أنت إلى حجرتك .

الباشا : « لحامد وخيرية » أكرر التهانى ... وإلى الغد ... موعدنا الغد .

حامد : « ومعه خيرية فى نفس الوقت » إن شاء الله .

الباشا : « وهو يتجه إلى السلم » سأذهب إلى فراشي... وأنام بملء جفونى... وأحلم أحلاماً جميلة ... ظريفة ... لطيفة .

يصعد السلم على مهل وهو يصلح هندامه مختالا ويكون وجه خيرية فى اتجاهه، بينما الأم وحامد ظهرهما إلى السلم فلا يريانه وقد انشغلا فى حديث خاص . يقف الباشا على الدرج ويلتفت إلى خيرية ويرسل إليها قبلة طويلة فى الهواء ، فتتلقاها برعدة وتطرق برأسها نحو الأرض .

(ستار)

الفصل الثالث

مكتب مدير شركة الحامدية ٠٠٠ مقاعد جلد فاخرة
وأثاث فخم ، وخرائط زراعية وإحصائية الخ ٠٠٠
حامد المدير ٠ جالس إلى مكتبه ، وأجراس
التليفونات العديدة حوله ترن فى وقت واحد ٠٠٠

حامد : « يتناول السماعات » نعم!... مفهوم ... سأتحرى الأمر الآن بنفسى ونكتب إليكم الرد «يضع سماعة ويجيب فى التليفون الآخر » فاهم ... فاهم...سيصلكم قريباً جداً...سأتحرى الموضوع ... باشكاتب الشركة سيعرض على البيانات!...«يضع السماعة ويدق جرس السكرتير الخاص. وإذا التليفون يرن»اف ...غير موجود الآن !...يضع سماعة التليفون ويدخل السكرتير «الباشكاتب» !... أين حضرة الباشكاتب ؟... طلبته منذ ساعة ... ألا يريد أن يأتى؟ !

السكرتير : « فى ارتباك » قال لى إنه مشغول قليلا .

حامد : عجبا ! ... ألست أنا مدير الشركة ! ... ألا يستطيع مدير الشركة أن يطلب باشكاتب الشركة ؟

السكرتير : « فى يده بطاقة زيارة » شاكر بك هنا يريد مقابلة سعادتك فى أمر هام .

حامد : شاكر بك ... من هو شاكر بك ؟

السكرتير : هو ...

(يفتح الباب ويدخل الباشكاتب فجأة)

حامد : أخيراً ! ... يا حضرة الباشكاتب .

الباشكاتب : « يتجه إلى حامد ولكنه يلتفت إلى البطاقة فى يد السكرتير ويخاطبه بعنف » من قال لك أن تستقبل هذا الرجل ! ؟

السكرتير : « بأدب وخضوع » لقد جاء يلتمس مقابلة البك المدير .

الباشكاتب : هــذا الرجل ممنوع أن يضع قدمه فى هذه الشركة ... ألا تعرف ذلك ؟

السكرتير : ممنوع .

الباشكاتب : بأمر الباشا ... ممنوع بأمر الباشا .

السكرتير : لم أكن أعرف .

الباشكاتب : لقد عرفت الآن ... اذهب واطرده فى الحال .

السكرتير : « يخرج بسرعة صادعاً بالأمر » فى الحال .

حامد : ما شاء الله ... حتى زوارى لا أستطيع أن استقبلهم ؟ ... ما معنى كل هذا ؟

الباشكاتب : العفو يا سعادة البك ! ... جنابك هنا المدير ... مطلق التصرف ... صاحب الكلمة النــافذة ... الآمر الناهى ... لكن من واجبنا أن نحميك ، وأنت لنا الذخر والسند والموجه والمرشد من زيارات الثقلاء ، وأن نحمى وقتك الذهبي الثمين من أصحاب الشكاوى ...

حامد : أو ليس من واجبي أيضاً تحرى شكاوى المساهمين ؟ . .

الباشكاتب : ثق أن كل شيء بخير ... كل شيء بخير ... ومركزنا المالى والحمد لله أرسخ من الجبال ! ... امسك جنابك الخشب ! ..

حامد : هذا جواب غير مقنع ... وقد أجبتنى بمثله مراراً ... ولكن المساهمين فى قلق على هذه الشركة . .

الباشكاتب : ولماذا القلق .. لا سمح الله ؟ ..

حامد : لأنكم بعد أن أعلنتم عنها ذلك الإعلان الضخم ، وطرحتم أسهمها فى السوق، وأقبل الجمهور على الاكتتاب... وسار كل شىء على ما يرام ؛ إذا فجأة لا يسمع أحد شيئاً عن هذه الشركة .

الباشكاتب : وماذا يريد الناس أن يسمعوا ؟... لقد تم الاكتتاب وانتهى الأمر... أى داع بعدئذ للطبل والزمر ؟ !

حامد : إنى لا أسأل عن الطبل والزمر ؟ ... إنى أسأل عن الشركة ؟ ... أين هى هذه الشركة الآن .

الباشكاتب : موجوده .

حامد : أين مديرها ؟

الباشكاتب : هذه مسألة أخرى ..

حامد : أين أسهمها ؟ ... إهل سلمتم كل الأسهم لأصحابها ؟... مئات من الخطابات والتليفونات ، من صغار المزارعين ، والمهندسين والمدرسين والمحامين. أهل الطبقة المتوسطة من الجمهور ، ممن بادروا إلى الاكتتاب . يقولون إنهم دفعوا النقود ولم يتسلموا سوى إيصالات غير قابلة للتحويل ، ولما طالبوكم بالأسهم أجلتم وما طلتم ... وأخيراً اقترحتم عليهم أن يأخذوا بنقودهم أسهم الشركة الجديدة « الحامدية » بدلا من الشركة القديمة « الشاكرية » .

الباشكاتب : هذا صحيح... وأى ضرر فى هذا ؟... إن غرضنا دائماً هو مصلحة الجمهور.

حامد : وما هى مصلحة الجمهور هنا .

الباشكاتب : الشركة الجديدة التى تتشرف بإدارتكم خير ألف مرة من

الشركة القديمة .

حامد : شيء عجيب .. . لقد ساهم الجمهور فى الشركة القديمة بأمواله ... فبأى حق توجهونه إلى شركة أخرى .

الباشكاتب : الشيء العجيب حقا هو أن الجمهور يشكو من ذلك . . . هذا الجمهور الذى لا يعرف مصلحته .

حامد : انك لم تجب عن سؤالى ... لماذا حولتم الجمهور من شركة إلى شركة ؟ من الشاكرية إلى الحامدية .. ؟

الباشكاتب : وما الفرق بين الشاكرية والحامدية ؟

حامد : أتسألنى أنا ؟ ... هذا هو السر الذى أريد أنا أن أعرفه ؟ !

الباشكاتب : لا يوجد سر على الإطلاق ... ولكن نستطيع القول أن شركة الشاكرية سائرة فى طريقها ..

حامد : فى طريقها ..

الباشكاتب : نعم . .. إلى التصفية

حامد : ماذا تقول ؟ ... التصفية ؟... بعد نجاح اكتتابها وتغطية أسهمها ؟

الباشكاتب : هـذا هو الشيء الغريب ! ... ولكن ماذا نفعل ؟ ... ومديرها رجل محتال نصاب ، مزور .

حامد : يا للكارثة ! ... احتال وزور على من ؟

الباشكاتب : على الجميع ... على الجمهور ، وعلى الباشا ، وعلى أعضاء مجلس الإدارة .

حامد : وكيف تمكن من الاحتيال والتزوير ؟... أخبرنى بكل شيء .

الباشكاتب : تلك حكاية طويلة . . . يحسن أن أقصها على سعادتك فى وقت أوسع من واقع الملف الخاص ... حتى يكون كلامى مؤيداً بالمستندات .

أما الآن ، فإنى مشغول جدا ... ولو سمحت لى بالإمضاء « يعرض أوراق ملفه » .

حامد : « دون أن ينظر إلى الأوراق » وأموال الجمهور ؟

الباشكاتب : لاخوف عليها ... لقد حولناه إلى شركتكم الناجحة المضمونة .

حامد : فهمت ... وهذا المحتال فى السجن طبعاً .

الباشكاتب : مع الأسف ... لا ... انت تعرف قلب سعادة الباشا المتدفق بالرحمة ، الفياض بالشفقة ... النابض بالعواطف الجميلة النبيلة ..

« مشيراً إلى الأوراق » لو سمحت بالإمضاء هنا . .

حامد : « ينظر إلى الأوراق » ما هذا أيضاً ؟ ... أسهم ! ؟

الباشكاتب : نعم ... لقدأردت أن أخفف عن سعادتك العبء ... فرأيت أن أحضر للإمضاء فى كل يوم كمية من الأسهم الصادر بها المرسوم .

حامد : « وهو يمضى بالقلم » حقا .. فى كل يوم أمضى كمية . . أما من طريقة أخرى... لماذا لا أوقع بختمى ؟... حتى ننتهى من هذه العملية سريعاً .

الباشكاتب : لابد من إمضاء سعادتك على كل سند ... زيادة فى الضمان .

حامد : إنك شديد الحرص يا حضرة الباشكاتب ... وإنه ليدهشنى كيف استطاع مدير « الشاكرية » أن يحتال ويزور وأنت هنا ، على مقربة منه مفتوح العينين .

الباشكاتب : ساعة القدر يعمى البصر

حامد : لقد شوقتنى إلى معرفة هذه الجريمة ! ...(يضع القلم) فلنؤجل إمضاء ما بقى من الأسهم إلى لحظة أخرى ... اذهب الآن وأحضر إلى الملف الذى وعدتنى به .

الباشكاتب : « بقلق » أى ملف ؟

حامد : الملف الخاص بحكاية الاحتيال والتزوير .

الباشكاتب : الآن ؟ .

حامد : نعم ... الآن ... ما الذى يمنعك ؟

الباشكاتب : إنه ليس عندى .

حامد : أين هو ؟

الباشكاتب : إنه عند ... عند سعادة الباشا .

حامد : المسألة بسيطة ... نطلبه من سعادة الباشا بالتليفون ... فيرسله مع ساع فى أقرب وقت « يمسك بالسماعة »

الباشكاتب : « يضطرب » لا ... لا داعى إلى مخاطبة الباشا فى ذلك ؟... لئلا يظن أنى ..

حامد : أنك ماذا ؟

الباشكاتب : أنى متحامل على المدير السابق ... وأنى أريد فضيحته ... لقد رأى الباشا وأعضاء مجلس إدارة الشركة القديمة أن يكون الأمر سرا وأن يطوى الموضوع ، ويسوى بهدوء ، حتى لا يثار اللغط حول مشروعاتهم . فلا تحرجنى ياسعادة المدير .

حامد : ليس فى هـــذا إحراج لك ، ولكننى أريد أن أعرف مركز الشركة القديمة التى دخلت فى شركتى .

الباشكاتب : ما دام الباشا لم يذكر لك شيئا ..

حامد : إذن يجب أن أسأله ..

الباشكاتب : لا ... لا تسأل ... نصيحتى المتواضعة أن لا تفعل ... ماذا يهمك من كل ذلك ياسعادة البك ... أنت مدير ناجح ... تتقاضى مرتباً كبيراً ، وتعيش

في بحبوحة وسعادة ... كل أوامرك مطاعة وطلباتك مجابة ... حائز لثقة مجلس الإدارة ... متمتع ببيت جميل وحياة عائلية رغدة ناعمة في ظل سعادة الباشا وكرمه وعطفه .

حامد : « بحدة » مامعنى هذا ؟

الباشكاتب : لاشيء ... لست أعني شيئا على الإطلاق سوى أن الموضوع لا يساوي الآن أن تحدث من أجله ضجة أو تثير فيه ساكن الباشا أو المجلس .

حامد : ولكنني أريد أن أعرف .

الباشكاتب : إذا كان لابد من ذلك فاترك لي الأمر أحضر لك المعلومات خلسة بلا ضوضاء .

حامد : أريد الاطلاع على الملف ..

الباشكاتب : « ملف الشاكرية » ؟ .. أنا أحضره إليك .

حامد : متى ؟ .

الباشكاتب : مع شيء من الصبر ... مع شيء من الصبر .

حامد : اذهب الآن واحضره ... الآن ..

الباشكاتب : « يأخذ أوراقه من أمام حامد ويذهب » سأحاول .

حامد : نعم ... اذهب وحاول .

(يخرج الباشكاتب . ، وينهض حامد ويقترب من إحدى الخرائط فوق الحائط وهو يلفظ « الشاكرية » .. « الشاكرية » .. ولا تمضي لحظة حتى يفتح الباب ويطل منه رأس شاب في مثل سن حامد . ثم يدخل المكتب)

حامد : من حضرتك ؟

الشاب : لا تؤاخذني ..

حامد : « مقاطعاً » من حضرتك ؟

الشاب : « متابعاً كلامه » لم أجد غير هذه الطريقة ... كلهم هنا يريدون منعى من مقابلتك .

حامد : من حضرتك ؟

الشاب : أنا مدير الشركة السابقة .. شاكر ..

حامد : الشاكرية .. ؟ ! مدير الشاكرية !؟

شاكر : نعم... أنا المدير ...ولا فخر!..

حامد : « يبادر ويقدم إليه كرسيا » تفضل... تفضل ... فرصة طيبة...إنه ليسرنى أن أراك ... ماذا أطلب لك ... قهوة ؟ ... ليمون ؟

شاكر : لا ... لا ... لا تطلب لى شيئا ... ولا يحسن أن يرانى أحد معك... بعد أن غافلت الجميع ودخلت عليك هكذا .

حامد : « يقدم إليه علبة السجاير » سيجارة ؟

شاكر : « يتناول واحدة » متشكر .

حامد : ولماذا يريدون منعك من مقابلتى ؟

شاكر : لأنهم يخشون أن أطلعك على معلومات ليس من مصلحتهم أن تعرفها أنت ، فى الوقت الحاضر .

حامد : فى الوقت الحاضر ؟

شاكر : نعم ... فى الوقت الذى تصدر فيه أسهم شركة « الحامدية » .

حامد : لست أفهم شيئاً ... أفصح قليلا .

شاكر : لقد طلب إليك باشكاتب الشركة أن توقع بإمضائك على كل سهم باعتبارك المدير ؟ !

حامد : طبعاً ... زيادة فى الضمان .

شاكر : ضمان من؟... ضمان خلو مسئوليتهم ... ما علينا... أراقبت بنفسك الأرقام المسلسلة لهذه الأسهم ! ؟

حامد : فعلت ذلك فى أول الأمر... ولكنى فى كل يوم أوقع بإمضائى على كميات كبيرة . وأصبحت العملية آلية كما تعلم .

شاكر : نعم ... كما أعلم ... للأسف... بعد فوات الأوان .

حامد : أرجو أن توضح لى الأمر أكثر من ذلك .

شاكر : هل اطلعت أولا على ما تم فى موضوع الشركة القديمة « الشاكرية » .

حامد : لقد حاولت ذلك كثيراً ... ولكنى اليوم أصررت على أن أطلع على الملف ... وقد ذهب الباشكاتب بالفعل ليحضره إلى .

شاكر : إنه لن يحضره إليك . .

حامد : لماذا ؟

شاكر : لأنك ستجد فيه إجراءات وأساليب ، يتضح لك منها أنى محتال ومزور .

حامد : هذا حقاً ما قيل عنك ... ولكن ما دخلى أنا فى ذلك .

شاكر : سيتضح لك منها فى عين الوقت أنك أنت أيضاً محتال ومزور .

حامد : أنا ؟ . . . ما هذا الذى تقول ؟

شاكر : تريد أن تعرف بالضبط ما حدث ؟ ... إذن فاسمع ... لقد تأسست الشركة المساهمة « الشاكرية » بمقتضى مرسوم ... برأس مال قدره مائة ألف جنيه ... دفع منه الباشوات أعضاء مجلس الإدارة نحو الثلث ... على الورق مفهوم ؟ ... أى أنهم لم يدفعوا مليما ... ولكن أسهمهم قدمت إليهم هدية كما تقدم باقات الزهر ... تيمنا بأسمائهم

الكريمة.. وطرحت بقية الأسهم في السوق...ودقت طبول الإعلان مصحوبة بالأسماء الكريمة...فأقبل الجمهور الواثق بهم على الشراء إقبالا جارفا...حتى ارتفع ثمن الأسهم إلى ضعفه في أيام... وهنا يأتي دوري فإن قلمي باعتباري مديراً جعل يمضي على أسهم لا ينتهي عددها في كل يوم .. وإذا الحقيقة تظهر لي بعدئذ أن هذه الكميات الأخيرة من الأسهم قد طبعت حديثاً بعد ارتفاع الأسعار بأرقام مسلسلة مزورة . أي أن السهم رقم ١٧٥ مثلا قد تكرر أكثر من أربع مرات : أي أن السهم الواحد قد بيع أكثر من أربع مرات .

حامد : يا للمصيبة !...ومن الذي فعل ذلك ؟

شاكر : أنا طبعاً المسئول، لأن إمضائي بيدي على كل سهم!

حامد : وفي جيب من دخلت أثمان الأسهم المكررة ؟

شاكر : إسأل الباشا والباشكاتب .

حامد : والجمهور من المساهمين ؟

شاكر : لم يسلموهم الأسهم المزورة... بل أعطوهم إيصالات بالمبلغ . وجعلوا يماطلونهم في تسليم هذه الأسهم... ثم رأوا أن يصفوا « الشاكرية » قبل أن ينكشف الأمر ... ويؤسسوا مكانها « الحامدية » ويعطوا الضحايا أسهمها بدلا من أسهم الأولى ... مفهوم ؟

حامد : وأنت ... ما مركزك ؟

شاكر : كما ترى ... عنقي هي التي تحت السيف ... كلمة من الباشا إلى النيابة ... فإذا بي أنا في أعماق السجون بتهمة التزوير والاحتيال .

حامد : « يشير إلى الحائط » وما هذه الأطيان المرسومة على الخرائط باسم

تفتيش «الشاكرية»

شاكر : تلك أرض بور ورمال كان يملكها الباشا فى صحراء الشرقية مساحتها نحو ألف فدان ، لاتساوى كلها أكثر من ألف جنيه . باعها سعادته للشاكرية بعشرين ألف جنيه . وجعل من أغراضها أن تزرعها بالفول السودانى . وأن تستخرج من الفول السودانى زيتا . وأن يصنع من الزيت صابون وأن يجعل من الصابون إلى آخره ... إلى آخره ...

حامد : ولكن هذه الأطيان حولت الآن إلى الشركة « الحامدية » .

شاكر : حولت بطريق البيع مرة أخرى .

حامد : مرة أخرى ؟

شاكر : بعد تصفية «الشاكرية» ، باع سعادة الباشا بصفته رئيس مجلس إدارة الشركة القديمة إلى سعادة الباشا بصفته رئيس مجلس إدارة الشركة الجديدة هذه الأطيان نفسها بمبلغ ثلاثين ألف جنيه...تجد ذلك ثابتاً فى الملفات ... أى بربح عشرة آلاف جنيه فى الصفقة ... والأرض هى الأرض ، والرمل هو الرمل ... ولم تكن قد أخرجت بعد لا فول ولا صابون .

حامد : « كالمخاطب لنفسه » يا للعجب !... هكذا إذن يصنعون المال !

شاكر : نعم ...هكذا يصنعون المال .

حامد : « يمد يده إلى الجرس » لقد نبهتنى إلى خطر

شاكر : « يستوقفه » مهلا ... ماذا أنت صانع ؟

حامد : يجب أن أنادى الباشكاتب ... وأفحص معه أرقام الأسهم .

شاكر : حذار من أن تخبره أنك مرتاب فى شىء ... فإنه قدير على أن يضلك

ويخفى عنك كل أثر .

حامد : وما العمل ؟

شاكر : اعتمد على ذاكرتك... وراقب بنفسك كل رقم تشك فى أنه مكرر . واضبطهم متلبسين بالجريمة .

حامد : ولكنى وقعت بإمضائى على أسهم كثيرة... من يدرينى أنها ليست مزورة؟

شاكر : فى هذه الحالة تكون قد وقعت فى الفخ . وفات الأوان .

حامد : « فى رعدة » يالله... فى أى مكان نعمل هنا ؟... وأنا الذى حسبت أنى أدير شركة محترمة منتجة ؟

شاكر : الشركة «الحامدية» !!...ومن يدرى ماذا ستتخذ لها غداً من الأسماء والمترادفات .

حامد : غداً ؟ !

شاكر : أنسيت أن اسمها بالأمس كان « الشاكرية » ، وكنت أنا مديرها الذى يجلس فى نفس هذه الحجرة ... وإلى نفس هذا المكتب . محاطاً بهذا الفرش والرياش والخرائط والأرقام والإحصاءات . ما من شيء تغير هنا الآن إلا اسم الشركة واسم المدير .

حامد : وما عملك اليوم ؟

شاكر : لا شيء ... مطرود إلى قارعة الطريق !

حامد : ولماذا يطردونك ؟

شاكر : لأن الباشا لم يعد فى حاجة إلى .

حامد : وكيف لا يحتاج إليك وإلى خبرتك وكفاءتك... لقد كنت مديراً .

شاكر : خبرتى وكفاءتى ؟ ! هذا ما كنت أعتقده يوم أخذنى الباشا من

وظيفتى الصغيرة : كاتب قيودات فى شركته . وأجلسنى مديراً للشركة تذكرت عندئذ نبوغى يوم كنت طالباً بكلية التجارة . وقلت فى نفسى مزهواً وأنا أتربع فى هذا المقعد الكبير : هذا مكانى الطبيعى ... لقد وصلت حقاً بسرعة تحير اللب وتصدم العقل ... ولكن هذه معجزة الكفاءة ! ... وظل حضرة الباشكاتب يدخل على كل يوم يسبح بخبرتى وكفاءتى . حتى أعمانى البخور وأسكرنى الغرور . فلم أبصر أى وحل أسير فيه ، ولا أى هوة تحت قدمى . إلى أن انتهى بى الأمر إلى ما ترى من ضياع الشرف والعرض .

حامد : « بدهشة ورعشة » العرض ؟ !

شاكر : نعم ... العرض ... وتلك قصة أخرى لا شأن لك بها ... فإن ظروفى فيها تختلف عن ظروفك ... إنما أردت مقابلتك اليوم لأنبهك إلى تزوير الأسهم ... لعلك تتمكن من ضبط الجريمة فى حينها ... فأستفيد أنا من ذلك فى دفاعى ... إذا قدمنى الباشا إلى النيابة .

حامد : وما مصلحة الباشا فى أن يقدمك إلى النيابة ؟

شاكر : ليتخلص منى ؟

حامد : ولماذا يتخلص منك ؟

شاكر : لأنى أطالبه بغسل العار عن فتاة غرر بها واعتدى عليها ؟

حامد : فتاة اعتدى عليها ؟ وما شأنك أنت بها ؟

شاكر : أختى . .

حامد : ماذا تقول ؟

شاكر : ما دمت تريد أن تعرف ظروفى الخاصة ... فلا بأس من أن أذكرها

لك... القصة باختصار أن أختي وهي فتاة في العشرين... مرت بي ذات يوم هنا وأنا كاتب قيودات ، في بعض شأنها ، فلمحها الباشا وتلطف معها ومعي ، وأبدى لها استعداده لمعاونتها في الحياة . . . وكان كل أمنيتها بعد أن أتمت دراستها أن تتوظف مدرسة في إحدى مدارس البنات ... ولكن الواسطة كانت تنقصنا ... فلما عاونها الباشا بنفوذه وعينت بالفعل ... أسرها الجميل فلم تفطن إلى حقيقة نواياه وازداد تقربه منا ... وكثرت هداياه وعظم اهتمامه بي ، واكتشف مواهبي وكفاءتي ... فلم يجد لها أنسب من منصب المدير لشركة تحمل اسمي ، وضخم مرتبي فاتخذنا مسكنا لائقاً ... وأصبح الباشا يزورنا في هذا البيت الفخم زيارة الصديق للصديق ... ولكن أعمالي في الشركة كانت تستوجب تغيبي من حين إلى حين ... وليس في البيت غير أمي العجوز ... تصلي دائماً في حجرتها وقد ضعف بصرها ... وأخيراً تبين لي السر . .

حامد : « كالمخاطب نفسه » نعم ... فهمت ... فهمت ...

شاكر : نعم ... أين نحن الضعاف من هؤلاء ؟! نحن الجيل الجديد الذي خرج من الجامعات مؤمنا بالمثل العليا ! ..

حامد : « من بين أسنانه ساخراً » المثل العليا ! .

شاكر : خطؤنا الأكبر أننا لم نستطع الاحتفاظ بها طويلا في قلوبنا ... لكن هل كان في الإمكان أن تبقى أو تصمد بعد أن رأينا ما يجري في الحياة ؟ ... وبعد أن كشف لنا المجتمع ، بما فيه من أمثال هؤلاء القادة والكبراء ، عن طرق الوصول ومثل النجاح ؟ ! . .

حامد : « كمن يخاطب نفسه » الويل للباشا إذا كان ماتقول صحيحاً .

شاكر : نعم ... الويل له ... إنى أعرف الآن ما أنا صانع . لقد دفعوا بنا إلى الجريمة .

(ينهض متأهباً للانصراف)

حامد : « وهو ينهض » ماذا تنوى أن تفعل ؟

شاكر : ما افعل سوف تعرفه فى وقته .

(يسلم على حامد ويتركه ويخرج من حيث جاء بينما يقف حامد بلا حراك وكأنه من الشرود غائب الوعى وفجأة يفيق وينقض على آلة التليفون كالمجنون ويدير رقماً)

حامد : « السماعة على أذنه » آلو ... آلو ... من أنت ؟ إدريس ؟ .. من إدريس ؟ آه . . . ادريس السفرجى . . . اسمع يا ادريس . . أين الست ؟ ... الست ؟... أين الست ؟... خرجت ؟... خرجت أين ؟... ألا تعرف أين ذهبت ؟ . . . لا تعرف ؟ . . . ومن طلبها فى التليفون ؟ . . . الباشا ؟... الباشا طلبها فى التليفون .

(وعندئذ يدخل السكرتير حاملا برقية يقدمها إلى حامد بأدب واحترام)

السكرتير : هذه برقية من وكيلنا بالاسكندرية ... أشر عليها سعادة الباشا .

حامد : « يخطفها من يده ويقرؤها » « عزيزى حامد بك ... يجب أن تسافر الليلة إلى الاسكندرية لتشرف بنفسك على حركة بيع الأسهم فى البورصة .

(حامد يدس البرقية فى جيبه ويلبس طربوشه ويندفع خارجا وهو يقول)

أسافر الليلة ! .. مفهوم .. مفهوم .. مفهوم جداً !

(يخرج على نحو يدهش له السكرتير الذى يقف ناظراً إليه كالمأخوذ ويقلب كفه كمن لم يفهم شيئاً مما يرى ويدخل عندئذ الباشكاتب من باب آخر يحمل أوراقه وينظر إلى المكتب الخالى)

الباشكاتب : « يلتفت حوله » أين المدير ؟

السكرتير : خرج مسرعاً .

الباشكاتب : خرج ؟ ... وكيف يخرج قبل أن يمضى بقية الأوراق ؟

السكرتير : لست أدرى ياحضرة الباشكاتب

الباشكاتب : « بنظارة نارية » ياحضرة ؟ .

السكرتير : « متداركا » البك . . ياحضرة البك . . لست أدرى والله أين ذهب المدير .. كل ما أعلم هو أنى دخلت أعرض عليه برقية مؤشراً عليها من الباشا ... فخطفها من يدى ودسها فى جيبه وانطلق خارجاً على نحو غريب .

الباشكاتب : ماشاء الله ! . . ماشاء الله ! . .

السكرتير : لو كنت أعلم أن سعادتك تريد أن يبقى فى مكتبه قليلا . كنت اتخذت اللازم .

(صوت الباشا من الخارج يتنحنح)

الباشكاتب : صه . . سعادة الباشا .

(يقف بأدب متأهباً للمقابلة . وكذلك السكرتير . ويدخل الباشا يعبث بسبحة من الكهرمان)

الباشا : (ينظر إلى المكتب الخالى) أين حامد بك !

الباشكاتب : خرج الآن يا باشا !

الباشا : أين ذهب

الباشكاتب : لا أعرف ... لم يخطرنى بذهابه ! ... ولكن السكرتير يقول إنه أعطاه برقية

السكرتير : البرقية المؤشر عليها من سعادة الباشا

الباشا : آه ... عظيم ... عظيم ... عظيم ... لقد ذهب ولا شك يعد حقيبة السفر فهو لابد أن يكون الليلة فى الاسكندرية ... مدير نشيط .

الباشكاتب : بماذا يأمر سعادة الباشا ؟

الباشا : لا شيء ... كيف حال العمل عندك ياحضرة الباشكاتب ؟

(الباشكاتب يومىء باشارة إلى السكرتير لينصرف . فيخرج السكرتير فى الحال :

الباشكاتب : « فى ابتسامة ذات معنى » على مايرام ياباشا .

الباشا : « بنبرة ذات معنى » عملية إمضاء الأسهم ؟

الباشكاتب : كدنا ننتهى منها اليوم .

الباشا : كدتم ؟ ... وما الذى منعكم ؟

الباشكاتب : فكرة قامت فى رأس حامد بك أن يناقشنى فى موضوع « الشاكرية »

الباشا : عرفت بالطبع كيف تجيب ؟

الباشكاتب : طبعاً ..

الباشا : اعرف براعتك . . . إنى مطمئن إليك ... وثقتى بك لاحد لها ... لا لأنى رجل عاطفى فقط ، بل لأنى رجل يراك تدافع عن مصلحتك ... أو بعبارة أخرى عن عمارتك التى تبنى الآن فى الدرب الأحمر . . .

الباشكاتب : « مطرقا » كله من خير سعادة الباشا .

الباشا : « بلهجة ذات مغزى » ومن خير الأسهم المكررة ! . . . إذا صدقت معلوماتى ، فإن كل رقم مكرر يختفى منه سهم . . . وهذا وضع يمكن أن يحتمل ... وإذا صدقت معلوماتى أيضاً فإن العمارة قد وصلت إلى الطابق الخامس ... وهذا أيضاً يمكن أن يحتمل ... ولكن نصيحتى أن يقف

البناء عند هذا الحد ، محافظة على الأساس !

الباشكاتب : هذا أيضاً من رأيي يا سعادة الباشا .

الباشا : اتفقنا ! . .

(الباب يفتح فجأة ، وتدخل خيرية . .)

خيرية : (باندفاع) حامد ! . . أين حامد ؟ . .

الباشا : (يلتفت باسماً) مرحبا ! . . مرحبا ! . .

(الباشكاتب ينسل خارجا بسرعة)

خيرية : (مسمرة فى الأرض كالمأخوذة) أنت ؟ هنا ؟

الباشا : نعم أنا ... ما كنت تتوقعين أن تجديني هنا ؟ ! ..

خيرية : لا ...

الباشا : أما أنا فكنت أتوقع أن أجدك ذات مرة هنا .

خيرية : طبيعى أن أزور زوجى فى مكتبه .

الباشا : وليس من الطبيعى أن تزوريني فى مكتبي .

خيرية : لا أرى لذلك ضرورة .

الباشا : أحب هذه الصراحة ! . .

خيرية : ألسنا نحظى بزيارتك لنا فى منزلنا من حين إلى حين؟

الباشا : حقاً ! ... زيارة تحاولين دائماً بمهارة أن تكون فى جو عام !.. ما من مرة أردت زيارتك إلا وجدت زوجك معك أو أمك أو جارتك ... لكأنك تبادرين إلى استدعاء من يقطع خلوتنا ... لا ينقصك إلا جرس، تدقينه فى النافذة ليصعد إلينا المارة والجماهير .

خيرية : ولم لا ؟ ...زيادة فى الترحيب بك ! ..

الباشا : أهذا ما وعدتنى به ؟ وعاهدتنى عليه ؟

خيرية : بماذا وعدتك ؟

الباشا : الذاكرة لا تضعف فى مثل عمرك الغض . . لم تمض بعد ثلاثة شهور على تلك الليلة التى عقدنا فيها الاتفاق الذى تعرفين ! . . أما أنا فقد قمت بوعدى ، وها هو ذا زوجك قد أصبح مدير شركة كبرى تحمل اسمه ... وها أنذا قد تحليت بالكياسة واللباقة فأعددت العش الجميل الذى لم تطأه بعد قدماك ! . .

خيرية : الظروف قضت بذلك ... مرضى كما تعلم ، واعتلال صحتى طول هذه المدة اضطرنى إلى ملازمة الفراش فى أغلب الأيام .

الباشا : قصة مرضك هذه ، اسمحى لى أن أقابلها بالتحفظ الشديد . . . وإنى أعلم الآن لماذا يضع بعض النساء حول نحورهن فراء الثعالب . ويقربن من ثغورهن رؤوسها الصغيرة مفتوحة الآذان... أتدرين لماذا ؟ لأن هذا الصنف من النساء يلقن الثعالب دروساً فى المراوغة ! ..

خيرية : ليتنى أستطيع أن أروغ منك !

الباشا : بئس هذا التمنى الذى ينطوى على الغدر ونكث العهود !... كان يجمل بك أن تتخذى منى أسوة ومثلا... وأن تحافظى على تعهداتك نحوى . كما حافظت على تعهداتى نحوك ... أنا الذى وفيت بكلمتى لك مغمض العينين ، حرفا حرفا ، وشرطاً شرطاً ، كما يقضى بذلك واجب الشرف .

خيرية : الشرف !! ..

الباشا : اهزئى ما شئت...وانكرى قيمة المبادىء ... فأنت حرة فى أن تكونى امرأة ليس لها وعد ولا عهد ... ولكن ما ذنبى أنا أقع فريسة لك .

تستغلين نيتى الطيبة وتلعبين بى ، وتعبثين بأناملك الناعمة المصبوغة بالأحمر كأنها مخالب انغمست فى دمى البرىء .

خيرية : يا للضحية ! ... يا للضحية !..

الباشا : تلفظينها بلذة ونهم ! ... كل امرأة بالغريزة تحب أن يكون لها ضحية ؛ لأنكن من فصيلة القطط والنمور ! ..

خيرية : تريد الآن أن تقنعنى بأنك ضحيتى .

الباشا : فأر صغير ... يحلو لك أن تمسكى به من ذيله ... وأن تفعلى به ما تشائين . وتنالى منه ما تريدين ، دون أن تعطيه فرصة ليأخذ منك شيئاً ! ..

خيرية : إنه يريد أن يأخذ منى كل شيء .

الباشا : إنك تبالغين .

خيرية : هذا الفأر الصغير يريد أن يقرض حبل حياتى .

الباشا : حياتك ؟ ... ومن الذى صنع لك هذه الحياة ، وفق ما طلبت وتمنيت وتخليت ؟

خيرية : لقد صنعت ذلك حقاً ... ولكنك اليوم تقتضينى الثمن غالياً ! ..

الباشا : الثمن غالياً ! ! إنك تتكلمين بلغة السوق .

خيرية : اللغة التى تفهمها أنت !

الباشا : نعم ... فى غير هذا المقام ... ولكن كياستى ولباقتى تحتمان على استعمال لغة أخرى للتعبير عن مشاعرى السامية وعواطفى الحارة ..

خيرية : مشاعرك السامية لا يناسبها غير الصراحة المجردة ... اكشف عن مطالبك ... ألا تعترف أنها باهظة ؟ !

الباشا : لقد قبلت الصفقة ... وعرفت الثمن مقدماً .

خيرية : ها أنت ذا ترجع بسهولة إلى لغتك الحقيقية .. .نعم .. .لقد قبلت وعرفت .. .ولو كان الأمر يتعلق بشرفي وحده لهان... ولكنه الآن يتعلق بشرف زوجي !

الباشا : شرف زوجك !

خيرية : قد أستطيع التصرف فيما أملك ... ولكن لا أستطيع التصرف فيما لا أملك! ..

الباشا : شرف زوجك؟ !

خيرية : نعم .. .بأي حق ألوثه أنا وأدنسه ؟ !

الباشا : يا له من احتيال !... يوم كان الأمر يتعلق بك وحدك ، قلت لا بد من تصحيح الوضع ، ولا بد من زوج... فلما جاء الزوج ، قلت لا بد من المحافظة على شرف الزوج...ولكني أسارع فادخل على قلبك الأمان... وعلى ضميرك الاطمئنان...وأخبرك أن زوجك لا شرف له ، حتى تحافظي عليه .

خيرية : ماذا تقول ؟

الباشا : إنه مزور محتال ! ... وتحت يدي البراهين والمستندات ..ولم يمنعني من فضح جرائمه وتقديمه إلى النيابة ... إلا حرصي عليك وعلى سمعتك... وإبقائي على ما بيننا من صلات وعهود .

خيرية : أنت كاذب ! .. لا أصدق أن حامد ..

الباشا : لقد تزوجت لصاً يا سيدتي !... لا أعني فقط ذلك اللص الذي ضبط في البيت ليلا ... ولكن هذا اللص الجالس على هذا المكتب يسرق أموال الشركة .

خيرية : خسئت ! ...

الباشا : « يخرج من جيبه سهماً » إليك البرهان . انظرى ! ... هذا سهم من أسهم الشركة ... إمضاء من هذا؟... أليس إمضاء حامد بخطه ؟... إذن فاعلمى أن هذا السهم مزور مكرر ، مع ألوف غيره من الأسهم ، لقد زورها، وعليها إمضاؤه بخط يده وباعها وقبض أثمانها ، معرضاً مصالح المساهمين للخطر ... ولولا سلوكى النبيل نحوك ... وأخلاقى الكريمة التى لا تقدرينها ، لجعلتك تبصرين بعينك هذا الزوج العزيز، والمدير المحترم مكبلا أمام الناس فى الحديد .

خيرية : « كالمخاطبة لنفسها » حامد يفعل ذلك؟...مرتبه يكفينا...لماذا يفعل ذلك؟

الباشا : يفعل ذلك لأنه يريد أن يثرى سريعاً ... هذا الشاب الذى دخل بيتك للحصول على نقود... قد وضع فى رأسه الوصول إلى المال من أى طريق... ولو من طريق الجريمة...وما أنت فى حياته دائما الا سلم معلق على نافذة . إن روميو فى هذا العصر شاب يريد أن يقفز إلى نوافذ المال والجاه . ولو فتل من شعر جولييت سلماً . وجعل من جسدها درجا . .

خيرية : حامد لا يفكر هكذا الآن . .

الباشا : الآن وفى كل وقت .. ولكنك بلهاء .. لم تستطيعى أن تكتشفى حقيقته . أتظنين أن قلبك شيء يهمه أو يعنيه ؟ ... أتحسبين أنه يجهل مايفعل ؟...إنه يفهم جيداً حقيقة وضعه منذ الساعة الأولى. وإن كان فاته أن يفهم ذلك من قبل ... فلا يمكن أن يبقى جاهلا حتى الآن ... هذا الشاب ليس ساذجا ، حتى يعتقد أن نبوغه وحده

هو الذى يؤهله لمنصب المدير . إنه لا شك قد ساءل نفسه ، من أين له هذا . وهو اليوم يدرك أن هذه القفزة الكبرى لشاب مثله لابد إن يكون لها ثمن ... وهو يعرف هذا الثمن .

خيرية : هذا كذب وبهتان . إنه لا علم له بشيء على الإطلاق .

الباشا : أقسم لك أنه على تمام العلم . وعلى تمام الاستعداد أن يدفع الثمن . أو تدفعيه أنت عنه . . على شرط أن يحتفظ بمركزه الاجتماعى الذى وصل إليه وأن يبقى فى هذا المستوى من الرفاهية والترف الذى اعتاد عليه... إن زوجك هذا ليس أول شاب أعرفه من هذا الطراز!

خيرية : أنت واهم .. حامد ليس مثل غيره من الشباب الوصولى .. إنه لا يمكن أن يبيع مبادئه .

الباشا : أيتها الحمقاء ! ... إنه يبيعها بأبخس مما تتصورين . أتظنين أنه يرضى الآن بالعودة إلى حى الأزهر ! .. يكدح فيه بقروش معدودة . من أجل سواد عينيك ؟ ! ... أحسبت أنى صبرت عليك هذه الشهور الثلاثة لأنى صدقت حكاية مرضك ! ؟ ... لا ياسيدتى الصغيرة ، بل لأنى أردت أن أصبر على هذا الشاب حتى يعتاد هذا المستوى المرتفع من الحياة الرضية الهنية ، فيعز بعدئذ على هذا المدير أن يهبط من حالق إلى أرض الأزقة ، فيتحطم كإناء من الفخار ! ..

خيرية : شيطان ..

الباشا : لقد كانت روحه مستعدة للفساد . وإنى ما فعلت أكثر من أن أنلته ما أراد .. لقد نال منى بغيته .. بمنتهى السهولة ، ولكنه أصبح فى قبضتى كهذه الورقة (ينتزع ورقة من فوق المكتب ويطبقها فى كفه)

استطيع أن الق به أى وقت فى هذه السـلة ! ... « يلقى بالورقة فى سلة المهملات تحت المكتب » هكذا ! ..

خيرية : وأخيراً ؟ ! .

الباشا : وأخيراً ... أرجو أن تكونى مثله فى الحكمة والتعقل ، إنه يعرف قدرتى ، ويدرك ما أريد منه ومنك ... وله رغبة فى الطاعة ... ويميل إلى أن يمهد لى طريقى ... كما مهدت له طريقه .

خيرية : لن أصدق ذلك أبداً... أبداً ... أبداً ..

الباشا : معى البرهان .

خيرية : أرنى البرهان .

الباشا : أصدرت إليه أمرى بالسفر ... الليلة إلى الإسكندرية ، فى مهمة صورية لا تستدعى عادة ذهاب المدير ... وهو أذكى من أن يعمى عن المقصود من هذا الإبعاد .

خيرية : لن يسافر .

الباشا : سيسافر ...ولن يعترض ، ولن يرفض . وسيتركك الليلة وحدك ، وسأزورك أنا فى بيتك ، فى تمام التاسعة وأصحبك إلى السينما ، ثم نخرج منها إلى العش الجميـل حيث تتناولين معى عشاء خفيفا لطيفاً .

خيرية : لن يتركنى الليلة .

الباشا : سيتركك الليلة ... لى... لى..

خيرية : أأنت واثق من نذالته ؟ ..

الباشا : واثق من حكمته ! ..

خيرية : حكمته ؟ .

الباشا : على شرط أن تدعيه يتصرف بمحض اختياره ... لا تحاولى التأثير على إرادته بأفكارك ... ولا تركعى عند قدميه ، تتوسلين إليه أن يبقى .

خيرية : لن أركع أبداً عند قدمى زوج من هذا الطراز ! . . كرامتى تأبى ذلك

الباشا : مرحى...مرحى... إنك دائماً خيريةالتى أعرفها.. ذكية... فطنة... تتفتح عيناك على الحقائق ، فى الوقت المناسب .

خيرية : « تتحرك للانصراف » أرى أن الوقت الآن غير مناسب لبقائى هنا .

الباشا : « وهو يشيعها إلى الباب » أتعودين إلى بيتك ؟

خيرية : « كالشاردة » لا أدرى ..

الباشا : أغلب ظنى أن زوجك الآن فى البيت يعد حقيبة السفر ، كونى عند كلمتك هذه المرة .

خيرية : « كالمخاطبة لنفسها » سأتركه يتصرف بمطلق حريته !

الباشا : إلى اللقاء ... خيرية ... الليلة ... لا تنسى ... فى تمام التاسعة

(تخرج خيرية من الباب سريعاً دون أن تجيب ، ويعود الباشا وهو مرح يدندن . . وعندئذ يسمع نقر على الباب ، ثم يطل السكرتير برفق)

السكرتير : سعادة الباشا يأذن .

الباشا : « يلتفت » خيراً .

السكرتير : مكتب سعادة الباشا اتصل بى تليفونياً الآن . . . يوجد زوار فى الانتظار هناك وفد من جمعية انصار . .

الباشا : « مقاطعاً » آه... نعم... ولكنى لن أعود الآن إلى مكتبى... إنى منصرف

السكرتير : « بتردد » يظهر أنهم كانوا على موعد . .

الباشا : « ينظر فى ساعته » إذا استطاعوا أن يلحقوا بى هنا فى مدى عشر دقائق فإنى انتظرهم ... اخطر مكتبى بذلك

« السكرتير يخرج ، ويتمشى الباشا فى القاعة ويتأمل الخرائط والإحصاءات على الحائط ، . وعندئذ يفتح باب جانبى آخر بهدوء وتدخل امرأة فى مقتبل العمر ، وتسعل قليلا فيلتفت إليها الباشا »

الباشا : « مفاجأ » ناهد ؟ ! ... « بخشونة » ماذا جئت تصنعين هنا ؟

ناهد : علمت أنك هنا ... وإنى أعرف أنك لا تحب رؤيتى اليوم ... وأنك تتهرب من مقابلتى ... فلم أر من وسيلة إلا أن أدخل عليك هكذا . بغير استئذان

الباشا : « بجفاء » ماذا تريدين منى ؟

ناهد : أن تصحح وضعى .

الباشا : حقا ! ... لم يبق لى الآن فى الحياة من شغل إلا أن أصحح الأوضاع.

ناهد : سيطردوننى من المدرسة ... ولن أجد عملا فى مدرسة أخرى ... فقد سرت الإشاعة أنى خليلتك .

الباشا : ما عدت الآن خليلتى ... لقد انتهى كل شىء بينى وبينك ... كما تعلمين .

ناهد : لقد كنت وعدتنى بالزواج .

الباشا : أأنت مجنونة ؟ ... إنى رجل متزوج .

ناهد : وما الذى يمنع ؟ ... لقد قلت لى أنك ستعقد على وأكون زوجتك الثانية ، المحظية المحبوبة فى الستر بلا ضجة ولا ضوضاء ! ؟ ... أتنكر هذا القول اليوم ؟ ! . .

الباشا : أجئت اليوم لتذكرينى بكلام قديم ... قيل منذ عامين على سبيل المجاملة لا بد أنك قد أصبت بمس فى عقلك !

ناهد : لقد أصبت بعار لن يمحوه إلا أن تفى بوعدك ولو لمدة يوم واحد ثم تطلقنى .

الباشا : هذا إجراء متأخر ... وليس عندى اليوم وقت لهذه المساخر .

ناهد : ليس الذنب ذنبي .لقــد كنت تماطل وتؤجل... وتخدرنا بمعسول القول إلى أن فتر اهتمامك بنا ... وقلت زياراتك لنا ... وأخيراً جاء اليوم الذي انقطعت فيه العلاقة بيننا دفعة واحدة... فهجرتني وطردت أخي ... أليس فى قلبك رحمة ؟... أين الرحمة فى قلبك ؟

الباشا : أنت تعلمين أنى قد صفيت الموقف معك نهائياً ... ومع أخيك... بكل كرم وسخاء .

ناهد : ماذا تعنى ؟ ... أنا أقبل منك ثمنا لعرضى ؟ ! . .

الباشا : لقد قبل أخوك الثمن وقبضه وانصرف ...ولكنه عاد يطالب بالمزيد. وها أنت ذى تعودين لفتح موضوع التعويض ... تخفيه تحت ستار تلك اللغة القديمة التي لا تأثير لها فى المجتمع العصرى، العرض والعار، أنت أول من لا يقتنع بهذا الكلام العتيق ، وأول من يدرك أن علاج ذلك سهل الآن ... ففي شركاتى عشرات من الشبان مستعدين للزواج منك... وسترعارك المزعوم ... ولكنك لا ترين ذلك ... أنت إنما تريدين اللقمة الكبرى والمغنم الأكبر .

ناهد : أنت وغد . .

الباشا : لو كنت رجلا لصفعتك فى الحال...وطردتك من هذا المكان كما يطرد الكلب ... ولكنك سيدة ... يرغمنى الأدب على احتمالك .

ناهد : لك الحق أن تفعل أكثر من ذلك ... لقد أخذتنى لحما ورميتنى عظما .

الباشا : من الذى دفعك إلى المجىء هنا اليوم ؟ . . . هو أخوك شاكر ؟

ناهد : لا ... بل طمعى فى مروءتك .

الباشا : ألا تعلمين أن شاكر يلاحقنى منذ مدة بالخطابات والتليفونات ؟ أحياناً يتوسل ويتمسكن ... وأحياناً يتهدد ويتوعد ... حتى ضاق صدرى . . . وأعلنته أخيراً أنى سأبلغ أمره إلى النيابة .

ناهد : لقد أخبرنى أنك تتهمه بالتزوير والاحتيال .

الباشا : لست أنا وحدى ... بل أعضاء مجلس الإدارة وكل المساهمين .

ناهد : أنت تعلم أنه برىء . .

الباشا : ومن الذى ارتكب الجريمة ...ووقع بخطه ؟... عفريت من الجن. أو شبح من الأشباح ؟!

ناهد : أنصحك أن لا تبلغ .

الباشا : « هازئاً » تنصحيننى ؟

ناهد : لاتدفع به إلى اليأس ... لقد لمحت معه مسدساً .

الباشا : « هازئاً » ليطلقه على من ؟... على أو على نفسه ؟

ناهد : لست أدرى .

الباشا : عين أسلوبه فى التهديد والوعيد !... عصابة صغيرة بارعة من الجيل الجديد .

ناهد : من خلقك أنت وصنعك .

الباشا : من صنعى أنا ؟!

ناهد : ومن غرسك وزرعك كنا فى بيتنا المتواضع أنا وأخى نعيش آمنين نسعى إلى رزقنا البسيط بفخر .ونأكل لقمتنا الطاهرة بعرق الجبين.

نسير فى الحياة بخطانا الطبيعية البطيئة... ولكننا نؤمن بقيمة الفضيلة ومعنى الشرف ونعتقد أن لهما نوراً قدسياً... هو أبقى للنفس من بريق الذهب وأضواء اللآلىء!... كنا أغنياء بالنفوس... أقوياء بالمبدأ... نرى الثروة شيئاً فى قلوبنا... لا رداء على الأبدان!... فجئت أنت. ودخلت بيتنا، فكأنه الشيطان الرجيم جاء يقلب حياتنا رأساً على عقب.

الباشا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «يسبح بالسبحة»

ناهد : نعم... أستعذ بالله من نفسك... لقد علمتنا أشياء ما كنا نعلمها. وأريتنا طريق المال سهلا ميسوراً... وأفهمتنا أنه هو كل شىء. وبهرتنا به، وأغريتنا بهالته... فسرنا وراءك نتخذك أماما... ونتبع خطاك دون أن نبصر فى أى طريق نسير.

الباشا : أيتها المعلمة... هذا كلام تخاطبين به تلاميذك فى رياض الأطفال.

ناهد : لا تهزأ بمهنتى... إن قلبى يتمزق... كلما تذكرت أنى لم أكن جديرة بتعليم الجيل الصغير!... ماذا أعلمه؟... وقد فسدت نفسى... وزاغت عقيدتى وفقدت مثلى وأضعت مبادئى.

الباشا : ومن المسئول؟

ناهد : أنت.

الباشا : أما أنتم فلا ذنب لكم ولا جريرة!... أبرياء، أطهار، بررة... تبيعون مبادئكم التى تقولون إنها غالية نفيسة... وتقبضون الثمن وتضيعونه. ثم تصيحون... لقد خسرنا... إن كل صفقة أيتها المدرسة المهذبة، تحتمل الربح والخسارة وكل من باع شيئاً يجب أن يقدر أنه قد يربح وقد يخسر... ولكنكم لا تقدرون دائماً غير الربح... الربح... الربح.

ناهد : انك تكلمني بلغة التجارة ... نحن لسنا تجارا .

الباشا : مغامرون . أنتم مغامرون ... وقانون المغامرة مثل قانون التجارة .

ناهد : لا تنس أنا أطفال بالنسبة إليك ... وأنا كنا نراك فى مقام المنقذ الكريم والمرشد الرحيم ... وكان عليك أنت أن تقودنا إلى الخير والفضل والغنيمة، لا إلى الضياع والفساد والجريمة ..

الباشا : أعترف أنى ما فكرت فى أن أقودكم إلى شيء .

ناهد : هذا صحيح ... انك ما كنت تفكر قط إلا فى نفسك ... وفى أن تتخذ منا أدوات لأغراضك .

الباشا : حذار أن تنكرى أنى بسطت لكم يدى ... وأنى ما ضننت عليكم بشيء . وما رفضت لكم مطلباً .

ناهد : حقاً ... يوم كنت ترجو شيئاً منى ..

الباشا : « مستمراً » وأنى أغرقتكم فى بحار نعمتى .

ناهد : نعم ... أغرقتنا ... أغرقتنا ... أغرقتنا وتركتنا .

الباشا : لن تغرقوا ... أنى أعرف انكم تحسنون السباحة .

ناهد : « فى استعطاف » ألن تمد إلينا يدك ؟

الباشا : « ينظر فى ساعته » ليس الآن ... الآن أنا مشغول ... مشغول جداً .

ناهد : « فى توسل » ألق إلى ببعض الأمل .

الباشا : ومن يمنعك أن تعيشى بالأمل .

ناهد : أتوسل إليك ... استحلفك بحبك لى ... حبك الذى مات .

الباشا : « يلتفت إلى الباب الذى يفتح » صه .

(يظهر السكرتير على العتبة)

السكرتير : سعادة الباشا ! حضر وفد جمعية ...

الباشا : (فى ارتباك) لحظة ... لحظة ... (يلتفت إلى ناهد) ارجوك يا ناهد ... انصرفى الآن بسرعة (يسمع صوت وفد الجمعية بالباب ، فيدفع ناهد إلى حجرة جانبية ويغلق عليها) اختبئى هنا لحظة (ثم يتجه إلى الباب ويستقبل أعضاء وفد الجمعية الداخلين) أهلا وسهلا .

الوفد : أهلا بسعادة الباشا .

الباشا : أنا فى غاية السرور بهذه الفرصة السعيدة .

الوفد : (بلسان كبير الأعضاء) بل نحن فى غاية السرور ... إذ شرفنا سعادة الباشا بقبولة الرياسة الفخرية لجمعية أنصار الفضيلة

الباشا : (فى تواضع مصطنع) هذا شرف لى .

الوفد : (بلسان كبيرهم) بل شرف للجمعية يا سعادة الباشا ... فإن ماضيك المجيد فى أعمال الخير له فى النفوس أثر لا يمحى ... وجهادك فى المجتمع من أجل الإصلاح له صفحات مشهورة ... ومساعيك فى صيانة الأخلاق لها مواقف مشكورة .

الباشا : (يطرق متواضعاً ويسبح بالسبحة ويتمتم) استغفر الله ... استغفر الله

الوفد : (مستمراً) وأنت فى المجتمع قطب من أقطاب البر والفضل والخلق . يلهج الناس باسمك فى كل مكان ، جاعلين منك المثـــل الذى يحتذى به فى السير السليم والسلوك القويم ... رافعين إليك العيون ... مشيرين إليك بالبنـــان .

الباشا : استغفر الله ... استغفر الله .

الوفد : (مستمراً) فإذا تفضلت ونزلت وقبلت رياسة هـذه الجمعية ... فإنما

هو فضل من أفضالك .. وحسنة من حسناتك ... وكسب للأخلاق. ونصر للفضيلة .

الباشا : « يسبح بالسبحة » استغفر الله « يلمح حركة بباب الحجرة التى بها ناهد

يرى الباب يفتح قليلا وتحاول ناهد أن تطل برأسهـا لترى ماذا يحدث بحجرة المكتب فيسرع الباشا إلى الباب بحركة خفية لا يتنبه إليها أعضاء الجمعية . ويغلق الباب بعنف وهو يقول كأنه يؤنب ناهد :)

استغفر الله ... استغفر الله ! . .

كبير الأعضاء : « يلتفت إلى وفد الجمعية صائحا » اهتفوا معى ... فليحى رئيس جمعية أنصار الفضيلة ! . .

الوفد : « هاتفاً » يحي رئيس جمعية أنصار الفضيلة .

« بينما الباشا يهز رأسه بالتحية ويضع يديه على رأسه شاكراً »

ســتار

الفصل الرابع

(بهو فى شقة « حامد » الفاخرة بجاردن سيتى .
أثاث يدل على ذوق ورخاء . الوقت ليل والضوء
ينبعث ورديا باهتا من أباجور كبير فى أحد الأركان .
البهو خال والساعة تدق تسع دقات وعندئذ يرن
جرس باب الشقة . ثم تسمع حركة فتحه وإغلاقه .
ويظهر الباشا فى أتم أناقة ، وخلفه الخادم)

الباشا : « للخادم » حامد بك ليس هنا بالطبع ؟ !

الخادم : البيك سافر .

الباشا : « بلهجة العارف الواثق » مؤكد ... والست ؟ ..

الخادم : الست فى حجرتها ... وهى الآن ..

الباشا : « مقاطعاً » عظيم ... عظيم ... اذهب أنت لعملك ... لا حاجة بى الآن إليك

الخادم : نحضر القهوة لسعادة الباشا ؟ ..

الباشا : لا تحضر شيئاً ... سنخرج بعد قليل « ينظر فى ساعته ويضعها على أذنه »
كم الساعة الآن ؟

الخادم : دقت التاسعة منذ لحظة .

الباشا : « كالمخاطب لنفسه » فى موعدى بالضبط ... « يلتفت إلى الخادم » اذهب
أنت إلى عملك ! ..

الخادم : « متحركا » أخبر الست ؟

الباشا : « يمنعه بإشارة » لا ... لا ... أنا أخبرها بنفسى ... اذهب انت ..

(الخادم يدير زر الكهرباء فى النجفة
الكبرى فيضىء البهو ضوءاً ساطعاً ثم يخرج)

الباشا : « وكان قد تهيأ للتحرك نحو باب الحجـــرة الثانية » يالك من أحمق ! أضعت النور الوردى الشاعرى ! « يلقى نظرة أخيرة على هندامه فى مرآة البهو ... ثم يقترب من باب الحجرة ويقرع عليه بلطف ويهمس برقة » خيرية ... خيرية . .

(يفتح الباب فيتراجع الباشا من المفاجأة : فقد ظهرت الأم تنظر إليه نظرات قاسية)

الباشا : « من بين شفتيه » أنت ... هنا ؟ ... ما معنى وجودك هنا الساعة ؟ !

الأم : عليك أن تفسر معنى وجودك أنت أولا . .

الباشا : ليس لأحد أن يطالبنى بحساب أو تفسير لتصرفاتى .

الأم : تصرفاتك لاتحتاج إلى تفسير !... لقد اطلعتنى هى اليوم على كل شىء... هلم معى بلا ضوضاء إلى منزلنا ... أرجوك... هلم بنا ... اترك ابنتى .

الباشا : اترك ابنتك ؟

الأم : نعم ... أتوسل اليك أن تترك ابنتى ... لأنك لن تصل إليها إلا على جثتى أفهمت ؟ ... خير لنا يا محمود أن نغادر هذا المكان ... ونمضى إلى بيتنا بكل هدوء ... قبل أن تقع الكارثة ... قلبى يحدثنى أن كارثة ستقع . .

الباشا : ما هذا الذى تقولين ؟

الأم : لقد صممت أن أقف الليلة على باب ابنتى ... أذود عنها وأحميها ... ما عدت أطيق عذابى الصامت الذى عشت فيه زمنا ... إنى ما كنت عمياء ولا بلهاء ... بل زوجة محبة مخلصة ... ترى وتلمح وتلاحظ تلك الأشياء الغريبة المريبة التى تجرى حولها .

الباشا : ماذا يجرى حولك ؟ .

الأم : محمود ؟ ... لا تحاول الآن أن تنكر... لطالما توليت أنا عنك الدفاع أمام

قلبي ... إنك تعلم أنى مالفظت يوما كلمة نمت على ارتيابى فيك ... كنت أحرص دائما على إخفاء ماخامرنى منك ... احتراما لنفسى ولك ... كان ذلك مبدئى معك منذ زواجنا ... أسمعت منى ذات مرة كلمة لوم أو تأنيب أو شك أو ارتياب ؟ ... لم يحدث قط ... ولكن الأمر يتعلق الآن بابنتى !...

الباشا : ماذا قالت لك ابنتك ؟

الأم : لم تقل لى شيئا قبل اليوم... اليوم فقط استدعتنى لتفضى إلى بالحقيقة ... بعد أن كتمتها عنى طويلا هى الأخرى ... وجعلتنى أتساءل فى خلوتى عن سر كتمانها ... واتقلب على لهب العذاب بين الشك واليقين ... آلام مروعة ... ما ذاقها زوجة قط ولا أم... لقد أيقظت فى قلبى أيها الزوج الظالم الآثم من المشاعر الفظيعة والغرائز البشعة ما ندر أن يعرفه بشر !... تلك النظرات من عينيك الخبيرية ... كانت أحيانا تلفح قلبي كأنها جمرات... ولكننى كنت أقول ... محاولة اقناع نفسى... إنها نظرات حنان من أب عطوف لم يرزق الخلف ... كنت أسأل الله فى أعماق الليل وأنا أكتم زفراتى بمنديلى ... وأبلل وسائدى بالدموع أن لا يكون الأمر غير ذلك ... محمود لماذا عذبتنى هكذا ؟ ... أى شيطان دخل بدنك ، فجعلك تفرق بين الزوجة وزوجها والأم وابنتها ؟ أرجوك يامحمود ... أتوسل اليك... أقبل قدمك...عد انسانا...انسانا ذاقلب رحيم ونفس كريمة ... انقذ ما بقى منى ... وكافئنى على صبرى...لقد برتنى الآلام وبرحت بى الهواجس ... فبدا على الكبر قبل الأوان ... ارحمنى وضمد جراحى ...إن قليلا من حنانك يعيد إلى بعض شبابى...هلم بنا إلى منزلنا...

إلى بيتنا نحن . « تتناول يده وتجذبه برفق »

الباشا : « يسحب يده منها » أنت ولا شك جننت... ذهبت بعقلك الغيرة من ابنتك الشابة ... هذا كل ما فى الأمر ... يحسن بك أن تعودى الآن إلى منزلك . وتلزمى فراشك ، وتتناولى شراباً دافئاً مهدئاً للأعصاب .

الأم : وأنت ؟ ... ألا تعود معى ؟

الباشا : إنى جئت لمقابلة خيرية فى مسألة خاصة بها ، وأن شئت إيضاحاً فهى مسألة خاصة بزوجها ، وليس من المناسب أن تطلعى على ذلك .

الأم : لا أظنها تخفى عنى شيئاً ، حتى وإن كان خاصاً بزوجها .

الباشا : أنت مغفلة ! ... لقد اعترفت الساعة أنها كانت تكتم عنك أشياء كثيرة .

الأم : فعلت ذلك حقاً ، حتى لا تؤذى شعورى .

الباشا : لهذا السبب نفسه ، أخفت عنك كل ما يتعلق بزوجها .

الأم : أتكتم عنى أنا أمها ، ما لا تكتمه عنك أنت ... أهذا معقول !

الباشا : معقول جداً ، وإذا أردت الدليل ، فارجعى بذاكرتك الضعيفة إلى ثلاثة أشهر فقط ، إلى تلك الليلة التى أعلنت فيها أنا خطبة ابنتك إلى حامد ، أكنت تعرفين هذا الشخص من قبل ! ... ألست أنا الذى قدمته إليك ! ألست أنا وحدى الذى كنت أعرف ما بينه وبين ابنتك ! ... ألست أنا الذى توليت إنقاذ الموقف ، منعاً للفضيحة ، وحفظاً لسمعة خيرية وسمعتك !

الأم : لقد كانت لك مآرب أخرى من وراء ذلك ، مآرب أنت تعرفها ، ولا حاجة بى إلى ذكرها الآن .

الباشا : بل إذكريها الآن من فضلك .

الأم : لقد سهلت لها الزواج من هذا الشاب ... ليسهل عليك الوصول إليها .

الباشا : أهى التى قالت لك ذلك ! ... يالها إذن من ناكرة للجميل ... أرادت أن تظهر أمام عينيك فى صورة الحمل ... وأن تظهرنى فى صورة الذئب .

الأم : لا أصدق ما تقول فى خيرية .

الباشا : وتصدقين ما تقول فى أنا ؟... أقدم إليك نصيحة خالصة ،عودى إلى البيت... أذهبى الآن إلى بيتك ... وضعى كل ثقتك فى زوجك .

الأم : لن أتركك هنا ... وحدك .

الباشا : عدت إلى الغيرة ... الغيرة العمياء التى تنهش قلبك فى ظلام الأوهام .

الأم : مهما يكن من أمر ... فإن واجبى الآن أن أبقى هنا معك ، وأن أذهب معك

الباشا : سأقابل خيرية بمفردى ... وستذهبين إلى البيت وحدك .

الأم : لن أذهب وحدى ... لن اتركك هنا ... لقد توسلت إلى خيرية أن أحميها الليلةمنك !..

الباشا : تحمينها منى ؟... وحش مفترس له مخالب سينشبها فى عنقها «يريها أصابعه» ها هى أصابعى قد انقلبت مخالب !...ماذا يصور لك وهمك أيضاً ؟ ... سامحك الله أيتها الزوجة الوفية ... أهذا رأيك فى زوجك...زوجك الذى أجمع الناس على أنه سند للأخلاق، ونصير للفضيلة... ألا تقرئين الصحف؟

الأم : نعم ... قرأت فيها كثيراً أنك قطب من أقطاب الفضيلة والأخلاق ...

الباشا : قرأت ذلك بحروف مطبوعة ولم تصدقى أيتها الغارقة فى الوساوس ، ماذا بعد شهادة الصحف والمجتمع والرأى العام ! ...

الأم : ابنتى لو سمعتها الليلة ، وهى ترتجف خوفا منك ، وترجو منى أن أبقى

بجانبها ، كى أحميها وأدرأ عنها .

الباشا : معذورة ، إنها تلتمس الحماية حقاً ، لا لنفسها ، ولكن لشخص آخر ، هو وحده الذى يتعرض الآن للخطر ، أتدرين من هو ؟

الأم : من هو !

الباشا : زوجها حامد ، إنها لا تريد مقابلتى الليلة ، حتى لا تسمع من فمى ما أنا قائل فيه ، قول لا يسر ، ولكنه مدموغ بالإثبات والدليل ، وأن رقة حاشيتى وعلو تربيتى ، يأبيان على أن أزيد فى أوجاعك ، وأخوض فى سمعة شخص ، إلا أمام من هى الصق الناس به ، ولعلها تنصحه أو تنقذه من ورطته .

الأم : ورطته .

الباشا : نعم ورطة تتعلق بذمته ونزاهته فى الشركة التى استؤمن على إدارتها... أنت لا تجهلين البيئة التى انتشلناه منها ... ولكن العرق دساس ... والطبع غـــلاب ... استغفر الله ... لا تحرجينى ... لا تحرجينى ... ولا تدفعينى إلى الكلام فى غيبته ... المسألة كما ترين ... لا تتصل بك ... وليس فى يدك حلها ... اتركينى اتدبر مع خيرية الأمر وأنقذ ما يمكن إنقاذه .

الأم : إذا صح ما تقول ... فما الضرر أن أكون معكما !... سأبقى هنا ولن أذهب إلا معك .

الباشا : « بعنف » ستذهبين وحدك... الآن ... وبأسرع ما تستطيعين ، لأن صدرى قد ضاق ، وصبرى قد نفد .

الأم : إنى أرفض الانصراف

الباشا : « بقوة » آمرك أن تنصرفى إلى بيتك الآن ..

الأم : تأمرنى ! ... بأى حق .

الباشا : بما لى من حق الأمر ، وما عليك من واجب الطاعة .

الأم : سأبقى لأرى ما يكون منك .

الباشا : تتحدين ! ... لم أخطىء ساعة قرأت فى وجهك نية التحدى ، اذهبى إلى بيتك بالحسنى .

الأم : وإذا لم أذهب .

الباشا : إذا لم تذهبى إلى بيتك فى الحال ، فأنت طالق .

الأم : « فى صيحة مكتومة » طالق ! ..

(تظهر عندئذ خيرية خارجة من الحجرة الجانبية ، وتهرع إلى أمها)

خيرية : أماه ! ... انصرفى إلى بيتك ... أرجوك ... أرجوك ... انصرفى فى الحال إلى بيتك .

الأم : أسمعت اليمين !

خيرية : اعذريه ... انصرفى فى الحال ... الذنب ذنبى أنا يا أمى ... لقد كذبت عليك . وافتريت عليه .

الأم : كذبت على .

خيرية : كل ما قلت لك اليوم زور وبهتان .

الأم : ما هذا الكلام ياخيرية ! ... وما رأيت أنا بعينى زور وبهتان .

خيرية : نعم ... نعم ... أذهبى إلى بيتك .

الأم : « تنظر إلى ابنتها ملياً مفكرة مترددة ... ثم تتحرك بعزم » وهو كذلك . لقد فهمت الآن ما ينبغى أن أفعل .

(وتخرج سريعاً : ويسمع صوت باب الشقة يفتح ثم يغلق وخيرية في مكانها مطرقة)

الباشا : « لخيرية » مناورة بارعة وتمثيل متقن .

خيرية : كان يجب أن أفعل ذلك ، لأنقذ أمى .

الباشا : أتراها اقتنعت بكلامك حقاً ... أم خافت يمين الطلاق ... كما خفت عليها منه ... ومثلت هى الأخرى بإتقان ... لتنسحب بلباقة .

خيرية : أرجو أن تكون اقتنعت ... ففى ذلك راحة لها ... ما كان ينبغى أن أقحمها فى مشكلاتى ... إنى لست طفلة ... إنى أستطيع أن أدافع عن نفسى . وأن أواجه كل خطر بمفردى ... حتى وإن كان الخطر هو دناءة رجل مثلك ... والآن اخرج من هنا .

الباشا : لن أخرج قبل أن أحدثك عن زوجك؟... زوجك هذا الذى يحرص على مركزه قبل أن يحرص عليك أنت ... أين هو الليلة؟ ... سافر كما أمرته أنا وكما أكدت لك .. لقد عارضتنى وكذبتنى فى مكتبه اليوم بالشركة وما صدقت قط أنه سيسافر ويدعك لى ... تمضين الليلة معى ... أين هو؟... أين هو هذا الزوج المحب المخلص الغيور؟ ... أين هو ... أجيبى

خيرية : «مطرقة» سافر ..

الباشا : نعم ... سافر حقاً ... هل عندك تعليل لسفره غير ما ذكرت لك؟

خيرية : «ترفع رأسها بقوة» لا .. ولا أريد أن أدافع عنه هو الآخر .

الباشا : أرأيته قبل السفر ؟

خيرية : رأيته ولم أحادثه .. كما وعدت ولم يحادثنى وأخذ حقيبته وانصرف .

الباشا : نعم ... انصرف إلى ما يهمه من هذه الحياة .

خيرية : هو حر ينصرف إلى ما يشاء ..

الباشا : وأنت حرة تنصرفين إلى ما تشائين.

خيرية : إن لى مبادئى ونظراتى فى الحياة ..

الباشا : نظراتك الصائبة تستطيع على كل حال، أن تميز بين شخص يأخذ منك ويرتفع على كتفيك ... وشخص يعطيك ويجثو عند قدميك .

خيرية : لا أريد أن أدخل الآن فى مجال المفاضلة والتمييز .

الباشا : أفهم ظرفك المؤلم... لقد صدمت... ليس أقسى على الزوجة من تلك اللحظة التى يتضح لها فيها أن زوجها يهجرها ويهملها ، سواء أكانت تحب هذا الزوج أم تكرهه ، فإن كرامة الزوجة تثور لمجرد الإهمال إنى أرثى لك يا خيرية .

خيرية : أرجو أن ترثى أيضاً لأمى ... فإن حظها ليس أسعد من حظى .

الباشا : حظك أنت هو العاثر المنكود هذا الشاب العامل فى المكتبة الأحمدية كان يجب أن يعبدك عبادة. .أنت التى علمته كيف يسكن شقة فاخرة فى « جاردن سيتى » أما أمك فقد أخذتها أنا من بيتها القديم فى حى متواضع لأضعها فى «فيلا» باذخة فى حى الزمالك .

خيرية : أنت دائماً هكذا . . . تجعل للثراء كل القيمة فى الحياة .

الباشا : وزوجك ؟...هذا الشاب الذى كفر بك وبقلبك... أخبرينى ماهى أهدافه العليا فى الحياة ؟! . .

خيرية : هى الأهداف التى تعلمها منك !

الباشا : منى أنا ؟!... نعم... كل كارثة تحيق بك أنا علتها... وكل مصيبة تنزل بك أنا سببها...وكل شخص يسرقك أنا ضامنه...وكل إنسان يطعنك

أناديته... أنت فى سورة غضبك وأزمة غيظك... فى حاجة إلى إناء تضربين به الأرض... وحائط تقذفينه بأمتعتك... وبرىء تلقين بتهمك فى وجهه. إنه ليسرنى ياخيرية أن أكون فى يدك كل هذه الأشياء التى نصيبها التحطيم مادام فى ذلك تهدئة لروعك... لقد جئتك الليلة... وأنا متأكد أن نقمتك على زوجك الوغد ... لن تنفجر إلا فى صدرى انا .

خيرية: لاتقل عن زوجى إنه وغد.

الباشا: تحبينه !... بعد كل ذلك .

خيرية: ليس الحب... بل كرامتى ..

الباشا: كرامتك التى داسها هذا الزوج الذى لم يقدرك قدرك .

خيرية: إنه حقاً لم يقدرنى قدرى ... ولكن ..

الباشا: ولكنك امرأة من ذلك الصنف الذى لايحب من الرجال إلا ذلك الذى يصفع وجهها ، ويأكل من جيبها ، ويأخذ من جعبتها ولا يعطيها غير الأجوف من الكلام « يلاحظ أن خيرية قد أطرقت وبدا عليها الألم » عفوا ياخيرية ... أنت تعلمين أنى ما أقصد إيلامك أو إهانتك ... إنما أقصد مصلحتك... وجهك شاحب... وعيناك غائرتان... قد رسم الهم تحت جفنيك خطا أسود ... أتستطيع ساعات قليلة من الغيظ والكمد أن تحدث فى نضارتك كل هذا الأثر!... قومى انظرى إلى وجهك فى المرآة أيسرك أن تذبلى كل هذا الذبول !...

خيرية: لاشأن لك بوجهى .

الباشا: تقولينها بتحد ... ولكنك ككل امرأة ... لا تبصرين فى المرآة وجهك الحقيقى بل الوجه الذى تريدينه لنفسك .

خيرية: وهل تبصر أنت وجهك الحقيقى ! .

الباشا : بالطبع .

خيرية: أو لم تخف منه وتخجل ، ويستولى عليك الذعر والاشمئزاز ؟

الباشا : « ناظرا إلى المرآة » ياللهول . . . أهو إلى هذا الحد قبيح ؟

خيرية: « تشير إلى وجهه » لست أقصد وجهك هذا .

الباشا : أعرف ماتقصدين: وإنى لأسائل نفسى كثيراً ... ماجريمتى عندك ؟... ماذنبى الذى استحققت عليه كل هذا الازدراء منك وكل هذه البغضاء ؟ . . . هل حرمتك من نعمة ؟... هل ضننت عليك بخير؟ .. هل بددت لك ميراثا ؟... هل أكلت لك مالا ؟ ... هل سحقت لك قلباً ؟ ... هل اتخذتك وسيلة للثراء أو سلماً للوصول ؟ . . . ما جنايتى التى جعلتنى فى نظرك شريرا مخيفاً . . . إنى ابحث فلا أجد لى غير جريمة واحدة هى ... أنى أحببتك ... هل حبى لك جريمة ؟ . .

خيرية: نعم . . . جريمة . . . أتجهل ذلك ؟.. جريمة منكرة ... جريمة يجب أن يحمر لها وجهك خجلا .

الباشا : لماذا ! . . . أريد أن أفهم . .

خيرية: لاحاجة بى إلى إفهامك . . . لأنك فاهم ، وفاهم ، وفاهم

الباشا : إذن قلبي لا يفهم . . . ولا استطيع أن أرغمه على الفهم ، لأنه ليس ملكى . إنه طائر حر إذا طار يوما وحط على يدك ، فلا ذنب لك ولا ذنب لى...إن رحمتك تحتم عليك عندئذ أن لا تذبحيه ولا تخنقيه...ولا تؤاخذيه بجرم ، بل تمسحى على جناحه برفق ، وتبقيه ، وتقدمى إليه الحب ، خيرية إن كل ما أطلب إليك الآن من زاد شىء زهيد ... ابتسامة ! ابتسامة منك

الساعة . . . هى لى أكثر من غذاء ... إنها دواء ... ابتسمى . . . هذه الابتسامة خير لى من البرشامة ...

خيرية : لا أريد أن ابتسم ... أريد أن تنصرف ...

الباشا : وحدى ؟ ... أنصرف وحدى ؟... لن أنصرف وحدى ... اذهبي الآن وارتدى ثياب الخروج... ولنمض معاً إلى السينما ... ولترفهى عن نفسك الكئيبة « ينظر فى ساعته » ... لم يزل أمامنا فى الوقت متسع ... أسرعى والبسى فى خمس دقائق ! ...

خيرية : أنت جننت ؟... إنى أمام مجنون...

الباشا : أى بأس فى الخروج معى .

خيرية : لن أخرج معك...بل لن أخرج وحدى وزوجى غائب...إنى لم استأذنه .

الباشا : تسأذنين هذا الزوج ؟ هـــذا الزوج الذى سافر . وهو يعلم أنى سألقاك الليلة ... ؟ إنه قد أذن لك وذهب وتركك لى ...

خيرية : تفريط الزوج فى واجباته لا يبيح الزوجة أن تفرط فى واجباتها ...

الباشا : أيتها الحمقاء ... لقد دفع بك إلى ذراعى ... لقد ألقى بك فى أحضانى ...

خيرية : إنى لست سلعة ولا دمية حتى يلقى بى حيث شاء ... إنى امرأة آدمية ذات كرامة ... وإنى عندما أرفض الدنس لا أراعى فى ذلك سمعته هو بقدر ما أراعى سمعتى أنا ...

الباشا : كلمات جوفاء استحوذت على عقلك . . . وأسدلت على عينيك ستاراً من دخان يمنعك من رؤية مباهج الدنيا ... أنت مريضة ، ولكن فى مقدورى علاجك... علاج سهل قد ترين فيه أول الأمر شيئا من الجرأة... الطبيب يجب أن يكون جريئا فى بعض الحالات ... قد يصدم المريض

فى البداية ولـكن الشعور بالراحة يغمره بعد قليل ...

(يدنو من خيرية فتتراجع)

خيرية : « برعب » ابتعد...ابتعد ...

الباشا : سأسقيك أنا الدواء من شفتى ...

خيرية : « تصفعه » لا تمسنى ... أيها الوقح ... أيها الوحش ...

الباشا : « بوحشية وهو يدنو منها» مريضتى ... لن تفلتى منى الليلة .

خيرية : « صائحة » لاتدن منى ... لاتدن منى !...

(وفجأة تظهر الأم قادمة من باب)

الأم : «بصوت أجش» دع ابنتى ...

خيرية : « تتنفس » أمى ...

الأم : دع ابنتى...واخرج من هنا...

الباشا : أكنت فى الشقة إذن ... لم تذهبى ... تظاهرت بفتح الباب وإغلاقه لتبقى وتتجسسى ...

الأم : دع ابنتى...وأخرج من هنا ...

الباشا : ما هذا البريق المخيف فى عينيك ؟ ... هل أصابك مس من الجنون ؟

الأم : « من بين شفتيها » دع ابنتى واخرج من هنا ...

الباشا : أتفهمين معنى ما تقولين ؟ ...

الأم : أفهم معنى ما أقول ... لن تطأ قدمى أعتاب بيتك بعد الآن ... لن أرى لك وجها ... سأعيش مع ابنتى حيث تكون ... اخرج من هنا ...

الباشا : أخرج من هنا ؟ ... أخرج من البيت الذى صنعته بيدى ؟ ! ... أنسيت أن ابنتك تعيش فى بيت من صنع يدى ؟

الأم : لن نعيش فى بيت من صنع يدك ! . . . سنرضى بالكفاف ونعيش فى حى فقير ونبيت ، إذا لزم الأمر على الطوى . . . أنا وخيرية ... أليس هذا رأيك يا ابنتى ؟...

خيرية : نعم ... نعم يا أمى ! . . .

الأم : والآن اخرج من هنا حتى ندبر لأنفسنا حياة أخرى ... اخرج ...

الباشا : لا تجعلى الغضب يعمى بصرك...إن هذا ليس بيتك... إنه على الأقل بيت رجل لا يعنيه من أمركما شىء،رجل مشغول بمستقبله ، وهو فى جيبى... مثل هـــذا السيجار ... « يخرج سيجاراً ويشعله » أستطيع أن أحرقه وقتما أشاء ! . . .

الأم : سنعتمد على الله ! . . . جميعنا . . .

خيرية : سأعمل مدرسة يا أمى ... أو عاملة فى محل . . . ونأكل من عرق الجبين .

الأم : خذى بعض متاعك يا خيرية ، ولنذهب إلى بنت خالتك فى مصر الجديدة . . . إلى أن نعد لنا سكننا ...

الباشا : يحسن بى أنا أن أنصرف . . . أولا ، ستندمان على هذا الموقف العدائى بلا ضرورة . . . وستسعيان إلى يوم تواجهان حقائق الحياة وقسوتها . . . لتركعا عند قدمى . . .

(حامد يظهر من الباب الذى ظهرت منه الأم)

خيرية : « بلهفة » حامد ! . . .

الأم : « بعتاب » لماذا ظهرت الآن يا حامد ؟..

حامد : « للأم » لم أستطع البر بوعدى لك... والانتظار حتى يذهب هذا الرجل يجب أن أقول له كلمتين ...بكل هدوء ... ورباطة جأش . . .

الباشا : ما هذا ؟. . . لم تسافر إذن ؟ !...

حامد : « بتحد وعنف » لم أسافر ... ولم يكن فى نيتى السفر ...

الباشا :كان فى نيتك أن تعد لنا هـــذه المفاجأة أيها الشاب المولع بالمفاجآت!... يظهر أنك كنت تكثر من قراءة الروايات البوليسية يوم كنت عامل مكتبة فأغراك ذلك بدخول البيوت من النوافذ ، ومفاجأة النـاس بمثل هذه المواقف ...

خيرية : « تهرع إلى ذراعى حامد» ... إنى سعيدة بهذه المفاجأة ... متى جئت ؟...

حامد : منذ قليل ... ما كدت أخرج مفتاح الشقة ، حتى انفتح الباب ورأيت أمامى « يشير إلى الأم » أمنا ... فدخلت واغلقنا الباب ...

الأم : « تشير إلى حيث كانا مختبئين » نعم ... كان طول الوقت معى هنا ... وتفاهمنا على كل شىء ...

الباشا : هى إذن مؤامرة ... لضبطى فى موقف مريب !...

حامد : بل لأحمل أمتعتى الخاصة من بيتك هذا الذى صنعته بيدك ... القذرة ... وأبصق فى وجهك ... وأذهب إلى غير رجعة ...

خيرية : « صائحة » وأنا ... يا حامد ... أو تتركنى ؟...

حامد : « وهو يطوقها بذراعه كيف اتركك ؟ !... ولـكن ، هل تستطيعين الحياة بعيداً عن هذا الترف ... « يشير إلى رياش البهو »

خيرية : انى معك ... حيثما تـكون ... وأمى معنا...

الأم : حيثما تـكون يا حامد... نحن معك ...ولنكافح من أجل اللقمة الشريفة معاً .

الباشا : معا ، حيثما يكون ... ؟ يا للسذاجة ... أنسيتما أين سيكون ؟ ! ... إنه سيكون غداً فى السجن !...

الأم : « صائحة » لا ... لن تفعل ذلك ... لن تسجنه ... لن تقضى على مستقبل

برىء ... كن رحيما ...

حامد : « للأم » لا أريد هذا الاستجداء ... لن أخشى غير حكم الضمير ... إنى منذ زلتى الأولى ماارتكبت قط مايندى له الجبين... ضميرى لن يدينى أبداً وإنى لحكمه مستريح ...

الباشا : غداً أمام القضاء ... قدم ضميرك مستنداً ، تدرأ به أدلة الاتهام ، إلى اللقاء ... جميعكم ... « ينصرف وهو يقول للأم » عودى إلى بيتك ... ولا ترتكبى حماقة ...

(يخرج وهو يسمع الأم تصيح)

الأم : لن أعود ...

خيرية : « لحامد » إنى خائفة عليك مما يبيت لك من شر ...

الأم : «مقبلة على حامد » أما من سبيل إلى إنقاذك ؟...

حامد : أمرى إلى الله . . . هذا الرجل قد صنع الدليل قبل أن يصنع الاتهام .

الأم : إن الله لن يخزى بريئاً أبداً ...

خيرية : فكر معنا يا حامد ... عن طريقة ... فلنفكر معاً .

حامد : « يفكر » ماذا يمكن أن أصنع ؟ ... إن فى السماء إلهاً .

(يسمع طلق نارى... يدوى خارج الشقة ... ثم أصوات صياح وجلبة وطرق شديد على الباب ... فيستولى الوجوم على الأم وخيرية وحامد ... ويظهر الباشا يسنده الخدم . وهو يضع يده على الدم المتفجر من صدره . بينما صفارات البوليس تنطلق فى الشارع)

الباشا : « بصوت متداع » قتلنى شاكر . . . فى السلم . . . كان متربصاً لى . . . فى السلم ... هل ضبطوه ... اضبطوا شاكر ... اضبطوه .

الأم : «تهرع إلى زوجها ملهوفة » محمود ... «تجلسه مع الخدم على مقعد كبير» .

الباشا : «يمد يده المتساقطة نحو التليفون » الدكتور ... التليفون .

الأم : الدكتور يا حامد.. بسرعة ... إقفلى باب الشقة ياخيرية ... واطردى

الناس ... على بقطن ... أليس هنا قطن ؟

(خيرية تجرى مهرولة هنا وهناك)

حامد : « الذى كان قد أسرع إلى التليفون » ألو ... ألو ... الإسعاف من فضلك بسرعة ...

الأم : «صائحة وهى تنظر إلى يدها الملوثة بالدم» على بمفرش ... أقف هذا الدم .

(خادمة تسرع ملبية)

الباشا : «فى حشرجة» شربة ... ماء .

الأم : «صائحة» كوبة ماء ... خيرية ... حامد ... كوبة ماء على عجل ... على عجل .

(تأتى الخادمة بمفرش كبير. فتضمه الأم على صدر زوجها)

الباشا : « تخفت حشرجته بالتدريج »

(الخادم يأتى بكوبة الماء فتتسلمها منه خيرية . ويتسلمها حامد ويسرع بها ..)

حامد : « قرب الأم » الماء .

الباشا : « ينحدر رأسه عن صدر زوجته » .

الأم : «تنظر فى وجه الباشا وتجس نبضه وتصيح» محمود ... محمود ... مات .. مات ... «تنتحب» زوجى ... زوجى ... زو ... جى .

(يبادر حامد والأم والخدم فيسجون الباشا و يسدلون على وجهه المفرش)

ستار

٧ – من وحى حرية المرأة

أريد هذا الرجل

تمثيليـة فى فصل واحد

مكتب الأستاذ عبد اللطيف المحامى ... حجرة مكتبه وهى تنم عن ذوق بغير بذخ ... تدخل آنستان رشيقتان على عجل وفى أثرهما وكيل المكتب يقول :

وكيل المكتب : الأستاذ قد يتأخر فى محكمة النقض ...

نايله : سننتظر هنا حتى يعود ...

وكيل المكتب : هل أدلكما على حجرة الانتظار ؟...

نايله : انها مزدحمة ، سننتظره هنا ، نحن من أعز معارفه ... بل نكاد نكون من أسرة واحدة ... اتسمح لى بكوبة من الماء البارد ؟...

وكيل المكتب : هل اطلب لحضرتك ليمونا بالثلج ؟ ...

نايله : أكون متشكرة ، وأنت يا دريه ... ماذا نطلب لك ؟...

دريه : لاشىء . أشكرك ...

وكيل المكتب : لحظة واحدة ... « يخرج مسرعا »

نايله : « يرتمى فى مقعد مريح » اف ! ... راسى يكاد ينفجر ، إنى أمقت الذهاب إلى الحلاق من أجل ذلك الجهاز الكهربائى الذى يجفف الشعر ، دويه يظل يطن فى أذنى طول النهار ... « تخرج مرآتها من حقيبة يدها وتتأمل شعرها » ما رأيك فى هذه « التسريحة » الجديدة يا درية ؟...

دريه : اسمحى لى أسألك يا نايله : لأى مناسبة تتجملين اليوم ؟...

نايله : لمناسبة هذه الزيارة ... ألا ترينها تستحق ذلك ؟...

دريه : إن لم أكن فهمت خطأ فأنت قد جئت بى هنا ، كما قلت لى ،

لاستشارة محامى أشغالك فى قضية عائلية ... أهكذا إذن تفعلين كلما تقابلين محامى أشغالك ؟...

نايله : هذه أول مرة أقابله ...

دريه : عجبا ... وأشغالك كيف كانت تقضى ؟ ...

نايله : ليس لى أشغال...

دريه : لماذا جئت إذن إلى فؤاد عبداللطيف المحامى ؟...

نايله : لأتزوجه...

دريه : إنه يعرفك طبعا من قبل...

نايله : ولم يسمع باسمى ...

دريه : وهل رآك ؟ ...

نايله : ولا يشعر بوجودى فى هذا الكون ...

دريه : وتأتين هكذا إلى محل عمل هذا الرجل بغير سابق معرفة .

نايله : لأطلب يده...

دريه : إنك جننت ، « تنهض لتنصرف »

نايله : دريه؟...إلى أين...اتتركيننى هناوحدى؟...

دريه : أنت جننت . . . هذا أقل ما توصفين به ، ومع ذلك أنت حرة فى تصرفاتك ... أما أنا يا عزيزتى فما الذى يرغمنى على مجاراتك فى هذه الحماقة ؟ ... أورفوار ! ...

نايله : انتظرى يادرية حتى افسر لك وجهة نظرى .

دريه : لا أستطيع ... إنى أذوب خجلا لو قابلت هذا الرجل الآن، بعد أن عرفت الغرض من مجيئك ، وتبين لى أنه لا يعرفك ولا تعرفينه

نايله : إنى أعرفه . لقد سمعته يترافع فى قضية الاغتيال السياسى الشهيرة ، فاستطعت أن استشف من كلامه نبل شخصيته ، وكان صوته وتفكيره ومشاعره ، وكل ما يصدر عنه من كلمات وإشارات يستلب كل انتباهى ثم تبعته بعد ذلك فى حياته العامة، فى محاضراته، ومقالاته ، وآرائه السياسية... بل تبعته حتى فى اتجاهاته الحزبيه. فأنا أعتنق ؛ منذ اهتممت به ؛ رأى الحزب الذى ينتمى إليه. لقد خيل إلى أنى أعرف « فؤاد » معرفة وثيقة : وأنه يجب أن يعرفنى ... ثم تطور الأمر فى نفسى حتى أيقنت أنه الرجل الوحيد الذى يصلح لى ؛ وأنى المرأة الوحيدة التى تصلح له . . . ولقد علمت أنه لم يتزوج بعد ؛ وإنى واثقة أنه ما من امرأة غيرى تستطيع أن تفهمه وأن تسعده ...

درية : كل هذا لا يبرر التجاءك إلى هذه الطريقة ...

نايله : لا توجد طريقة غيرها عندى . أريد هذا الرجل ولا بد أن أناله.

درية : تذكرى أنك امرأة...

نايله : لم أنس أنى امرأة... أى ذلك المخلوق العاجز البليد ،الذى لا يسمح له بإرادة ، بل عليه أن ينتظر إرادة الرجل . ولا يؤذن له فى إبداء حركة ؛ بل عليه أن يجلس نافد الصبر يترقب الحركة التى يبديها الرجل ... لم أنس أنى امرأة...أى ذلك الطائر الذى لا عمل له إلا أنظار الصياد فهو يمكث فى أحضان الشجر يفلى ريشه ويسرحه بمنقاره ويغرد فى منافذ الأغصان ؛ او يخطر على أعشاب المروج فى انتظار يد القانص الذى قد يأتى وقد لا يأتى . . تلك

هى المرأة للأسف ! لا ياعزيزتى ... يجب أن تـكون للمرأة اليوم إرادة ... نحن نطالب بحقوق مساوية لحقوق الرجل فى المجتمع والسياسة ، فـكيف نطمع فى ذلك ونحن لا نملك بعد الحق فى أن نريد ونعلن إرادتنا ونواجه الرجل ونقول له « أريدك شريكا لحياتى » كما يستطيع هو أن يقول للمرأة : «أريدك شريكة لى» !. .

درية : ليس إلى هذا الحد يا نايله ، ليس إلى هذا الحد . . .

نايله : وما الذى يمنعنا ؟...

درية : الحياء يمنعنا...

نايله : الحياء ؟!... « تضحك »

درية : عجبا لك ... هل تستطيع امرأة أن تتقدم إلى رجل وتتعرض لرفضه. وتحتمل ذلك ...

نايله : وكيف يحتمل الرجل ذلك؟...

درية : لأنه ... لأنه رجل ...

نايله : نعم . لأنه رجل ... أى ذلك الكائن الذى تعود الشجاعة والقدرة على تحمل تبعات تصرفاته ونتائج رغباته ، ثق يا درية أنى لا أجد غضاضة مطلقا فى أن أسمع كلمة « لا » ما دمت أنا صاحبة الإرادة الأولى ... ولـكن الغضاضة عندى هى أن أشعر بأنى حبيسة ذلك الوهم الذى نسجته الأجيال عن ضعفنا وحيائنا وعجزنا عن مجابهة الحقائق وتحمل النتائج ، وانى سجينة ذلك البهتان والـكذب والسخف الذى البسنا إياه خيال الرجال فجعل منا مخلوقات أشبه بعرائس الموالد ، أجسامها من حلوى وأثوابها الشفافة من ورق مفضض

مذهب ، لا تتحرك إلا بيد الرجل ... ولا تتحمل أكثر من لمس أصابعه ، ... لا يادرية...آن الأوان أن تكون لنا إرادة نصدم بها إرادة الرجل ... وأن نجرؤ على أن نتقدم إليه ونعرض عليه ، ونرغمه على أن يجيبنا بكلمة « نعم » أو « لا » كأنه عذراء ، وأن نمتع عيوننا بمنظره وقد علت وجهه حمرة الحياء ! ..

درية : كفى يا نايله ...

نايله : تضحكين ؟... آه إننا لا نعرف مقدار قوتنا !...

درية : لست أدرى كيف يخطر لك مثل هذه الأفكار !...

نايله : يدهشك ذلك لأنك لا تفكرين ، وأنك مكتفية بأن تعيشى فى تلك الأفكار المتداولة بين أمثالك من ألوف العاجزات ! ومع ذلك لماذا لا تدهشك ستنا خديجة وهى التى عرضت نفسها على سيدنا محمد . . . ولم يكن بعد نبيا ولا شهيراً ولا كبيراً . بل كان شابا مغمورا فقيراً ... ولكنها أعجبت بخلقه وأمانته واستقامته فسعت هى إليه ، وسألته هل يقبلها زوجة ؟...

درية : عجباً !... أفعلت ذلك ؟...

نايله : ألا تقرئين التاريخ ؟... هذا مكتوب فى كل السير ...

يدخل عندئذ وكيل المكتب وخلفه خادم يحمل شراب الليمون

وكيل المكتب : معذرة ! لقد تأخرنا قليلا ... الأستاذ حضر ... لقد لمحته يخرج من المصعد ... سأخبره بتشريفكما ... « يخرج مسرعا »

درية : نايله ... نايله ... إنى ذاهبة ... لا أستطيع المكث هنا ...

نايله : « تهمس وهى ترشف الليمونادة » ما كل هذا الخوف ؟ أأنت التى

ستطلبين يده أم أنا ؟!...

درية : « هامسة وهى تنظر بعين خاطفة إلى الخادم المنتظر السكوبة » هس !... يا للخجل ...

نايله : « تضحك وتعطى الكوبة للخادم فينصرف بها » منظرك مضحك للغاية !...

درية : انى مندهشة كيف تلفظين هذه الكلمات بكل بساطة ! ... ومع ذلك ... هل أنت واثقة من النتيجة السارة؟...

نايله : عندى أمل نحو ... ستين فى المائة ...

درية : فقط؟...

نايله : إذا كان عندى أقل من ثلاثين فى المائة كنت أيضا أقدمت . . .

درية : يا للجرأة !... هس . . . أسمع خطوات . . . إنه قادم . . . نايله نايله ... إنى منصرفة ... أورفوار ...

نايله : « تمسكها بقوة » تشجعى !...

يدخل الأستاذ فؤاد عبد اللطيف وينظر إليهما مأخوذا

فؤاد : أهلا وسهلا !...

نايله : اسمح لى أقدمك إلى صديقتى الآنسة درية ...

فؤاد : لى الشرف ...

نايله : نرجو أن لا نكون أزعجناك بحضورنا...

فؤاد : على العكس ... ماذا تأمران أطلب لكما ؟...

نايله : طلبنا ليمونادة فى غيبتك كما لو كنا فى بيتنا ...

فؤاد : حسنا فعلتما ...

نايله : تريد أن تعرف بالطبع لماذا نحن هنا ؟ المسألة فى غاية البساطة ...

درية : « مرتاعة تنهض » إنى منصرفة...أستأذن ... اسمح لى... اسمحى لى يا نايله ... أريد أن أن اشترى شيئاً قبل أن تقفل الدكاكين ... نهاركما سعيد ... ارفوار ... « تسلم وتخرج مسرعة كالخجلة »...

نايله : « تضحك ضحكة خفيفة » كنت أتوقع هروبها ! ..

فؤاد : ولماذا تهرب...

نايله : لسبب قد اطلعك عليه فيما بعد ...والآن...

فؤاد : قبل كل شيء اسمحى لى أقدم إليك نفسى ...

نايله : لا حاجة إلى ذلك ... إنى أعرفك أتم معرفة . . . قل انها طريقة لبقة منك لأعرفك أنا بنفسى . أليس هـذا ما قصدت ؟ . . الحق معك . . . لو كنت فى مكانك لعجبت لتلك المخلوقة التى تأتى إلى مكتبك بدون كلفة لتقدمك إلى صديقتها ؛ وهى ذاتها مجهـــولة عندك...

فؤاد : لست مجهولة لى ... اسمك نايله ... الآنسة نايله فيما اعتقد . . .

نايله : نعم ... اذنك التقطت الاسم بسرعة من فم صديقتى ! إنك على عهدى بك حاضر الذهن دائماً ...

فؤاد : عهدك بى ؟.. صلتنا وثيقة من قديم !؟...

نايله : من طرف واحد فقط...

فؤاد : أهو تواضع منك ...

نايله : بل حقيقة ... إنك لم ترنى من قبل ولم تعرفنى...ولكنى أنا رأيتك وعرفتك فى مرافعاتك ومحاضراتك ... لهذا جئت إليك كما يجىء

الإنسان إلى صديق يعرفه ..

فؤاد : هذه أول مرة أسمع فيها من زائر لمكتبي هذه الكلمات الكريمة المشجعة! لو أن كل موكل يحدثني هكذا ...

نايله : أولا يحدثك موكلوك هكذا ؟...

فؤاد : مع الأسف لا ... إنهم ليسوا مثلك ...

نايله : وقضاياهم ولا شك ليست مثل قضيتي...

فؤاد : طبعا ... لا شك فى ذلك ... ثق أن قضيتك سأوليها من العناية فوق ما أستطيع ... هى قضية مدنية ؟...

نايله : أظنها مدنية حتى الآن ... وقد تنقلب جنائية فيما بعد ...

فؤاد : أنت فيها بالطبع المجنى عليك ...

نايله : اشكرك على حسن ظنك بى ...

فؤاد : عجبا !.. هذا المحيا النبيل المشرق ...

نايله : مهلا ... إنى لم أرتكب بعد جريمة...

فؤاد : الحمد لله ... اشرحى لى القضية حتى اطمئن ...

نايله : نعم ... إذا تم الاتفاق وديا وبالحسنى فيها ... وإلا فإنى سأنشب أظافرى فى عنق المدعى عليه ... انظر إلى أظافرى .. ألا تراها مدببة مرهفة !

فؤاد : « ضاحكا » وأراها مصبوغة مقدما بدماء المدعى عليه !...

نايله : « تمد أصابعها » أترى ذلك حقاً ؟ أنت على كل حال خير من يعرف هذا.

فؤاد : لا ... إنى اخطأت ... انت لاتطلين اظافرك بصبغة رخيصة من دم ذلك الشخص ...

نايله : من فضلك ... أرجوك أن لاتهين ذلك الشخص . إن قطرة من دمه

لأغلى عندى من أنفس الجواهر ! ...

فؤاد : ياللعجب ! ... لأول مرة أرى هـــذا العطف الرقيق من « مدع » على « مدعى عليه » فى قضية ! ...

نايله : أكثر من العطف ... إنى أحمل له كل التقدير وكل المحبة والإعجاب !

فؤاد : والعلاقة بينكما ؟ ...

نايله : : لا توجد علاقة على الاطلاق ...

فؤاد : والنزاع؟...

نايله : لا يوجد نزاع ...

فؤاد : شيء عجيب ! ... ماهذه القضية التى لا نزاع فيها بين الخصمين ولا علاقة بين الطرفين ، وأحدهما يوسع الآخر مودة وعطفاً وإعجابا ؟ !...

نايله : لاتتعب نفسك بحثاً ... هذا نوع جديد فى القضايا ...

فؤاد : بالتأكيد ...

نايله : لازيدك إيضاحا لا بأس من أقول لك إن المسألة تتلخص فى أن الطرف الأول يريد أن يبيع للطرف الثانى ...

فؤاد : هو إذن عقد بيع ...

نايله : تقريباً ...

فؤاد : عقار أو منقول ؟ ...

نايله : لاعقار ولا منقول ...

فؤاد : ماهو الشيء المعروض للبيع إذن ؟ حقوق ؟ ...

نايله : ربما ... ولكنها مع ذلك ليست مجرد حقوق ... إنها شيء أكثر من ذلك

فؤاد : ماذا ؟ هذا كل ما يمكن أن يباع ويشترى فيما أذكر ...

نايلة : هنا لك شيء نسيته : حياة الإنسان ... ان الطرف الأول يريد أن يبيع حياته بثمن بخس جداً للطرف الثانى ...

فؤاد : « مندهشاً » ماذا تقولين :

نايلة : أقول شيئاً طبيعياً جداً ... أليست حياتى مملوكة لى ؟ ...

فؤاد : طبعاً ...

نايلة : إذن كـكل شيء مملوك ، يمكن التصرف فيها بالبيع أو بالرهن أو بالإعارة أو بالإجارة ...

فؤاد : اسمعى يا آنسه ...

نايله : نايله ...

فؤاد : يا آنسة نايله ... إنى أرى لك عقلا يستطيع أن يحرجنى فى دائرة اختصاصى فأرجو منك أن تترفقى بى ، وأن تبعدينى عن منطقة التشريع والقانون فى هذه الشئون ... فهى مسألة ترتفع فيما أرى وتعلو عن أجواء الفقه والعلم والقضاء . . إنك تريدين أن تبيعى حياتك لشخص ... وتلك ذروة الـكرم ... وكل مايهمنى أن أعرفه فى هذه الحالة هو رأى ذلك الشخص .

نايله : وهذا ما يهمنى أنا أيضاً أن أعرفه ...

فؤاد : ألم تعرضى عليه الأمر ؟...

نايله : أريد رأيك فى ذلك ؟...

فؤاد : صفى لى هذا الشخص ...

نايله : هو رجل على غاية من النبل والرجولة واتساع الأفق ، هو بالاختصار رجل يعجبنى فى كل شيء ... حتى فى آرائه السياسية ، التى أعتنقها لا لأنها صائبة فى ذاتها ... بل لأنى أثق به وبمـا يعتقـــد ... إنه الصورة المثلى

للزوج الذى أريده...

فؤاد : وما رأيه فى موقفك هذا منه ؟...

نايله : قلت لك إنه لا يعرف شيئاً عنى ولا عن شعورى نحوه ...

فؤاد : انك ستوغرين صدرى وتمثليننى غيظاً من ذلك الغافل المحظوظ !...
ما أكثر للنائمين الذين تسقط على رؤوسهم النعمة وهم لا يشعرون ..

نايله : « تضحك » ؟...

فؤاد : تضحكين ؟...

نايله : إذا قدر لك أن تقابل هذا الرجل فماذا أنت قائل له ؟...

فؤاد : الأجدر أن تقولى ماذا أنت صانع له ... ان الكلمات لا توقظ مثل هذا الرجل ...

نايله : « ضاحكة » لا تنقم عليه كل هذه النقمة ... إنه معذور ...

فؤاد : معذور ؟ . يدهشنى أنك تدافعين عنه دائما ، وتحيطينه بسياج من عطفك ورقتك .

نايله : هذا واجبى ... إنى أريد أن أعطيه حياتى لتكون له سياجاً يحمى حياته ، كذلك السياج من الغاب الذى تحاط به الزهرة النادرة لتقيها غوائل الشتاء ! ..

فؤاد : لعنة الله عليه ! ...

نايله : لا تسبه من فضلك ...

فؤاد : سامحينى يا آنستى ... ليس من عادتى السباب ... ولكن لسانى زل على الرغم منى...

نايله : وأنت ألم يقع لك مثل هذا ؟...

فؤاد : مثل هـذا الحظ ؟ ! ومن قال لك أنى من أصحاب الحظوظ ! أو من أهل الحظوة لدى النساء ! أنا رجل لا أعرف غير عملى ... ولا ألتفت إلى غير هدفى الذى أرمى إليه ...

نايله : هذا صحيح ... صائد المجد لا يلتفت إلى صيد النساء ...

فؤاد : إنى أسير فى طريقى معصوب العينين كحصان مشدود إلى مركبة مصيره ... لا وقت عنـدى للنظر فى أمرى ، ولا حق لى فى الوقوف للبحث عن هنائى أو تعاستى !...

نايله : لابد من امرأة تهبط عليك وتمسك بزمامك لتريحك لحظة ، وتمسح عنك العرق ، وتقدم إليك قليلا من الماء وحفنة من السكر ...

فؤاد : ثم تركبنى بعد ذلك ...

نايله : إذا كانت امرأة فاضلة فهى تعرف أنك جواد ليس لركوبها ، بل لحمل أثقال وأعباء وتبعات أهم منها وأنفع وأعظم !...

فؤاد : هذه المرأة الفاضـلة لا تهبط على مثلى ... بل تهبط على مثل ذلك الرجل الغافل النائم الذى لا يدرى ولا يشعر !...

نايله : « تضحك » ؟ ...

فؤاد : لست أدرى ما الذى يضحكك هكذا ؟ !...

نايله : أضحك لأنى أتخيل اللحظة التى ستتعرف فيها هذا الرجل ..

فؤاد : لا أريد أن أتشرف بمعرفة حضرته ..

نايله : ثق أنه لا ذنب له ، ولمـاذا لا تقول إنه مثلك يسير معصوب العينين ، غارقا فى أشغاله ، هائماً فى آفاقه . . . من كان فى مثل حاله علينا نحن أن نرى له ، وأن نخطو نحوه ونذهب إليه ...

فؤاد : تذهبين إليه ؟

نايله : لا يوجد حل آخر . بغير هذا سيبقى أبد الدهر مشدوداً إلى مصيره ، كما قلت أنت الآن ، لا أمل فى أن يبحث عن هنائه أو راحته ...

فؤاد : لا ... لا أوافق على ذهابك إليه ...

نايله : لم لا ؟ ...

فؤاد : أخاف عليك . . . أخاف عليك منـــه . . . قد يسىء استقبالك أو يصدم احساسك ! ...

نايله : قلت لك إنه فى غاية الرجولة والشهامه ...إ نه لن يفعل ذلك ...

فؤاد : وماذا ستقولين له ؟ اريني كيف ستعرضين الأمر عليه ...

نايله : سأذهب إليه فى ... محل عمله ...

فؤاد : ماذا يعمل هذا الرجل ؟ ...

نايله : إنه ... انه ... طبيب ...

فؤاد : ستذهبين إليه إذن فى عيادته ...

نايله : نعم ، وسأدخل عليه ، فأجده جالساً هكذا مثلك ، فأقول له : نهارك سعيد يا دكتور ! فيجيبني ... قم أنت بتمثيل دوره ...

فؤاد : « يتخذ هيئه التمثيل » نهارك سعيد يا آنسة نايله ...

نايله : قلت لك إنه لا يعرف بعد أن اسمى نايله ...

فؤاد : حتى هذا لا يعرفه ...

نايله : طبعا ... انى سأذهب باعتبارى — زبونة — أعنى مريضة جديدة . فلنمثل من الأول : « نهارك سعيد يا دكتور ! »

فؤاد : نهارك سعيد يا آنسة ...

نايله : نايله ...

فؤاد : « ممثلا » تشرفنا ... نطلب لحضرتك قهوة ... ليمون ...

نايله : الطبيب لا يطلب لمريضه قهوة ولا ليمون ... إنه يسأله مم يشكو ؟.

فؤاد : « ضاحكا صدقت ... أنا فيما يظهر لا أصلح للتمثيل ...

نايله : كن على سجيتك . . . فلنمثل من الأول . . .

فؤاد : لا داعى للتقديم والتعريف والليمون...ادخلى مباشرة فى الموضوع...

نايله : « تمثل » إنى جئت إليك ...

فؤاد : « ممثلا » إنى مصغ إليك ...

نايلة : جئت إليك ...

فؤاد : نعم . . . كما يجىء ماء السماء للزرع الذابل العطشان ، أو كما جاء المن والسلوى لشعب موسى الجوعان ... إنها نعمة كبرى يا آنستى ... إنه لشرف لى ... وإنها لسعادة لم أحلم بها ... إنه الهناء الذى طالما انتظرته من أعوام ولم أدر السبيل إليه ... كيف اشكرك وأشكر المقادير التى جاءت بك . إنى اهنئ نفسى ... إنى ... أحسد نفسى ...

نايله : « باسمه » مهلا ... إنه لا يمكن أن يقول ذلك ...

فؤاد : لانه مغفل...

نايله : بل لأنه فقط لم يعرف بعد أصل الموضوع ...

فؤاد : انه لايعرف شيئاً هذا الحيوان . . فلنمثل من الأول .. وسأتكلم هذه المرة بلسانه وعقليته وعلى مسئوليته . . . « يستعد للتمثيل » .

نايله : إنى جئت إليك ... فى مسألة غاية فى البساطة ...

فؤاد : « ممثلا » تكلمى ...

نايله : جئت إليك ... لأطلب يدك ...

فؤاد : يدى ؟ ! ...

نايله : أجب من فضلك بكلمة واحدة : لا أو نعم ...

فؤاد : انى فوجئت بالموضوع ، ولم يأن الأوان عندى للزواج ..

نايله : ألم تبلغ بعد سن الرشد ؟ ...

فؤاد : اعطينى وقتاً للتفكير ...

نايله : أعطيك خمس دقائق ... « تنظر فى ساعة معصمها » .

فؤاد : فقط ؟ ما هذا الاستبداد ؟...

نايله : هذا منتهى التسامح ... اذكر أيها الرجل يوم كنت تطلب يدنا ... هل كنت تعطينا وقتاً نفكر فيه ... وهل كان لنا فكر أو إرادة ؟ كان الاتفاق يبرم مع الوالدين ... وكان كل ما يطلب إلينا أن نطرق ونصمت ونحمر حياء ... الآن هذا يومنا ... ولقد جاءت نوبتنا فى أن نفعل بكم بعض ما كنتم تفعلون بنا ... ولكننا مع ذلك أكثر تقديراً للحرية البشرية منكم ... فلن نجاريكم فى الظلم ... بل سنعاملكم كآدميين لهم حق التفكير والاختيار ...

فؤاد : « يصفق استحسانا » برافو ! ...

نايله : لا أظن هذا الكلام يعجبه ...

فؤاد : لا شأن لى به ... انى أصفق لحسابى الخاص ...

نايله : إذن أنت من رأيى ..

فؤاد : فى كل شىء ... وبلا تحفظ ...

نايله : ألا تظن أنى جاوزت الحد قليلا ؟ هنالك عامل مهم جداً فى هذا الموقف

قد أغفلته هو « الميل الشخصى » ...

فؤاد : ثق أن هذا الميل قد غرس فى قلبي منذ اللحظة الأولى ! ...

نايله : هنالك أيضا الظروف العائلية أو الخصوصية التى قد تمنع ...

فؤاد : لا توجد قوة على الأرض تمنع أو تحول دون زواجى منك ...

نايله : اشكرك ... لقد اجدت حقا التمثيل ! ...

فؤاد : أى تمثيل ؟!... انى لا أمثل إلا نفسى يا نايله ...

نايله : « فى دهشة وسرور » تناديني باسمى المجرد !...

فؤاد : اتقبليننى زوجا يا نايله ؟...

نايله : لا ...

فؤاد : نايله ؟...

نايله : لا . لا تقلب الوضع من فضلك ... لقد سبقتك أنا وقلت لك أنى أطلب يدك ... واعطيتك خمس دقائق لتفكر وتجيب ، وأظن الدقائق الخمس قد مرت . .

فؤاد : « يضغط على زر الجرس الكهربائى وينظر فى ساعته » لا تزال لى دقيقة واحدة ...

وكيل المكتب: « يدخل حاملا بعض الملفات » الأستاذ ضرب لى الجرس ؟...

فؤاد : نعم ... أرجوك ... اطلب لنا حالا واحد ...

وكيل المكتب: واحد ليمون ؟ .

فؤاد : واحد مأذون ! ...

« تسقط الملفات من يد وكيل المكتب
وهو يحملق فيهما دهشة وتنزل الستار »

مكتب رئيس تحرير صحيفة تصدر فى الصباح .. الوقت ليل .. والعمل فى الدار على أشده .. ولكن رئيس التحرير ينهض ليستقبل زائراً .. أدخله ثم اغلق باب الحجرة

رئيس التحرير : « يشير إلى مقعد بقربه » تفضل هنا يا باشا !

الباشا : « يجلس وهو يتلفت حوله » أخشى أن تكون للحائط أذن ! .

رئيس التحرير : ليس هنا من حائط غيرى ... أقصد من أذن أذنى ... انى مصغ .

الباشا : جئت إليك بخبر الأسبوع !...

رئيس التحرير : سنرى ...

الباشا : أولاً ... لا تنظر إلى هذه النظرة التى تنم عن الارتياب ... انى الآن رجل آخر ... والخبر الذى معى أعرف مصدره كما أعرف نفسى.

رئيس التحرير : من هو المصدر ؟ ...

الباشا : أنا نفسى ...

رئيس التحرير : أنت تعلم يا باشا أنك لم تعد مصدراً للأخبار منذ زمن طويل... وجريدتنا تصدر فى الصباح... أقصد أننا الساعة فى أشد زحمة العمل

الباشا : أعرف أن وقتك ثمين ... وأنى فى نظركم لم أعد من رجال السياسة الأحياء ... وأن اسمى لم يعد يهم الناس ... وأنى أثقل على دور الصحف بزياراتى التى تقابل بالتجلد ... وأضيق على الصحفين بأخبارى وأحاديثى التى يتلقونها بالتهرب ! ... كل هذا أعرفه ولكن ذلك لا يمنع من حدوث أعجوبة ... تجعل مني سياسيا حيا ... وتعطيكم خبرا صحفيا !

رئيس التحرير : ماهى هذه الاعجوبة ؟ !...

الباشا : وفاتى !...

رئيس التحرير : وفاتك!... خبر سيكتب فى عشرة أسطر أو عشرين ... وينشر فى صفحة الوفيات العادية أو فى صفحة أخرى ثانوية !... لاتؤاخذنى على هذه الصراحة... إنما قصدت أن أعارض فكرتك... وأن أبين أن وفاتك ... لا سمح الله ... لن تكون خبراً صحفياً بالمعنى المطلوب!..

الباشا : أعرف ذلك أيضاً ... ولكن وفاتى لن تكون تافهة، كما تتصور. انها ستكون وفاة سياسية مثيرة!...

رئيس التحرير : كيف ذلك ؟...

الباشا : قنبلة ستنفجر ، وتودى بحياتى !...

رئيس التحرير : قنبلة ؟ ... ومن الفاعل ؟ ...

الباشا : خصومى السياسيون ! ...

رئيس التحرير : أين هم ؟ ... وإذا وجد بينهم من يحمل لك حتى الآن بغضاً ... فما الذى يستفيده من قتلك اليوم ؟ ! ...

الباشا : كانوا يتوجسون من عودتى خيفة إلى النشاط السياسى ! ... وقد علموا من غير شك انى أعد برنامجاً واسع النطاق... وأسعى إلى تأليف هيئة جديدة . . . وإليك الأسماء وإليك البرنامج . . . كل شىء معد ... حتى تؤمن بأنى جاد فيما أقول ... « يخرج من جيبه أوراقا يقدمها إلى رئيس التحرير » ...

رئيس التحرير : « وهو يفحص الأوراق » حقاً ... هذا برنامج من برامجك ... وهذه هيئة ... مما اعتدت تأليفه وإرساله إلى الصحف ... وليس

هذا هو المهم . . . المهم هو القنبلة ! . . . كيف عرفت أن هناك قنبلة معدة لاغتيالك ؟...

الباشا : هذا سر ... اسمح لى أن أحتفظ به فى الوقت الحاضر ...

رئيس التحرير : وهل أبلغت البوليس ؟ ...

الباشا : البوليس ؟ ... ولماذا أبلغ البوليس ؟...

رئيس التحرير : ليقوم بإحباط المؤامرة فى الوقت المناسب والمحافظة على حياتك .

الباشا : ولمصلحة من هذا ؟ ! ... أنا شخصيا أرحب بهذه المؤامرة التى جاءت فى الوقت المناسب . . . أما حياتى فإنها ستختم ختاماً رائعاً ... ما كان أحد منكم يتصوره أو يخطر له على بال ! ...

رئيس التحرير : حقاً ... لو حدث هذا لكان خبراً مهماً ...

الباشا : يستحق النشر فى الصفحة الأولى ؟ ! ...

رئيس التحرير : بالطبع ... مع « ما نشيت » بخط كبير ! ...

الباشا : وصورة الفقيد؟...

رئيس التحرير : بالضرورة !...

الباشا : « يخرج محفظته » إليك آخر صورة ... حتى لا تضيعوا وقتا فى البحث عنها . . . عندما تأزف الساعة .. كل شيء معد ؟ . . . يجب أن تخبرنى عن كل طلباتكم من الآن ...

رئيس التحرير : يبدو أن لديك تفاصيل دقيقة عن هذا الحادث . !..

الباشا : ليست كل التفاصيل ... ولكن فى استطاعتك على كل حال أن تستفسر عما تريد من بيانات ...

رئيس التحرير : أتعرف متى يقع هذا الحادث ؟ ...

الباشا : الليلة ... بعد منتصف الليل ... الساعة الثالثة صباحا ... أيناسبكم هذا الوقت ؟...

رئيس التحرير: « بدهشة » يناسبنا نحن؟ !...

الباشا : فى أى ساعة تبدأون فى طبع الجريدة؟...

رئيس التحرير: الماكينة تبدأ فى التحرك حوالى الساعة الثانية صباحا...

الباشا : إذن يجب تقديم موعد الوفاة...

رئيس التحرير: ماذا أسمع ؟!.. تعدل موعد وفاتك لتوافق موعد طبع الجريدة!!..

الباشا : هذا ممكن ...اطمئن !...

رئيس التحرير: أطمئن ... كيف أطمئن ؟!.. إنى لا أفهم شيئاً ... يجب أن توضح لى كل هذا الموضوع العجيب ! ...

الباشا : « باسما » يظهر أنى قد نجحت فى أن أثير اهتمام الصحافة ...

رئيس التحرير: بلا شك ... ولو وقع هذا الأمر الذى تقول عنه لكان خبر الأسبوع بلا جدال ! ...

الباشا : سيقع ... سيقع ...

رئيس التحرير: إنك تتكلم بلهجة الواثق ... ولكن نحن كيف نقتنع ...

الباشا : القنبلة الآن موجودة تحت مكتبى ... فى سلاملك دارى بحدائق القبة ... وهى قنبلة تنفجر فى ساعة معينة ...

رئيس التحرير: ومن الذى وضعها فى ذلك المكان !...

الباشا : خصومى السياسيون ...

رئيس التحرير: مفهوم ... هذا ما سنكتبه ... كن على ثقة ، ولكن حقيقة الموضوع ؟ ... ماهى ؟كيف عرفت أنها ستنفجر فى الساعة الثالثةصباحا ؟؟...

الباشا : أخبرنى أنت أولا ... ما الذى يهمك نشره، باعتبارك صحفياً : حقيقة تافهة أو أكذوبة رائعة ؟ ..

رئيس التحرير: يهمنى الخبر الذى يثير الناس ، ويهز أعصابهم ويجعلهم يتحدثون عنه باهتمام فى كل مكان ! ...

الباشا : اتفقنا إذن ... لا تسألنى عن حقيقة الموضوع ... المهم أن تنشر إنى توفيت على أثر انفجار قنبلة ، تمكن خصومى السياسيون من وضعها تحت مكتبى . وتصف الحادث بقلمك المعروف ، وتسرد تاريخ حياتى ومواقفى الماضية المشهورة . . وتحلى صدر الجريدة بصورة فقيد الوطن .. إلى آخره إلى آخره ...

رئيس التحرير: وهل ستنفجر قنبلة . وتحدث وفاة ؟ ...

الباشا : طبعاً .. طبعاً ... هذا لا شك فيه ... قنبلة ستنفجر فى مكتبى وتودى بحياتى ... اطمئن من هذه الجهة ...

رئيس التحرير: يدهشنى أن تستقبل الموت المؤكد هكذا بغير انزعاج ! ...

الباشا : هذه مسألة أخرى يمكن أن تعلق عليها بقولك إنى كنت دائما رجلا شجاعا ... ولكن لا تذكر بالطبع إنى كنت أعرف مقدما وجود القنبلة . . لأن المفروض فى الاغتيال أنه حدث بدون علمى

رئيس التحرير: لو أنه حدث بدون علمك لكان الأمر مفهوما ولكن العجب هو أن تعلم ثم تقدم ... لكأنك تنتحر !

الباشا : حذار أن تذكر كلمة الانتحار ... حتى ولا على سبيل التشبيه !.. .

رئيس التحرير: لن أفعل ولكنى أقول ذلك فقط لنفسى محاولا أن أفهم موقفك لماذا ترحب بالموت هكذا !... أللموتة المجيدة وحدها أم ليأسك

من الحياة ؟ !

الباشا : تريد حقيقة موقفى ؟ هذا طبعا ليس للنشر ! ...

رئيس التحرير : لن أنشر الا ما تقرنى أنت عليه ... تكلم بكل حرية ...

الباشا : بعد وفاة ابنى الذى استشهد كما تعلم فى معارك فلسطين لم أجد للحياة طعما ... بل بدأت أحس شيئاً غريباً يملأ فراغ أيامى . . . هو الاهتمام بالموت . . . لم أعد أرى الموت شيئاً يتقى ، ويحذر منه . . . فأغفلت أدويتى وعقاقيرى ، وأهملت اتباع « رجيم » صحتى ضد السكر وضغط الدم . ثم رجعت إلى خطابات ابنى قبل أن يموت ، فأعدت تلاوتها . . . فعلمتنى دروساً ما كنت أظن أنى أتلقاها من ابنى ... ثم استشهد بعد ذلك رئيس ابنى فى فرقته ذلك الاشتشهاد الذى سيخلده على الدهر ، ونشرت بعض الصحف مذكراته ، التى أثرت فى نفسى ، فحفظتها دائما فى جيبى « يخرج من جيبه قصاصة » ... أيضايقك أن أتلو عليك منها فقرة هى التى رفعت عن عينى الغشاوة ...

رئيس التحرير : اقرأ ... اقرأ . . .

الباشا : « يتلو من القصاصة » « يا له من مكان رائع يختتم فيه القدر مسرحية حياتى ! . . . لقد نظرت إلى مقعد حجرى جميل على الطريق الشاعرى بين الوادى والجبل . . . وقلت : سيجىء الذين يزورون قبرى ويجلسون هنا فيها بعد يستريحون بعد صعود الجبل...وينظرون إلى اللوحة التى يكتب فيها اسمى ويوم استشهادى هذا ما أتمناه . أتمنى أن تنطبق على كلمة ...كلمة نيتشه : أن البطل هو

الذى يعرف كيف يموت فى الوقت المناسب والمكان المناسب »

رئيس التحرير : لقد نال ما تمنى ...

الباشا : حقا ... وانطبقت عليه كلمة ... كلمة « يرجع إلى القصاصة وينظر فيها مليا » نيتشه ... لقد عرف ابنى ورئيس فرقته كيف يموتان فى الوقت المناسب ! والمكان المناسب ! ...

رئيس التحرير : انهما خلقا ليكونا من الأبطال !...

الباشا : نعم ... أما نحن ... فقليل من جيلنا عرف كيف يموت فى الوقت المناسب والمكان المناسب ... حقا إنه لمن البطولة أن يتخير الإنسان موته ويحسن الاختيار ...

رئيس التحرير : ليس هذا بالأمر المهيأ لكل الناس ...

الباشا : هذا صحيح ... ولهذا أقدم وأنا على ثقة ... انى رجل وقعت فى كثير من الأخطاء . .. وفى شخصيتى كثير من العيوب. .. لست انكر كل ذلك. .. وقد تبدو حياتى للكثيرين تافهة . .. ولكن موتتى لن تكون تافهة . .. ان العبرة باختيار الموتة كما جاء فى كلمة. .. كلمة . .. « يرجع إلى الخطاب »

رئيس التحرير : نيتشه . ..

الباشا : « ينظر إليه بدهشة » أتعرفه ؟...

رئيس التحرير : قليلا .. .

الباشا : لاتنس أن تقول عندما تكتب عن وفاتى أنى كنت أعرف نيتشه ... هذا . .. معرفة شخصية . .. واننا كنا نتبادل الآراء عندما تشتد الأزمات ...ولا أخفى عنك سراً إذا قلت لك إننا كنا أحيانا نتزاور.

رئيس التحرير : لاحظ يا باشا ان نيتشه هذا مات منذ نحو نصف قرن !...

الباشا : نصف قرن !... لا داعى إذن لذكر مسألة التعارف والتزاور ... وكيف مات هذا الرجل ؟ ...

رئيس التحرير : مات مجنونا !...

الباشا : ماذا تقول ؟... نيتشه هذا الذى قال ذلك الكلام لم يعرف كيف يموت موتة محترمة ! ... أرجوك أن تحذف اسمه بالكلية . . . ولا تشر إليه مطلقا وأنت تكتب عنى ... لئلا يؤثر ذلك فى سمعتى ، ويشوه من جلال موتتى !...

رئيس التحرير : إنى لن أكتب عنك إلا مايجعل منك شخصية الأسبوع ...ولكن قبل كل شيء يجب أن أتأكد من أن الحادث سيتم، وأننا سننفرد بنشر الخبر ...

الباشا : أما أن الحادث سيتم فهذا فى حكم المؤكد ... وأما انفرادك بنشر الخبر فإنى طوع أمرك ...

رئيس التحرير : ألم تخبر أحداً غيرى بهذا الموضوع ؟...

الباشا : أبدا ... وأقسم لك...

رئيس التحرير : وما مصلحتك فى أن تخصنى بالخبر دون بقية الصحف ؟ ...

الباشا : لقد فكرت فعلا فى هذا الأمر . . . ووجدت أن مصلحتى تقضى بأن تنفرد جريدة منتشرة مثل جريدتكم بالنشر أولا بطريقة مدوية ... تحوى كل البيانات التى يهمنى ذكرها . . . فتضطر بقية الصحف بعدئذ أن تحذو حذوكم ... وتنقل عنكم ، وتعطى الأمر عناية مثل عنايتكم ... فأنت ترى أن هـــذه الخطة فى مصلحة

الطرفين ... فهى تعطيكم مزية السبق ... وتعطينى فرصة نشر الموضوع بالصورة التى أريدها ...

رئيس التحرير : معقول ... بقى أن أعرف بالضبط موعد الانفجار ، لأعد النشر فى الصفحة الأولى ؟ . . . قلت إنه فى الساعة الثالثة ... « ينظر فى ساعته » نحن الآن فى منتصف التاسعة ...

الباشا : موعد الانفجار رهن إشارتك ...

رئيس التحرير : « يفكر » مادمنا سنعد كل شىء قبل الحادث ... فلا داعى لتعديل موعده ... بل ربما كان فى التأخير إلى هذه الساعة فائدة ... إن جميع الجرائد الصباحية الأخرى تكون فى تلك الساعة فى المطبعة ، عاجزة عن تلقى الخبر ... وقد يصل الخبر إلى المحافظة وجهات الاختصاص بعد تمام طبعها ... فيكون لنا بذلك ميزة السبق ... دع كل شىء إذن كما هو مرتب ...

الباشا : أرأيت ... ها أنتذا لم تستطع تغيراً فى برنامجى !... اشهد لى بأنى رجل دقيق غاية الدقة!... ماحك جلدك مثل ظفرك!... لقد رتبت مجدى بيدى... ونظمت خلودى كمن ينظم وليمة !... هل تسمح لى الآن بالانصراف ؟ ..

رئيس التحرير : عندى سؤال شخصى يا باشا ؟ .. أسرتك ؟..

الباشا : ابنى قد استشهد كما تعلم ... وزوجتى متوفاة ... ولم يبق لى غير ابنة فى سن الزواج... تعيش أكثر أيامها عند عمتها فى الدقى ... وقد جاءت لزيارتى اليوم،فرأيتها للمرة الأخيرة ... وقد تركتها وجئت إليك الآن وأرسلت إليها سيارتى لتعود بها إلى عمتها ... وسأرجع

إلى منزلى الآن بتكسى ! . . . لا أسرة لى اليوم كما ترى . . . فأنا أعيش بمفردى ! . . .

رئيس التحرير : سؤال شخصى آخر : هل أنت مؤمن على حياتك ؟ . . .

الباشا : بمبلغ زهيد... لا يتجاوز ثلاثين ألف جنيه ... سيذهب بالطبع إلى ابنتى ! ...

رئيس التحرير : ثلاثين ألف جنيه ! ... لقد بدأت أقتنع حقا بأننا سننشر خبراً لا شك فى صحته ...

الباشا : « ينهض » والآن . . . أترك بين يدك مستقبلى ! . . . أعنى مجدى بعد الموت ! . . .

رئيس التحرير : حقا ... لقد رتبت لنفسك مجداً ... ولا بنتك زوجا ... وأرجو أن أوفق فى أن أنفذ كل مطالبك ! . . .

الباشا : « يمد يده » نسينا أمراً مهما ... الجنازة ! ...

رئيس التحرير : الجنازة ؟ ! .

الباشا : نعم ... يجب أن ننشر موعدها ... فلتكن فى الساعة الخامسة بعد ظهر الغد ... ولكن من أين تبدأ ... ألا ترى معى أن تبدأ من ميدان الاسماعلية ؟ . . . ذلك أن مصلحة التنظيم ، جازاها الله ، قد حفرت أمام منزلى بحدائق القبة حفراً عميقة لتمدأنابيب وتطهر مراحيض ... فالروائح الكريهة تتصاعد ... وأخشى أن لا يكون هذا مكانا لائقاً باستقبال كبار المشيعين ؟ ...ما رأيك أنت ...؟

رئيس التحرير : فى هذه الحالة يستحسن قيام الجنازة من ميدان الاسماعيلية . . .

الباشا : اتفقنا ... « يمد يده » إنى شاكر جداً .

رئيس التحرير : العفو ... إلى اللقاء ! ...

الباشا : تقصد الوداع طبعا...

رئيس التحرير : « متشككا » تسمح يا باشا ... أرسل معك محرراً نشيطاً يصف مكان الحادث...وصفاً رائعاً...محرراًاشتهر بعمل الريبورتاج... وستسر من وصفه جداً ... أقصد سيسر القراء من وصفه المبدع

الباشا : فكرة طيبة ! ...

رئيس التحرير : « يضغط على زر فيحضر أحد السعاة » الأستاذ حسنين ! ... الأستاذ حسنين بسرعة ! ...

الباشا : حسنين ! ... أتظن أنى أجهله ... لطالما أمليت عليه أحاديث لم ينشرها ...

رئيس التحرير : ولكنه هذه المرة سينشر كل شيء ...

« الباب يفتح ويدخل الأستاذ حسنين »

الباشا : أهلا بالأستاذ حسنين ... تعال معى ...

رئيس التحرير : « جوابا على نظرة المحرر المتسائلة » نعم ... اذهب مع الباشا ... وصف مكان الحادث بالتفصيل...

حسنين : أى حادث ؟ ...

رئيس التحرير : سيخبرك به الباشا فى الطريق ... عن إذن الباشا «ينفرد بالمحرر ويسر فى أذنه : » لازمه حتى ... حتى الموت ... ولا تدعه يتصل بصحيفة أخرى أو بصحفيين آخرين ...

حسنين : « يهز رأسه بعزم ... ويتجه إلى الباشا » هلم بنا يا باشا ...

« الباشا يودع رئيس التحرير بحرارة وينصرف مع المحرر »

رئيس التحرير : « يضغط على الزر فيأتى الساعى » سكرتير التحرير بسرعة ...

« يخرج الساعى على عجل ويتأمل رئيس التحرير صورة الباشا ويقول لنفسه »

أنا الذى سأموت مائة مرة قلقا على الخبر ... من الآن حتى الساعة الثالثة ...

« ثم يمسك بالقلم ويكتب فى ورقة ... »

سكرتير التحرير : « يدخل » طلبتنى ؟

رئيس التحرير : خذ يا أستاذ فريد ! ... إليك « المانشيت » الذى سيوضع فى رأس العدد ! ...

« يناوله الورقة »

سكرتير التحرير : « يتناول الورقة ويقرأ » اغتيال عبد السميع باشا رضوان ! ...

رئيس التحرير : هذا بخط كبير ... وتحته بخط صغير عنوان آخر « من انفجار قنبلة فى الساعة الثالثة صباحاً ... والتحقيق مستمر ... »

سكرتير التحرير : « ينظر فى ساعته » نحن الآن فى الساعة ... عجباً !

رئيس التحرير : ما وجه العجب ؟ ...

سكرتير التحرير : نعد الخبر قبل حدوثه ؟ ...

رئيس التحرير : سبق صحفى ...

سكرتير التحرير : ويبلغ بنا الأمر أن نسبق عزرائيل ؟ ...

رئيس التحرير : ولم لا ؟ ...

سكرتير التحرير : إنه لا شك سيدهش لو اطلع الآن على الخبر وهو يجمع فى « اللينوتيب » ؟ ...

رئيس التحرير : وبذلك نكسبه قارئا ... لأنه سيستتق بعد اليوم من جريدتنا أخبار عمله ...

سكرتير التحرير : عزرائيل من قرائنا ؟ ...

رئيس التحرير : هذا هو النجاح الصحفى ... اذهب بسرعة وهيء «المانشيت»!...

سكرتير التحرير : لى سؤال بسيط ... كيف عرفت مثل هذا الخبر ؟ ...

رئيس التحرير : من أوثق المصادر ...

سكرتير التحرير : إذا كان عزرائيل نفسه لا يعرف ... فمن يكون المصدر ... ؟

« يفتح الباب ويدخل الساعى معلنا ... »

الساعى : كريمة عبد السميع باشا رضوان تريد مقابلة حضرتك ...

رئيس التحرير : كريمته ؟ ... فلتتفضل ...

« يخرج الساعى ... »

سكرتير التحرير : سأمضى أنا لإعداد المانشيت ...

رئيس التحرير : فى أسرع وقت ...

« الأستاذ فريد يخرج بالورقة والصورة ، ويبادر رئيس التحرير إلى هندامه فيسويه وينظمه استعدادا لمقابلة الآنسة ... »

الآنسة : « تدخل فى شىء من اللهفة » ليلتك سعيدة يا أستاذ ...

رئيس التحرير : أهلا وسهلا ... أهلا ... أهلا ... أهلا ...

الآنسة : لا تؤاخذنى ... جئت فى هذه الساعة ...

رئيس التحرير : بماذا تأمرين أولا ؟ ... قهوة ... ليمون ... كوكاكولا ؟ ...

« يضغط على زر الجرس »

الآنسة : لا شىء مطلقا ... أرجوك ...

رئيس التحرير : لا يمكن أبداً ... « يدخل الساعى » ليمون ...

الآنسة : أشكرك ... إنى جئت الآن ...

رئيس التحرير : إنها لفرصة من أسعد فرص حياتى ! ... اسمحى لى أن أعبر لك عن إعجابى ... فأنت مثال للأناقة تفخر به كل مصرية ... سنظفر منك ولا شك بأحدث صورة لك... لننشرها بالروتوغرافور!... ونكتب تحتها : كمال وجمال ومال ! ... ما رأيك فى هذا العنوان ؟ !

الآنسة : « بدهشة » ومال ؟! ...

رئيس التحرير : طبعاً . . .

الآنسة : ولكنى لست بذات مال ...

رئيس التحرير : ستكونين ...

الآنسة : كيف ؟...إنى أعرف كل ما نملك ... لسنا أصحاب ثروة ! . . .

رئيس التحرير : ستصبحين ... نحن نعرف الأخبار قبل وقوعها ! . . .

الآنسة : منجم ؟ ...

رئيس التحرير : صحفى ... ألا تحبين رجال الصحافة ؟ ! ...

الآنسة : بلى ... أحب الصحافة ...

رئيس التحرير : هذا من حسن طالعى... إنى مؤمن بأن طالعى ميمون... أتعرفين أنك الآن قد جعلتنى أفكر فى شىء ما فكرت فيه قط ؟. قد تسألينى ما هو هذا الشىء الذى لم أفكر فيه قط ؟. الحق أن هناك ثلاثة أشياء لا يغنى فيها تفكير ولا ينفع تدبير . . . هى الميلاد والزواج والموت ... هذا على الأقل ما كنت أعتقد من قبل ... ولكن يبدو لى أنى مخطىء ... لقد تغير الزمن فيما أرى...وأصبح فى إمكان الإنسان أن يتخير موتته وزوجته وربما استطاع أيضا فى المستقبل القريب أن يتخير مولده !...

الآنسة : ليس هذا وقت الحديث فى هذه الموضوعات... إنى جئت على عجل..

رئيس التحرير : بل هـذا أنسب وقت للحديث فى ذلك . . . ألا تؤمنين أنت بأن الزوج يستطيع أن يتخير زوجته . . . وأن الزوجة تستطيع أن تتخير زوجها ؟! ...

الآنسة : لم أفكر فى ذلك بعد ... إلى الآن ...

رئيس التحرير : بل يجب أن تفكرى فى ذلك منذ الآن . . . فإنه لن يمضى قليل حتى تتخاطفك الأيدى ، ويتنـازع عليك الطامعون ويتزاحم حولك الخاطبون . . . فلا تبصر عيناك فى هذا الجمع من يصلح شريكا لحياتك ... يجب أن تدبرى أمرك ببال خال...وأن تقررى مصيرك فى جو هادئ ... انظرى أمامك ، وتأملى أى نوع من الرجال جدير بمثلك ؟... أى شخص لامع بارع قدير مثالى خيالى يستطيع أن يظهرك فى صورة رائعة وإطار جذاب ! .

الآنسة : يظهر أنك لا تريد أن تعطينى الفرصة كى ..

رئيس التحرير : وماذا أنا أقصد من فتحى هذا الموضوع غير أن أعطيك الفرصة.

الآنسة : «منفجرة» فرصة الكلام ... أرجوك ... أعطنى لحظة ... فرصة الكلام كى أخبرك بسبب حضورى ... أبى ... أبى ... أين هو الآن ؟. المسألة مهمة ... لقد أخبرنى السائق أنه حضر به إلى هنا أين هو ؟... أين ذهب ؟ ...

رئيس التحرير : ولماذا تريدين أباك ؟! ...

الآنسة : لأخبره بما حدث فى المنزل !.

رئيس التحرير : ماذا حدث ؟...

الآنسة : قنبلة ... وجدت قنبلة تحت مكتبه فى « السلاملك » !

رئيس التحرير : ومن الذى وجدها ؟ . . .

الآنسة : أنا ... ذهبت أضع على مكتبه بعض الزهور ... قبيل انصرافى إلى بيت عمتى ... فلمحت تحت المكتب شيئا غريب الشكل فدنوت منه بحذر ... وعندئذ تبين لى أنه لابد أن يكون قنبلة . . .

رئيس التحرير : « بعجلة » وماذا فعلت ! . . . أرجو أن تكونى قد تركتها فى مكانها !...

الآنسة : أتركها فى مكانها حتى تنفجر وتودى بحياة أبى ؟ !...

رئيس التحرير : « بقلق » نقلتها إذن من مكانها ؟!...

الآنسة : طبعاً ... اتصلت بالمحافظة فى الحال بالتليفون ، فأرسلت خبير القنابل ، ففحصها وأزال خطرها . . .

رئيس التحرير : « غير متمالك » ياللمصيبة !. .. انهار كل شىء من أساسه !...

الآنسة : « دهشة » أتسمى زوال الخطر مصيبة ؟ ! . . .

رئيس التحرير : « يستدرك » لا . . . بل أقصد ... لو وقع الحادث لا سمح الله . . . إنى أتكلم باعتبار ما كان سيحدث !. . .

الآنسة : فلنحمد الله أنى ذهبت إلى المكتب فى الوقت المناسب ! . . .

رئيس التحرير : « بغيظ مكتوم » الوقت المناسب ! . .. لقد ضاع الوقت المناسب ! . . .

الآنسة : لم يضع شىء . . . إن أبى كان متغيباً لحسن حظه . .. كان هنا عندكم ، كما بلغنى من السائق . . . وإنى لفى حيرة : هل أبلغه بأمر القنبلة فأثير فيه الانزعاج وهو مريض بالسكر ؟ ! . . .

رئيس التحرير : أما الانزعاج ... فثقى أنه سينزعج جداً ... وسيبكى سوء حظه !...

الآنسة : تقصد حسن حظه ؟ !

رئيس التحرير : « فى غضب خفى » لست أدرى ما أقصد ... إن الخبر وقع على كالصاعقة ! ... لقد فوجئت ...: ولا شك أن أباك المسكين سيفاجأ ... إنه لم يكن يتوقع مسألة الزهور هذه ...

الآنسة : حقاً ... ما كان من عادتى أن أصنع ذلك دائما . . . ولكنى اليوم وأنا خارجة ، رأيت فى الحديقة بضع زهرات من القرنفل الأبيض . .. فتذكرت أبى الذى عانقنى منذ قليل عناقا حاراً . .. فخطر لى أن أضعها على مكتبه . . .

رئيس التحرير : « كالمخاطب نفسه » كان يسره لو أنك وضعتها فيما بعد على . .. على . . .

الآنسة : ماذا تقول ؟ ...

رئيس التحرير : أقول إنه يسره لو أنك لم تدخلى مكتبه على الاطلاق ... كما كان يسرنى ذلك أنا أيضا ...

الآنسة : تقصد أنكما تكرهان تعريض نفسى للخطر ؟ !...

رئيس التحرير : لقد عرضت نفسك وعرضت الجميع لأكبر خسارة ... كنا خسرنا بذلك . . . أبوك وأنا وأنت ! . . . لقد أطاحت بآمالنا جميعاً وبمصالحنا بضع زهرات من القرنفل الأبيض !. ..

الآنسة : إنك تتكلم أيضاً باعتبار ما كان سيحدث ! . . . ولكن مادمنا قد نجونا جميعاً فى الوقت المناسب ! . . .

رئيس التحرير : لا تذكرى هذه الكلمة !...خصوصاً لأبيك !...من كان يتصور أن « الوقت المناسب » ليس فى يدنا نحن... بل هو شىء ألقته يد خفية داخل إناء أزهارك ؟ !

الآنسة : ألا ترى أن أخبر أبى بأمر القنبلة ؟ !...

رئيس التحرير : بلطف . . . بلطف . . . وإذا رأيت على وجهه علامات الغضب أقصد الانزعاج ... فاعذريه ...

الآنسة : طبعاً ... ! طبعاً ... أين هو الآن؟ ... ألا تعرف ؟ ...

رئيس التحرير : خرج من هنا إلى منزله تواً ... اذهبي إليه بسرعة ! ... اذهبي ... اذهبي . . . ليلتك سعيدة !..

« ينهض ويشيعها إلى الباب . . ويعود إلى مكتبه وهو ينظر فى ساعته ، وينفخ من الضيق . ويبادر الى الجرس . . ولكن الباب يفتح ويدخل سكرتير التحرير »

سكرتير التحرير : لقد قمت بمعجزة، وقفت بنفسى على الخطاط لأعد خط المانشيت بالفارسى فى هذه السرعة المدهشة . . . « يبسط ورقة ويقرأ » اغتيال عبد السميع رضوان باشا من انفجار ...

رئيس التحرير : مهلا ... مهلا ... كنت على وشك طلبك ... لا يوجد اغتيال ولا انفجار ! ...

سكرتير التحرير : مفهوم ... لم يحدث بعد ... ولكن سيحدث فى الساعة الثالثة !...

رئيس التحرير : لن يحدث أبداً ... ولن يموت عبد السميع باشا رضوان !..

سكرتير التحرير : من أين استقيت هذا الخبر الجديد ؟ !...

رئيس التحرير : من أوثق المصادر ...

سكرتير التحرير : عزرائيل ! ... لابد أنه أصدر تكذيباً رسمياً ! ...

رئيس التحرير : القنبلة ضبطت قبل أن تنفجر ... أسرع وغير « المانشيت » ! ..

سكرتير التحرير : بعد كل هذه الجهود !... ماذا نضع بدلا منه ؟ ! ...

رئيس التحرير : « يفكر » لست أدرى ... بل انتظر ... تستطيع برغم ذلك أن تمضى فيما أعددناه ... خصوم الباشا دبروا المؤامرة... ولكنها لم

تنجح ... لأن كريمته اكتشفت القنبلة فى الوقت المناسب ! ... اجعل « المانشيت » إذن هكذا : مؤامرة لاغتيال عبد السميع رضوان باشا ... القنبلة لم تنفجر !...

سكرتير التحرير : فلأذهب إذن فى الحال إلى الخطاط والحفار !...إنهما فى حجرتى ...

رئيس التحرير : نعم ... لا تضيع وقتا ... وإلا تأخرنا فى الطبع ...

« ينظر فى ساعته .. بينما يثب سكرتير التحرير خارجا من الحجرة .. ويبقى رئيس التحرير وحده فى حجرته يمشى ذهاباً وإياباً مفكراً .. ثم يسرع إلى التليفون .. »

اطلب لى المحافظة ! ... من ؟. أهلا وسهلا ...هل لديكم خبر عن القنبلة التى وجدت فى منزل عبد السميع باشا رضوان ؟. خبير القنابل ذهب لفحصها ؟. أعرف ذلك ... ولكن الذى أريد أن أعرفه هو رأيه ...ماذا ؟... تقريره لم يقدم بعد ؟. طبعاً لا ينتظر تقديمه قبل الغد... ولكن بصفة مبدئية ... ألا يمكن معرفة شىء عن هذا الموضوع؟... أكلمك بعد نصف ساعة؟...وهو كذلك... متشكر جداً ...

« يضع رئيس التحرير السماعة .. وإذا بالباب يفتح عليه ويدخل المحرر حسنين كأنه قنبلة .. »

حسنين : « فى لهفة » الباشا ... عبد السميع باشا ؟...

رئيس التحرير : « يلتفت إليه بهدوء » أين هو ؟ . . .

حسنين : مات ...

رئيس التحرير : يالبراعة المحرزين ! ... أهو الذى قال لك ذلك ؟!...

حسنين : لم يقل لى شيئاً ... ولكنه مات بالفعل ! ...

رئيس التحرير : من قنبلة لم تنفجر ؟...

حسنين : ومن قال إنه مات بقنبلة ! ...

رئيس التحرير : وكيف مات إذن ؟ ...

حسنين : مات غرقا ...

رئيس التحرير : فى النيل ؟ ...

حسنين : ياليت الأمر كان كذلك ...

رئيس التحرير : فى البحر الأبيض المتوسط ؟ ...

حسنين : وهل نحن خرجنا من هنا معاً لنركب قطار البحر أو لنذهب إلى منزله ؟

رئيس التحرير : إلى منزله ...

حسنين : لا فى نهـر إذن ولا فى بحر ...

رئيس التحرير : فى ماذا ؟ ... فى كوب ماء ؟ ...

حسنين : ياليت ... فى مـكان لا يخطر على بال ... إنه لحادث يدعو حقاً إلى الرثاء ...

رئيس التحرير : أين يمـكن أن يغرق هـذا الباشا ؟ ... أسرع وأخبرنى ... ليس لدينا وقت للأحاجى و الفوازير ... لا بد لنا كما تعلم من أن نصدر بتفاصيل الخبر ...

حسنين : فى مكان غير مناسب ...

رئيس التحرير : تـكلم من فضلك ... سأموت غيظا ...

حسنين : إليك تفصيل الخـبر ... وصلنا بالتاكسى إلى قرب منزله ... ونزلنا والوقت ليل، والظلام مخيم كأنه أجنحة الخفافيش، والنجوم الشاحبة تهتز خلف الغمام ، كأنها ترقص على أنغام « الرومبا » ...

رئيس التحرير : الرومبا ؟ ... من فضلك ... أرجوك ... هـذا كلام تـكتبه فى

« الربورتاج » على مهل وأنت جالس أمام الورق . . . الآن أريد أن أعرف فى كلمتين كيف غرق عبد السميع باشا ... !

حسنين : بجوار باب منزله مرحاض . . .

رئيس التحرير : يا ساتر ! . . .

حسنين : مصلحة التنظيم تقوم هناك بإصلاح أنابيب . . .

رئيس التحرير : عارف. .. ولذلك اقترح أن تبدأ جنازته من ميدان الإسماعيلية...

حسنين : عين الصواب ... لأن المكان هناك فعلا ...

رئيس التحرير : دعنا من ذلك ... نحن الآن فى المرحاض ... أقصد فى حادث الغرق ... كيف وقع ؟...

حسنين : ما كدنا نترك السيارة حتى سبقنى هو ليرينى طريق الباب بين الحفر العميقة ... ولم يكن هناك غير « فانوس » أحمر واحد موضوع على حاجز خشب فى موضع بعيد ... وسرت خلفه أتعثر فى أكوام الوحل والتراب ... ورفعت رأسى ... فلم أجد للباشا أثراً ... فتملكنى الغضب ، وخفت أن يكون غافلنى وذهب يتصل بإحدى الصحف ... وقد حذرتنى أنت من ذلك وأوصيتنى أن ألازمه حتى الموت!.. فصحت به مناديا... فسمعت صوتا ضئيلا يتصاعد من أعماق بئر قائلا : « أنا هنا... أنقذونى إنى أغرق . . . ! » فاستغثت بالعمال والمارة والخدم . . . ولكن للأسف ... عندما أخرجوه من ذلك المكان الكريه ، كانت روحه قد خرجت من جسمه ... فوثبت إلى التاكسى الذى لم يكن قد انصرف بعد ، وعدت به إلى هنا كالبرق لآتيك بالخبر ! . . .

رئيس التحرير : يا لها من موتة . .

حسنين : ربما كان لكل إنسان الموتة التى يستحقها ! ...

رئيس التحرير : ليس فى كل الأحوال . . . اللهم لا اعتراض ! ...

« يدخل الأستاذ فريد سكرتير التحرير . . يحمل « بروفة » خطية من « المانشيت » مزهواً »

سكرتير التحرير: صنعنا المستحيل !.. جعلنا الخطاط يضيف كلمة « مؤامرة »... بعد ربع ساعة يصير المانشيت كله معداً على هذا النحو : « مؤامرة لاغتيال ... »

رئيس التحرير : احذف ... احذف ... لا توجد مؤامرة ولا اغتيال !...

سكرتير التحرير: فاهم ... فاهم ... لأن القنبلة لم تنفجر ... والباشا لم يمت .

رئيس التحرير : الباشا مات !...

سكرتير التحرير: مات ؟. . موتاً حقيقياً ؟... من أين جاء الخبر ؟...

رئيس التحرير : من أوثق المصادر ...

سكرتير التحرير: اسمح لى أن أشك... اسمح لى أن أجن ... فى أقل من نصف ساعة يموت هذا الباشا ...ثم لا يموت ... ثم يعود فيموت ... ثم لا أدرى بعد ذلك ماذا سيكون من أمره ؟. من هذا الذى يهزأ بنا على هذا النحو ؟.. أهو عزرائيل ؟..أرجوكم أن ترسونى على بر ... ارحموا هذا « المانشيت » الذى لا يستقر فى يدى على حال ...

رئيس التحرير : هذه المرة مؤكدة ... وعلى عهدتى ... واسأل حسنين فقد شاهده بعينيه وهو يموت ...

سكرتير التحرير: انفجرت إذن القنبلة ؟..

رئيس التحرير : لم تنفجر ..

سكرتير التحرير: عجباً ... وكيف مات ؟.. .

رئيس التحرير : إنى غير مستعد لسماع قصة موته مرة أخرى ... حسنين يقصها عليك بالتفصيل على انفراد. .

سكرتير التحرير : والمانشيت! ؟..

رئيس التحرير : لا داعى الآن لمانشيت ... إن خصومه المزعومين لا يمكن أن يدبروا له مثل هذا المصير !.. إنما هو تدبير من جهة أعلى !.. سننشر الخبر فى صفحة داخلية بمنتهى اللباقة والاختصار ؟...

حسنين : ولكنها قصة طريفة وموتة عجيبة ، فى روايتها بالتفصيل كسب صحفى عالمى ...

رئيس التحرير : «كالمخاطب نفسه» هناك كسب أهم ... إن الرجل قد مات على كل حال.. وما كان يخلو من مزايا ... وكريمته ذات كمال وجمال و ... ويحسن أن نراعى شعورها ... إن الرجل لم يستطع أن يتخير موتته .. ولكنى أنا قد أستطيع أن أتخير ... فلنتقدم إلى إبنته العزاء ... ولأضع على قبره باقة من ... القرنفل الأبيض ...

ستار

٩ — من وحى السينما والدين

المخرج

قصة تمثيلية فى فصل واحد

قاعة العرض الخاصة فى « ستوديو » سينمائى ... مهندس العرض يصلح جهاز الميكروفون فى أسفل « الشاشة » الصغيرة ... يدخل عليه مهندس الصوت وفى يده جريدة ...

مهندس الصوت: أنت هنا ؟ ... ألم تمش فى الجنازة ؟ ...

مهندس العرض: لا يا سيدى ... أمر حضرة المخرج ! ... قال لى العمل أهم من العواطف ، وأوصانى بالبقاء هنا فى انتظاره لعرض النسخة النهائية للشريط ! ...

مهندس الصوت: رحمة الله على «سمير ذهنى» ! ... كانت جنازته رائعة كموتته ! ...

مهندس العرض: اتسمى موتته رائعة ! ..

مهندس الصوت: وهل فى هذا شك ؟ ... انى لو كنت ممثلا لما تمنيت أن أموت إلا هكذا ! ... هذا ياصديقى أعظم دليل على أنه اتقن دوره فى التمثيل ... إتقاناً بلغ به ...

مهندس العرض: بلغ به الدار الآخرة ! ... ماعلينا ، هل نشر الحادث فى الصحف؟!

مهندس الصوت: « يفتح الجريدة التى فى يده » طبعا ... اسمع ما نشر اليوم : « نجم سينمائى يقتل آخر ... وقعت صباح أمس جناية عجيبة لم يسبق لها مثيل ... فقد روعت العاصمة بنبأ قتل نجم السينما المعروف « سمير ذهنى » وتفصيل الخبر ... أن القتيل كان يقوم بتمثيل دور « ياجو » فى فيلم « عطيل » الذى يجرى إخراجه الآن فى ستوديو « وادى النيل » ... وبينما كان « سمير » جالسا فى أحد المقاهى إذ مر به زميله النجم المعروف « أحمد علوى » القائم بدور

« عطيل » فى نفس الفيلم . . . فما كاد هذا الأخير يرى الأول حتى هجم عليه وأخرج من جيبه مدية طعنه بها وهو يصيح : « أليس فى السماء صواعق غير تلك التى تصحب الرعود . . . أيها الوغد أيها الدنىء !٠٠٠» وقد ظهر من التحقيق أن النجم الجانى أصيب بخلل فى قواه العقليـة من أثر الإجهاد الفنى والإرهاق العصبى ، جعله لا يفرق بين الحقيقة والتمثيل، ويعتقد أنه هو القائد المغربى «عطيل» الذى قتل زوجته الجميلة البريئة « ديدمونة » ظلماً ، من فرط الغيرة التى أثارها فى قلبه إفكا وافتراء ملازمه الخائن «ياجو» . . . وقد أرسل القاتل « أحمـد علوى » إلى الطبيب الشرعى لفحصه وتقديم التقرير الرسمى عنه إلى النيابة العمومية ! .. »

مهندس العرض : حقاً لقد أرهق أعصابه . . . إنى كنت ألاحظ عليه بوادر غريبة فى الأيام الأخيرة . . . ولكنى ما كنت أتصور الأمر يصل إلى حد الخطورة ... إنه الآن مقبوض عليه ٠٠٠أليس كذلك ؟ !٠٠٠

مهندس الصوت: أتخاف على نفسك!٠٠٠ اطمئن!... لن يكون لك مثل هذا الشرف

« تسمع جلبة فى الخارج »

مهندس العرض : صه !.. لقد حضر !..

المخرج : «يدخل مسرعا وهو يخلع جاكتته » ... هلموا إلى العمـل ... إلى العمل ! .. .كل شىء جاهز ؟! ... .

مهندس العرض : جاهز . . . انبتدىء ؟٠٠٠

المخرج : فى الحال! .. .أين المساعد؟ ... .

المساعد : « يدخل فى أعقابه » موجود !... عجبا . . . ألم أكن بجوارك دائماً

فى الجنازة !! . . . من الذى هيأ لك فرصة الهرب من المقبرة ! . . .

المخرج : هذا من واجباتك ! !

المساعد : لا . . . ليس من واجباتى ذلك!!.. إنى مكلف فقط أن أهيىء لك أعمال الإخراج فى الاستوديو . . . لا أعمال إخراجك من المقابر ! . . .

المخرج : من جميع المآزق ! . . . « إنى لم أخلق للسير فى الجنازات وتضييع الوقت فى المجاملات ! . . .

المساعد : ولكنه ممثلك . . . ونجمك . . . وضحية « فيلمك » . . . أنت ليس لك قلب ! . . .

المخرج : يكفينى أن يكون لى عقل . . .

المساعد : بعد تلك المأساة لم تعد لى ثقة فى عقل أحد . . .

المخرج : إخرس . . . نور . . . اطفئوا النور . . . ابدأوا العرض . . . مشهد ياجو وعطيل . . .

« يطفأ النور : . . ويبدأ عرض مشهد من فيلم « عطيل » . . . ولا ترى الشاشة على المسرح فهى فى ركن مختف بعيد . . . ولكن يسمع صوت « ياجو » فى الفيلم يمثله القتيل « سمير ذهنى » وهو يحاور « عطيل » الذى يمثله القاتل « أحمد علوى » . . . . . .

ياجو : لو أنى أعطيت زوجتى منديلا . . .

عطيل : وبعد ؟ . . .

ياجو : لقد وقع فى ملكها . . . ومادام قد وقع فى ملكها . . . فإن من حقها ، فيما أرى ، أن تمنحه من تشاء . . .

عطيل : شرفها أيضاً ملكها . . . فهل يحل لها التصرف فيه ؟ . . .

ياجو : شرفها جوهر مستور . . . هنالك كثيرات صاحبات شرف . . . وهن

لا يملكنه ... ولكن المنديل ...

عطيل : ماذا تقول ؟... تريد ؟ .. تريد أن تقول إن منديلي معه ؟ . .

ياجو : نعم...لو أني قلت إني رأيته لأثرت غضبك !...

عطيل : المنديل ... فليعترف !.. وليشنق عقابا له ... ليشنق أولا ... وليعترف بعد ذلك ... إني أرتجف ... هذا مستحيل... أريد اعترافا... يا للشيطان .

« المخرج يصفق بيده في الظلام »

المخرج : نور ... نور ...

« يقف العرض وتضاء القاعة »

المساعد : ما الذي لم يعجبك ؟ ...

المخرج : «ياجو» يبالغ في حركاته...

المساعد : وما العمل الآن ؟ ...

المخرج : يجب أن يعاد المشهد ...

المساعد : أي مشهد ؟...

المخرج : « مشيراً إلى ناحية الشاشة » هذا!...

المساعد : حسبتك تقصد « مشهداً » آخر . أنسيت أنه الآن راقد في المقبرة ! ...

المخرج : لا سبيل إذن إلى تغيير شيء ... فرض علينا سوء تمثيله فرضاً وذهب ...

المساعد : لست أراه أساء التمثيل . . . إنه متقمص شخصيته . .. بدليل أنه أثار عطيل إلى حد دفعه إلى قتله . . .

المخرج : قتله على القهوة . . . لا على الشاشة . . . إني أريد أن يثيره هنا . . . بحركاته الطبيعية وتمثيله المتقن . . . إني مخرج .. . لا تنس أني مخرج ... لا يهمني إلا ما يحدث هنا على شاشة السينما ! ...

المساعد : ما حدث فى الحياة ... خارج السينما ... يجب أن يهمك أيضاً ... ويقيم لك الدليل ...

المخرج : الحياة ... الحياة هى هذه ... التى أخلقها بيدى هنا ... فوق هذه الشاشة ... وإنى لا أحاسب الممثلين إلا على ما يصنعونه هاهنا ... وما يحدث لهم ويحدثونه فوق هذه الشاشة ...

المساعد : ألك اعتراض آخر على عمل يا جو .. أقصد «ذهنى» خلاف الإسراف فى الحركات ؟ ...

المخرج : أو تستهين بالإسراف ؟...

المساعد : «يتنهد» رحمة الله عليك يا ذهنى ... لقد ترك لك حياتك وذهب ... واستراح ، ومع ذلك لم يسلم من نقدك وحسابك...

المخرج : إنه فى نظرى لم يذهب ... إنه هنا دائما . . « يشير إلى الشاشة » ...

المساعد : نعم ... هنا دائما ... والآن وأنا أسمع صـــوته ... وأرى وجهه ... أخذتنى رعدة، وقلت فى نفسى : ما الذى ذهب منه إذن ؟... مواد عفنة فى كفن ... أما هو بصوته وصورته ، فيعيش فى ظلام الأبدية ، كما يعيش أمامنا فى ظلام هذه القاعة ...

المخرج : على شريط مسجل ...

المساعد : نحن أيضاً ... جميعنا ...

المخرج : من له دور فقط... اطفئوا النور ، لنرى خاتمة الرواية ... الجزء الأول من خاتمة الرواية من فضلك ... اطفئوا النور ... مشهد يا جو مع زوجته اميليا وعطيل ...

« يطفأ النور فى القاعة من جديد ويبدأ العرض »

اميليا : « لزوجها ياجو » هو يزعم أنك قلت له إن امرأته خائنة .. . أعرف أنك لم تقل ذلك ! . . . ما أحسبك شقيا إلى هذا الحد؟! . . .

ياجو : قلت له ما أعتقد . . .

اميليا : أقلت له إنها خائنة ؟ . . .

ياجو : قلت له ذلك . . .

اميليا : لقد قلت كذبا . . . ولفظت إفكا . . . كذبا مروعا ! . . . كذبا ملعونا . . .

ياجو : أمسكى لسانك ! . . .

اميليا : لن امسك لسانى . . . يجب أن أطلقه بالكلام . . . إن مولاتى . . . ديدمونة . . . هنا طريحة على فراشها مقتولة! . . . وبسببك أنت يازوجى . . . تمت هذه الجريمة . . .

ياجو : إنك جننت . . . اذهبى إلى بيتك ! . . .

عطيل : ديدمونه ! . . .

اميليا : لقد قتلت ياعطيل زوجتك البريئة ! قتلت البراءة فى طهارتها وصفائها ! . . .

عطيل : كانت مجرمة . . . ولقد خنقتها بيدى . . . وإنى لأعلم أن هـذا فعل قاس فظيع . . . ولكن ياجو يعلم أنها ارتكبت الخطيئة أكثر من ألف مرة . . . وكانت تكافىء عشاقها بما آثرتها به من هدية ، ذلك المنديل . . .

اميليا : أيها المغربى الأحمق . . . ذلك المنديل أنا الذى وجدته بالمصادفة وأعطيته لزوجى ، فهو الذى كان يلحف على بالرجاء أن أسرقه . . .

ياجو : يالك من عاهر ! . . .

اميليا : هرب وطعننى . . . أمسكوا به . . . لقد هرب . . . لقد دفعك أيها الأحمق إلى قتل زوجتك الطيبة ! . . .

عطيل : أيها الوغد ... أيها الدنىء !... أليس فى السماء صواعق غير تلك التى تصحب الرعود !...

« صوت فى القاعة يصيح »

الصوت : لقد وجدته ... لقد قتلته ! ...

المخرج : «صائحا» من هذا ؟ !...نور!.. نور!...

« يقف العرض ... وتضاء القاعة »

المساعد : « يرى صاحب الصوت فيلفظ صيحة مكتومة » علوى ! ...

علوى : لقد وجدته... وقتلته ...

المخرج : كيف جاء هنا ؟ ...

المساعد : « هامساً » فر ولاشك من يد البوليس !... خذه بالرفق..

علوى : « متجها إلى المخرج متوعداً » أين ديدمونة ؟ ...

المخرج : « فى حيرة » ديدمونة ؟ ...

علوى : ديدمونة ... المسكينة المظلومه ؟ !... أين هى ؟... أين هى ؟!...

المخرج : ألم تخنقها بيديك ؟ ...

علوى : أريد أن أطبع على جبينها الطاهر قبلة ... أين جثمانها المسجى فوق الفراش ؟...أريد أن أقبلها قبلة الوداع ... وأهمس فى أذنها أنى انتقمت لها من الواشى الدنىء ياجو...حذار أن تكونوا قد ذهبتم بها إلى القبر... حذار أن تكونوا قد دفنتموها فى غيبة منى ... مالى أراكم واجمين هكذا ؟ مالكم قد وقفتم بلا حراك كأنكم أموات ! . . . ولماذا تنظرون إلى هكذا ؟...إنها قد دفنت ؟... أليس كذلك...تكلموا...هل دفنت ؟!... « يمسك المخرج من عنقه » هل دفنت ؟ !...

المخرج : « يخلص نفسه » لم ندفن أحداً !...

علوى : أين هى إذن ؟ ...

المخرج : « صائحا » أخرجنى من هذه الكارثة حالا أيها المساعد !...

المساعد : « فى اضطراب يتقدم » حاضر ... أخرجك حالا ! ...

علوى : « للمخرج » أين هى ؟ ... أين هى ؟

المخرج : « يشير إلى المساعد » سل هذا ... هذا هو الذى يعرف ...

المساعد : « خائفا » نعم أعرف ...

علوى : « يتجه إلى المساعد » أين هى ؟ ... أين هى ؟...

« يمسك بعنق المساعد بقبضة قوية »

المساعد : من هى؟...

علوى : « بصيحة » ديدمونة !...

المساعد : « يخلص نفسه عبثا » ديدمونة ... إنها فى ...

علوى : أين ؟... أين ؟...

المساعد : فى منزلها ، ديدمونة فى منزلها ...

علوى : منزلها ؟... أين ؟... أين ؟...

المساعد : فى شبرا ! فى شارع الترعة البولاقية بشبرا ...

علوى : أجننت ؟...

المساعد : « يحاول التخلص » لا ! ... اترك رقبتى قليلا ... وأنا أتذكر لك رقم بيتها ورقم التليفون ...

المخرج : « باحثا حوله عن نجدة » أين ذهب الجميع؟! أما من أحد يطلب البوليس؟.

المساعد : أو يحضر له هذه النجمة الناشئة !.. هذا الوجه الجديد التى مثلت الدور !.

إنها تسكن شبرا ! ... اسألوا « الريجسير » عن العنوان ؟! ...

علوى : « للمساعد » مجنون ! ... يهرف بكلام غير مفهوم ...

المساعد : مضبوط ! ... أنا المجنون اتركني ! ... أرجوك ! ... أرجوك يا علوى ... علوى

علوى : من ؟ ... من تنادى ؟ ...

المساعد : علوى ! ... عطيل ... يا عطيل ...

علوى : نعم ! ... أنا عطيل عرفتني الآن ؟ ... أخبرنى أين ديدمونة ، وأنا أتركك ...

المساعد : اسمع يا عطيل ... أعدك بشرفى أنك ستراها بعد قليل ! ... استرح لحظة وأنا أذهب بك إليها ...

علوى : لا أريد أن أستريح ...

المساعد : ولكن رقبتى تريد أن تستريح ... كيف أذهب بك إلى ديدمونة ... وأنت تخنقنى هكذا ...

علوى : « يتركه » تركتك ... هلم بنا إليها ...

المساعد : « يخرج علبة سجائره ويقدم إلى علوى » سيجارة ؟ ..

علوى : « يتناول واحدة بحركة آلية غريزية » هلم بنا ...

المساعد : انتظر حتى أشعل لك ... « يشعل له سيجارته » هذه « مصرى » وأنت يا عطيل لا تدخن عادة إلا « أمريكانى » ...

علوى : ماذا تقول ؟ ... أسرع بى إلى ديدمونة ...

المساعد : حالا يا مولاى ...

المخرج : لماذا تتلكأ ؟ ... اذهب به فى الحال إلى ديدمونة ... « بصوت خافت » إلى أقرب نقطة للبوليس ...

المساعد : « يقود علوى » هيا بنا يا عطيل إلى زوجتك الطاهرة البريئة « يخرج به »

مهندس العرض : « يدخل » انصرف ؟ ...

المخرج : انتظارت حتى انصرف ؟ ! ... أين كنت طول الوقت ؟ ... كنت بجوار آلة العرض تشاهد ما يجرى من خلال الثقب ! ...

المهندس : حقاً ... لقد رأيت مشهداً عجيباً ! ...

المخرج : مشهدا عجيباً ؟ ! ...

المهندس : عطيل على الشاشة فى عصره وثيابه وبيئته ... ثم عطيل هنا فى عصرنا وبيئتنا وثيابنا ! ...

المخرج : هذا الممثل قد فقدناه ... ولم يعد يصلح للعمل ! ...

المهندس : نعم ... مع الأسف ! ... لا لذنب جناه سوى أنه أتقن عمله ؛ وأخلص لدوره ... فعاش فيه داخل الشاشة وخارج الشاشة ! ...

المخرج : هذا النوع من الأخلاص له اسم آخر عند أطباء الأمراض العقلية ...

المهندس : نعم ... كل تفان فى الأخلاص هو إلى حد ما نوع من الجنون ! ...

المخرج : يجب على الممثل أن يلبس لكل حال لبوسها ...

المهندس : ليس الممثل وحده كل من نضفى عليه صفة العقل ! ...

المخرج : الفن التمثيلى يقتضى أن نفرق بين عالم الوهم وعالم الحقيقة ... وأن نخلع ثوب أحدهما لنرتدى ثوب الآخر ... وهذا يحتاج إلى فطنة ويقظة ذهن ... كل ممثل هو رجل عاقل ...

المهندس : وكل رجل عاقل هو ممثل ! ...

المخرج : كارثة علوى هى أنه لم يخلع دور عطيل ... واستمر فى عالم الوهم ... بعد تركه هذا الاستديو

المهندس : لقد اعتقد أنه يعيش فى عالم حقيقى ! ...

المخرج : هذا خطأ ...

المهندس : خطأ من ؟ ... خطؤه هو أو خطأ المخرج ... الذى أمره أن يعيش الدور كما لو كان حقيقة؟ ... وأعلن إليه أنه سيحاسبه على هفواته حسابا عسيراً ؟ ... لقد صـــدق المخرج ، وعاش دوره واندمج فيه ، وأخلص له واستمر عليه ...

المخرج : ما هذا الكلام ؟ ... أتريد أن تقول إنى أنا الذى دفعت به إلى هـذا الخلط والخبل !؟ ...

المهندس : لا ... لا أقصد ذلك ... إنما قصدت إنه لا يوجد فى الأمر خلط ولا خبل ... هذا الرجل منطقى مع نفسه ...

المخرج : أجننت ؟ ... أنت أيضاً ! ...

« جلبة فى الخارج :... وصوت نسائى رقيق يطلب مقابلة المخرج ... ثم تدخل فتاة فى نحو الرابعة والعشرين ... »

الفتاة : « داخلة باندفاع » أين المخرج ؟ ...

المخرج : أنا هو ... وحضرتك ؟ ...

الفتاة : بنت أخت الممثل علوى ... علمت أن خالى علوى هرب من عند الطبيب الشرعى ... وقيل لنا إنه جاء إلى هنا ...

المخرج : نعم ... كان هنا منذ قليل ... وانصرف ...

الفتاة : انصرف ؟ ... إلى أين ؟ ...

المخرج : إلى الجهة التى جاء منها ...

الفتاة : عجباً ! ... ذهب إليها هكذا بقدميه ؟ ! ...

المخرج : طبعاً بقدميه ... وكيف يذهب إذن ؟ ! ...

المهندس : « متدخلا » الآنسة تقصد ...

المخرج : الآنسة تستطيع عرض ماتريد... دون حاجة إلى مهندس عرض ...

المهندس : « وهو يتحرك ليخرج » سأذهب بالشريط إلى المونتاج ...

المخرج : تحسن صنعاً ...

المهندس : لن يقطع منه شيء بالطبع ؟ ...

المخرج : لا ..

« المهندس يخرج .. »

الفتاة : وكيف كانت حالته ؟... ألم يزل ...

المخرج : نعم ... لم يزل فى دور عطيل ! ...

الفتاة : حادث محزن حقاً ... أسرته كلها فى حال يرثى لها من القلق والانزعاج ... نحن فى حيرة ... لا ندرى ما نصنع ...

المخرج : لاتصنعوا شيئاً .. دعوا الحكومة تتكفل بالأمر ... إن وجوده بينكم الآن على هذه الصورة أصبح مستحيلا ...

الفتاة : هذا ما أرى ...

المخرج : أغلب ظنى أن هذه أول مرة تأتين فيها إلى هذا الاستديو ...

الفتاة : نعم ...

المخرج : كيف لم يخطر فى بالك أن تأتى لزيارة خالك أثناء عمله فى « الفيلم » ؟ !

الفتاة : كنت مشغولة بعملى فى الكلية ...

المخرج : تعملين فى كلية ؟ ...

الفتاة : طالبة فى كلية الآداب ... قسم الفلسفة ...

المخرج : لو رأيتك قبل الآن لاقترحت عليك عملا أهم من ذلك .

الفتاة : ماهو ؟ ...

المخرج : أن تقومى أنت بدور « ديدمونة » ...

الفتاة : « بابتسامة » إنى أفضل دورى الذى أقوم به الآن ... التخصص فى التصوف الإسلامى وإعداد رسالة لنيل « الماجستير » ..

المخرج : «يتأملها» فيلسوفة ! .. بهذا القوام الدقيق .. والوجه الفوتوجنيك ! ...

الفتاة : إنى ممثلة رديئة ... فى الحياة ... لا أعيش الدور ، بقدر ما أفكر فيما وراءه ... وفيمن يحركه ...

المخرج : لا .. لا ينبغى أن تفكرى إلا فى تقمص دورك ... لا فى المخرج الذى يحركه ... لا شأن لك بالمخرج . . وأنت تقومين بالدور ... هو الذى يفكر فى عملك ... أما أنت فلا يجب أن تفكرى فى عمله ...

الفتاة : ليتنى أستطيع ذلك ...

المخرج : تستطيعين ... على عهدتى ...

الفتاة : لا أستطيع ... إنى أعرف نفسى ... إنى أفكر فى المخرج .. لا فى الدور ... إنه هو الذى يشغل بالى وتفكيرى وعقلى وقلبى ...

المخرج : تحبينه إلى هذا الحد ؟ ...

الفتاة : نعم ...

المخرج : من هو هذا المخرج ؟ ... لقد مارست التمثيل إذن ؟ ...

الفتاة : نعم ... أو لم أقل لك إنى ممثلة رديئة ... شأن كل فيلسوف ... لأنى أترك الدور وأحملق فى المخرج ...

المخرج : وماذا جرى بينكما ؟ ...

الفتاة : لا شىء ... لم أزل أحملق فيه بعيون مشدوهة ! ...

المخرج : وأى عيون !... إن هذا ولا شك يملؤه سروراً واغتباطا !..

الفتاة : أرجو على الأقل أن لا يغضبه ذلك !...

المخرج : يغضبه ذلك ؟ ! ...أن يرى مثلك تعنى به كل هذه العناية !... من هو ؟... من هو هذا المخرج المحظوظ؟...

الفتاة : لقد بلغ من عنايتى به أنى كرست حياتى أكتب صفحات وصفحات ...

المخرج : ماذا ؟... مذكرات ... غرامية ...

الفتاة : بل ... رسالة جامعية ... موضوعها : « البرهان على وجود الله » !...

المخرج : « مصدوما » وما هى المناسبة ؟ !...

الفتاة : ألا ترى ذلك مناسباً ؟... أما أنا فأراه أقل ما ينبغى أن أفعل من أجله .

المخرج : من أجل من ؟!...

الفتاة : لا تنظر إلى هـذه النظرات ... ولا تظن بى الظنون ... لا تتعجل ... سأجعل عقلك يستريح ...

المخرج : « وهو ينظر إليها فاحصاً » عقلى أنا ... مستريح ... ولكن ...

الفتاة : ولكن الموضوع دقيق على الفهم ... لست أجهل ذلك ...

المخرج : حقيقة ... إنى ... لم أفهم كثيراً ...

الفتاة : فلنحاول تقريب الموضوع إلى أذهاننا...أخبرنى أولا ... ما هى فكرتك عن الله ؟ ...

المخرج : فكرتى عن الله ؟ !...

الفتاة : لماذا تنظر إلى هكذا ؟... نعم ... فكرتك عن الله ... أجب

المخرج : إنى ... إنى لم أره حتى أجيب ...

الفتاة : هل من الضرورى أن تراه لتكون عنه فكرة ؟...

المخرج : وكيف أكون عنه فكرة بدون أن أراه ؟...

الفتاة : « تشير إلى الشاشة المختفية فى الركن » انظر إلى هذة اللوحة ... إلى هذه الشاشة ... عندما تعرض عليها رواية من إخراجك ... مثل رواية عطيل ... هل يراك الجمهور ؟ ...

المخرج : لا بالطبع ... ان المخرج لا يظهر ...

الفتاة : ومع ذلك يستطيع الجمهور أن يكون فكرة عنك وعن إخراجك وأسلوبك وروحك ...

المخرج : « كمن فطن » هذا صحيح !...

الفتاة : افرض إذن أن شخصاً انصرف بعد مشاهدة الرواية يقول : « لقد أبصرت بعينى ممثلين يتحركون وحوادث تتعاقب... ولكنى لم أبصر بعينى ذلك الذى يسمونه المخرج ... ويزعمون أنه هو الذى حركهم ونسقهم ودبر أمرهم ... أن « المخرج » هذا ... حديث خرافة !... » ماذا يكون قولك فى مثل هذا الشخص الذى ينكر وجودك ؟!...

المخرج : أقول إنه حمار!...

الفتاة : الحمد الله ! ...

المخرج : ومن هذا الذى يجهل الآن أن المخرج هو كل شيء فى الرواية ؟ !... تأملى جيداً أى فيلم سينمائى ... هل تظنين حوادثه ومفاجآته تقع بالمصادفة ، أو تتتابع من تلقاء نفسها ... وأشخاصه تحيا وتتصرف اعتباطاً أو ارتجالا ؟! مستحيل أن يكون الأمر كذلك ... ولكن الواقع هو أن خلف كل ما ترين فوق الشاشة فكراً مستتراً هو الذى وضع الخطة وربط الحوادث وحبك المواقف وسير كل شخصية فى طريقها المرسوم ... هذا الفكر

المستتر وراء كل ما تشاهدين هو أنا ... أى المخرج ...

الفتاة : أنت المسئول إذن عن كل مايجرى على الشاشة !...

المخرج : طبعاً ...

الفتاة : والممثلون ؟... لا ينبغى إذن أن يكونوا موضع ثواب أو حساب ! ...

المخرج : من قال لك ذلك ؟... أنسيت أن لى أوامر وتنبيهات وتعليمات؟ !... إن من اتبع من الممثلين أوامرى ونفذ تعليماتى أصاب... ومن أهملها وخالفها خاب !..

الفتاة : عليهم إذن يقع جانب من التبعة ...

المخرج : بدون شك ... ولو تقدمت فى الحضور لحظة لرأيتنى غاضباً على « ياجو » فى الفيلم... إنه لم يحسن الالتفات إلى تنبيهاتى ، فجاءت حركاته مبالغاً فيها... لقد أفرط ...

الفتاة : وعطيل المسكين ... لقد عاش دوره جيداً ... فيما أعتقد ...

المخرج : خالك !... لقد غرق فى دوره... فلم يستطع الخروج منه ليعود إلينا...

الفتاة : « كالمخاطبة نفسها » ليعود إليك ... نعم ... كان يجب أن يترك عالم الأشباح... ليعود إلى عالم الحقيقة... ليعود إليك... ويراك...

المخرج : ليرانى أنا ...

الفتاة : « مستمرة كالمخاطبة نفسها » كل هؤلاء الأطياف المتحركة على الشاشة الكبرى ، يجب أن يعودوا إلى عالم النور والحقيقة... ليروا المخرج... فى جلاله ...

المخرج : إنهم يعودون ليطالبوا بمتأخر النقود !...

الفتاة : ولكن أمثال عطيل...خالى...يظلون هكذا هائمين ضالين .. يتحركون فى عالم الحقيقة .. ولا يبصرون نورها .. لأنهم غارقون دائما فى ظلمات

العالم الزائل !...

المخرج : حقا ... لقد رآنى الآن خالك عطيل ولم يعرفنى ! ...

الفتاة : نعم ... لم يعرفك ... ولم ير نورك وجلالك ...

المخرج : نورى وجلالى ...

الفتاة : « تفطن » أقصد ... أقصد ...

المخرج : لاتقصدى شيئاً ... هذا لا يغضبنى ... بل يسرنى كل السرور ... استمرى فى هذا الموضوع ...

الفتاة : أتعرف ما الذى يثير العجب فى عملك هذا ...

المخرج : ماذا ...

الفتاة : أمر لست أدرى هل خطر لك على بال ...

المخرج : خطر لى على بال ... تكلمى ...

الفتاة : لو أنى قمت بدور « ديدمونة » وعشت فيه على الشريط ... لكنت طرحت عليك وأنا أشاهده بجوارك فى هذه القاعة هـذا السؤال : أليست ديدمونة فى مبدأ الفلم تجهل مايخبئه لها القدر ... أى المخرج! إنها لاتعلم مصيرها وهو الموت خنقا بيد زوجها . هذا المستقبل بالنسبة إليها لن يظهر إلا فى أواخر الشريط ... إن هذا الشريط الموضوع الآن فى جعبتك يحوى كل ماضى ديدمونة وحاضرها ومستقبلها ... شريط يسجل حياة أشخاصك فى أزمانها المختلفة ومصائرها المحتومة ... إنه « لوح محفوظ » يرقم كل الغيب بالنسبة إلى أبطالك ... إن مايسمونه هم زمنا متعاقبا ، لا يوجد بالنسبة إليك ... إن كل ما حدث لهم ويحدث وسيحدث موجود فى هذه العلبة من الصفيح التى تطلقون عليها اسم ...

المخرج : البوبينة .

الفتاة : نعم... فى هذه « البوبينة » ماضى وحاضر ومستقبل كل شخص فى الفيلم... كما أن فيها الأماكن والمدن والبحار التى فيها يعيشون ... ما موقفك أنت أيها المخرج تجاه هذه العلبة ، وما فيها من أزمنة وأمكنة ؟...

المخرج : ماذا تقصدين ؟...

الفتاة : إنك لا تخضع لما فيها من زمان ومكان . . إنك خارج عن نطاق هذا الزمان والمكان !...

المخرج : طبعاً ...

الفتاة : وعندما يتحدث هؤلاء الأشخاص عن أمسهم ويومهم وغدهم ... تضحك أنت ... لأن كل هذا موجود ... فى جيبك أو علبتك ... دفعة واحدة !...

المخرج : هذا صحيح ...

الفتاة : « باسمة » أرأيت إذن قدرتك وجبروتك ؟...

المخرج : جبروتى ؟!...

الفتاة : « تتحرك للانصراف » لقد اثقلت عليك بهذا الحديث ... اسمح لى الآن بالانصراف . . .

المخرج : تنصرفين... هكذا ... بهذه السرعة ؟... أريد أن أراك كثيراً ... وأسمع منك مثل هذا الحديث ...

الفتاة : لديك ما هو أجدى عليك منه...

المخرج : ليس لدى هنا غير الكلام فى شئون المهنة... ومسائلها الفنية... وإصدار الأوامر والنواهى والتنبيهات ! . . .

الفتاة : أما من أحد هنا يحدثك هكذا؟ ...

المخرج : عن نفسى ؟ ... بمثل هذا الحديث . . . لا . . . أبداً . . .

الفتاة : وماذا يقولون عنك هنا إذن ؟ . . .

المخرج : يقولون إنى أضيع وقتى فى إخراج روايات لا فائدة منها ! . . .

الفتاة : إنهم لا يفهمون غرضك ؟

المخرج : وما هو غرضى ؟ . . .

الفتاة : أن تخلق ... أى تنفخ روحك فى خليقتك . . . أى تحقق ذاتيتك . . .

« تمد يدها إليه مودعة »

المخرج : أمن الضرورى أن تنصرفى الآن ؟...

الفتاة : لا بد من ذهابى إلى عملى ...

المخرج : عملك ؟ ... وعملى أنا ؟... إنى أحس الساعة أنك ألزم الناس لعملى...

الفتاة : لا تبالغ . . .

المخرج : لعنة الله على عطيل ... لماذا جن اليـــوم .. أقصد خالك علوى ... ما أسفت على ذهاب عقله أسفى فى هذه اللحظة ... لو كان اليوم بعقله لمضيت إليه تواً أطلب إليـه . . .

الفتاة : ماذا ؟...

المخرج : يدك . . .

الفتاة : يدى ؟... أنتظر حتى يعود إليه عقله...

المخرج : وإذا لم يعد إليه عقله ؟...

الفتاة : فى هذه الفترة ربما عاد إليك عقلك أنت ...

المخرج : أترفضيننى ؟...

الفتاة : وداعا ! ...

المخرج : ألست بى معجبة ؟ ...

الفتاة : بالفنان ، لا بالإنسان ! ...

المخرج : أولا يعجبك منى الإنسان؟ ...

الفتاة : إنى لم أعرفه فيك ولم أره ! ...

« تسلم وتنصرف مسرعة تاركة إياه فى مكانه جامدا كالغائب عن الصواب »

المساعد : « يدخل مندفعا » تمت مهمتى!... أنت تخرجه على الشاشة ، وأنا أخرجه إلى مستشفى المجاذيب !... إنه الآن فى طريقه إلى « الخانكة » ! ...

المخرج : اقترب منى ، وأخبرنى بكل صراحة !...

المساعد : نعم ...

المخرج : من ترى أمامك ؟ ...

المساعد : « ينظر بعيون زائغة » أين ؟ ...

المخرج : « يشير إلى نفسه » هنا ... هنا أمامك ... من ترى ؟ ...

المساعد : المخرج ...

المخرج : فقط ؟... أنت أيضاً ؟ ...

المساعد : ومن تريد أن أرى ؟ ...

المخرج : أيها الأعمى !... أيها الأحمق ... كنت انتظر منك أنت ان ترى...أنت المتصل بى من قديم ... ولكن ... حتى أنت لا ترى فى غير مجرد مخرج فنان... ولا شىء غير ذلك... واأسفاه !... أهو سر مغلق عليكم إلى هذا الحد ؟ ...

المساعد : وهل أنت شىء آخر غير ذلك ؟ ! ...

المخرج : ألا تعرف ؟ ...

المساعد : لا ... أخبرنى !...

المخرج : وما فائدة إخبارك ! ... مادمت لم تعرف بنفسك ولم تر ...

المساعد : هل فى الأفق مشروع آخر أو عمل جديد ؟ ... كل معلوماتى عنك حتى آخر لحظة هو أنك مخرج ...

المخرج : معلوماتك سطحية تافهـــة ... كان يجب أن تعرف علاوة على إنى مخرج ... إنى ...

المساعد : ماذا ؟ ... بشرنى ...

المخرج : إنسان !...

المساعد : ماذا ؟!...

المخرج : إنسان ... إنى إنسان !...

المساعد : « ينظر إليه فى ارتياب » ماذا جرى لك؟...

المخرج : كيف لم تعرف ذلك من قبل ... ولم تر...

المساعد : أرى الآن ...

المخرج : رأيت الآن فقط ؟...

المساعد : نعم...الآن فقط ... إنك فى حاجة إلى الراحة ... أرى البوادر ... إذا كان عطيل قد أنهكه الجهد فى هذا الفيلم المشئوم ... فكيف بك وبى !... أسرع إلى الراحة ! ... إلى مصحة ... قبل فوات الأوان !...

المخرج : ماذا تقول أيها المجنون ؟...

المساعد : « وهو يتقهقر متحفزاً للهرب » صدقت ... لم يبق غيرى !... الدور على أنا !... إنى ذاهب فى إجازة ... أنا قائم إلى الإجازة ... أنا من الآن فى إجازة ...

« يختفى فى الحال »

المخرج : « كالمخاطب نفسه » هو أيضاً لم ير فى الإنسان !...

« ستار »

عمارة المعلم كندوز

قصة تمثيلية فى فصل واحد

«ردهة فى مسكن المعلم مدبولى الشهير بكندوز . . أرائك ومقاعد مذهبة . ومرايا كبيرة فى الحائط حولها الزهور الصناعية . . وصور فتوغرافية معلقة مكبرة لصاحب البيت وهو بالبذلة وفى يده منشة من عاج . . الوقت عصر . والمعلم كندوز واقف أمام المرآة يلبس البنطلون . . ويحاول جاهداً أن يحشر فيه بطنه الكبير . .»

كندوز : « صائحاً » يا وهيبة ! .

وهيبة : « من داخل إحدى الحجرات » أصبر على يا كندوز ! ...

كندوز : تعالى وحياة عينيك صرينى فى هذا الملعون البنطلون !

وهيبة : « من الداخل » اصبر !... بنتنا أولى باللبس والزينة...هى العروس !...

البنت : « من الداخل » لبسى انتهى يا نينه ... روحى انت لبابا ...

وهيبة : « من الداخل » قربى صدرك يا تفيدة ... أعلق لك الكردان .

تفيدة : « من الداخل » قلت لك يانينه روحى انت لبابا ...

كندوز : « صائحا » اسمعى كلامها وتعالى ... انت فاهمه انها صغيرة ... محتاجة لمن يلبسها ؟ ! ...

وهيبة : « تظهر » اسم الله !... وانت يا معلم كندوز صغير ؟!...

كندوز : معلم كندوز ؟!... انت نسيت الدرس يا حرمة ؟ !...

وهيبة : المعلم مدبولى بك !

كندوز : مدبولى بك ... فقط لا غير . . . إياك أن تنسى وتناديني « كندوز » فى حضور العريس ! ...

وهيبة : « وهى تساعده فى اللبس » ربنا يستر !...

كندوز : صرينى ... احشرينى فى هذا الملعون ...

وهيبة : قرب كرشك ... حكم عليك الزمان يا مدبولى ! ...

كندوز : ماله الزمان ؟ !... حكم علينا بكل خير ... الرزق اتسع ... والمال نازل علينا كمثل المطر ... والمحل فيه اليوم بدل المستخدم خمسة . . . واللحم أسعاره ضاربة فى العلو ... وإيجار الوكالتين زاد ...والعمارة ...العمارة... لولاها ما زوجنا البنتين من حكام أولاد حكام ... وهذه هى البنت الثالثة تتزوج اليوم بإذن الله ... احمدى ربك يا ولية ... واشكريه على هذه النعم !...

وهيبة : حامدة وشاكرة وانت عارف... أنا كلامى عن البنطلون وضيقه ... ربنا وسع عليك ... وانت ضيقت على نفسك ... أين القفطان الذى كان يريح بدنك ويدارى بطنك ! . . .

كندوز : مركزى يا حرمه اليوم ... مركزى ... ومركز أصهارنا ... حالنا أمس شيء ... ومقامنا اليوم شيء ...

وهيبة : ما دام مقامنا ارتفع ... اترك كلمة حرمة ... وولية ...وقل لى يا...

كندوز : يا هانم... فاهم... أمام الضيوف والأصهار ، سمعتنى ناديتك بغير يا هانم ؟ !... أنا رجل أفهم الأصول !...

وهيبة : طول عمرك يا معلم... الحق...

كندوز : ألبسينى بسرعة ... الوقت قرب ...

وهيبة : « تضغط عليه وهى تشد أزراره » يا قوة الله ! ...

كندوز : « صائحا » قوة الله كلها فى بطنى يا ولية ؟؟ بالرقة ... بالرقة ... الساعة الذهب فى جيبى تنكسر ... ثمنها هى والسلسلة الذهب مائه جنيه وشرف والدك ! ...

وهيبة : عارفه ... عارفه ... قلت لى عن ثمنها مائة مرة ...

كندوز : أى ما يوازى ...

وهيبة : مفهوم ... ثمن عشرين من الخرفان ! ... كما قلت لى يوم اشتريت من الصاغة الأساور الذهب : يكون فى معلومك إنك معلقة فى يد عشرة رؤوس « عجالى » !...

كندوز : وأقل منها ؟... يا وهيبة يا بنت سرحان يا امرأتى !... انت اليوم حماة سالم بك عبد الحفيظ مفتش عموم التموين ... وعبد البارى بك خضر مأمور عموم الضرائب ... وإن شاء الله فى ظرف ساعة زمنية يشرف خطيب البنت الباقية ...

وهيبة : ببركة المولى يكون هو أيضاً من الحكام !...

كندوز : ألم تقل لك الخاطبة عن وظيفته ؟

وهيبة : « تتذكر » أظن قالت لى ونسيت ... يا داهيه الشوم !...

كندوز : على كل حال الخاطبة عارفة الطلب ...

وهيبة : وعارفة البنت وشكلها ...

كندوز : قالت عن شكلها انه غلط؟...

وهيبة : قالت ... ما قالت ... تفيدة ، اسم النبي حارسها ، تشبه أختيها بالحرف والنص... لا تزيد ولا تنقص...

كندوز : إن كان على أختيها فقد تزوجتا وحبلتا وولدتا ، وما سمعنا أحد سأل عن الشكل ولا العقل ...

وهيبة : قالت لى الخاطبة انهم دائماً يسألون عن الشكل والطول والعرض...

كندوز : شكل وطول وعرض ... بناتنا ؟... البنات ؟!...

وهيبة : العمارة ...

كندوز : شكلها معروف ... على عينك يا تاجر ... واقفة بطولها وعرضها فى الشارع عن ناصيتين ...

وهيبة : الخاطبة أفهمتنى ...

كندوز : أفهمتك ماذا ؟ ...

وهيبة : إنها عندما طلب منها العريس أن يرى العروس أو صورتها ، سحبته فى الحال من يده وأرته العمارة ... فقلب عينه فيها من فوق لتحت ، ومن تحت لفوق ... والتفت إلى الخاطبة وقال : على بركة الله ! ...

كندوز : كما حدث بالحرف مع الأختين ... لتصدقى أن مخ زوجك الهمام كبير ... وإن التدبير الذى حبكه ورتبه هو أحسن تدبير ...

وهيبة : وهل يوجد أكبر من مخك يا كندوز ؟ ...

« باب الشقة يطرق ... »

كندوز : « مهرولا » الباب ...

وهيبة : العريس ... ولم أكمل لبسى ...

كندوز : ولا أنا ...

وهيبة : « تدفعه » إلى غرفتنا « تنادى » افتحوا الباب ... ياولد يا عطيه ... يا بنت يا أم الخير ...

« يظهر ولد خادم بجلباب وطاقية ويهرع إلى باب الشقة ويفتح ... فيظهر « افندى » وخلفه والدته » ...

الأفندى : المعلم مدبولى الشهير بكندوز موجود ؟ ...

الخادم : تفضل ...

الأفندى : « يدخل مع والدته ويجلسان » لا نريد إزعاج المعلم ... قل له اننا نريد فقط أن نكلمه كلمتين ...

الخادم : حاضر ... « يختفى » ...

« وهيبة تطل برأسها من خلف الباب تشاهد القادمين ثم تختفى ... »

الأفندى : « يفحص المكان بعينيه » ما رأيك يا أمى فى هذه الشقة ؟ ...

الأم : « تجيل نظرها فى المكان » شقة عظيمة يا ابنى ...

الأفندى : لو كانت الشقة الخالية مثل هذه ؟ ...

الأم : وأصغر من هذه تكفينا يا ابنى ... المهم أن يرضى المعلم أن يؤجرها لنا بإيجار ... لا يثقل كثيراً على مرتبك ...

الأفندى : أرجو من الله أن نجد فى هذه العمارة شقة بإيجار مناسب ... وأن نمضى اليوم العقد .. فإن قدمى قد تورمت من طول البحث ... لعنة الله على أزمة المساكن ... والوزارة لا ترحم ... تصدر قرار النقل وتطالب بالتنفيذ فورا ، دون أن تسأل أين ينزل الموظف المنقول ...

الأم : ربنا يسهل لك يا ابنى ... وتلقى السكن المريح ...

الأفندى أنا لا أطلب إلا راحتك أنت ... هذا الفندق الذى نزلنا فيه لا يلائم صحتك ... إنك لست معتادة النزول فى الفنادق ...

الأم : حقاً ... لا استطيع فيها الوضوء كما أريد ... ولا عمل قهوة العصر على مزاجى...

الأفندى : نعم... لا بد من تأجير شقة بأسرع وقت ، وشحن فرشنا وعفشنا من الأسكندرية ... حتى نستقر وتستردى حريتك ...

الأم : على الله ... ومن الذى دلك على هذه العمارة يا ابنى ! ...

الأفندى : المصادفة ... مررت صباح اليوم من هذا الشارع فأبصرت هذه العمارة الجديدة ، فسألت فقيل لى إنها لجزار ثرى وإن بها شقة خالية... فرأيت

قبل أن أدخل فى كلام مع المالك أن أخبرك وأحضرك معى لتعاينيها بنفسك ، وتشاهدى حجراتها ومطبخها ودورة مياهها ... فإن أعجبتك وانشرح لها صدرك تفاوضنا مع صاحبها فى الاجارة وحررنا العقد...

الأم : ربنا يقويك يا ابنى ويوفقك ! ...

« المعلم كندوز يظهر وقد أكمل لبسه بسرعة . وتدلت سلسلة ساعته الذهبية على بطنه بشكل ظاهر ».

كندوز : « بحماسة » أهلا وسهلا... أهلا وسهلا ... يامرحبا... يامرحبا...يايوم أبيض من الفل والياسمين !...

الافندى : أهلا بك يامعلم ...

كندوز : البيت نور ... أشرقت الأنوار ... « يشير إلى السيدة » حضرتها الست الوالدة ؟...

الافندى : نعم ... والدتى ...

كندوز : خطوة كريمة . . خطوة مباركة ... يا ألف بركة ... يا ألف بركة . . . « ينادى » ياوهيبة . . ياهانم... «يتجه إلى الباب الذى أطلت منه زوجته» الست والدته حضرت ...

الافندى : « دهشاً هامساً لوالدته » مقابلة بمنتهى الحفاوة !...

الأم : « همساً » من بختنا ... رجل طيب ... إنسان ... على الله يتساهل فى إيجار الشقة ...

كندوز : « يعود إليهما » زوجتى .. الهانم . . مشغولة من غير مؤاخذة فى اللبس.. سيحصل لها السرور إن الست الوالدة شرفت ...

الأم : انتم ناس فى غاية الطيبة يامعلم ... نسأل الله يكون لنا قسمة عندكم ...

كندوز : هذا غاية ما نتمناه من صميم قلوبنا ...

الافندى : المسألة فى يدك أنت يامعلم ...

كندوز : العفو ياسعادة البك ...

الافندى : أحب أن أقول لحضرتك قبل كل شىء إن مرتبى بسيط ...

كندوز : عيب ... نحن أولاد أصل ... مسألة النقدية ثانوية عندنا بالمرة ... العبرة بالشخص ...

الأم : اطمئن من جهتنا يامعلم ... طول عمرنا ناس فى حالنا ... أنا لا أعرف غير السجادة والصلاة وفنجان القهوة ... لا عندنا ناس تدخل ولا ناس تخرج ... وابنى من الديوان للبيت ومن البيت للديوان ...

كندوز : ونعم بالأخلاق ياست .. سيماهم على وجوههم !. والبك فى أى مصلحة؟.

الافندى : فى المحافظة ... كنت فى محافظة الاسكندرية ونقلت أخيراً إلى محافظة القاهرة ...

كندوز : « يقبل يده وجها وظهراً » نعمة من الله ! . .

الافندى : وجاء قرار النقل فجأة ... فتركنا شئوننا فى الاسكندرية وجئنا العاصمة بسرعة ونزلنا فى فندق ... ولكننا غير مرتاحين ... وأملنا كله أن نستقر

كندوز : ولا أحسن من الاستقرار يا ابنى ... والحمد لله الذى بلغك أملك ... ومن ذلك علينا ما خدعك ولا غشك ... إن شاء الله تكونوا مرتاحين معنا غاية الراحة ...

الافندى : إن شاء الله ... أنا واثق من ذلك ...

الأم : ندخل فى الموضوع يامعلم !. لأن الذى أوله شرط آخره نور ... ابنى عظمه طرى ... ولا يتحمل التكاليف الثقيلة ...

كندوز : « مقاطعاً » عيب ياست ... عيب ... هل طلبنا منكم أى شىء ...

الأم : لابد من أن نعرف المطلوب ... حتى نعمل حسابنا يامعلم ...

كندوز : أهذا يليق ياست ؟ ... نتكلم فى مسائل النقدية من أول زيارة ؟ ...

الأفندى : هذا شىء ضرورى . . . لأن ظروفنا تتطلب الاستعجال ... فلابد أن نتفق على المسألة المادية حتى يمكن تحرير العقد...

كندوز : عند عقد العقد نكتب فيه ما نريد أن نكتب ... هذا شىء عديم الأهمية ... المهم اليوم هو التعارف ... نحن حصل لنا الشرف ...

الأفندى : ونحن والله تشرفنا ...

كندوز : حضرتك قبل أن تكلمنى فى النقدية ... هذا الشىء التافه . . اسألنى عنها وعن صفتها ...

الأفندى : لم اسألك عنها يامعلم لأن أقل شىء يرضينا ...

كندوز : ولو... واجب حضرتك تستفهم .. ربما لاتعجبك ...

الأفندى : تعجبنى يامعلم ... تعجبنى...

كندوز : هل رأيتها ؟ ...

الأفندى : لا ...

كندوز : وكيف تعجبك إذن ؟ ...

الأفندى : لأن طلباتى متواضعة جداً ... وبحثت كثيراً حتى دخت وتورمت قدماى ... وأنا أصارحك بهذا لأنك رجل طيب ... الزمن اليوم صعب والأزمة مستحكمة ...

كندوز : « ينظر إليه ملياً » يظهر على حضرتك انك شاهدت العمارة من الخارج

الأفندى : طبعاً ...

كندوز : « فى ابتسامة ذات مغزى » مفهوم ... مفهوم ...

الأفندى : ولا أخفى عليك أن الموقع أعجبنى ...

كندوز : مفهوم ... على ناصيتين ...

الأفندى : لذلك أسرعت إلى والدتى وقلت لها إن حظنا يكون سعيداً لو كانت لنا قسمة فى هذه العمارة ...

كندوز : « وهو ينظر إليه محملقاً » تعجبنى صراحتك ! ...

الأفندى : وعند ماقيل لنا إن الكلام مع حضرتك لم نكن نتصور أنك ستقابلنا بهذا الظرف واللطف ! ...

كندوز : ياسلام ! ... واجب علينا ! ...

الأفندى : إذن ليس عندك مانع من أننا نكتب العقد ...

كندوز : هذا يوم المنى ...

الأفندى : فى أقرب وقت ، إذا سمحت : . اليوم مثلا ...

كندوز : « فى دهشة » اليوم ... اليوم ؟ ! ...

الأفندى : وما المانع ؟ ... خير البر عاجله !

كندوز : أليس الأصول أننا نقرأ الآن الفاتحة ... وبعد ذلك نجعل العقد فى موعد قريب ؟ !

الأفندى : وما لزوم التأجيل ؟ أهى مشغولة الآن ؟ ...

كندوز : أبداً ...

الأفندى : مادامت خالية ... فاضية ..

كندوز : فاضية وحياتك لا يشغلها غير الزواق ...

الأفندى : البياض نظيف طبعاً ... والألوان على ذوقك ...

كندوز : البياض واللون والشكل ... هذه مسألة مزاج ... ثم دعك من كل هذا الـكلام ... العبرة بخفة الدم ! ...

الأفندى : العمارة كلها دمها خفيف يامعلم ! ...

كندوز : رجعنا للعمارة ؟ ! ...

الأم : والله يامعلم لا هذا ولا ذاك ... العبرة بالمعرفة الطيبة ... وأنت رجل طيب إنسان ...

كندوز : هذا من أصلك ياست ...

الأم : فقط كان غرضنا ننهى الموضوع بالعجل ...

كندوز : العجلة من الشيطان ياست... تمهلى حتى تعرفيها وتشاهديها ... ربما يكون فيها عيوب... ولا كامل إلا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام !...

الأم : لو سمحت لنا بمشاهدتها ...

كندوز : ضرورى ... أنا لست بالرجل البلدى ... أنا رجل متنور ... عندى مفهومية وأسير مع الدنيا ... حالا تشاهدونها بمنتهى الحرية ...

الأم : هى كبيرة ؟ ...

كندوز : كبيرة ؟ ... أبدا ... صغيرة جدا وحياة شرفك ! ...

الأم : أحسن ... لا يناسبنا غير الصغيرة « المحندقة » لأنى كما ترى ... ليس لدينا من عائلة غيرى أنا وأبنى هذا الشاب ...

كندوز : ربنا يبارك ويكثر لـكم الأنجال ...

الأفندى : هى جديدة يامعلم أو سبق أن كانت ...

كندوز : « مقاطعاً » جديدة ... جديدة ... لم يسبق لها أبدا ... أنت أول بختها...

الأفندى : وطبعاً مقفولة ...

كندوز : « محتجا » عيب هذا الكلام يا حضرة الأفندى ... مقفولة ؟ ... طبعاً ... مقفولة ... نحن أبا عن جد عائله محافظة والحمد لله ... كله كوم ... وهذا كوم ... أنا ابن سوق صحيح، لكن الشرف عندى هو الأول وهو الآخير ... رح اسأل عنى أكبر « شنب » يقل لك المعلم مدبولى أسد ! ...

الأفندى : « مأخوذا » أنا غلطت ؟ ...

كندوز : العفو ... انما الكلام فى هذا الموضوع لا يتأتى من رجل محترم مثلك ، يفهم مركزنا ويحافظ على إحساساتنا ...

الأفندى : هل أنا لا سمح الله مسست إحساسك يامعلم ؟ ...

كندوز : كل شىء الا الكلام فى الشرف ...

الأفندى : الشرف ؟... وما دخل الشرف هنا ؟...ماذا قلت أنا مما يمس الشرف؟... لقد قلت لى أنت إنها جديدة وخالية ولم يسبق أن شغلت ... فقلت ... إذن هى الآن مقفولة ... وهذا طبيعى جدا بعد كل هذه البيانات ...

كندوز : نعم ... مقفولة يا سيدى ... لأن بيتنا بيت الجد والأصول ...

الأفندى : هدىء نفسك يا معلم ... لا أدرى لماذا فار دمك هكذا !... الحكاية لا تستحق ... مقفولة ... مفتوحة... ماذا يهمنى أنا من ذلك؟... كل ما يعنينا فى الأمر هو أن نتفق بسرعة ونكتب العقد ...

كندوز : يا ساتر ...

الأم : هذا هو الحق يا معلم ... كل ما يهمنا نحن هو كتابة العقد وإنهاء الموضوع بدون تأخير ...

كندوز : « كالمخاطب نفسه » حتى حضرتك ياست ... يا كبيرة ياصالحة ... يامصلية ! ...

الأم : هل غلطنا يا معلم فى هذا الكلام ؟ ...

كندوز : أبداً . . . أنتم أحرار! ... الدنيا اليوم ماشية هكذا . . . هل المعلم مدبولى هو الذى سيصلح الكون ؟ . . . أبداً ... أنا طول عمرى ابن سوق ... تبع الزبون ... طلباتكم؟ ...

الأفندى : نكتب العقد وننتهى ...

كندوز : قبل أن تراها ؟ . . .

الأفندى : تراها؟! . . . لا مانع . . .

كندوز : لا مانع!! ... على الماشى . . . لكن أنا لماذا أنسى ؟ . . . ولماذا أستغرب فى كل مرة ؟ . . . قبلك إثنان فعلا ذلك بالمضبوط . . .

الأفندى : طبيعى يامعلم . . . من يبصر العمارة من الخارج يستغنى عن رؤية الباقى ! ...

كندوز : مفهوم . . . مفهوم . . .

الأفندى : ومع ذلك . . . إذا كنت تريد أن تعاين فلا بأس . . .

كندوز : نقرأ الفاتحه أولا . . .

الأفندى : بكل سرور ! ...

« كندوز يتناول يد الأفندى ويقرآن معا الفاتحة . . »

كندوز : مبروك ! . . .

الأفندى : متشكر ...

كندوز : « ينهض صائحاً » الشربات يا وهيبة ... قرأنا الفاتحة! ...

« تسمع زغاريد من الخارج . . . ولا تلبث وهيبة أن تظهر بثوب حريرى فاقع وأساور ذهبية تملأ ذراعيها . . . »

وهيبة : « تقبل على الأم » أهلا وسهلا . . . يا مرحبا . . . مبروك . . . مبروك « تقبلها من وجنتيها » ...

كندوز : « معرفاً » الست زوجتى ... وهيبة هانم ...

وهيبة : « تتقدم نحو الافندى وتسلم » بسلامته . . . باسم النبى حارسه . . . يا ألف مبروك ... !

الأفندى : « دهشاً من كل ما يرى » تشرفنا ... يا هانم ... !

كندوز : « للافندى » تريد الآن أن تعاين وتشاهد ؟ ! ...

الأفندى : إذا سمحت...هلمى يا أمى!...«ينهضان هو ووالدته»...

كندوز : إلى أين ؟ إلى أين ؟ ...

الأفندى : ألم تدعنا إلى المعاينة ؟... هى فى أى طابق ؟ ...

كندوز : أى طابق ؟ ... هنا معنا ؟ ...

الأفندى : المسافة بسيطة إذن ؟ ...

كندوز : اجلسا ... هى تأتى إلى حضرتكما ! ...

الأفندى : « دهشاً » تأتى إلى حضرتنا ؟ . . .

كندوز : طبعاً خدامتك ! ... تستجرى ... أقطم رقبتها بالساطور ...

الأفندى : من هى ؟...

كندوز : لـ «وهيبة» نادى عليها ياهانم ...

وهيبة : «تلتفت إلى باب الحجرة وتصيح » تفيدة ... اخرجي للعريس ...

« الأفندى وأمه يتبادلان نظرات الدهشة والوجوم . . . ولا تلبث تفيده أن تظهر بثيابها وزينتها وحليها . . . »

كندوز : «للفتاة»قبلى يد الست الوالدة أولا ... الأدب عندنا هو الأساس ...

الأفندى : « للكندوز » تسمح يا معلم كلمة ...

كندوز : أمرك ...

الافندى : « يتنحى بكندوز ويهمس له » نحن فيما يظهر حضرنا الآن فى وقت غير مناسب ...

كندوز : بالعكس .

الافندى : الظاهر انكم كنتم اليوم متهيئين لمسألةقران ، ومنتظرين حضور عريس..

كندوز : طبعاً ... فى انتظاركم ...

الأفندى : هنا الغلط ...

كندوز : علط ؟ !..

الأفندى : نحن جئنا من أجل الشقة الخالية ...

كندوز : الشقة الخالية ؟... ألم ترسلكم الست أم خميس الدلالة الخاطبة ؟...

الافندى : من هذه ؟... لم يرسلنا أحد ... أنا مررت أمام العمارة وسألت البواب عن شقة ، فدلنى على حضرتك ...

كندوز : شيء بارد !... وكيف ياحضرة الأفندى تسمع لنفسك أن تدخل معى فى العميق ، وتجرنى فى الكلام لحد الفاس ما كادت تدخل فى الراس؟..

الافندى : انا الذى جررتك فى الكلام وأدخلتك فى العميق، أوانت الذى فعلت بنا ذلك ...

كندوز : والعمل ... ماذا تريد حضرتك الآن ...

الافندى : الشقة ... أعاين الشقة ...

كندوز : بذوقك ومفهوميتك ، هل هذا وقت ذلك !...

الأفندى أنا متأسف ...

كندوز : ونحن متأسفون «يلتفت لزوجته وبنته» ياوهيبة خدى البنت وادخلى..

وهيبة : « غير فاهمة » ندخل ! ...

كندوز : « يتجه إليها ليفهمها فى أذنها » اسمعى الكلام ...

الافندى : « يتجه إلى أمه » انهضى بنا يا والدتى ...

الأم : « للافندى همسا » ما هذه الحكاية « الهباب » ! ...

الافندى : ليس لنا حظ فى الشقة !...

الأم : ربك كريم يا ابنى ... هيا بنا ...

الافندى : « همساً » فجأة عندى فكرة يا أمى .. اتزوج البنت .. نضمن الشقة ...

الأم : « همساً » تتزوج هذه البنت الصفراء الحمقاء ! ...

الافندى : « همساً » والشقة .. الشقة .. اجلسى يا أمى ودعينى اتصرف.«ينادى».. يا معلم مدبولى ... تسمح بكلمة ...

كندوز : « يلتفت نحوه » نعم ! . . لاتتعب نفسك ياحضرة الافندى ليس عندى شقق للإيجار ...

الافندى : حتى ولا لنسيبك ! ...

كندوز : نسيبى ...

الافندى : انت نسيت يامعلم انك وضعت يدك فى يدى وقرأنا الفاتحة ؟...

كندوز : حصل .. لكن أنا عارف انت تقرؤها بأى نية ؟؟..

الافندى : وانت يامعلم كنت تقرؤها بأى نية ؟...

كندوز : بنية الزواج بسنة الله ورسوله ...

الافندى : نيتك انت المضبوطة ، وإياك أن ترجع فيها ...

كندوز : قصد حضرتك ؟...

الافندى : قصدى أن كريمتك مخطوبة لى منذ لحظة وقرئت فاتحتها ، ومنتظر تقديم « شرباتها » ...

كندوز : جد ؟ ...

الأفندى : كلام شرف ...

كندوز : لا يوجد هذه المرة غلط؟...

الأفندى : أبداً...وانت يامعلم ؟.. نفسك راضية ؟... ألا تكون فى انتظار من هو أحسن ؟ ...

كندوز : « يخرج ساعته الذهبية » ساعتك كم ؟ ...

الأفندى : « ينظر فى ساعته » الخامسة والتاسعة والأربعون ...

كندوز : أنا عندى السادسة بالضبط ... ميعاد الآخر فات ، وعلى رأى المثل : عصفور فى اليد ولا عشرة على الشجرة » ... هات يدك مرة ثانية ... وانو معى على خيرة الله ... الفاتحة ... « يمسك بيده ويهمسان بالفاتحة » مبروك ... «ينادى» الشربات يا وهيبة ... الشربات ! ...

الأفندى : مسألة الشقة ؟ ...

كندوز : تحت أمرك ... وجهاز البنت فيها ... ولا ينصرف منك مليم ...

الأفندى : انت عارف يا معلم أن ظروفى تستدعى السرعة ..

كندوز : برقبتى ! ...

« وهيبة تظهر من جديد وخلفها الخادمة تحمل أكواب « الشربات » الأحمر على صينية ، وتقدم للأم ثم للعريس ... وعندئذ يسمع طرق شديد على الباب الخارجى ... »

وهيبة : « تصيح » الباب ... ياولد يا عطيه ! ...

« الخادم يهرع إلى الباب ويفتحه ... وعندئذ يتدفق منه رجلان هما عبد الحفيظ بك زوج البنت الكبرى ، وعبد البارى بك زوج البنت الوسطى ، ومعهما معاون بوليس القسم ... »

عبد البارى : جئنا فى الوقت المناسب... لـ « معاون وهو يشير إلى كندوز »
اضبطه يا حضرة المعاون وهو متلبس بالجريمة...

عبد الحفيظ : إنه يمثل الآن نفس الدور الذى مثله معنا بالضبط ...

عبد البارى : وإذا فتشته الساعة يا حضرة المعاون فإنك تجد معه عقد العمارة محرراً باسم البنت الصغرى أى العروس ...

كندوز : عيب هذا الكلام يا حضرات الأصهار الأفاضل ... أهـذه دخلة تدخلونها علينا أمام نسيبنا الجديد ؟ ...

عبد الحفيظ : نحن قصدنا ذلك بالذات ، لنكشف للصهر الجديد ألا عيبك ...

كندوز : ألا عيبى ؟ ...

عبد البارى : أظهر عقد العمارة واعرضه على حضرة المعاون ! ...

كندوز : « يلتفت إلى المعاون » تفضل يا حضرة المعاون ... استرح على هذا الكرسى .. « يلتفت إلى زوجته » ياهانم ... كوب شربات لحضرة المعاون ... حتى يروق فكره ... ويشهد على هذه الأعمال ... فى هذا اليوم المفترج ؟ ...

عبد الحفيظ : طبعاً لابد أن يشهد على احتيالك ... ولهذا جئنا به ...

كندوز : احتيالى ؟ ... سامع يا حضرة المعاون ؟ ...

عبد الحفيظ : وماذا يسمى هذا العمل ... وبماذا نصف هذا التدبير الشيطانى...أفتنا ياحضرة المعاون... هذا الرجل يملك هذه العمارة... وله ثلاث بنات أوعز إلى خاطبة تدعى أم خميس أن تشيع أنه كتب العمارة للبنت الكبرى ... فتقدمت على هذا الأساس أطلب البنت الكبرى ... وتحريت من مصلحة المساحة ، فوجدت العقد صحيحاً باسم البنت

الكبرى ... فتزوجت وما كادت تحمل زوجتي حتى دعينا إلى زفاف أختها الوسطى .

عبد البارى : إلى حضرتى ... بواسطة أم خميس أيضاً ... التى أكدت لى أن الأب المحترم كتب العمارة للبنت الوسطى ... وتحريت أيضاً من المساحة فإذا العقد صحيح باسم البنت الوسطى ... فتزوجت وحملت الزوجة ... وإذا بى أسمع أخيراً أن البنت الصغرى قد كتبت باسمها العمارة ...

المعاون : كان عنده إذن ورقة ضد ... يسترد بها العمارة فى كل حالة ...

عبد الحفيظ : ها هو ذا أمامك ... سله ماذا كان يفعل ... هذا الألعبان !...

كندوز : ألعبان ؟!... احفظ لسانك يا نسيبي !... أنا ألعبان ؟!...

عبد البارى : قل لحضرة المعاون ماذا كنت تفعل ... ولا تراوغ !...

كندوز : أنا حر فى ملكى يا ناس . . . اتصرف فيه كيفما أشاء . . . أكتب للكبيرة ... أكتب للصغيرة ... ليس لأحد عندى شيء ...

عبد الحفيظ : أهـــذا معقول؟... تصطادنا بهذه الطريقة... ثم تقول بكل جراءة إنك حر !. . .

كندوز : أصطادكم ؟ ... ومن الذى حرم صيدكم ؟!...

عبد البارى : القانون ...

كندوز : القانون ؟ ... أى قانون ؟. . . قانون وزارة الزراعة ؟... أو قانون مصلحة خفر السواحل؟...اقرأوا على من فضلكم القانون الذى يحرم صيد العرسان

عبد الحفيظ : انت إذن معترف انك تعمدت اصطيادنا . . . قيد عليه الاعتراف يا حضرة المعاون ! ...

كندوز : اعتراف ؟!... هى جناية !...

عبد البارى : بكل تأكيد ... هذا نصب بالثلث ... هذا اختلاس... جعلتنا نتعاقد على شيء اختلسته بعد العقد ! ...

كندوز : أى عقد ؟ ...

عبد البارى : عقد الزواج ...

كندوز : وما الذى اختلسته أنا بعد عقد الزواج ؟ ... الزوجة؟ ...

عبد الحفيظ : العمارة ...

كندوز : وهل عقد الزواج منصوص فيه انكم تزوجتم العمارة ؟ !

عبد الحفيظ : ما هـذا الـكلام الفارغ . . . انت تعرف جيداً انك توسلت بهذه الطرق الاحتيالية لتوهمنا أن بنتك غنية ... ولهذا أقدمنا على طلبها وهى فى حد ذاتها لا تساوى أكثر من مليم ! ...

كندوز : فى حد ذاتها ؟ ! . . . الله يرحم أيام زمان ... يوم تزوجت امرأتى وهيبة فى حـد ذاتها . . . كان أبوها واقفاً على النـاصية بعربة جوز هند . . .

وهيبة : « محتجة » ما لزوم هذا الكلام الآن يا كندوز ... يامدبولى بك ؟!...

كندوز : اسـكتى . . ليس أحسن من الحق...الدنيا اليوم خسرت وتلفت... كان دكانى فى الشـــارع العمومى ... والمعلم شيخ الجزارين أراد أن يزوجنى بنته وأنا فى عز شبابى . . . هل فـكرت فى عقاراته ؟ . . . أبداً . . . نظرت إلى البنت المؤدبة المخلصة الحنون ، التى تأتى بالغـداء لأبيها كل ظهر ، وهو أمام عربته يكسب قوته بعرق الجبين... مالها؟ لازمتنى العمر . . . فى الأيام البيض والأيام السود . . . فى المكسب والخسارة ... أنا تاجر أى نعم . . . لـكن هل فـكرت أنى أتخذ من زواجى تجارة ؟ ! . . .

عبد البارى : فيما يخصك لا شأن لنا ... لكن فيما يخص بناتك ... كنت معنا تاجراً... وتاجراً مدلساً غشاشاً ...

كندوز : التاجر لا يغش إلا الزبون الداخل على طمع ... من يقل لا تزن بالورقة ... واقطع من هنا ، واقطع من هناك ، أقل له : حاضر ... لكن لى معه طريقة أخرى... أما الزبون الطيب الذى لا يطمع فىَّ، فإنى لا أطمع فيه ...

عبد الحفيظ : انت الذى طمعتنا...ولوحت لنا... ووضعت لنا الطعم فى المصيدة..

كندوز : لأنى عارف أن الفيران لا تأتى إلا على ريحته ...

عبد البارى : ما قولك يا حضرة المعاون .. هذا الرجل يريد أن يداور ويحاور ليغطى مركزه ... ولكن الجريمة واضحة وهو معترف ... ويحسن الآن إثبات أقواله . . .

المعاون : الواقع أن الموضوع الآن واضح : رجل وضع طعما فى مصيدة الزوجية ... فجذبت إليها فأرين ...

عبد الحفيظ : ثلاثة . . . « يشير إلى الأفندى العريس » حضرته أيضاً على وشك الانجذاب نحو الطعم ...

كندوز : لا ... حضرته طعمه خفيف ... مجرد شقة... لا غير

عبد البارى : أرأيت تبجحه ياحضرة المعاون؟.. إنه لا ينكر حرفاً واحداً مما فعل

المعاون : أتريدون رأيى ؟..

الجميع : تفضل ...

المعاون : مهما يكن من أمر ، فلا يجب أن تنسوا أنكم جميعاً أسرة واحدة ، تربطكم أولاد...وليس من مصلحة واحد منكم وجود هذا الشقاق ..

إن أسلم حل هو الصلح ...

عبد الحفيظ : الصلح ؟

عبد البارى : على أى أساس هذا الصلح

المعاون : هل المعلم مدبولى له أملاك غير هذه العمارة ؟

عبد الحفيظ : كثير...له الدكان الكبير، وأطيان فى قليوب، وأكثر من وكالتين..

عبد البارى : هذا طبعا خلاف رصيده فى البنوك ...

كندوز : هو درس حفظتموه عن ظهر قلب...

المعاون : « لكندوز » إسمع إذن يا معلم ... أتريد نصيحتى ...

كندوز : نصيحتك فوق رأسى يا حضرة المعاون...

المعاون : اكتب العمارة الآن لبناتك الثلاث . . . بذلك ترضى أصهارك ... وتريح بالك ... وتضمن هناء فلذات كبدك ...

كندوز : وأنا يكون مصيرى الطرد من سكنى وأنا على قيد الحياة ...

المعاون : لا ... مطلقا ... سيكتب نص يحفظ لك سكنك هذا وشقتك هذه مدى حياتك ، ومدى حياة الست زوجتك ... ما رأيك ...

كندوز : أمرك يا حضرة المعاون...

المعاون : «للأصهار» موافقون ..

عبد الحفيظ : موافقون...

عبد البارى : خالص الشكر ياحضرة المعاون..

المعاون : هاتوا الورق ...

عبد الحفيظ : قطعة من الورق يامعلمنا ...

كندوز : « صائحاً » ورقة يا وهيبة ...

الأم : « همسا لابنها الافندى » ربنا فرجها علينا يا ابنى...كنا طالبين شقة. أعطانا ثلث عمارة ...

الأفندى : « همسا لأمه » اقرصينى يا أمى ، لئلا أكون فى حلم !...

« الباب الخارجى يطرق . . »

وهيبة : « صائحة » الباب ... افتح يا ولد يا عطية ! ...

« يهرع الخادم إلى الباب ويفتح . . فيدخل رجل محترم يسأل بصوت عال وقور . . »

الرجل : المعلم مدبولى بك موجود ؟ ...

كندوز : موجود ... من حضرتك ...

الرجل : أنا ... من طرف الست أم خميس ... اسمح لى أقدم نفسى : أنا محمد عبد المتجلى رئيس قلم الأرشيف فى وزارة ...

كندوز : رئيس قلم بحاله؟ ... يا ألف خسارة !. . وحضرتك لماذا تأخرت حتى الساعة ؟! ...

رئيس القلم : تمددت قليلا بعد الظهر فأخذنى النوم ...

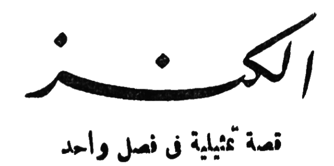
كندوز : النوم ؟ ! ... يوجد أحد ينام فى هذا الزمن ؟ ! ... ما كانت فى فمك صارت لغيرك ... وحضرتك فى نومتك !... يا ألف أسف ! ... قرأنا فاتحتها وكتبنا ووزعنا وقسمنا وشطبنا وجبرنا ...

رئيس القلم : ألا يوجد لحضرتك واحدة أخرى ؟...

كندوز : عمارة أخرى ؟!... لا يا سيدى الفاضل ... ما كانت تعز عليك ... لم أنجب غير عمارة واحدة !...

« ستار »

١١ – من وحى المال والحب



« المنظر : صالون فى منزل أسرة متوسطة الجاه والثراء ... الأب والأم والخطيب يجتمعون حول مائدة الشاى ... »

الخطيب : « يشير إلى الفنجان الرابع » شاى الآنسة درية برد ! ...

الأب : « ملتفتاً إلى الأم » ماذا جرى لها ؟.. ذهبت تحضر منديلها ولم تعد !

الأم : مشاغل البيت ... مسكينة ... إنها نشيطة أكثر من اللازم ... لا تريد أن تترك للخدم أبسط الأمور ... تحب دائماً أن يتم كل شيء بإشرافها... لحظة واحدة ... سأرى ماذا تصنع ... « تنهض وتخرج من القاعة »

الأب : « للخطيب » حقيقة ... هذه البنت نادرة المثال ...ولا أقول ذلك لأنها ابنتنا الوحيدة ... ولكن الحق يجب أن يقال ... إنها هى روح بيتنا.

الخطيب : وأنا يسرنى أن آخذ روحكم ... وسترون كيف أدخلها جنة مفروشة بورق البنكنوت ... وهذا طبعا ليس بكثير على صاحب ثروة تقدر الآن كما تعلمون بستين ألف جنيه !...

الأب : ونحن يسرنا أن نعطيك فلذة كبدنا... لا من أجل الثروة... ولكن من أجل ذوقك ولطفك وخفة ظلك...

الأم : « بالباب منادية زوجها » محمود ...

الأب : «للخطيب وهو ينهض» عن إذنك ...

الأم : « همسا للأب على عتبة الباب » درية فى حجرتها تبكى ... انها ترفض الخطيب ، ولا تريد أن تجلس إليه أكثر مما جلست .

الأب : « همسا للأم » ترفض هذا الخطيب ... ترفض هذا الكنز ...؟

الأم : إنها لا تريد أن تبيع نفسها من أجل ستين ألف جنيه ...

الأب : ومن قال إننا نقصد مال الرجل ... إنى أقصد أنه كنز من الخلق العصامى والأدب الجم والذوق السليم ...

الأم : إنها ترفض هذا الكنز وكفى ...

الأب : مغفلة ... وما العمل الآن؟ ...

الأم : فلنعتذر له الساعة عن مجيئها ... ثم نحاول بعد ذلك إقناعها ...

الأب : نعم ... لا بد من إقناعها ... تقدمى واعتذرى ...

الأم : « تتقدم إلى الخطيب وتجلس » لا تؤاخذنا ... درية شعرت بصداع خفيف جعلها تعتكف ...

الأب : « يأتى ويجلس هو الآخر » حقاً ... جهودها المنزلية ترهق جسمها الرقيق ...

الخطيب : لا بأس ... لا بأس ... فى منزلى سوف أوفر عليها كل مجهود ... فالخدم والحشم سيكونون بعدد شعرات رأسها ... فأنا كما تعلمون جمعت ثروتى أثناء الحرب من « مشابك الغسيل » فمن حقى على جسمى أن أشبك نفسى على الأقل بزواج سعيد ... « يقهقه لنكتته »

الأم : « تتناول من يده الفنجان » فنجاناً آخر باللبن أيضاً ؟

الخطيب : وأربع قطع من السكر ..

الأب : « يقدم له الفطائر » لا تنس هذا الصنف الذى تحبه من الجاتوه ...

الخطيب : لا تخف ... ذاكرتى قوية

الخادم : « يدخل معلنا » رجل بالباب يطلب مقابلة سيدى البك فى أمر مهم ...

الأب : ما اسمه ؟

الخادم : سألته فقال ان الإسم لا يفيد شيئا، وإن الموضوع هو المهم ...

الأب : أى موضوع؟...أنا الآنمشغول ولا أقابل أحدا... « الخادم يخرج ».

الام : من يكون هذا الرجل ؟... لعله أحد أهالى دائرتك الانتخابية يطلب مساعدتك فى أمر يهمه ...

الاب : ربما ... ولكن ألا يفهم هؤلاء الناس أن منزل النائب ليس حانوتا مفتوحا لطلباتهم فى كل الأوقات ...

الام : رفقا بهم ... إنهم على كل حال لم يفهموا إلا ما وعدتهم به من قبل ...

الخادم : « يظهر » إنه يقول إن الموضوع يهمكم ويتعلق بثروة ضخمة يريد أن يدلكم عليها ...

الاب : ثروة ضخمة !... من هذا الرجل ؟

الام : « تنهض » انتظر حتى أتحرى لك بنفسى !... « تخرج » ...

الخطيب : اسمح لى يا محمود بك أن أنصحك نصيحة لوجه الله ... لقد كثر فى هذه الأيام من يظنون أن الثروة تأتى من السماء كالهواء ... أنا رجل ابن سوق ... وأعرف كيف تصنع الثروات ... لم أنل هذه المعرفة إلا بعد دروس قاسية ... فليست كل المشروعات قابلة للنجاح ماية فى الماية ... خذ مثلا حجر الولاعة ؛ كانت سوقه ناراً حارة فى أول الحرب ، من اتجر فيه نجح وأفلح ...فما كادت تخبو نيران الحرب حتى خبت نار هذه السوق ... كذلك مشابك الغسيل... كانت فكرة هبطت على رأسى النير فى الوقت المناسب ؛ فأمسكت بتلابيبها ... وأراد غيرى تقليدى بعد ذلك ... ولكن الفرصة كانت قد فاتت... المسألة يا سيدى مسألة فطنة وذهن ودماغ ... وهذه أشياء والحمد لله كانت متوافرة عندى من قبل الحرب ... إنما العبرة بإخراجها فى السوق عندما يشح الطلب ...

الأم : « تدخل » هذا رجل يقول كلاماً غريباً ... يجب أن تقابله على كل حال...

الأب : ماذا يقول ؟ ...

الأم : يقول إنه يوجد فى هذا المنزل كنز مخبوء يقدر بأموال طائلة ...

الأب : كنز ... كنز ...

الأم : قال لى ذلك همساً ... وهو مستعد للاتفاق معك على إخراجه ... وإذا رفضت مقابلته فإنه سيذهب إلى جهات الاختصاص ويبلغ عن وجود هذا الـكنز فورا ...

الأب : « ينهض على قدميه » أهذا معقول ؟ ... فى بيتنا هذا كنز ؟ ...

الأم : شىء لا يصدق بالطبع ... ولـكن كل شىء جائز ... قابل الرجل وناقشه...

الأب : ما شكل هذا الرجل ؟ ... وكيف عرف ذلك ؟ ... أهو ساحر ؟ ... أهو مغربى ؟ أهو هندى ؟ ... ما ذا يلبس ؟ ...

الأم : لا تضيع الوقت فى هـذه الأسئلة التى لا طائل تحتها ... الرجل بالباب استدعه إذا شئت واعرف منه ما تريد ولا تدعه ينتظر أكثر من ذلك ... ادخله أو اصرفه ...

الأب : كيف أصرفه ؟ ... بل يدخل ... أدخلوه ... لا ضرر من سؤاله ومناقشته، على كل حال هـذا موضـــوع مسل وطريف . . . أليس كذلك يا أبو العز بك ؟ ...

الخطيب : طبعاً ... منذا يرفض الفرجة على « شمهورش » بالمجان ...

الأم : « للخادم » قل للرجل يتفضل ...

الخطيب : نصيحة لوجه الله يا محمود بك ... احذر أن تعطى هذا الساحر مليما قبل أن يخرج كنزه الموهوم ... فقد كثرت فى هـــذه الأعوام حوادث

النصب والاحتيال على الوجهاء والأعيان ...

الأب : صدقت ... لابد من الحيطة التامة مع أمثال هذه الطائفة ... وهأنتذا معنا أيضاً تشملنا بيقظتك وفطنتك ...

« الخادم يظهر بالباب يقود شابا أنيقا تبدو عليه البيئة المثقفة والبيت الطيب ... »

الساحر : « للجميع » مساء الخير ! ...

الأب : من هذا ؟ « للخادم » قلنا لك نريد الساحر ...

الأم : إنه هو ...

الأب : « يفحصه بنظره » أنت الساحر !؟...

الساحر : هل خيبت ظنك ياسيدى ؟ ... ماذا كنت تتوقع أن ترى ؟ ...

الأب : ما علينا ... هذا موضوع ثانوى ... فلنطرق مباشرة الموضوع الأهم... هل أنت واثق من وجود كنز فى هذا البيت ؟ ..

الساحر : ثقتى من وجودك الآن أمامى ..

الخطيب : هل تسمح لى أن أسألك كيف عرفت ذلك ؟ ...

الساحر : رأيت ...

الخطيب : رأيت فى ورقة الكوتشينة أو فى الرمل أو فى الودع أو فى المندل أو فى الفنجان ؟ ...

الساحر : لاحاجة بى إلى هذه الأشياء ... إنى أرى بعينى

الخطيب : إذا كانت عين حضرتك تستطيع أن ترى المال المخبوء فى الحيطان ؛ فهل تستطيع أن ترى المال المخبوء فى جيبى ؟ ...

الساحر : عينى لاترى نقوداً ولكنها ترى كنوزاً ...

الأب : إذن ما الـكنز الذى فى بيتى ؟ ...

الساحر : جواهر كريمة ...

الأب : طبعاً ... لا بد أن تـكون ذات قيمة نقدية ... كم تقدرها على وجه التقريب ؟ ...

الساحر : عشرات الألوف من الجنيهات ...

الأب : خمسين ألفا مثلا ؟ ...

الساحر : أكثر ...

الأب : ستين ألفا ؟ ...

الساحر : أكثر .. أكثر ... لن تقل عن مائة ألف ! ...

الأب : مائة ألف ! ... مائة ألف جنيه ! ...

الخطيب : مائة ألف جنيه ! ... فى هذه الحيطان ! ... هل هذا معقول ؟ ! ...

الأب : الماء يـكذب الغطاس ... كما يقول المثل السائر ... والحيطان تـكذب الساحر ... وها هى ذى الحيطان موجودة ... والساحر موجود ...

الساحر : أنا قابل للتحدى ... ولـكن قبل كل شىء ... لى عندكم طلب بسيط ...

الخطيب : « للأب » تنبه يا محمود بك ... جاءت ساعة الطلبات ! . .

الأب : ماذا تطلب ؟ ... نقوداً مقدماً ... مستحيل ! ...

الخطيب : نعم مستحيل ! ... حتى ولا ثمن خروف أسود بدون إشارة ، أو فرخة رُزى أو شمع أو بخور ... كل هـذه الأساليب مفهومة ... فوفر على نفسك الـكلام ... وانسحب إذا شئت بانتظام ! ...

الساحر : ألا تسمعون أولا ما هو طلبى البسيط ؟ ...

الأب : تكلم ...

الساحر : هو أن تـكفوا عن اعتبارى ساحراً ... فأنا مع الأسف لا أفقـه

شيئاً فى السحر ...

الأب : وماذا تفقه إذن؟ ...

الساحر : اسمح لى أن أقدم نفسى حتى يكون كل شيء واضحا ... أنا اسمى « مراد عبدالله » مهندس اخصائى فى مصلحة المناجم و MS من جامعة كمبردج ...

الأب : « باحترام » حصل لنا الشرف ...

مراد : إنى آسف لاقتحامى منزلكم على هذا الوجه ... ولكنى رأيت من واجبى أن أختصر الإجراءات وأتصرف على هذا النحو السريع تحقيقاً للفائدة المنشودة ! ...

الاب : هذا على كل حال من حسن حظنا ... تفضل يامراد بك واسترح على هذا المقعد ...

الام : هل يسمح مراد بك أن نقدم إليه فنجان شاى ؟ ...

مراد : شاكر ياهانم ... ليست بى رغبة الآن للشاى ...فى فرصة أخرى إن شاء الله ! ...

الخطيب : أظن حكاية الكنز فهمناها خطأ ... ولعل المقصود منجم ... تشتبه حضرتك مجرد اشتباه فى وجوده داخل أرض هذا المنزل ... منجم أو بترول أو ملح أو صودا ... وقد يعثر أو لا يعثر عليه ...

مراد : لقد قلت إنه كنز من الجواهر الكريمة ... وإنه موجود فعلا ... وأنا لا أتراجع فى تقريرى ...

الخطيب : ربما كنت حضرتك ...

الاب : « متبرما » يا أبو العز بك ... الاستاذ اخصائى فى فنه ... وهو أعلم منا جميعاً بما يقرر ...

الخطيب : عجبا ! ... هو حر فى تقريره ... لكن أنا حر فى عقلى ...

الأب : تكلم يا مراد بك وابسط مشروعك ...

الخطيب : هل حضرته يتكلم رسمياً باعتباره موفداً وممثلا لمصلحة المناجم ؟!...

مراد : لا يا سيدى ... أنا جئت بصفتى الشخصية ، وما أقرره هو نتيجة معلوماتى الخاصة ...

الخطيب : إذن اسمح لنا يا حضرة أن نتشكك وأن نطلب الضمانات ...

الأب : مهلا يا أبو العزبك ... مهلا ... الأستاذ أكثر الله خيره يتقدم بمعلوماته ويضيع وقته ليدلنا على أمر فيه لنا منفعة كبرى ... فهل من اللائق أن نضايقه ونأمره وننهاه ونثقل عليه ..

الخطيب : إذا صدقت المزاعم فهذا مشروع من حقك أن ...

الأب : «فى ضيق» تكلم يا مراد بك ... إنى مصغ إليك...

مراد : الأمر يتلخص فى كلمتين : يوجد كنز فى هذا البيت ، وكل مهمتى هى أن أستخرجه لك ... وليس لى شروط ولا طلبات...والأمر موكول إليكم ...

الخطيب : يا محمود بك حكم عقلك ؟... أهذا كلام يقبله العقل؟...

الأب : عقلك لا يقبله ... ولـكن عقلى يقبله . . .

الخطيب : اسأل حضرة المهندس الأخصائى أن يشرح لك الطريقة التى رأت بها عينه الـكنز داخل الحائط ؟ ! ... لو كان ساحراً كنا على الأقل صدقنا... ولـكنه يقول إنه لا يعرف السحر ... فما الطريقة إذن؟... فهمونا يا ناس ! ...

مراد : العلم يا سيدى ... العلم هو سحر العصر الحديث ؟

الأب : «للخطيب» نعم... العلم...

الخطيب : اشرح لنا هذا العلم من فضلك ، وأقنعنا كيف ترى كنزاً من خلف الجدران !...

مراد : سأقرب المسألة إلى ذهنك على قدر الإمكان ... هل سمعت عن أشعة رنتجن ؟ طبعاً لا بد أنك لجأت إلى هذه الأشعة يوما لتكشف لك عما وراء جدران جسمك... هنالك نوع من الأشعة الكشافة تستطيع أن تشعها بعض الأجسام النادرة... ذلك أن كل الأجسام تنبعث منها إشعاعات مختلفة... هذه الظاهرة العجيبة شاء الحظ أن توجد عندى... فأنا أحس وجود الجواهر والمعادن فى المبانى أو الأراضى بمجرد الدنو منها... ولطالما استغنيت عن الآلات الحساسة الخاصة بالكشف فى عملى المصلحى... ارتكانا على حاستى الغريزية... وهذا يعلمه كل زملائى ... ولقد مررت اليوم أمام هذا البيت القديم فشعرت فى الحال بهزة خاصة فى نفسى ، أدركت معها أنه لا بد أن يكون فى المنزل كنز ... ولما كنت أعرف هزتى أمام المعادن ، فهذه الهزة قطعاً تدل على وجود جوهر أرقى من المعدن وأنفس!... هل اقتنعت الآن ؟

الخطيب : لا أقتنع إلا إذا فسرت لى ...

الأب : أنا اقتنعت .. نحن تحت تصرفك يا مراد بك ... بماذا تأمر؟

مراد : لا شىء على الإطلاق . . . بعد نصف ساعة على الأكثر يخرج لكم الكنز ... لا نحتاج إلا إلى إجراء واحد ...

الأب : ما هو ؟

مراد : البحث عن الشخص الذى يفتح عليه الكنز ...

الخطيب : ماشاء الله!.. أهذا أيضاً من العلم يا حضرة الاخصائى فى مصلحة التنجيم؟..

أقصد المناجم ! ...

الأب : يا أبو العز بك !... بالله عليك دع الأستاذ يعمل!... إنه أدرى بفنه!...

مراد : لا بأس من أن نشرح له ونريحه... نعم... هذا من العلم ياسيدى !... لقد قلت لك إن لكل شخص نوعا من الإشعاع ... فإشعاعى مثلا من النوع الكشاف فقط ... فأنا أعلم مثلا أن فى هـذا المنزل كنزا ... ولكنى لا أستطيع أن أحدد مكانه ... وليس من الصواب أن أشير بهدم هـذا البيت حجرا حجرا لنهتدى إلى مكان الكنز ... خصوصاً ونحن فى أزمة مساكن ... فلنلجأ إذن إلى طريقة علمية مضمونة ، عرفهـا السحرة الصادقون من قديم ، ثم انتقلت إلى أيدى الدجالين والكاذبين ... تلك هى استخدام شخص ذى إشعاع حساس بالجواهر ، ومراقبة هزات نظراته واتجاهها ، وتعيين المسافات والأبعاد إلى أن يتحدد لنا بالضبط مكان الكنز ... وليس هذا باليسير ... لأن فصائل الإشعاع مثل فصائل الدم فى جسم الإنسان . . . كثيرة . . . منوعة . . . منهـا ما هو حساس بالمعادن ... ومنها ما هو حساس بالسوائل وبالغازات ، وهلم جرا ... لذلك لا بد لنا من شخص إشعاعه من الفصيلة المطلوبة ! ...

الأب : وكيف نأتى بهذا الشخص ؟ ...

مراد : اسمحوا لى بفحص الموجودين فى هذا المنزل أولا ... ربما وجدنا من بينهم من يصلح...

الأب : تحب أن نحضر إليك هنا كل من بالمنزل ...

مراد : هذا عين الصواب...

الأب : « للأم » من فضلك نادى الموجودين كلهم هنا ...

الأم : لا يوجد الآن غير الخادم هنا ... أما الطباخ فلا يأتى ألا ساعة العشاء كما تعلم ... والخادمة ذهبت تزور أمها المريضة ...

الأب : فليحضر الموجود ... انتظرى ... أنسيت درية ؟...

الام : درية ! ... إنها ...

الأب : اسأليها أن تحضر ثانية واحدة ... « الام تخرج مسرعة » ...

الخطيب : « بسخرية » ابدأ بفحصى يا حضرة الاخصائى ... من يدرى ... ربما بقدرة قادر ينفتح على الـكنز ...

مراد : « بكل جد » تفضل ... تقدم ... أرنى حدقتى عينيك قليلا ... « يحدق فيهما » لا ياسيدى ... مستحيل... حضرتك ينفتح عليك منجم نفط...

الخطيب : « بغضب » زفت ؟ ...

مراد : نفط... نفط ...النفط غير الزفت...

« الأم تدخل وخلفها درية والخادم »

الام : لـ « مراد » درية بنتى . . .

مراد : لى الشرف ... تسمحين يا آنسة ... « يحدق فى عينيها » الحمد لله ... حظ سعيد حقاً ... ها هى ذى من تصلح أن يفتح عليها كنز الجواهر ...

الخطيب : « بتهكم » طبعاً يا سيدى ...

الأب : « يكظم غيظه » سبحان الله فى طبعك يا أبو العز بك .

الخطيب : ولماذا يا حضرة الاخصائى لا يختار الـكنز أن يفتح ألا على عيون الآنسة ؟ ...

الاب : «نافد الصبر» ولماذا تريد أن يعمى الـكنز ويفتح على عيون حضرتك...

الخطيب : يعمى... لا ... هذا كثير.. يظهر أن وجودى أمسى غير مرغوب فيه...

سلام عليكم « يخرج بسرعة »

الأب : سلام ورحمة الله ! ... اشرع فى إجراءاتك يامراد بك !

مراد : حضرته ذهب غضبان !

الأب : حضرته يذهب إلى داهية لاترجعه!... حضرته تحملنا كثيراً ثقل ظله وقلة ذوقه وسخف عقله ! ... حضرته لا يهمنا ولا تسرنا معرفته ولا شبكته ولامشابك غسيله الوسخ ... حضرته أضاع وقتنا النفيس فى مشاغباته... ما علينا ... تفضل يا أستاذ ... طلباتك ؟ ...

مراد : ليس لى بعد ذلك من طلب إلا أن تبقى هنا الآنسة التى سيفتح عليها الـكنز ... أراقبها نصف ساعة على انفراد تام ... إلى أن أستطيع تعيين اتجاهات إشعاعها وتحديد موقع الـكنز ...

الأب : إذن ننسحب نحن جميعاً من هذه القاعة ...

مراد : أكون شاكراً ... لمدة نصف ساعة على الأكثر ... أو ربما أقل من هذا الوقت كما أرجو ...

الأب : وهو كذلك ... إلى اللقاء القريب ... حظ سعيد إن شاء الله .

« يخرج الجميع ويتركون مراد ودريه وحدهما »

مراد : تفضلى يا آنسة ... استريحى فى هذا المقعد الـكبير ...

درية : إنى دهشة ... إنى مذهولة ... إنى ...

مراد : لماذا ؟ ...

درية : هذه الحوادث التى تجرى فى بيتنا منذ العصر ... « تمسك رأسها بيدها » هل أنا أحلم ... هل أنا مجنونة ؟..هل أصيب كل من فى المنزل بالجنون ؟ ما كل هذا ؟

مراد : ماذا ؟

درية : خطيب سخيف يحسبنى ثوباً فارغاً لا روح فيه ولا جسد ، يريد أن يأخذه ليربطه على حبل الزوجية بمشبك غسيل !... فإذا اعترضت قالوا لى إنه كنز ... ولم تمض لحظة حتى تركوا الـكنز يهرول غاضباً ... وإذا أنا أمام رجل يحملق فى وجهى ... والـكل ينفض من حولى ... ويتركوننى مع هذا المجهول ... من حضرتك ؟

مراد : أنا ... أنا ... ألم يقولوا لك عن الـكنز ؟ !

درية : أنت أيضاً ؟ ...

مراد : لا ... لست أقصد ذلك ... أعنى ... ألم تعرفى بعد من أكون، ولماذا أنا هنا؟

درية : قالت لى والدتى على عجل إنه جاءنا مهندس مناجم ليخرج جواهر مدفونة فى البيت ، وجذبتنى من يدى قبل أن أعطى وقتاً للتفكير ... أظنك توافقنى على أن كل هذا عجيب ... وأن لى الحق إذا حسبت أنهم جنوا ...

مراد : لك كل الحق ... يكفى دائماً أن يوجد مجنون واحد بإخلاص ليستطيع أن يجن الآخرين بسهولة ! ...

درية : نعم ... التاريخ مملوء بهؤلاء ... إليك أغلب المشاهير وأكثر الشعراء والعلماء والفنانين ! ...

مراد : لست بالطبع واحداً من هؤلاء ! ...

درية : أى صنف من الناس أنت ؟

مراد : مجنون فقط ... مجنون بإيمان ... مجنون مؤمن بفكرة واحدة !... هى أن فى هذا البيت كنزاً ...

درية : إن الإيمان حقاً يصنع المعجزات ، ولكن أشك فى أنه يستطيع أن يخرج من الحائط قرطا من ماس أو عقدا من لؤلؤ ...

مراد : ليسّ ذلك بعسير إذا كانت هذه الجواهر موجودة بالفعل .

درية : انت إذن متأكد من وجودها ؟

مراد : ليس مجرد تأكد ... إنه الإيمان

درية : الإيمان شيء ... والوجود شيء آخر ... ربما استطاع الإيمان أن يوجد الشيء بالنسبة إليك ... ولكن العبرة أن يوجد الشيء بالنسبة للآخرين ! هل هذه الجواهر يمكن أن توجد بالنسبة إلى أنا على الأقل ؟

مراد : من غير شك . . .

درية : هل أفهم من ذلك أنك ستوحى إلى إيحاء خفياً . . . أو أنك ستنقل إلى إيمانك . . . فأرى ما ترى . . . واعتقد ما تعتقد على النحو الذى كان يأتيه بعض الأنبياء والكهان فى غابر الأزمان ؟

مراد : ليست لى هذه القدرة . . . ما أنا إلا شخص عادى . . . ولقد كذبت على أهلك إذ زعمت لهم أنه ينبعث من جسمى إشعاعات كشافة ...

درية : كما كذبت بالطبع إذ زعمت لهم أن عينى تصدران إشعاعات حساسة! ...

مراد : صدقت . . . هو ذاك . . .

درية : إذن ليس لى أن أتوقع الآن انشقاق جدران القاعة وظهور الجواهر ؟

مراد : لن ينشق شيء . . . اللهم إلا جدران قلبى . . .

درية : ربما كانت جدران قلبك هى التى تضم الجواهر ! . . .

مراد : لا تسخرى منى !. . . هذا معنى لم يدر بخلدى قط . . .

درية : أسخر منك ؟ حاشا لله !... إنى أبذل مجهوداً ظاهراً لأكون جادة معك !...

مراد : « بمرارة » أشكرك .

« يطرق ... ويسود بينهما صمت وهما بلا حراك .. يظهر رأس الأب وخلفه رأس الأم يطلان عليهما من الباب لحظة ثم يختفيان »

درية : أخشى أن أكون قد أسأت إليك عن غير قصد ، أو صدر منى ما يجرح شعورك .

مراد : لا ... على الإطلاق .

درية : أتسمح أن أقدم إليك فنجانا من الشاى . . . « تنهض إلى المائدة » إنه لم يزل ساخنا لحسن الحظ ...

مراد : ليست لى الجرأة أن أرفض شيئاً من يدك !...

درية : كم قطعة من السكر ؟

مراد : واحدة ... مع الشكر ... « يتناول من يدها الفنجان » .

درية : أنا أيضا لم أتناول بعد ... أو على الأصح ... لم أحب أن أتناول الشاى قبل الساعة « تصب الشـــاى فى فنجان لها » إذا لم تجده حارا كما تريد فاقنع به بكل رزانة ... فليس من الحكمة أن نطلب الساعة ماء ساخنا ... المفروض فينا أننا نستخرج الجواهر من الجدران ، لا أن نرشف الشاى من الفناجين !

مراد : « بإخلاص » إنى آسف لهذه الأكذوبة ...

درية : « وهى تضع قطعاً من الفطائر فى طبق » أى أكذوبة ؟

مراد : مسألة الكنز .

درية : « بدهشة مصطنعة » أهى أكذوبة !... « تقدم له طبق الفطائر » ذق من

هذا « الجاتوه » اللذيذ ! ...

مراد : « كالمخاطب نفسه » أكان من الضرورى أن ألجأ إلى هذه الطريقه ؟ ! ...
يؤلمنى أن تعتقدى أنى رجل دجال ...

درية : لن اعتقد ذلك ... الدجال رجل صاحب براعة ، ولكنه ليس صاحب إيمان ...

مراد : ثقى أن إيمانى لا يزول أبدا ...

درية : أعرف ذلك ...

مراد : « محملقاً » كيف عرفت ؟ ...

درية : اقتحامك البيت على هذه الصورة ...

مراد : نعم ... إنى مؤمن بحقيقة شعورى الذى لا يخطىء ...

درية : كل الصعوبة أن تجد الذى يصدق حقيقة شعورك ...

مراد : حتى ولا أنت ؟ ...

درية : وما قيمتى أنا وحدى ؟ ...

مراد : لا تقولى ذلك ... أنت كل شىء ... أنت وحدك التى أحفل بحكمها ...
أنت وحدك التى أطمع فى حسن ظنها ... فإذا صرت معى وإلى جانبى فإنى أصبح كنبي ومعه ربه ، يقف وإياه فى صف شامخ الأنف يتحدى القياصرة والأكاسرة ... لقد احتلت واقتحمت البيت لألقاك وأجلس لحظاة بين يديك ... فتذرعت بالشعوذة وادعيت فى سبيلك المعجزة التى يستخدمها بعض الأنبياء فى سبيل الله ! ...

درية : أردت أن تلقانى ؟ ...

مراد : نعم ...

درية : وهل رأيتنى من قبل ؟ ...

مراد : نعم ... فى شرفتك ... منذ أسابيع ... لقد تكشفت لى فيها ذات عصر كما يتكشف الإله لنبيه ... فامتلأ قلبى إيمانا بك على الفور ... كان لك نور يشع من النافذة كأنه كنز جوهر بالضوء يتفجر ... نعم ... نعم ... نعم ... فصرت لا أنقطع عن المرور كل عصر تحت شرفتك ، أتملى بطلعتك عن بعد فى خشوع ... وأمضى دون أن يخطر ببالى أن أسترعى التفاتك بحركة أو إشارة ... وكنت أحيانا كثيرة تطالعين كتابا من الكتب وكنت أرى أو يخيل إلى أنى أرى روحك النبيلة المتأملة الحالمة وهى تسبح فى سماوات المعانى ، فتضفى على وجهك جلالا وسموا ... فكنت أقول فى نفسى ...

« هذا الكنز الإنسانى كالجوهر الكريم لا يستمد رواءه وضياءه من منظره الخارجى وحده ، بل من خصائص روحه الداخلى ، فإن فيها موطن البريق ومبعث الإشراق » ...

درية : اسمع يا ... اتسمح لى أن أناديك باسمك المجرد ؟ ...

مراد : نعم ... أرجوك ... نادينى « يا مراد » ...

درية : اسمع يا مراد ... إنى أخاف ذلك « الإيمان » ... أخشى كما قلت لك أن يخلق لك شيئاً غير موجود ... هل أنا حقاً كما صورت ؟ ...

مراد : قلت لك إن إيمانى لا يمكن أن يخطىء ... إنك لا تعرفين نفسك كما أعرفك ...

درية : إنك لم تعرفنى إلا منذ دقائق ...

مراد : الإيمان لا يعرف الزمن ... إنه ينبثق من أعماق القلب فى لحظة فيكشف ظلمات الآزال والآباد ...

درية : مراد ... إنى أصدقك

مراد : هذا كل مطمحى !.. الآن أستطيع أن أقف فى وجه الدنيا ...

درية : يجب أن تستعد لتقف أولا فى وجه أبى ...

مراد : آه ... نعم .. إن هذا الموقف عسير !... ما العمل ؟. . ما المخرج ؟..

درية : إن المسكين كان قد أنفق أكثر ما ادخر فى معارك الانتخابات ، وكان أمله كله أن يزوجنى من صاحب الستين الف جنيه !

مراد : اسمحى لى إذن أن أنسحب ... يكفينى منك أن أعيش فى ظلال ذكراك... هذه اللحظة معك تساوى كل عمرى ... فأنا لا أبغى بعد منك شيئاً...

درية : أشكرك يا مراد ...

مراد : مرينى أن أذهب ...

درية : بل اسألك أن تبقى وأن نصمد معا أمام أبى حتى نظفر منه بما نريد ... هلم بنا ... هل أنت مستعد ؟...

مراد : « باستخذاء » نعم ...

درية : « تصفق بيديها » بابا ... ماما ...

« الأب والأم يظهران »

الأب : « يجيل بصره فى الحيطان والأركان والكراسى والمائدة » أين الـكنز ؟

مراد : « يتقدم متشجعا » الـكنز موجود ...

الأب : « ينظر حوله » أين هو ؟ ...

مراد : موجود ... ألا تراه ؟ ...

الأب : « يتلفت » لا ... أين ؟...

مراد : عجبا ... يدهشنى أنك لا تراه ...

الأب : وهل تراه أنت !

مراد : طبعا ...

الأب : عجبا ... « يفرك عينيه » أين هو يا ناس ؟...

مراد : أمامك ... كلنا نراه ...

الأب : كلكم ؟... درية ؟... هل ترينه ؟

درية : طبعا يا أبى ... أراه بعينى رأسى أمامى ...

الأب : شيء غريب !... سأفقد عقلى ... ترينه بعينيك ... أين ؟... أين هو ؟ « يلتفت إلى الأم التى تبحث هى الأخرى بعينيها » وأنت أيضاً أترينه؟

درية : « تسرع صائحة» أبى اسمع ... يجب أن نتفق أولا على معنى «الكنز»... ماذا تقصد بالكنز ؟

الأب : ماذا أقصد بالكنز ؟ أقصد الكنز ... الجواهر ... جواهر تساوى مائة ألف جنيه !...

مراد : فى هذه الحالة ... اتفقنا ... « يشير إلى درية » هذا هو الكنز ...

الأب : ماذا تقول ؟...

مراد : هذه الروح المضيئة فى هذا الهيكل جوهرة نادرة تزن ٥٥ لا قيراطا فقط، بل كيلوجراما !... فهى تساوى فى الحقيقة أضعاف المائة ألف جنيه !

الأب : «صارخا فى نوبة عصبية» يالك من مشعوذ!... يالك من دجال!... يالك من وغد!.. يالك من سافل!.. يالك من منحط!.. لقد خربت بيتى وأضعت آمالى ... وجعلتنى أطرد الرجل المالى ... اخرج حالا من أمامى قبل أن أبصق فى وجهك... دبرونى... ماذا أعمل الآن... أين أبو العز بك الآن؟ ضيعت من أيدينا الأموال... طيرت منا الغسيل... المشابك... المشابك...

الأم : «تصب له فى الحال فنجان شاى» اشرب هذا يا محمود هدىء أعصابك...
هدىء روعك ... هدىء نفسك ...

درية : «ومعها مراد يحوطان الأب» صحتك يا أبى !... صحتك هى كل ما لنا...
هى خير لدينا من آلاف الجنيهات... لا تجعل للمال كل هذه القيمة !...

الأب : «يهدأ قليلا» درية ... بنتى ... كل همى هذا من أجلك ... من أجل
مستقبلك أنت ...

درية : لا تهتم كثيراً بمستقبلى يا أبى ! ... إنى أرى هذا المستقبل على طريقتى
أنا ... وبعينى أنا ... أنا التى أرى «الكنز»

الأب : «يرفع رأسه» ترين الكنز ؟. .

درية : نعم ... ها هو ذا ... «تشير إلى مراد» هو «الإيمان» الذى يضىء فى
هذا القلب كجوهرة نادرة تزن ... ما وزنك بالضبط يا مراد ؟...

مراد : ٦٥ كيلو ...

درية : نعم...لا ٦٥ قيراطا... هذه الجوهرة تساوى إذن فى الحقيقة أضعاف
المائة ألف جنيه ...

الأب : «ينظر إلى مراد ساخراً ثم ينظر إلى درية» يالها من جواهر ثمينة...

درية : تلك هى نظرتنا إلى الحياة يا أبى...وتلك فى أعيننا هى الجواهر الحقيقية

الأم : «للأب» صدقتْ والله درية يا محمود... الحق أن لكل انسان فى هذه
الحياة كنزه الثمين ، ولكن العبرة هى أن يعرفه ويكشفه ويقنع به ...
أنا أيضاً لى «كنزى» ...

الأب : عارفه ... عارفه ... لا تخجلى تواضعى ...

ستار

١٢- من وحي المعتقدات الشعبية

بيت النمل

تمثيليـة في فصل واحد

« شاب فى نحو الثلاثين مضطجع على فراشه ، فى حجرة غاصة بالكتب والخرائط . . وهو ينظر باهتمام إلى باب الحجرة ، وقد دخلت منه أمه تبتسم له بحنان »

الشاب : ماذا قال الدكتور ؟...

الأم : كل خير يا بنى ... اطمئن !...

الشاب : ألم يلاحظ اضطراباً فى ... حالتى العصبية ؟ ...

الأم : لم يلاحظ شيئا سوى أنك تجهد عقلك أكثر مما ينبغى ، فى أرقامك وأعمالك الهندسية...إنه ينصح لك بالراحة التامة...وبالهواء الطلق ..

« يدخل الباب وفى يده ورقة »

الأب : دواء بالنقط للقلب ... تناول منه ... أين نظارتى ؟... « يبحث عنها »

الشاب : «للقلب ؟!...» أوجد فى قلبي مرضاً ؟ !...

الأم : « بسرعة » الدكتور لم يقل ذلك ... أبوك سمع خطأ ... « للأب وهى تغمزه » قل لابنك إنك سمعت خطأ ... أذنك اليوم ثقيلة السمع ...

الأب : أين نظارتى ؟... « يفتش جيبه » كانت فى جيبى الآن... إنى واثق ... متأكد ...

الأم : ومن تظنه يستطيع أن يأخذها من جيبك ؟...

الأب :أين ذهبت إذن يا ناس ؟... لأول مرة يحدث لى ذلك ... منذ ثلاثين سنة ... ما فقدت نظارتى قط !...

الأم : « تبحث معه فوق المكتب » لعلك نسيتها فى مكان ما ...

الأب : نسيتها ؟ !... إنها عينى ... هل ينسى الإنسان عينه فى مكان ما ؟ !...

« ينقر الطبيب على باب الحجرة ويدخل »

الطبيب : لا مؤاخذة ! ... قلمى الحبر ... لاشك أنى تركته هنا ...

الأب : « يلتفت إليه » قلمك الحبر ؟! ...

الأم : ربما نسيته فوق هـذا المكتب ...

الطبيب : متذكر أنى وضعته فى جيبى بعد أن حررت به التذكرة ...

الأب : هل بحثت فى كل جيوبك ؟ ...

الطبيب : كلها ... وهأنذا أعيد البحث أمامكم ... « يفتش جيوبه فيعثر على شىء يخرجه» ... ماهذا ؟ ... نظارة ...

الأم : « نظارتك » ...

الطبيب : إنى لا أضع « نظارة » مطلقا ...

الأب : « ينحنى عليها فاحصاً ويصيح » « نظارتى » أنا ... « نظارتى » ...

الطبيب : « نظارتك » انت ؟ ... ومن وضعها فى جيبى ؟ ! ...

الأب : « يأخذها الاب من يده ويضعها على أنفه » هى بعينها ... أقصد بعينى... يدهشنى كيف سهوت عن وضعها فى جيبى هذه المرة ! ...

الطبيب : المدهش هو أن تضعها فى جيبى أنا !...

الأم : حصل خير ! ... حصل خير ! ..

الطبيب : « وهو يبحث » ولكن قلمى ؟ ...

الأب : لا تنتظر يادكتور أن تحدث أعجوبة أخرى ، فتجده فى جيب أحد الحاضرين ! ...

الطبيب : بالطبع لا ... ما من شك عندى فى أنى وضعته فى جيبى منذ لحظة... إنى واثق... متأكد... ومع... ومع ذلك ربما سقط منى هنا على البساط...

الأب : معقول أن يسقط منك فوق البساط ... « ينفخ منظاره ويخرج منديله

لينظفه ، فيعثر على شىء يخرجه » عجباً ... ما هذا ! ... قلم ؟ ...

الطبيب : « صائحاً » قلمى أنا ... قلمى ...

الأب : ومن الذى وضعه فى جيبى ؟ ...

الطبيب : « يتناوله من يده » قلمى بهيئته و « وماركته » ... شكراً ... ولكن كيف سقط فى جيبك أنت ؟!...

الأب : كما سقطت « نظارتى » فى جيبك ! ...

الشاب : «صائحا من سريره» أرأيتم!...إنها لأشياء غريبة تقع فى هذه الحجرة !...

الطبيب : بل تقع فى عقولنا نحن ! ... الإجهاد فى العمل ، كما ترى ، يكاد ينسى الإنسان ما تصنع يده ... منذ الصباح المبكر حتى هذا المساء ... وأنا فى عيادات متصلة ...

الأب : وما قولك فى رجل متقاعد مثلى ... لا عمل له على الإطلاق ! ... لماذا أقع فى هذا السهو والنسيان ؟ !...

الأم : سنك فى مثل هذه السن تضعف الذاكرة ويكثر السهو ! ...

الطبيب : مسألة بسيطة ... تحدث كل يوم ... وأخيراً أكرر كلامى : لا شىء عند مريضنا ، سوى حاجته إلى الراحة ونبذ التفكير...سأمر غداً لأراه ... إلى اللقاء ! ...

الأب : « وهو يشيع الطبيب » نحضر له هذا الدواء الليلة ؟ ...

الطبيب : « وهو خارج » طبعاً ... طبعاً ...

« يخرجان ... »

الأم : عليك يا بنى بالراحة ، كما أشار الدكتور ... سأتركك تنعس قليلا ...

الشاب : أماه ! ... لولا خوفى عليك أن تنزعجى... لقلت لك ...

الأم : ماذا؟... تقول لى ماذا؟...

الشاب : « يتراجع » لا شىء ...

الأم : بل تكلم ... سأتمالك . . . إنى أمك التى تفديك بكل عزيز . . . ماذا تريد أن تقول لى ؟ ...

الشاب : ليس من حقى أن أتكلم ... لست أملك ذلك ... الآن على الاقل ... لم استأذن بعد فى البوح بالسر ...

الأم : أى سر؟...

الشاب : سر ... سر ما يحطم جدران هذا الرأس...ويكاد يذهب بهذا العقل ... لا ... لا ... لن أقول... « يشخص ببصره فى فضاء الحجرة ، كأنه يرى أحداً ... » هأنذا أصمت كالقبر ... هأنذا أغلق فمى ...

الأم : « تنظر إليه بقلق » ماذا دهاك يا بنى ؟ ...

الشاب : اذهبى الآن يا أمى ... اذهبى واتركينى ...

الأم : ما هذه النظرات ؟ ... إلهى ! ... لكأنك تشخص ببصرك إلى شىء ... أو إلى أحد فى هذه الحجرة ...

الشاب : اذهبى بالله يا أمى ... دعينى أنم قليلا ... « يغمض عينيه » ...

الأم : نعم ... يحسن أن تنام الساعة ... نم قليلا واسترح ... لعل النوم يذهب عنك هذه الحال ... اللهم رفقا به ! ...

« تخرج وهى تنظر إليه قلقة والهة ... وتغلق عليه باب الحجرة . . . وعندئذ يفتح الشاب عينيه ، ويتكلم كأنه يخاطب شخصاً يراه ماثلا أمامه »

الشاب : لم أقل شيئاً كما ترين ... لم أقل شيئاً ...

« يسمع عندئذ صوت نسائى رقيق فى الحجرة من جسم غير منظور »

الصوت : كنت موشكا على الكلام ...

الشاب : بغير إذن منك ؟ ... مستحيل ! ...

الصوت : لماذا ترتعد هكذا ؟... متى يذهب خوفك منى ؟ ... ألست جميلة ؟ ... ألست على الصورة التى تحبها فى امرأة ؟ ...

« تبدو عندئذ فجأة غادة حسناء ملتصقة بالحائط، وكأنها كانت قد خرجت منه، . »

الشاب : أنت أيتها الجنية التى وضعت قلم الطبيب فى جيب أبى ، ونظارة أبى فى جيب الطبيب ؟ ...

الجنية : نعم ... لأضحكك ... ولكنك لم تضحك ...

الشاب : لقد نسبنا ما حدث إلى السهو والنسيان ...

الجنية : تعللون دائماً عبثنا الخفى بأسباب آدمية ! ...

الشاب : لا بد لنا من هذا التعليل الآدمى ، حتى نستطيع أن نقبل ما يحيط بنا من ظواهر ...

الجنية : لهذا جئت بالطبيب ؟ ... ما ذا جاء يصنع هذا الطبيب هنا ... ؟ ... إنك لست مريضاً ... ولكنك ترجو أن تكون مريضاً ... أليس ... أنت تتمنى أن يكون ما ترى نتيجة خلل فى أعصابك ... أو وهم من صنع خيالك ... لأن هذا التعليل يريحك ...

الشاب : نعم ... يريح عقلى ذلك ...

الجنية : آه ... عقلك ... عقلك هذا هو الحاجز بينى وبينك ! ...

الشاب : ما ذا تريدين منى ...

الجنيه : أحبك ... قلت لك أحبك ...

« تقترب منه حتى تلمس الفراش ، فيزحزح الشاب كمن يريد الابتعاد ... »

الشاب: أقنعيني بأنى لست أهذى ... من أنت ؟ ... ومن أين تأتين ؟ . . . وإلى أين تذهبين ؟.. كيف تدخلين هاهنا والأبواب مغلقة؟...وكيف تنصرفين؟..

الجنية : « باسمة » أهذا كل مايشغل فكرك !...

الشاب: نعم ...

الجنية : من سوء حظى انك رجل مفكر ... قلما تظهر جنية لرجل مفكر... إنما أكثر ظهورنا للبسطاء من العامة ، الذين يستقبلوننا بإيمانهم ومعتقداتهم ؛ لا بعقولهم وتفكيرهم ... والإيمان باب يتسع لدخولنا... أما العقل البشرى فمعيار أصغر من أن نوضع فيه ...لكنى ماحيلتى وقد احببتك ... احببتك أنت بالذات وخاطرت بالظهور لك ، لإقناعك بحبى ، وأنا لا أجهل صعوبة الأمر معك ...

الشاب : نعم... أقنعى عقلى أولا ...

الجنيه : أخبرنى أنت أولا : لولا أنك رأيتنى على صورتى هذه فى شارع عماد الدين، أما كنت هويتنى من أول نظرة !...

الشاب :مؤكد ...

الجنية : جمالى إذن يعجبك وصوتى وحديثى ...

الشاب : أنت مثال من الجمال طالما حلمت بمثله ... إنى لا أسأم أبدا من متعة النظر إلى حسنك ... وصوتك نغم حلو لا أمل سماعه ، وحديثك عذب ... كل شىء فيك بديع ... بديع ...

الجنية : لا شيء يمنعك إذن من حبي ؟ ...

الشاب : كيف تدخلين هذه الحجرة ... وهي مغلقة ؟ ... كيف تشقين جدران حجرتي ؟ ! ...

الجنية : ليس هذا بالشيء العسير عندي... ولكن العسير هو أن أشق جدران قلبك ! ...

الشاب : لا ... ليس صعباً على امرأة جميلة أن تدخل قلبي ... ولكن الصعب هو أن تدخل من هذا الحائط ! ...

الجنية : عندكم أنتم الحيطان والجدران هي التي لا تقتحم ...

الشاب : وعندك ؟ ... وعندكم ؟ ... أخبريني عن حياتكم أنتم ... إذا عرفت حقيقتك فربما ...

الجنة : ربما أحببتني ؟ ...

الشاب : نعم . . . جهلي بك هو الذي يخيفني منك . . . وخوفي منك هو الذي يطردك بعيداً عن قلبي ... اكشفي لعقلي عن حقيقتك كلها... إذا أدرك عقلي كيف تعيشين وتتحركين وتتصرفين ؛ فإن الطريق إلى قلبي بعدئذ سهل ميسور ...

الجنية : نعم ... نعم عقلك ؛ هذا الحارس الثقيل الذي يقف بباب قلبك ! ... حارس هو عندك مدجج بسلاح العلوم الرياضية والمنطقية ... كيف أستطيع إقناعه ؟ ... ولكني لن أتراجع ... سأحاول جهد الطاقة ... هل تسلم بوجود مخلوقات أخرى أرقى من الإنسان ؟ ...

الشاب : أين ؟ ...

الجنية : في هذا الكون الهائل...

الشاب : مخلوقات أرقى منا نحن بنى الإنسان ؟... فى هذا الكون ؟ ...

الجنية : لا تستطيع تصور هذا ؟ ... صدقت... إن النملة التى تسعى هنا فى أرض حجرتك لا تستطيع هى الأخرى أن تتصور وجود مخلوقات أرقى فى هذا البيت... كل ما تعلم هو أن هذا البيت لها وحدها... فهذه الجدران عندها هضاب وجبال طبيعية ... وهذا الفتات من الخبز أو السكر الملقى على الأرض، موارد لها ومناجم، تغرف منها وتنقل إلى بيوتها ومدنها، بكد وجد لا يكلان ... فإذا وطئت بلادها بنعلك؛ عن وعى أو غير وعى منك، فأهلكت منها جموعا، كان ذلك فى نظرها كوارث اجتماعية تفسرها بشتى التفسيرات ... ولكنها لن تتصور حدوثها من حذاء مخلوق أرقى هو أنت! ... لأن عيونها الصغيرة لا يمكن أن تحيط بكل حجمك، ومداركها المحدودة لا يمكن أن تصل إلى فهمك! ...

الشاب : تشبهيننى بالنملة ؟...

الجنية : أنت فى هذا الكون أقل من النملة فى هذا البيت! ... فهذه الأرض التى تسعى فيها ليست سوى كوكب صغير من مجموعة الكواكب التى تدور حول الشمس ... وهذه الشمس بكواكبها ليست سوى مجموعة فقاعات تتحرك فى مجرة، فيها نجوم أضخم من شمسك هذه خمسين مرة... وهذه المجرة — التى يسافر فيها الضوء ستة آلاف سنة، والضوء يقطع فى سنة ثلاثمائة ألف مليون من الكيلومترات — هذه المجرة ليست سوى واحدة من مجرات تسبح فى الكون لا يعرف لها عدد، فيها من الشموس الضخمة التى تدور حولها الكواكب ما لا يستطيع ذهنك أن يمتد إليه ...

الشاب : هذا صحيح ... إنهم يعلموننا ذلك فى المدرسة ، ولكن هذه الأرقام الهائلة لا تلبث أن تصبح أمام آدميتنا الطاغية مجرد أرقام !...

الجنية : كان يجب مع ذلك أن تستنتج من هذا شيئاً ... أيها المهندس ... إن هذا الكون الواسع جداً بالنسبة إلى طبيعتك وإدراكك وقدرتك لا يمكن أن يكون قد خلق لك وحدك ... كما أن هذا البيت بقاعاته الواسعة جداً بالنسبة إلى طبيعة النملة وإدراكها وقدرتها لا يمكن أن يكون قد أنشىء لها وحدها ! ... ومع ذلك لو سمعت « جنس » النمل يتكلم فيما بينه ، لعلمت أنه فى غروره يحسب هذا البيت لم ينشأ إلا له !...

الشاب : كما نفعل نحن البشر فى غرورنا !...

الجنية : إنكم تنسون أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً ... إن المسافات الجنونية بالنسبة إلى النمل فى هذا البيت طبيعية بالنسبة إليك أيها الإنســـان ... كذلك المسافات الضوئية التى لا يتصورها تركيبك هى مسافات طبيعية بالنسبة إلى كائنات أرقى ، لا تراها عينك ولا يتخيلها عقلك ...

الشاب : « يفكر قليلا » معقول ... إن الخليقة الإلهية لا يمكن أن يكون فيها حشو أو لغو ... هى هندسة دقيقة كاملة لا فضول فيها ... وما دام فى الكون أبعاد لا يستطيع الإنسان أن يبلغها بتركيبه أو بإدراكه ، فلا بد أن تكون هناك كائنات خلقت لهذه الأبعاد !...

الجنية : تقدم عظيم... لم يبق على الآن إلا أن أقنعك بما تسميه قدرتى الخارقة على شق حائطك ! . . .

الشاب : نعم... أفهمينى ذلك ...

الجنية : إنك تصنع هذه الخوارق كل يوم...

الشاب : أنا ؟...

الجنية : مع كائن مثل النملة ... إنك تصنع أحيانا فى نظرها ما هو أغرب من شق

الحائط ! . . إن فى وسعك أن تنقلها بأصبعك من قارة إلى قارة . . دون أن تدرى المسكينة من أسرار ذلك شيئاً ... وفى مقدورك أن تداعبها فتخطف من فمها زاداً لتلقى به إلى نملة أخرى ... فتوقع فى روعها الدهشة لو كانت تفكر ، ولكن النملة لا تفكر فى علة هذا الأمر العجيب ... أما الإنسان فيفكر فيه . . ولكنه ينسبه أحيانا إلى سهوه ونسيانه أو ذهوله ووهمه ! ...

الشاب : كل هذا جائز ... ولكن بقى ما هو أعجب !... بقى الأمر الذى يحيرنى حقاً ، ولا أجد له تعليلا مقبولا ! ...

الجنية : ما هو ؟ ...

الشاب : حبك لى ... كيف يمكن أن ينشأ بيننا حب ؟!...

الجنية : ولم لا ؟ ...

الشاب : على هذا القياس أستطيع أنا إذن أن أحب نملة ! ؟ ...

الجنية : ولم لا ...

الشاب : كلا ياسيدتى ... أو آنستى . . أو ... لست أدرى كيف أدعوك ؟ ... هنا ويكاد عقلى يفر من رأسى ! ... أنا أقع فى غرام نملة ! ...

الجنية : تستبعد ذلك ... لأنك لا تتعرف غير جنس النمل جملة ... ولكنك لو استطعت أن تعرف نملة واحدة بالذات، وتميزها بصفاتها وشخصيتها وملامحها ...

الشاب : ملامحها ؟! . .

الجنية : وتتبع مجرى حياتها اليومية ، وتدخل نطاق حياتها الخاصة ... وتراقب بإعجاب ما تنطوى عليه أعمالها وتصرفاتها ، فإن صلة تعقد عندئذ بينك وبينها ... ولا تلبث هذه الصلة أن تنمو وتتحول مع العادة إلى اهتمام، ثم إلى رغبة فى إيجاد نوع من التفاهم بينكما ... ثم إلى شعور بالاتفاق

والخوف من الافتراق ...

الشاب : أنت إذن قد فعلت ذلك معى ؟...دخلت حياتى ، وراقبت تصرفاتى؟...

الجنية : وألفت تفكيرك ، وأعجبت بشخصيتك ، وألممت بنواحى ضعفك وقوتك ... وبى رغبة شديدة أن أبقى معك ولا افترق عنك ...

الشاب : وماذا تريدين منى بعد ذلك؟...

الجنية : لا شيء ... سوى ...

الشاب : سوى ماذا ؟ ...

الجنية : أن تفهمنى وتطمئن إلى ...

الشاب : وأن أحبك ؟ ...

الجنية : عندما تفهمنى وتطمئن إلى فإنك ستحبنى ...

الشاب : وكيف أفهمك واطمئن إليك ؟ ... إن ما أرى من جمالك ليس غير مجرد رداء خارجى ... رداء آدمى استطعت بقدرتك المجهولة لى أن تتشكلى فيه ، أو أن تأمرى بصرى أن يراك عليه . . . ولكنه يخفى وراءه حقيقة لا أتبينها ... هذا الرداء الجميل قد يطمئن إليه ويقنع به بعض البسطاء الساذجين من الآدميين ... أما المفكر منهم ...

الجنية : هنا المشكلة ! . . . ألم أقل إنى معك أقوم بمغامرة تدعو إلى اليأس . . . ما الحل ؟ ... ليس هنا لك غير حل واحد ...

الشاب : ما هو ؟ ...

الجنية : أن تخلع أنت رداءك البشرى ... وتأتى إلى عالمى ...

الشاب : عالمك ؟ ... أين هو عالمك ؟ ...

الجنية : ستدهش مما فيه ... وستراك ارتفعت فجأة إلى مرتبة كمرتبة الإنسان

بالنسبة إلى النمل ! ...

الشاب : وأغادر عالمى هذا ، وبيتى هذا ، ووالدتى ووالدى ومشروعاتى الهندسية ومستقبلى . . .

الجنية : كل هذا ستراه تافها عندما تشرف عليه من كيانك الجديد ! . . .

الشاب : وهل أستطيع أن أعود إلى عالمى هذا عندما أريد ؟ . . .

الجنية : لا أظن . . .

الشاب : وكيف عدت أنت ؟ ...

الجنية : جنون ابتليت به ، وهذا لايحدث إلا نادراً ، من حسن حظكم وحظنا ... فما من واحد فى عالمنا أراد الاتصال بواحد من عالمكم إلا صادف من المصاعب مايزهده فى المحاولة . . . مصاعب كتلك التى يصادفها أحدكم لو أراد أن يلتقط نملة ليحادثها . . . إنها قبل كل شىء تفر من بين أصابعه مرتاعة مذعورة ! . . .

الشاب : ولكنى واثق أن الحنين سيدفعنى إلى المجىء لرؤية أمى وأبى . . .

الجنية : عندما تجد فى مقدورك أن تمشى متنزها بين الكواكب البعيدة والمجرات السحيقة ، فإنك ستكف عن الاهتمام بتلك الفقاعة الضئيلة التى تسمونها الكرة الأرضية ! . . .

الشاب : ولماذا اهتممت أنت بها ، لجئت تحيينى . . . أنا النملة ؟ ! . . .

الجنية : قلت لك إن هذا حدث شاذ . . . كشذوذ ذلك الذى يقف عندكم فى الحمام يغنى بفقاعة صابون ! ...

الشاب : شكراً . . . شكراً ! . . .

الجنية : لست أقصد الحط من قدرك ... ولكن تعال معى وأنت ترى عالمك كما أراه ...

الشاب : إنى معترف بصغره وضآلته ... مقر بضعفنا الآدمى وعجزنا ... ولكننا سعداء هكذا ... سعداء بحياتنا المحدودة وعمرنا القصير ، على ما فيه من متاعب ومصائب وأشجان ... والدتى ستحزن لفقدى ... وهى التى كانت تحدثنى من أيام فى أمر زواجى ، لأنشىء بيتا وأنجب أولاداً ...

الجنية : ماذا أسمع منك ؟ ... يا لها من لغة ! ...

الشاب : لغة النمل ؟ ! ...

الجنية : إذا جئت معى فثق أنك ستسخر من كل ذلك بسرعة عجيبة ! ...

الشاب : أذهب معك ؟ ... ومن يضمن لى أن عالمك الآخر سيسرنى ؟ ... ومن يضمن لى أنى لن أندم على عالمى ؟ ! ...

الجنية : إذا انقلبت نملة إنسانا فهل تسر أو تندم ؟ ...

الشاب : سؤال محير ... دعينى أفكر ...

الجنية : لا تفكر ... لا تفكر ... مصيبتكم أيها البشر هى التفكير ... هلم بنا ... وأنا اضمن لك حياة ستملؤك عجباً !... أصغ إلى ... هلم معى ... هلم معى ...

الشاب : إلى أين ... إلى أين ؟...

الجنية : أمسك بيدى واتبعنى وأنت ترى ...

الشاب : ولكنى مريض ...

الجنية : لن تكون مريضاً بعد قليل ... إذا أمسكت بيدى وتبعتنى فستجد نفسك بغتة كائنا آخر ...

الشاب : إنى مشوق إلى رؤية هذه الأعجوبة ... ولكنى خائف ...

الجنية : لا تخف ... ضع يدك فى يدى ... وكل شىء ينتهى فى غمضة عين ...

الشاب : « يمد يده بتردد » أمد يدى هكذا ... سأغمض عينى كى لا أرى ما يحدث ...

الجنية : هات يدك ! ...

الشاب : «يتشجع» أريني كيف تصبح النملة إنسانا ... «يمد لها يده بقوة» خذى! ...

الجنية : «تمد يدها إلى قلبه وتلمسه» لا تنس هذا ... فهو ينفعك هناك ! ...

الشاب : «يلفظ صيحة مكتومة» آه ... قلبي ! ...

«يسقط جثمانه على الفراش هامدا ...
وتتناول الجنية يده وتجذب روحه الشفافة
وتمضى بها نحو الحائط وهى تحادثه ...»

الجنية : سترى الآن كيف أنك ستنشق الحائط معى ! ...

الشاب : «وهو يمشى بروحه معها كمن فى ذهول وهى تقوده» أنا أشق الحائط ؟! ...

الجنية : أنت الآن فى ذهول الصدمة ، لم تفطن بعد إلى أنك صرت كائنا آخر ! .

الشاب : «يلتفت إلى فراشه ويرى جثمانه الممدد» ومن هذا الذى على الفراش ؟ ... عجباً ! ... هذا أنا أيضاً ؟ ! ...

الجنية : نعم ... هو أنت أيضاً ... أقصد ذلك الذى كنت منذ قليل ! ...

الشاب : «ينسل منها ويتجه إلى جثمانه على الفرش» دعيني أنظر إليه ؟ ...

الجنية : تريد أن تتأمل هذا الوجه ؟ ! ...

الشاب : «وهو ينحنى فوق وجه الجثمان» تقولين إنى أعرفه ؟ ! ...

الجنية : أظن ذلك ...

الشاب : نعم ... أعرفه بالتأكيد ...

الجنية : رداء ملقى تعرف ولا ريب ماذا كان يخفى وراءه ! ...

الشاب : «وهو يتأمله» لم أره قط هكذا وهو مغمض العينين ! ...

الجنية : لو أن إنسانا استطاع أن يرى وجهه وهو مغمض العينين لما ظل إنسانا لحظة واحدة ! ...

الشاب : ماذا كان يصنع ؟ ... ولماذا هو حبيس هذا المكان الضيق ؟ ... كيف يطيق أن يعيش بين مثل هذه الجدران ؟ ... أيرقد هنا دائما ؟ ... فى هذا الثقب ؟ ...

الجنية : أترثى له ؟ ...

الشاب : « وهو ينصرف عن الفراش » ما ذا يهمنى من أمره ! ... هلمى بنا خارج هذا المكان ...

الجنية : أتحس الآن الرغبة فى الانطلاق ؟...

الشاب : أحس أنى أختنق هنا ... إلى الفضاء !... هلمى بناء إلى الفضاء ... حيث حياتنا الطبيعية ... أى فكرة طرأت عليك فجعلتك تحبسيننى فى هذا الكوكب ... لكأنك تحشريننى حشراً فى ثقب نملة ! ...

الجنية : هلم بنا إذن ... « تلتفت إلى باب الحجرة » إنهم آتون ...

الشاب : من هم ؟ ...

الجنية : أهل هذا الراقد على الفراش ...

الشاب : نعم ... أهله آتون . .أسمع أصواتاً أعرفها ...

الجنية : ستسمع الآن كيف يعللون ذهابه ! ...

الشاب : وما شأننا نحن ... إنى أشعر نحوك بحب ...

« يفتح باب الحجرة وتدخل الأم
وخلفها الأب يحمل قارورة الدواء ...»

الأم : «تسرع إلى الفراش» ولدى!... مالرأسه قد انحدر !... إلهى!... إلهى !...

الأب : ماذا به ... ربما استغرق فى النوم ... أيقظيه ... ملعقة من الدواء قد تنعش قلبه ...

الأم : « صائحة وهى تجس نبضه » قلبه وقف !...مات بالسكتة !.. مات...

الأب : ماذا تقولين ... يا للمصيبة ! !...

الأم : مات !... مات بسكتة القلب !...مات ولدى... ولدى ... ولدى...

« الشاب يشاهد أمه وأباه ينتحبان فوق جثمانه »

الشاب: «للجنية» بكاؤهما هذا لا معنى له !...

الجنية : عندك أنت الآن !...

الشاب: لو كانا يدركان ...

الجنية : كيف يستطيعان أن يدركا ؟...

الشاب: لماذا لا نحاول أن نفهمهما ؟ ...

الجنية : نفهمها ماذا ؟... إنهما لن يفهما ...

الشاب: لو قلت لهما إنى حى ...

الجنية : الجنية يفران منك ذعراً ...

الشاب: « يهم بالتقدم نحو أهله» فلأحاول ...

الجنية : «تمسك به» لاتقلب الحزن عليك مهزلة !...

الشاب: ماذا نصنع إذن ؟...

الجنية : لاشيء ... قلت لك ما من شيء عسير علينا مثل إفهام البشر ما نريد ... إن طبائعهم الآدمية تقف بيننا وبينهم كأنها حيطان لا تشق ولا تقتحم !...

الشاب: فلندعهم إذن وشأنهم ... هلمى بنا!...

الجنيه : هلم بنا... إلى كوكب آخر... أتحبنى؟...

الشاب: أحبك !... أحبك !...

« يشقان الحائط معا ويخرجان ..
بينما الأب والأم يبكيان الجثمان .. »

ستار

١٣ — من وحي الأداة الحكومية

أعمال حرة"

قصة تمثيلية فى فصل واحد

« شركة التعهدات والتوريدات المتحدة ... قاعة لها عدة أبواب ... وبها عدة مكاتب يجلس إلى أحدها الكاتب عبد الموجود افندى ... وإلى مكتب آخر يجلس عبد التواب أفندى ... وهناك مكتب ثالث موضوع فوق ملفاته طربوش صاحبه الغائب ... »

عبد الموجود: «يملى من سجل» قيد عندك يا سيدى الوزن ألف طن ...

عبد التواب : « يكتب» الوزن ... ألف ... طن ... « يلتفت إلى زميله » قل لى ياعبد الموجود افندى...

عبد الموجود : « يرفع عينيه عن السجل » نعم ؟...

عبد التواب : البضاعة ...

عبد الموجود: مالها البضاعة؟ ...

عبد التواب : عاينتها ؟...

عبد الموجود: « يشير إلى المكتب الذى فوقه الطربوش » عاشور افندى قال انه عاينها ...

عبد التواب : وقال انها كلها «صاغ» سليمة ؟!...

عبد الموجود: سبحان الله فى طبعك ياسى عبد التواب !...

عبد التواب : أنا ... كل غرضى إن المسألة تبقى مستورة ...

عبد الموجود: مستورة بإذن الله ... « جمد قلبك» ! ...

عبد التواب : كلامى له أصل ... وأنت فاهم ...

عبد الموجود: فاهم ... فاهم ... اكتب يا أخى ... دعنا ننتهى الليلة من تحرير هذا «الكشف» ... «ينظر فى ساعته » الساعة الآن التاسعة ... وانت عارف إنه ينتظرنى بعد قليل موعد طرب فى «الصالة» إياها ...

عبد التواب : لو كانت الشركة تلطف قليلا من نسبة الفاسد فى بضاعتها ؟ !...

عبد الموجود : أتشفق على الحكومة ؟! ...

عبد التواب : بل أشفق على نفسى...وعليك...علينا نحن كلنا الذين نستلم البضاعة باسم الحكومة ... ونقر بأنهـا فى حالة جيدة ... ونوقع على ذلك بإمضاءاتنا ...

عبد الموجود : إمضاءاتنا ليست وحدها ... ياسيدى الفاضل...أنسيت أنها متوجة بإمضاءات الوكيل والمدير والمراقب والسكرتير العام .. و .. و .. إلى آخره ... إلى آخره ...

عبد التواب : ولو فرضنا أن مدير الإدارة العام خطر له ذات يوم أن يحضر بنفسه عملية الاستلام ؟ ...

عبد الموجود : هذه العملية الطويله العريضة ! ... أهذا معقول ؟ المدير دائماً عنده صداع ... ودائماً عنده لجنة ... وهو دائماً يكتفى بالنظر إلى الوكيل فاذا رآها موجودة أمضى بجوارها بكل اطمئنان ...

عبد التواب : والوكيل ؟ ... افرض انه حضر يستلم ؟ ...

عبد الموجود : أهذا معقول ؟ هذا الوكيل « القرفان » دائماً ... المشغول بأخبـار الترقيات ... الساخط دائماً على المحسوبيات ، التى جعلت كل من هب ودب يتخطاه ... أيمكن أن يستلم ، إذا كان مزاجه رائقاً ، بغير الطريقة المعروفة ؟ يطلب « ششنى » فنسرع نحن وتقدم إليه « العينة » التى أعدتها الشركة لنا من أجود نوع ...فيلقى عليها نظرة عابرة ... وينكب على الأوراق يوقع بالاستلام وهو ينفخ دخان سيجارته بضيق وملل ، ويلقى فى وجوهنا بالورق الممضى وكأنه

يقول : داهية لا ترجعكم أنتم والإدارة والبضاعة !...

عبد التواب : واللجنة الأخيرة ؟

عبد الموجود : تقصد اللجنة التى شكلت للاستلام فى الشهر الماضى ؟... ها أنتذا قد رأيت بعينك أعمالها ... اجتمع حضرات الأعضاء وشربوا القهوة ودخنوا السجاير وتحدثوا فى آخر أخبار الصحف . . . وجاء لهم عاشور افندى « بالعينة » اياها ... وقال لهم : « المخازن كلها تراب يخشى منه على الثيات » فقال بعض الأعضاء : « كل شىء إلا الثياب... الثياب غالية فى هذه الأيام »... ونظر البعض الآخر فى ساعاتهم ... ثم أقبلوا على «العينة» ففحصوها بسرعة وانتهوا جميعاً إلى أن البضاعة جيدة . . . وحرروا المحضر بذلك وأمضوه وانفضت اللجنة قبل انصراف الدواوين ...

عبد التواب : كلامك مطمئن يا عبد الموجود أفندى ...

عبد الموجود : اكتب ... اكتب ... خلصنا من هذا الكشف ... لنصدره من هنا الليلة ، ونستلمه غداً فى الديوان .

عبد التواب : ولماذا هذه السرعة ؟ ! ... ضرورى من تصديره الليلة ؟

عبد الموجود : ضرورى ... اكتب ... الوزن ألف ...

عبد التواب : بمناسبة الوزن ... هات سيجارة لوزن دماغى أولا ...

عبد الموجود : لا ياسيدى . . . لا يا حبيبى ... ليس عندنا وقت للكيف والمزاج واللعب والكسل ... نحن لسنا فى مكاتبنا الحكومية . . . نحن هنا فى مكاتب الشركة ...

عبد التواب : « يذعن وينحنى على الورق » أمرك ... الوزن ألف طن ...

عبد الموجود: « يملى » أكتب فى خانة الصنف ...

« يدخل بحركة سريعة ـ افندى عارى الرأس، هو عاشور افندى ، وقد بدت عليه علامات الاضطراب ... »

عاشور : « هامسا » وقعنا ياجماعة ...

عبد التواب : « فى خوف» وقعنا ؟...

عاشور : الرئيس ... الرئيس الكبير ... الكبير .. سالم بك ... هنا الآن مع مدير الشركة !...

عبد التواب : يا نهار أسود ...

عبد الموجود: لـ « عاشور » كيف عرفت ؟ ..

عاشور : لمحته بعيني ... الآن وأنا قادم من دورة المياه ... مررت بحجرة مدير الشركة، وكان بابها مفتوحا، فرأيته جالسا مع المدير برأسه الأصلع .

عبد التواب : « باضطراب » هو بعينه ! ...

عبد الموجود: وماذا جاء يصنع هنا الآن...

عاشور : يضبطنا بدون شك ... لابد أنه وصلت إليه شكوى فى حقنا من عدو أو حسود ...

عبد التواب: يضبطنا ؟ ...

عاشور : متلبسين على مكاتب الشركة ...

عبد الموجود : متلبسين بماذا ؟ ... ماهذا الكلام يا عاشور افندى ؟ ...

عاشور : الكلام المضبوط !. حضراتنا بالنهار من موظفى الحكومة. وبالليل من موظفى شركة التعهدات والتوريدات المتحدة.. الملتزمة بتوريد بضائع للحكومة ... أى أننا نصدر فى المساء باسم الشركة ما نتسلمه

في الصباح باسم الحكومة ...

عبد التواب : والعمل الآن ؟...

عبد الموجود: صبراً ... صبراً ... هل من المعقول أن جناب مدير الشركة يكشف أمرنا للرئيس الكبير بهذه السهولة ؟...

عاشور : ومن قال إنه سيكشف أمرنا ... إنه لاشك يراوغه الآن ويماطله ويزيل كل ريبة ، بلباقته المعروفة... ولكن الخوف أن يطلب سعادة الرئيس تفتيش المكاتب بنفسه ... فيأتى هنا ويرانا ...

عبد التواب : والحل ؟...

عاشور : الحل هو أن نتسل الآن من هنا هاربين ... وإذا سألونا غدا ننكر كل الانكار ...

عبدالموجود: ننكر ماذا ؟ ... نحن نشتغل فى أوقات فراغنا بالأعمال الحرة ...

عاشور : ممنوع ... القانون المالى لايسمح ...

عبدالموجود: القانون المالى لايسمح بالشغل ويسمح باللعب ؟.. لعب الطاولة على المقاهى من الساعة الرابعة بعد الظهر إلى منتصف الليل ؟...

عاشور : لاتتفلسف ياعبد الموجود ... الموقف الآن حرج ... ولو ضبطونا وحققوا معنا، وتشعب التحقيق وراجعوا الأوراق وجردوا المخازن لكان مصيرنا كما تعلم ... لامجلس تأديب ولا مجلس مخصوص ... بل قره ميدان وابو زعبل ...

عبد التواب : « يثب من مقعده فزعا » لطفك يارب ...

عبدالموجود: انتظر ياعبد التواب ... إلى أين ؟...

عبد التواب : أخلص بجلدى . . . سلام عليكم ! . . . « ينصرف مسرعا من

أحد الأبواب »

عاشور : عين العقل فيما فعل .. وأنا «شرحه» ... «يتناول طربوشه من فوق مكتبه ويضعه على رأسه ، سلام عليكم !... «ينصرف خلف زميله»

عبد الموجود : « ينهض » وهل أنا وحدى المستغنى عن عمرى ! . « يتجه إلى أحد الأبواب ويهمس بحذر » ادريس ... ياادريس !

« يدخل الفراش ادريس .. »

ادريس : افندم ! ...

عبد الموجود : جناب المدير ... معه أحد ؟ .

ادريس : معه بك كبير من الحكومة ...

عبد الموجود : تمام . . اسمع ياادريس ... أنا منصرف ... كلنا انصرفنا ... إذا سأل عنا جناب المدير قل له إننا خرجنا جميعاً من هنا الآن لظرف طارىء ... وهو سيفهم ...

ادريس : حاضر ...

عبد الموجود : «وهو منصرف» من فضلك ياادريس ... ادخل كل هذه الأوراق فى أدراج » المكاتب ... سلام عليكم ... « ينصرف بسرعة »

ادريس : سلام ورحمة الله ... «يتجه إلى المكاتب ويأخذ فى ادخال الأوراق فى أدراجها ... »

«يسمع صوت نسائى فى الخارج ينادى : « ادريس » ... فيجيب هو : « افندم » ولا تلبث أن تظهر « سهام » وهى امرأة فى مقتبل العمر تدخل مسرعة وفى حركاتها دلال مصطنع ... »

سهام : من هناك مع المدير ؟ ...

إدريس : بك كبير من الحكومة ...

سهام : سالم بك طبعاً .. حسنا فعلت بعدم دخولى هناك مباشر ... وما الذى جاء بسالم بك الليلة فى هذه الساعة المبكرة ... ؟ !

إدريس : لا أعرف ياست سهام ...

سهام : ارجوك يا إدريس ... ناد لى المدير هنا سراً..أريد أن أقول له كلمتين على انفراد ...

إدريس : « وهو ذاهب » حاضر ...

سهام : اسمع يا إدريس ... كلمه فى أذنه ... وإذا قال لك : « تتفضل » ... فقل له إنى لا أريد أن أتفضل ... فليأت هو إلى هنا وإلا انصرفت . .

إدريس : حاضر ... « يخرج » ...

سهام : « تخرج من حقيبة يدها قطعة لبان تضعها فى فمها وتمضغها وتسير فى الحجرة « تدندن » بأغنية معروفة ... ثم تشغل نفسها بقراءة غلاف ملف موضوع فوق مكتب : « شركة التعهدات والتوريدات المتحدة .. « تضحك » هىء ... هىء ... هىء ...

« المدير يدخل على عجل »

المدير : ضحكتك المعروفة ! ...

سهام : « ماركة » مسجلة يا نور عينى ! ...

المدير : لماذا لاتريدين أن تدخلى ؟ ...

سهام : عندك شغل ! ...

المدير : أبداً ... ليس عندى غير سالم بك ...

سهام : أليس هذا من الشغل ؟ ! ... هىء ... هىء ... هىء ! ...

المدير : قلت لك يا سهام : اقتصدى قليلا فى هذه الضحكة ! ...

سهام : أقتصد ؟ ... إن شاء الله أقتصد عند ما افتح شركة ... !

المدير : لن تفتحى حتى ولا زجاجة « شمبانيا » . . . . نحن نعيش اليوم فى عصر المظاهر . . . يجب أن تظهرى بمظهر السيدة المحترمة جداً ، إذا أردت أن يرتفع سعرك جداً . . .

سهام : سعرى مرتفع جداً ولله الحمد ... صوتى يدفع فيه ذهب أحمر ... مع أنى مطربة ناشئة . . . ولكنك أنت الذى تبخسنى قدرى . . . لأنك رجل أعمال . . . ابن سوق . . . معتاد أن تشترى البضـــاعة بالرخيص ، وتبيعها بالغالى !...

المدير : خرجنا عن الموضوع ...

سهام : أى موضوع ؟ ...

المدير : سالم بك منتظر فى مكتبى . . .

سهام : منتظر من ؟ ...

المدير : منتظرنا ... هلمى بنا . . .

سهام : وما دخلى أنا؟... منتظرك انت... لأن بينك وبينه الأعمال والأشغال !...

المدير : أى أعمال وأى أشغال ؟! ... سالم بك صديق ليس إلا ...

سهام : وأنا مطربة ليس الا ...

المدير : اتفقنا . . .

سهام : لا ... لم نتفق ...

المدير : أيوجد بيننا خلاف ؟ ...

سهام : بسيط ... أولا أنا مشغولة الليلة فى حفلة غنائية ...

المدير : فى منزلى ...

سهام : لا ياسيدى المدير ... بل فى صالة من الصالات الـكبرى . . .

المدير : هذا غير صحيح ... أنت الآن خالية شغل ...

سهام : هبط على اليوم الشغل ...

المدير : ولـكنك مرتبطة معى ... ولا يمكن أن تتخلفى الليلة عن الحضور . . .

سهام : جئت الآن لأعتذر...

المدير : مستحيل... هذا غير مقبول ... لقد دعوت سالم بك ... ووجودك يسره كما تعلمين ... وقد حضر مبكراً إلى مكتبي هنامباشرة ، ليستشف من خلال الحديث ما اذا كنت ستحضرين . . . لأن تصرفك معه فى الليلة الماضية كان فى منتهى القسوة ...

سهام : قسوة ؟ ... هىء ... هىء ... هىء « تتذكر وتـكف فجأة » لا مؤاخذة ... «باردون»...والقسوة المذكورة هذه... كيف كانت ؟ ...كسرت له«طقم» أسنانه ؟... وضعت أصابعى فى زجاج عويناته؟...نتفت له شعر رأسه؟...

المدير : طلب بسيط ... طلبه منك بكل رقة... أن تعيدى الأغنية التى يحبها منك... فما كان من حضرتك إلا أن انسحبت وخرجت من البيت بدون سـلام ولا كلام . . .

سهام : طبعاً . . . لأن سالم بك « بسلامته » لم يكن يهمه الغناء ولا الأغنية . . . بل كل همه أن يتغزل فى قوامى . . . والـكأس فى يده . . .

المدير : وهل الغزل حرام ؟! ...

سهام : لا ... حلال يا فضيلة الأستاذ المدير ...

المدير : سهام ! ...لا داعى للمداورة والمناورة ... أنا أفهمك وانت تفهمينى ...

قولى لى بكل اختصار ...

سهام : نعم ... أقول لك بكل اختصار : سالم بك هذا يهمك أمره طبعاً !...

المدير : صديقى ...

سهام : صديقك باعتبارك مدير شركة توريدات ... وباعتباره من كبار موظفى الحكومة !...

المدير : ماذا تقصدين؟...

سهام : هناك صفقة مشتريات تهم الشركة ... لقد بلغت مسامعى أشياء ... ولا لزوم للإفصاح ...

المدير : أأنت ممن يصدقون الإشاعات؟...

سهام : هذه على كل حال مسائل لا تخصنى...

المدير : نعم ... فلنتكلم فيما يخصك ...

سهام : تريد أن أحضر الليلة ؟...

المدير : ضرورى ...

سهام : وأن أكون غير قاسية ...

المدير : ضرورى ...

سهام : وما مصلحتى فى التظرف مع سالم بك هذا ؟!...

المدير : رجل له نفوذ ... ربما ساعدك وتوسط لك ...

سهام : توسط لى فى ماذا ؟ ...

المدير : فى أن تكونى ... مثلا ... مطربة فى الإذاعة ...

سهام : تسمعون الآن ... الآنسة سهام . هىء ... هىء . هىء ... لامؤاخذة نسيت . « باردون » !...

المدير : أمامك مستقبل ... لا تضيعيه .. توسلى بقليل من حسن التصرف ... واللباقة وحسن المعاملة ...

سهام : العملة ؟ ...

المدير : المعاملة ... حسن المعاملة !...

سهام : نعم .. كلمنى فى صنف «المعاملة» !...

المدير : نصيحة ياسهام... خذى نصيحة من رجل يحب لك النجاح...لا تفكرى كثيراً فى مصلحتك المادية ...المادة شيء رخيص...فكرى قبل كل شيء فى أن تكونى لطيفة مع الناس .. رقيقة ... مؤدبة ... مهذبة محببة إلى النفوس... رجل مثل سالم بك يستلطفك... لماذا لا تعاملينه بالمثل ؟...

سهام : تريد أن أستلطفه ؟ ...

المدير : ضرورى ...

سهام : ومن الذى يدفع ثمن هذا الاستلطاف ؟ ...

المدير : تطلبين له ثمناً ؟ !...

سهام : «مقلدة صوته» ضرورى...

المدير : «يائسا منها» أف !... فليكن .. أمرك ياست سهام ...

سهام : أنت على كل حال لن تغرم شيئاً من جيبك ...

المدير : ومن جيب من إذن ؟...

سهام : الشركة ...

المدير : من قال لك ذلك ؟ ...

سهام : البركة فى بند «الاكراميات» يانور عينى ! ...

المدير : عجيبة !... ما كل هذه المعلومات !...

سهام : أراهن ... لو فتشت جيوبك الآن لأخرجت منها جواهر ؟ ! ...

المدير : جواهر ؟ ! ...

سهام : تنكر أن فى جيوبك الساعة أساور ؟ ...

المدير : أساور ؟ ... كيف عرفت ؟ ...

سهام : الليلة الماضية ... لمحت سواراً ذهبياً بديعاً يخرج فى يدك ، وأنت تخرج منديلك من جيبك ... فأسرعت تدسه وتخفيه ... حتى لا أراه ...

المدير : آه ... وأسرعت أنت بالانسحاب والخروج حتى تتدللى ...

سهام : هو فى جيبك الآن ؟

المدير : ربما ... نسيته فى جيبي... هو على كل حال عينة» ... «يدس يده فى أحد الجيوب ويخرج سواراً » ...

سهام : « صائحة فى فرح» هاهو ... أرنى...

المدير : استأخذينه ؟ ...

سهام : تستخسره فى ؟...تستكثره على؟...

المدير : يعجبك ؟ ...

سهام : « وهى تتأمله فى يدها » بديع... وإن كان يخيل إلى أنه ليس هو بالضبط الذى رأيته فى يدك البارحة... الآخر كان أضخم قليلا...وأغلى نوعا... أليس كذلك ؟ ...ولكن هذا لا بأس به ... سوار فى يدى خير من عشرة فى جيبك ! ... « تضعه فى معصمها » انظر أنه لائق على ...

المدير : مبروك عليك ! .

سهام : متشكرة ... لقد أعطانى مظهر السيدة المحترمة المهذبة الرقيقة المؤدبة ... أليس كذلك ؟ ...

المدير : بدون شك ... اذهبي وأريه لسالم بك وهو يلمع هكذا فى معصمك ...

سهام : فكرة ...

المدير : سألحق بكما بعد قليل ...

سهام : خذ راحتك ! ... وأرسل إدريس إلى بفنجان قهوة وعلبة سجاير ، ليتم لى المزاج الرايق ... عقبى لك ! ... هىء هىء « باردون » ! ...

« تخرج سهام ... ويتجه المدير إلى المكاتب ... ويقلب بعض الملفات التى تركت فوقها ... »

المدير : « منادياً » ادريس ... ادريس !...

ادريس : « يدخل بسرعة » أفندم ...

المدير : « مشيراً إلى المكاتب » الأفندية ؟ ... أين الأفندية ؟ ...

ادريس : خرجوا ... خرجوا ... وقالوا إن جنابك فاهم ...

المدير : فاهم ؟ ... فاهم ماذا ؟ . .

ادريس : فاهم السبب ... سبب خروجهم ...

المدير : أبداً .. . أنا غير فاهم... وكشوف التصدير ... هل أعدوها ؟...

ادريس : لا أعرف يا جناب المدير ...

« جرس الباب الخارجى يرن بشدة ...

المدير : الباب!...

ادريس : « صائحاً وهو يخرج بسرعة » حاضر ...

المدير : « ينظر فى ساعته » من القادم الآن ! ... « يعود إلى الملفات ويقلبها باحثاً منقباً ... »

ادريس : « يدخل » ست تقول إنها حرم سالم بك .. .

المدير : « يلتفت كالمذعور » حرم سالم بك ؟ ... خبر اسود ... أين هى ؟ ... أين هى ؟ ...

ادريس : فى البهو ... أدخلها فى مكتب جنابك ؟ ! ...

المدير : « كالمخاطب نفسه » مكتب جنابى ؟ ... هل جننت ؟ ... هناك سالم بك مع ...

ادريس : أول كلمة قالتها الست سألت عن سالم بك ...

المدير : « بقلق » وماذا أجبتها أنت ؟ ...

ادريس : سألتها من حضرتك ... فقالت حرمه .

المدير : وهل أخبرتها أن سالم بك موجود هنا ... فى مكتبى ؟ ...

ادريس : لا ... قلت لها فقط : انتظرى دقيقة من فضلك ... وجئت أبلغ جنابك ...

المدير : احسنت ... أحسنت يا إدريس ... إسمع قل للست ... تتفضل هنا ... قل لها .. تفضلى قابلى المدير ...

ادريس : « يخرج مسرعا » حاضر ...

المدير : ما هذه الورطة ! ...

« يقف مفكراً فيم ينبغى أن يفعل ... ولا يلبث ادريس أن يظهر وخلفه سيدة قاربت الأربعين ... عليها سيما الاحترام . فيتركها أمام المدير ويخرج هو فى الحال »

المدير : أهلا وسهلا يا هانم ! ...

الهانم : حضرتك مدير الشركة ؟

المدير : فى خدمتك يا هانم ...

الهانم : هل لك معرفة بزوجى سالم بك ؟ ! ...

المدير : ومن يجهل سالم بك ؟ ... إنه من الشخصيات البارزة فى البلد ! ...

الهانم : أقصد معرفة خاصة ... علاقة خاصة ...

المدير : إنه يا هانم شرف ...

الهانم : بالعكس ... ليس فى الموضوع شرف على الإطلاق ...

المدير : « بقلق » ماذا تقصدين ؟

الهانم : مسألة السهرات التى فى بيتك ...

المدير : سهرات ؟ ...

الهانم : مهما يحاول الزوج أن يخفى مثل هذه الأشياء عن زوجته ، فإن حقيقتها تظهر لها بدون أن يشعر ...

المدير : لا بد فى الأمر سوء تفاهم يا هانم ...

الهانم : « بحدة » فى الأمر امرأة ...

المدير : امرأة ؟ ...

الهانم : نعم ... ولا بد أن أعرف من هى ؟ ...

المدير : « يبلع ريقه » ربما كانت يا هانم ... إشاعة من إشاعات السوء ...

الهانم : ليست إشاعة ... لأنى رأيت بعينى فى جيبه منديلا نسائياً به أثر أحمر ... « روج » شفاه ... بعد عودته متأخراً ثملا مما يسميه حفلة الشركة ... وسمعت بأذنى حديثه معك بالتليفون اليوم وهو يشير إلى هرب « البضاعة » فى الليلة الماضية

المدير : البضاعة ؟... طبعاً البضاعة هى البضاعة... التى توردها الشركة للحكومة وزوج حضرتك طبعاً له مركزه فى الحكومة ...

الهانم : وكيف يمكن أن تهرب « هـــذه البضاعة » فى الليلة الماضية وتنسى منديلها ...

المدير : تنسى منديلها ؟ ...

الهانم : ألم يقل لك ذلك بالحرف الواحد اليوم فى التليفون ؟... ثق أنه ليس من

عادتى أن استرق السمع . . . ولكن رؤيتى ذلك المنديل فى جيبه . . . جعلتنى أفطن ... والتفت على الرغم منى إلى ذلك الحديث التليفونى المريب . . .

المدير : لعله مزاح يا هانم . . . أنا شخصياً لا أذكر . . . ولم آخذ الكلام على سبيل الجد ...

الهانم : وهذا المنديل ... أهو مزاح أم جد ؟...

المدير : « يبلع ريقه » المنديل ؟ ... أين هو ؟ ...

الهانم : لم أمسسه بيدى ... تركته له فى جيبه ... ولم أخبره أنى رأيت شيئاً أو سمعت شيئاً ... حتى هذه اللحظة...لأنى أريد أن أضبطه بنفسى...

المدير : « فى قلق شديد » مفهوم...

الهانم : إنك تعرف بالطبع أين هو الآن؟...

المدير : و ... وحضرتك تعرفين ؟ ...

الهانم : إنى أسألك أنت ... لأنه يجب أن يقابلك الليلة ... أليس كذلك ؟ ...

المدير : « فى ارتباك » إنى ... إنه . . . لا تؤاخذينى ... بالى الآن مشغول بمسألة المنديل ... ألا يكون قد سقط من إحدى المدعوات ... وأراد سالم بك أن يجعل من الأمر دعابة بريئة ؟! ...

الهانم : أو كانت هناك مدعوات كثيرات ؟ ! ...

المدير : طبعاً فى حفلة الشركة ... سيدات محترمات... جداً ...زوجات حضرات أعضاء مجلس الإدارة ... بهذه المناسبة ... الشركة بالتأكيد كان يسرها دعوة حضرتك .. لكن خشينا أن يكون فى ذلك إزعاج ... أو عدم موافقة لرغبتك . . .

الهانم : شكراً ...

المدير : ثق يا هانم أن سالم بك رجل جد ... وفى غاية الاستقامة ... ويستحق أن تمنحيه كل ثقتك بدون قيد ولا شرط...

الهانم : أتقسم أن سلوك زوجى لا غبار عليه؟!...

المدير : غبار ؟ ! ... إنه النظافة المجسمة ... إنه الطهارة المصورة ...

الهانم : ألم يغازل امرأة ؟ ...

المدير : امرأة ؟!... إنه قديس... زوجك ياسيدتى قديس ...

الهانم : أتحلف بشرفك؟...

المدير : « متحمساً » احلف بشرفى ...

« عندئذ يسمع فى الخارج صوت ضحكة سهام .. وهى قادمة مقتربة »

الهانم : ما هذا ؟! ...

المدير : «يتنحنح مرتبكا» هذا ...

سهام : « تدخل وهى تقود سالم بك من يده » هىء . . . هىء . . . قل له رأيك ياسالم بك ... قل له رأيك الجميل اللطيف ... «تقف فجأة » لامؤاخذة . « باردون » ...

سالم بك : « لزوجته مأخوذاً » أنت ؟ ! ..

الهانم : « بهدوء متكلف » مفاجأة ! ؟...

المدير : «يتصنع الابتسام» مفاجأة ظريفة..

الهانم : « ببرود » ظريفة جداً ... تشير إلى سهام مستفسرة » حضرتها ؟ ...

سهام : وحضرتك انت يا نور العين ؟...

المدير : « مسرعاً » حضرتها الست ... حرم سالم بك . . .

سهام : « كالخاطبة نفسها وهى مأخوذة » حرمه ! ... ياخبر !! . خبر ابيض... أبيض جدا ... « تحييها برأسها » ...

سالم بك : « لزوجته » ما هى المناسبة ؟ . . .

الهانم : لـ« زوجها مشيرة إلى سهام » من هذه ؟ ...

المدير : « متدخلا بسرعة » هذه ... هذه زوجتى ...

الهانم : زوجة حضرتك ؟ . . .

المدير : معذرة يا هانم . . . تأخرت قليلا فى تقديمها إليك ... لأنى ظننت أنك تعرفين ...

الهانم : « وقد هدأت قليلا » لم أكن أعرف . . . ولكن يسرنى بالطبع أن أعرف . . .

المدير : « يغمز سهام المشدوهة » حيي ضيفتك...

سهام : تشرفنا يا هانم . . .

المدير : زوجتى خجول .. وكلامها قليل ... وقد جاءت إلى مكتبى الآن وهى فى طريقها ... كما يحدث عادة... وكانت على وشك الانصراف إلى بيتها... « يلتفت إلى سهام » أليس كذلك ؟

سهام : كذلك .

سالم : « للمدير » ولما جاءت مكتبك ، وجدتنى هناك فى انتظارك ... فأتت بى إلى هنا . . .

المدير : حسنا فعلت ...

الهانم : « لسهام » عند دخولك تحدثت عن رأى سالم الجميل اللطيف ؟ ... رأيه

في ماذا يا ترى؟

سهام : في هذا السوار . المهدى إلى من ... « تشير إلى المدير » .

الهانم : هدية من زوجك ... « تنظر إلى السوار من بعد »

المدير : ما رأى سالم بك فيه ؟

سهام : قال إنه جنان ... خصوصا على ... هيءهيء ... « تقف فجأة وتتدارك هامسة » « باردون » ! . . .

الهانم : « مأخوذة لضحكة سهام » خصوصا على من !...

المدير : « مستاء من الضحكة يتدارك » خصوصا . . . على لاشيء ... زوجتي أحيانا تحب المبالغة والمزاح والضحك . . .

سالم : خصوصا على بساطته ... هكذا قلت ...

المدير : نعم ... نعم... حقا ... على بساطته تراه في غاية اللطف والابداع ! .

الهانم : « لسهام» تسمحين ؟ .. اتفرج ؟ ...

سهام : « تبادر وتقدم معصمها » تفضلي ...

الهانم : « وهي تفحصه » فعلا ... جميل ...

المدير : يعجبك يا هانم ؟ ...

الهانم : يعجب كل إنسان ...

المدير : « يخرج من جيبه سواراً آخر » وما قولك في هذا ؟

الهانم : « تتناوله وتفحصه » آه ... هذا شيء آخر ...

المدير : أيهما تفضلين ؟

الهانم : « تشير إلى الذي معها » طبعا هذا اغلى فيما أظن ...

المدير : زوجتي فضلت هذا الذي في معصمها .

سهام : أنا ؟ ! ....

المدير : « يغمزها » نعم ... لأنه لا ثق عليك أنت ... أليس كذلك ؟ ...

سهام : « فى إذعان » كذلك ...

المدير : ولكن هذا يليق عليك أنت ياهانم ...

الهانم : « تقربه من معصمها » أتعتقد ! ...

المدير : ضعيه فى معصمك يا هانم ...

الهانم : « تضعه فى معصمها وتتأمله بإعجاب شديد » الحق . . . هذا سوار بمعنى الكلمة ! ...

المدير : مبروك عليك ...

الهانم : ماذا تقول ؟ ...

المدير : أقول : مبروك عليك ياهانم ...

سهام : « فى غيظ مكتوم » نصيبك ياهانم . . . مكتوب لك ياهانم . . . من قسمتك يا هانم ... كل شىء قسمة ونصيب ياهانم ...

الهانم : « وهى تحاول خلع السوار باسمة » هذا مزاح طبعاً ...

المدير : لا ... لا ... لا تخلعيه المسألة جد ... هذا السوار كان « عينة » ... لكن ما دام قد أعجبك فلن يخلع من يدك ...

الهانم : ما هذا الكلام ؟ ! ... بأى صفة أقبله وأبقيه ؟ ...

المدير : هذا شىء زهيد ... يمكن خصم ثمنه من الدين الذى علينا لسالم بك ...

الهانم : أى دين لسالم بك عليكم ؟ ! ...

المدير : ألا تعرفين ياهانم أن سالم بك فى حكم المستشار للشركة ؟ !...

الهانم : « لزوجها » أصحيح هذا ياسالم ؟ ...

سالم بك : هذا موضوع لم يزل فى حيز التفكير ...

الهانم : حقاً ... سبق أن قلت لى إنك تفكر فى شىء كهذا ...

المدير : إننا نحاول إقناعه أن يقبل تعيينه عضوا فى مجلس إدارة الشركة ...

الهانم : « وهى تتأمل السوار فى معصمها » ولم لا ؟ . . . أيوجد ما هو خير من أعمال الشركات !...

المدير : أقنعيه ياهانم ...

الهانم : لماذا لا تقبل ذلك ياسالم ...

سالم : إن شاء الله بعد إحالتى إلى المعاش...

المدير : إنه على كل حال يعتبر منذ الآن من أركان الشركة ...

الهانم : هذا شىء يسرنى يا حضرة المدير ...

سالم : ولكن هذا عمل يحتاج إلى مجهود وسهر ...

الهانم : الحياة يا سالم كلها جهد وسهر ...

سالم : إنك تظنين أنى اقضى ليلى فى ولائم وحفلات ... ولعلى تركتك تفهمين ذلك ، حتى لا أجعلك تقلقين على صحتى ... لكن اسألى حضرة المدير ...

المدير : الواقع ياهانم أن زوجك يقضى الكثير من لياليه وساعات فراغه فى إفادة الشركة بخبرته وكفاءته ...

الهانم : « وهى تحرك السوار فى معصمها » وأى بأس يا سالم فى أن تستغل خبرتك وكفائتك فى عمل إضافى ! ...

سالم : أردت أن أخفى عنك هذا الجهد ... فقلت لك إنى الليلة معزوم ... لكن اسألى حضرة المدير ...

المدير : كان معزوما حقا ... ولكن على قراءة أرقام وتقارير وكشوف ...

الهانم : لقد أضعت وقتكم إذن ... إنى آسفة ... اسمحوا لى إذن أن أنصرف سريعاً ...

سالم : أنصرف أنا معك أيضاً الليلة ... إذا سمح المدير ...

الهانم : لا ... لا ... ابق أنت يا سالم لعملك ... لن أغريك بالكسل بعد اليوم «تمديدها إلى سهام» مساء الخير يا مدام ... «ثم تمد يدها إلى المدير» مساء الخير يا حضرة المدير ... إنى شاكرة لك هذه الهدية الثمينة .

المدير : «وهو يشيعها» حصل لنا الشرف يا هانم ... أرجوك أن توصى دائما سالم بك أن يهتم بنا ...

الهانم : «وهى منصرفة» اطمئن ... لن يهتم بعد الآن إلا بعمله الحر ... ولا شىء غير عمله الحر ! ...

«تخرج الهانم ويخرج خلفها المدير وسالم بك ليشيعها إلى الباب الخارجى ... بينما تقف سهام تشيعهما بالنظرات»

سهام : عمله الحر ؟ ! ... حر جداً

«تضحك ضحكة مستطيلة هذه المرة» هى، هى هى هى»

(ستـار)

١٤ - مِنْ وحي الحوادث الجارية

سَاحِـرَة

قصة تمثيلية فى فصل واحد

« حديقة الأسماك .. المقهى أو « البوفيه » وهو خال من الجمهور .. والخادم أو « الجرسون » ينظف الموائد وهو يترنم بأغنية شعبية . . . وإذا آنسة فى السادسة والعشرين هى « سعاد » تقبل بعجلة وحذر وهى تتلفت خلفها » . . .

سعاد : « للجرسون فى شبه همس » اسمع من فضلك يا ...

الخادم : « يلتفت إليها بأدب » أفندم !...

سعاد : تسمح ؟ ... أكلفك بخدمة بسيطة ؟ ...

الخادم : خدامك ! ...

سعاد : « تفتح حقيبة يدها وتخرج منها ورقة بخمسة قروش) أولا . . . خذ هذا لك . . .

الخادم : « يتناول النقود » عشت ياست !...

سعاد : « تخرج من حقيبتها ورقة صغيرة مطوية على شىء صغير » خذ هذا أيضاً

الخادم : ما هذا ...

سعاد : قطعة سكر عادية ...

الخادم : السكر عندنا كثير ياست...

سعاد : مفهوم . . . ولكنى أريد منك أن تدس هذه القطعة فى السكر الذى عندكم ...

الخادم : « غير فاهم » أدسها فى ...

سعاد : فى إناء السكر الذى ستحضره إلينا الآن مع الشاى ... فهمت ؟ . . .

الخادم : لا ... لم أفهم ...

سعاد : بعد لحظة ... سيأتى هنا افندى ويجلس معى وسنطلب الشاى ... فإذا أحضرت إناء السكر مع الشاى فليكن فيه هذه القطعة ...

الخادم: فهمت ... تريدين حضرتك أن أضع هذه القطعة فى « السكرية » تعلقنا وأحضرها مع الطلب .. .

سعاد : بالضبط ...

الخادم: مسألة بسيطة ...

سعاد : جداً ...

الخادم: « يتناول من يدها الورقة ويفتحها » قطعة سكر عادية ...

سعاد : طبعاً عادية ...

الخادم: وما هى الحكمة ...

سعاد : هذا موضوع يخصنى أنا وخطيبى الأفندى الذى سيأتى هنا بعد لحظة ...

الخادم: لا مؤاخذة على السؤال ... « يفحص قطعة السكر » لابد أن حضرتك معلمة قطعة السكر بعلامة ...

سعاد : بالضرورة ... المهم أنك تنفذ طلبى بكل دقة ...

الخادم: وخطيب حضرتك عنده خبر ؟ !

سعاد : بماذا ؟ ...

الخادم: بهذا ... الموضوع ...

سعاد : لا ... طبعاً هذا سر بينى وبينك ... لأن الحكاية حكاية مداعبة ...

الخادم: مداعبة ؟ ! .

سعاد : « تلتفت » صه ... هاهو ذا قادم .. نفذ ما طلبته منك . . ولا شأن لك بالباقى .

الخادم : « وهو منصرف » لا شأن لى أبداً ... الداخل بين البصلة وقشرتها ...

« يذهب الخادم . . . ولا يلبث الأفندى الخطيب وهو (عزالدين) أن يظهر مسرعا ، فيجد (سعاد) حائرة بين الموائد ، كمن لاتدرى أيها تختار . . . »

عزالدين : « وهو ينظر إلى الساعة فى معصمه » أبطأت عليك ياسعاد؟ !

سعاد : لا ... مطلقاً ... أنك فى ميعادك ...

عزالدين : بالدقيقة ..

سعاد : أناأيضاً ياعزالدين لم أسبقك بأكثر من لحظة... إنى كما ترى لم أجلس بعد.

عزالدين : أتريدين أن نجلس هنا من الآن ؟... ألا نذهب أولا لمشاهدة السمك؟!

سعاد : السمك ؟ ! ... أهذه أول مرة تأتى فيها إلى حديقة الأسماك ؟ ! ...

عزالدين : ليست أول مرة ... هذا صحيح ... ولكن ربما جاءوا بنوع جديد من السمك ...

سعاد : لم يأتوا بجديد ... كل مرة نقول ذلك... ونجد السمك هو السمك ... لازاد ولانقص...اجلس ياعزالدين نشرب الشاى... و نتكلم فيماهو أهم.

عزالدين : نتكلم ... لا ... نتمشى أولا ... هذا أحسن .. نتمشى بين الأشجار كالعادة ... لأن المكان هنا مكشوف ... وقد يأتى من يشغل بعض هذه الموائد ، فيعكر علينا صفونا ...

سعاد : ولماذا لا نشرب الشاى أولا ... ثم نمشى فى الحديقة بعد ذلك ؟ !...

عزالدين : أمرك ...

سعاد : ماقولك فى هذه المائدة المنفردة تحت هذه الأغصان ؟ ! . « تتجه إلى ركن فى المكان »

عز الدين : « وهو يتبعها » جنان ! ...

سـعاد : «تجلس إلى المائدة»سأموت من العطش!...

عز الدين : «يجلس ويصفق بيديه مناديا» ياجرسون !.

الخادم : « من الخارج صائحاً » حاضر ! ...

عز الدين : من فضلك! ...

الخادم : « يظهر » أفندم سعادة البك ! ...

عز الذين : شاى ...

الخادم : «صائحا»اثنين شاى!... « ثم يخرج»

سعاد : « تتعدل فى جلستها» والآن ؟...ماذا جئت تحمل لى من أخبار سارة؟..

عز الذين : لا شيء ...

سعاد : «فى شيء من الامتعاض» لا شيء؟...

عز الدين : طبعاً ...ألا تقرئين الصحف ؟... مادام حزبنا بعيداً عن الحكم فسأظل هكذا موظفا فى الدرجة الخامسة الإدارية ؟ ...

سعاد : « تتنهد » نعم ... وسأظل أنا هكذا أسمع منك هـذه النغمة المملوءة بالسخط والتبرم ! ...

عز الدين : حظ ... حظ سيء ! ...

سعاد : حظك وحظى ؟! ...

عز الدين : بل حظ البلد! ... هذا البلد المسكين الذى لم يوفقه الله إلى الحزب الذى يصلح فاسده ويقيم اعوجاجه ويقضى على المحسوبية والحزبية والفوضى...

سعاد : هذا الحزب المصلح هو بالطبع الحزب الذى تنتمى أنت إليه ! ...

عز الدين : بالتأكيد ...

سعاد : إنى معجبة بإيمانك الأعمى به ...

عز الدين : وأنت ؟... ألا تؤمنين به ؟! ...

سعاد : إنى أؤمن بك أنك ...

عز الدين : إيماناً أعمى ؟ ...

سعاد : «تفكر قليلا» بل إيماناً مبصراً ...

عز الدين : لا ياسعاد !... لا أريد هذا الإيمان المبصر مع جامعية مثلك ! ... لأن عقلك الناضج على الرغم منك سيبصر عيوبى ...

سعاد : اطمئن !... عيوبك أراها وأعرفها ... وليس لها عندى أدنى تأثير ...

عز الدين : عيوبى ؟!... ما هى عيوبى ؟ ! ...

سعاد : كثيرة ... أخبرك عنها فيما بعد ...

عز الدين : متى ؟ ...

سعاد : عند ما يحين الوقت ... أنت أيضاً سوف تذكر لى عيوبى ...

عز الدين : ليس لك عيوب ...

سعاد : غير معقول ...

عز الدين: ثقى أنى أتكلم عن إيمان ...

سعاد : مثل إيمانك بحزبك ! ...

عز الدين : إنى أرى فيك كل شىء جميلا ... رفيعاً .. مهذباً ... كريماً ... لطيفاً رائعاً ... سامياً ... رقيقاً ... بديعاً ...

سعاد : العفو ... العفو هذا كلام رجل غير مسئول ! ...

عز الدين : غير مسئول ؟ ...

سعاد : غير مرتبط ! ...

عزالدين : هذا كلام صادر عن إخلاص تام ...

سعاد : آه لو استطاع هذا النوع من الأخلاص التام أن يعيش طويلا فى جو الحياة الزوجية !...

عزالدين : وبغير هذا الشرط ... إنه يسطيع أن يعيش جيدا فى حياة الصداقة ...

سعاد : « ممتعضة » أرأيت ؟ ... إنك تتحاشى معى دائما لفظ الزواج !

عزالدين : لم ألاحظ ... لم أقصد ...

سعاد : بل تقصد ...

عزالدين : سعاد ...

سعاد : ليست هـذه أول مرة ...

عزالدين : إنى ...

سعاد : أنت حر ...

عزالدين : ثقى يا سعاد إنى ...

سعاد : صه ! ... « الجرسون » قادم ! ...

يظهر الخادم وهو يحمل صينية عليها معدات الشاى ويضع فنجانين فوق المائده .. أمام كل منهما فنجان..: ويضع الأباريق وآنية السكر ... ثم يشير إليها بطرف عينه اشارة خفية نفهمها سعاد ؛ فتضغط على شفتها السفلى مشيرة إليه بالصمت .. ويذهب هو بعدئذ إلى آخر المكان ويتشاغل بمسح الموائد قليلا ،، ثم ينصرف

عزالدين : « يمد يده نحو الابريق » تريدين الشاى باللبن ؟ ...

سعاد : « تسرع إلى آنية السكر » لا...لا... دعنى أنا أتولى عنك ذلك...تريد قطعة واحدة من السكر كالعادة ! ...

عزالدين : نعم ...

سعاد : « وهى تحدق فى السكرية وتستخرج منها قطعة بالذات » قرب فنجانك!...
« تضع فيه قطعة للسكر ثم تتناول الابريق بسرعة وتصب » شاى بدون لبن طبعاً ...

عزالدين : طبعاً ... أشكرك ...

سعاد : « وهى تملأ لنفسها فنجانها » أما أنا فأعصابى لا تحتملى الشاى بغير قليل من اللبن ...

عزالدين : « وهو يقلب فنجانه بالملعقة » نعم . . . أعصابك يا سعاد فى حاجة إلى الهدوء !... إنك تغضبين لأقل سبب...

سعاد : متى غضبت ؟ ...

عزالدين : منذ لحظة ...

سعاد : أهو غضب ؟ ! ...

عزالدين : « وهو يجرع فنجانه » وما هو إذن ؟ ...

سعاد : يأس

عزالدين : «يسيغ الشاى بصعوبة »ماهذه المرارة ؟!..

سعاد : « فى شىء الاضطراب » مرارة الشاى...

عزالدين : أيمكن أن يكون الشاى مراً هكذا ؟ ! ...

سعاد : « تتمالك نفسها » الشاى فى مثل هـــذه الأماكن ليس فى الغالب من الصنف الجيد ...

عزالدين : « وهو يواصل الشرب » معقول...

سعاد : « تحدق فى وجهه » ؟ ...

عزالدين : « وهو يضع فنجانه وقد شربه » لماذا تنظرين إلى هكذا ؟ ...

سعاد : ماهو ... ما هو شعورك الآن ...

عز الدين: شعورى ؟ ..

سعاد : نعم ... أقصد شعورك العام ؟ ...

عز الدين: « باسما » بخير ...على كل حال ليس هو شعور اليأس ! ...

سعاد : لاشك عندى فى ذلك ... وما هو الموجب عندك أنت لليأس ؟...إن هذا الموقف هو وليد رغبتك أنت وإرادتك وتصميمك ...

عز الدين: أى موقف ؟

سعاد : أظن الإشارة تكفى ...

عز الدين: أتعتقدين أنى ذكى ؟...

سعاد : الموضوع لايحتاج إلى ذكاء..

عز الدين: الموضوع يا سعاد هو أنك تنظرين إلى الأشياء بمنظار أسود ...

سعاد : لا ... إنى لا أستخدم المنظار فى النظر إلى الأشياء .. إنى أبصر بالعين المجردة ... وأرى الأسود أسود ، والأبيض أبيض ... إنى حقاً يائسة... ولكنى لست متشائمة...إنى أرى الموقف على حقيقته ،ولكنى على الرغم من ذلك لم أقف مكتوفة اليدين ... نعم .. ثق أنى لست ممن يقفون أمام المصاعب مكتوفى الأيدى ...

عز الدين: ماذا أنت صانعة؟...

سعاد : صنعت وانتهى الأمر ...

عز الدين: صنعت ماذا ياسعاد ؟ ...

سعاد : فلنترك النتائج تتكلم..هلم بنا...

عز الدين: إلى أين ؟ ...

سعاد : (ناهضة) إلى بيتى ...

عز الدين: بهذه السرعة ؟ ... تعودين إلى البيت ...

سعاد : « وهى تتحرك مطرقة » أريد أن أخلو الى نفسى ...

عز الدين: انتظرى .. انتظرى حتى أدفع .. « ينادى » يا ... ياجرسون ، ...

الخادم : « يظهر مهرولا » افندم ..

عز الدين: حسابك ...

الخادم : عشرون قرشاً فقط ياسعادة البك ...

عز الدين: « وهو يدفع له النقود » على شايكم المر !...

الخادم : مر؟...

عز الدين: « وهو منصرف » حنظل ! ...

(يذهب عز الدين وسعاد ... ويبقى الخادم لينظف المائدة ويحمل الأباريق والفناجين وهو يغنى أغنيته الشعبية ... فيدخل عليه خادم آخر مسرعا ..)

الخادم الثانى : « للخادم الأول) ياعوضين !...

الخادم الأول: (نعمين) ! ...

الخادم الثانى : اسمح لى أقول لجنابك إنك حمار براسين !... وإننا جميعاً بإذن الله سندخل بسببك اللومان !...

[illegible] الأول: اللومان !...

[illegible]نى : الحكاية التى قلتها لى الساعة دارت فى مخى ... ووجدت فيها مسئولية علينا ... ست تعطيك قطعة سكر مشبوهة ... لتضعها بعد ذلك فى فنجان الافندى ... من أدرانا أنها ليست مسمومة ... إذا ظهر الأمر جريمة ... واتضح أن قطعة السكر التى سمت الأفندى

كانت فى السكرية تعلقنا ... أليس نتيجة ذلك ياعوضين ياحيوان إننا جميعاً نروح فى الحديد ...

الخادم الأول : يا نهار أغبر ... كلام تمام ... خصوصاً والأفندى قال ان الشاى مرحنظل !... والعمل!...والعمل ؟ . . نمسك الست السماوية ؟

الخادم الثانى : اصبر ... اصبر ... خد المسأله بالراحة .

الخادم الأول : قل لى الحل ؟

الخادم الثانى : الحل اننا نقول للافندى الحكاية التى حصلت بالتمام والكمال ... ونخلى مسؤوليتنا .

الخادم الأول : كلام طيب ... الأفندى واقف قدامنا مع الست تحت الشجرة... انتظرنى .

الخادم الثانى : « يستوقفه » أستقول له فى حضورها ؟ ! ...

الخادم الأول : وأضع أصابعى فى عينيها !

الخادم الثانى : حماراً ...

الخادم الأول : وآخرتها ؟ ! ... حيرتنى ! ...

الخادم الثانى : بالذوق . . . الذوق ليس أحسن منه . . . ناد الافندى هنـــا ، وفهمه فى السر ...

الخادم الأول : أناديه بأى طريقة ؟ ! ...

الخادم الثانى : يا حفيظ ! ... دماغك مقفول بقفل « مصدى » ! ... اتركنى أنا أتصرف ! ...

الخادم الأول : تصرف ياسيدى ! ...

الخادم الثانى : « يتجه إلى آخر المكان وينادى » ياحضرة الافندى ...ياحضرة

البك ... تسمح هنا دقيقة ... حصل غلط فى الحساب !...

الخادم الأول : «وهو ينظر إلى جهة الشجرة فى الخارج» العقل زينة ! ... الله ينور عليك يا «أبو درش» !... الأفندى سمع كلامك ... وجعل الست تنتظر تحت الشجرة ... وأقبل جهتنا ...

الخادم الثانى : مهمتى أنا انتهت... عليك انت الباقى !.. قل له ماحصل بالضبط... لازائد ولا ناقص . . .

الخادم الأول : وانت ؟...

الخادم الثانى : موجود ... اسمع لا غير ...

الخادم الأول : تسمع وتسندنى عند اللزوم..

الخادم الثانى : عند حصول «تلبيخ» من جنابك ...مفهوم ...

« عز الدين يظهر ... »

عز الدين : «للخادم» من الذى غلط فى الحساب ؟! . أنا ... أو انت ؟! ...

الخادم الأول : الحساب مضبوط ياسعادة البك... الغرض كله إننا نقول لحضرتك كلمة صغيرة فى السر . . .

عز الدين : كلمة ؟ . تفضل !

الخادم الأول : « يتنحنح» المسألة بسيطة جداً. . ولا نحب أن نطيل عليك . . . الست التى كانت هنا مع حضرتك وضعت لك السم فى فنجان الشاى . . .

عز الدين : « صائحاً » السم ؟! . .

الخادم الثانى : « يتدخل بسرعة » اهدأ يابك .. زميلى غلط فى الكلام .. . إنه يريد أن يقول إنها وضعت شيئاً فى الفنجان .. . وهذا الشيء

لا يعرف حقيقته أحد منا ... وليس من حقه أن يقول أنه سم أو غير سم...

عز الدين : « مضطربا » وضعت لى السم ؟ ! ...

الخادم الأول : لا ياسعادة البك ... ليس هذا قصدى .. الحكاية انها وضعت لك قطعة سكر من عندها ... لامن عندنا ... فإذا حصل لجنابك شيء فنحن غير مسئولين ! ...

عز الدين : « كالمخاطب نفسه » سمتنى ؟ . . . سعاد ؟ . . . « يرتمى على كرسى ويمسك ببطنه »...

الخادم الثانى : تنزعج ياسعادة البك هكذا ؟ ... مادمت لم تشعر بشيء للآن ...

الخادم الأول : البك قال انه شعر بطعم الشاى فى مرارة الحنظل ...

عز الدين : نعم ... نعم ... فهمت الآن ... فهمت ...

الخادم الأول : الشاى لا يمكن أن يكون فى مرارة الحنظل أبدا ...

الخادم الثانى : اسكت انت ....

عز الدين : البوليس ! ... استدعوا البوليس ! . .

الخادم الثانى : هل تشعر جنابك الآن بشيء ؟ !...

عز الدين : « وهو ممسك ببطنه » مغص ...

الخادم الأول : مغص ؟ ! ...

عز الدين : « صائحا » طبعاً ... إنى مسموم ...

الخادم الأول : « فى حيرة » والعمل ؟...

عز الدين : « صائحاً » طبيب ... استدعوا الطبيب ! ... ألا يوجد بالقرب من هنا طبيب ؟ ! ...

الخادم الثانى : نطلب الأسعاف بالتليفون ؟ ! ...

عز الدين : نعم ... الأسعاف ...

الخادم الثانى : بسرعة يا عوضين ... اطلب الأسعاف بالتليفون وبلغ نقطة بوليس الزمالك ! ...

الخادم الأول : يا للكارثة ! ... مصيبة ونزلت علينا فى الجنينة ...

الخادم الثانى : من عقلك الوسخ ! . . . لو كنت قلت لى ساعة الست ما سلمتك الورقة الملفوفة ، كنا عرفنا نتصرف...ونمنع القدر قبل وقوعه...

الخادم الأول : نمنع القدر ؟... المكتوب على الجبين تراه العيوان ولو بعد حين!...

الخادم الثانى : أهذا وقت الأمثال والمواعظ ؟ ... أسرع ياعوضين... الأفندى وجهه أصفر « كركم » ! ...

الخام الأول : « وهو يتحرك مسرعا » رقم الأسعاف كم ؟ ...

الخادم الثانى : اسأل السنترال يا أخى ! ...

الخادم الأول : « يرى سعاد مقبلة » الست !...

سعاد : « تدخل مسرعة » ما هو الموضوع ؟ .. ماذا حصل يا عز الدين؟!...

الخادم الأول : قطعة السكر اياها !...

سعاد : أقلت له ؟ ! ...

الخادم الأول : طبعاً قلت له...الحكاية كبيرة...وفيها مسئولية علينا ! ...

عز الدين : « لسعاد » وضعت لى هذه القطعة فى الفجنان ؟ ...

سعاد : نعم يا عز الدين وضعتها ...

عز الدين : معترفة ! ... اذهبي إذن ... بل ابقى ... وانتظرى البوليس ...

سعاد : البوليس ! ؟..

عز الدين : هذا هو تصميمك إذن ؟ أن تقتليني بالسم ...

سعاد : ما هذا الذى تقول ؟ ! ...

عز الدين : فهمت الآن ... الآن بعد فوات الأوان . . . قولك إنك لن تقفى منى مكتوفة اليدين ...

سعاد : أقتلك بالسم ؟! ... أأنت جننت ؟...

عز الدين : « صائحاً » أحشائى ستتمزق بعد قليل ... اصنعوا شيئاً من فضلكم... ولا تقفوا هكذا تشاهدون!...

الخادم الثانى : « صائحاً » الأسعاف يا عوضين ! ...

سعاد : « للخادم مستوقفة » انتظر ... « تقترب من عز الدين كالوالهة » عز الدين ... عز...ماذا أسمع ؟...أأنت جاد ؟ ...أتؤلمك أحشاؤك حقاً ؟ ... هذا مستحيل ... ماذا تناولت ؟ ... ماذا شربت ؟...

عز الدين : لم أشرب غير الشاى الذى وضعت لى فيه أنت قطعة السم . . .

سعاد : ما هذا الهراء ! ...

عز الدين : ابتعدى عنى ... ابتعدى ... ابتعدى ...

سعاد : أبتعد عنك يا عز؟ ! ... أهذا معقول ؟ ! ...

عز الدين : ماذا تريدين منى بعد ذلك ؟...روحى وانتزعتها منى...فى سرية...

سعاد : « وهى تلتفت إلى المائدة » اين الفنجان ؟ ... فنجانك الذى شربت منه ؟ ! ...

عز الدين : لا ... لا تلمسيه قبل الشروع فى التحقيق ! ...

سعاد : « تسرع إلى التقاط الفنجان » أى تحقيق ؟ ... لا تفقد صوابك يا عز الدين بهذه السرعة ... أليس هذا فنجانك الذى شربت منه

الساعة ؟ ! ...

عزالدين : نعم هو بعينه ... لأنه بدون لبن ...

سعاد : انظر لا تزال فيه بقية لم تشربها أنت... بقية تقرب من النصف !...

عز الدين : ماذا أنت صانعة ؟...

سعاد : هذا ... « تتجرع بقية الفنجان دفعة واحدة » ...

عزالدين : «مأخوذاً » السم ... أنت أيضاً ؟ ...

سعاد : نعم لنموت معاً ... استرحت الآن!...

الخادم الأول : الله ! ... كمثل رواية السيما يا «أبو درش» ! روميو وجوليت ! .

الخادم الثانى : هس ! ... اسكت انت ...

الخادم الأول : ومركزنا فى الحكاية ؟ ...

الخادم الثانى : « يشير إليه بأصبعه على فمه » قلت لك : اسكت !...

سعاد : « لعز الدين المأخوذ » استراح بالك ياعز الدين ؟ ! ...

عز الدين : «يفيق» أبداً ...نموت معا ؟ ... وما ذنبى أنا أموت ... ومن قال لك إنى أريد أن أموت ؟ !... وبأى حق تفعلين هـــذه الفعلة بدون رأيى ... وتنقليننى من هذا العالم بدون إذنى . . .

سعاد : أليس لى الحق لو كنت زوجى أن أنقلك من شقة ضيقة إلى شقة أوسع بدون اذنك؟...

عز الدين : شقة أوسع ؟ . . .

سعاد : جداً...جداً ... وهل هناك أوسع من العالم الآخر ؟ ... هناك على الأقل لا نحتاج إلى عقد زواج لنكون معاً طول الوقت . . . إلى أبد الآبدين . . .

عز الدين : « صائحاً » يا للمصيبة ...

سعاد : بالعكس...إنها السعادة ...

عز الدين : «صائحا» ياجرسون ... بوليس ...

سعاد . «صائحة» يا جرسون...قهوة ...

الخادم الأول : «للخادم الثانى» رأيك... أحضر أى طلب ؟...

الخادم الثانى : احضر الطلب الذى فيه «بقشيش» ...

الخادم الأول : «صائحاً» اثنين قهوة...

عز الدين : « صائحا » لا أريد الموت . . . لا أريد أن أموت ، وأنت أيتها السفاكة ... من أى شيء أنت مصنوعة ؟ ... ألا تخافين الموت ... ألا تشعرين بمغص ؟ ... لماذا لم تخبرينى قبل ارتكاب الجريمة ... ثقى أنى كنت تزوجتك فى الحال ... وارتبطنا فى هذه الحياة خيراً من الارتباط فى حياة الأبد ! ...

سعاد : حقاً ... كان ارتباطك فى الحياة المؤقتة أهون لك وأخف وطأة لأن الأبد طويل . . . ولكن ما الحيلة معك وقد كنت تراوغ وتتهرب من مجرد لفظ الزواج . . . من لم يرض بالخوخ يرض بشرابه !...

عز الدين : ليتنى رضيت بالخوخ وبالقطران ايضا!.. آه لا أريد الأبدية ؟... لا أريد أن أموت...

سعاد : حتى ولا معى؟...

عز الدين : لامعك ولا بمفردى... الروح حلوة أريد أن أعيش ...

سعاد : معا... فى هذه الدنيا ... هذه الشقة الصغيرة ؟...

عز الدين : معاً ولو على قارعة الطريق...

سعاد : ستعيش ياعز ...

عز الدين : أعيش ؟...والسم ؟ ...

سعاد : لا يوجد سم...

عز الدين : والمغص ؟...

سعاد : لا يوجد مغص ... هو الوهم ... إنى واثقة أنه الوهم ..

عز الدين : وقطعة السكر التى وضعتها لى فى الفنجان ؟ ...

سعاد : لا يوجد فيها أى مادة ضارة!...

عز الدين : وما هو الدليل ؟...

سعاد : لو كان فيها ما يضر لما شربت بقية فنجانك ، مهما تكن النتيجة ...

عز الدين :معقول ...

سعاد : (للخادمين الواقفين) هل تريدان أن تتفرجا وتشاهدا فصلا آخر ؟ ...

الخادمان : (فى ارتباك) لا ... يا ست...

سعاد : أسرعا إذن بالقهوة ، سكر على الريحة ...

« الخادمان يخرجان ... »

عز الدين : (فى شك) أقسمى لى ياسعاد إنك لم تسممينى ...

سعاد : أسمك ؟ ... أليس لك عقل يفكر ؟ . . . بالعقل والمنطق ما هى مصلحتى فى ذلك ؟ ...

عز الدين : اليأس منى ! ...

سعاد : اليأس منك ملأ نفسى حقاً . . . ولكن هذا اليأس لا يمكن أن

يدفعنى إلى قتلك أنت... بل قد يدفعنى إلى قتل نفسى ...

عز الدين : معقول... فضلا عن أن كل هـذا لا يحل الموضوع... ولا يقدم ولا يؤخر...

سعـاد : بالضبط...

عز الدين : كان الأمر إذن دعابة...

سعـاد : نعم ... لا أكثر ولا أقل ... وقد أثمرت الدعابة ... وحصلت بفضلها على موعد منك صريح...

عز الدين : أى وعـد صريح ؟ ...

سعـاد : ألم تقل الآن انك تريد الارتباط بى فى هـذه الدنيا... هذه الشقة الصغيرة... ولو على قارعة الطريق ...

عز الدين : أصدقت هـذه الدعابة ؟ ...

سعـاد : أكانت دعابة ؟ . . .

عز الدين : طبعاً ... دعابة رداً على دعابتك ... « خالصين » ! ...

سعـاد : متشكرة جداً ! ...

عز الدين : العفـو . . .

سعـاد : هكذا رجعت سريعاً فى كلامك . . . وحنثت بوعدك . . . لم يكد يعود إليك الإطمئنان على حياتك الضيقـة ، حتى بادرت تطرد منها أخلص الناس إليك!...

عز الدين : أعدت إلى اليأس منى؟...

سعـاد : « بعزم » ... ولكن محال أن أسلم بالهزيمة... أو أركن إلى الفرار ... إنك ملكى... وفى قبضتى... على الرغم منك ...

عز الدين : على الرغم منى ؟ ...

سعاد : وعلى الرغم منى أنا أيضاً ... فأنا كالمصيدة ... وأنت كالفأر ... فما أنا بمستطيعة أن أفتح بابى لأطلقك... وما أنت بمستطيع أن تخرج من تلقاء نفسك...لم تعد لنا إرادة فى الأمر...

عز الدين : « كالساحر » منذ متى؟...

سعاد : منذ لحظة ...

عز الدين : شيء عجيب ! ... ما الذى حدث منذ لحظة ؟ ...

سعاد : وسيلة فعالة اتخذتها . . . ألم أقل لك إنى لن أحجم عن اتخاذ أى وسيلة ؟...

عز الدين : ما هى هذه الوسيلة؟...

سعاد : وضع تلك القطعة فى فنجانك...

عز الدين : آه...عدنا إلى تلك القطعة الملعونة...

سعاد : لا تخف ... قلت لك ليس فيها ما يضر ... ولكن قد يكون فيها ما يخجل ...

عز الدين : يخجل ؟... يخجل من ؟...

سعاد : يخجل انسانة مثلى ...

عز الدين : لست أفهم !...

سعاد : فى هذه القطعة سحر ... أو على الأصح عمل ... كما يقولون ... نعم... فيها طلاسم وتمائم وأشياء لا أفهمها مما يكتب على الأحجبة قيل لى إنها مجربة ومضمونة التأثير . . .

عز الدين : لمن هذا ؟ . . .

سعاد : لك أنت بالطبع ...

عز الدين : تسحرينني ؟ ! ...

سعاد : أسحر إرادتك ... لتقدم وتتشجع وتتزوج ! ... هـــذا كل ما فى الأمر !...

عز الدين : يا للسخافة !... أنت تفعلين هذا ؟ ... فتاة مثقفة مثلك ... درست فى الجامعة... تلجأ إلى السحر والتنجيم ؟ ...

سعاد : احتقرتنى ؟ ...

عز الدين : تفعلين مايفعله العامة والجهلاء ؟!...

سعاد : أفعل كل شىء فى سبيل الحصول عليك ...

عز الدين : سعاد ... إنى لا أستطيع أن أتصور ذلك ...

سعاد : ضع نفسك فى محلى تجد هذا طبيعيا ... انك لى ياعز كل شىء ... انك كل هدفى فى الحياة ... انك تذهب إلى عملك فتفكر فيه وأنا كل عملى الذى أفكر فيه هو أنت ... انت أمسى ويومى وغدى ... وأفقى الذق أتطلع إليه فى كل شروق وكل غروب ...

عز الدين : أنت ؟ ... انت ياسعاد تؤمنين حقا بهذه الخرافات ؟...

سعاد : أو من بكل مايوصلنى إليك ؟ . كل إنسان يؤمن بما يحقق له أمله ... أنت ياعز ... لماذا تؤمن بحزبك ؟ ... أليس لأنه سيوصلك إلى هدفك فى الترقية ! ...

عز الدين : أو تقارنين حزبى المصلح بسحرك وتنجيمك !...

سعاد : انك ترى حزبك مصلحا ، لأنه سيقضى على محسوبية الآخرين حقاً ، ولكن لمصلحة محسوبيتك أنت ! ... ثق ياعـــز أنه ليس

من السهل التجرد من ذلك . . كل شيء صالح ... وكل شيء مصلح وكل شيء فيه صلاح وإصلاح مادام في مصلحتنا ! ...

عز الدين : كلام فارغ ! ...

سعاد : لاتخدع نفسك ؟ ... إن الله تعالى نفسه لايؤمن به بعض الناس إلا لاعتقادهم أنه سيحقق لهم أمانيهم ... إن المجرم على حبل المشنقة له أمل في الله أن يغفر جريمته ويدخله آخر الأمر جنته . لولا ذلك ماهتف باسمه في آخر لحظاته ... ليس على الأرض إنسان يرفض الإيمان بما فيه النفع له ! ...

عز الدين : لا ... لا تحاولي أن تبرري التجاء مثلك إلى السحر والتنجيم ! ...

سعاد : وما الضرر في هذا الالتجاء ، إذا كان فيه فرصة للنجاح ، ولو بمقدار واحد في المائة ...

عز الدين : ماهذا الخبل ... فرصة للنجاح ... أنت إذن مصرة على أن هذه التمائم والتعاويذ يمكن أن تؤدي إلى نتيجة ...

سعاد : وأي نتيجة ... نتيجة باهرة يحار لها العقل ... وقريباً جدا . . . أقرب مما تظن ومما كنت أظن ... الآن على الأخص أدركت أن لها مفعولا عجيباً ...

عز الدين : مفعولا عجيباً ..

سعاد : نعم . . . بدأت أشعر بذلك الآن . . . أنسيت أني شربت ما بقي في الفنجان ... هذا الباقي لم يكن بالقدر القليل ... إنه يكاد يساوي القدر الذي شربته أنت ...

عز الدين : بدأت تشعرين بماذا ...

سعاد : بدأت أشعر بنوع من ... من إحساس غريب ... لا أدرى كيف أصفه ... وأنت ... ألم تشعر بعد بشيء ...

عز الدين : لا ...

سعاد : «تحملق فيه جيداً» أأنت متأكد..

عز الدين : بماذا تريدين أن أشعر ...

سعاد : لابد أن تكون الآن قد بدأت تشعر بشيء ...

عز الدين : شيء مثل ماذا ...

سعاد : مثل الذى أشعر أنا به ...

عز الدين : وما الذى تشعرين أنت به! ...

سعاد : جفاف..أشعر بجفاف فى حلقى..

عز الدين : «يبلع ريقه» عجباً ! ... أنا أيضاً أشعر بجفاف فى حلقى ...

سعاد : «فى لهجة الانتصار» أرأيت ...

عز الدين : حقاً .. «يتنبه فجأة» انتظرى ... أتضحكين من ذقنى...هذا الجفاف فى الحلق لابد أن يكون من الشاى المر الذى تجرعناه معاً ...

سعاد : «بخبث» طبعاً ... وهل قصدت أنا غير ذلك

عز الدين : آه ظننت أنك تقصدين شيئاً آخر ...

سعاد : لا ... ثق أنى مخلصة فى كل مشاعرى ... ولا يمكن أن أتحدث إليك إلا عما يخالجنى حقيقة من ظواهر وإحساسات وأعراض ...

عز الدين : هذا الجفاف علاجه سهل ... «ينادى» يا جرسون ...

الخادم الأول: «من الخارج صائحاً» حاضر ... «ثم يظهر»

عز الدين : كوبين من الماء ...

سعاد : والقهوة؟... ألم نطلب قهوة؟ ...

الخادم الأول: قهوة ؟... الطلب جد ؟...

سعاد : طبعاً جد...وهل بيننا مزاح ؟...

الخادم الأول: « وهو يخرج » حاضر ... حالا ... لا مؤاخذة ... حسبتها مداعبة بينكما داخلة فى القصة ...

عز الدين ! «وهو ينظر إلى الخادم المنصرف» مداعبة بيننا ؟ ...

سعاد : هكذا يخيل إليهم . . . أما أنا فلم أكن فى أى لحظة من اللحظات جادة معك ، مثلما أكون الساعة . . .

عز الدين : «يفكر فى كلامها ملياً» وهل هذا من الصواب ؟ . .

سعاد : ربما كان هذا فعلا من الخطأ أو من الجنون ... ولكن الذى وقع قد وقع . . . ولم تعد لنا حيلة فى رد القضاء . . . ومن يدرى ؟ ... ربما أندم يوما على هذه الفعلة...

عز الدين : أى فعلة

سعاد : هذا السحر الذى سيربطنى بك...

عز الدين : وهل هو سيربطك بى ؟ ! . . .

سعاد : هذا مؤكد ...

عز الدين : متى ؟...

سعاد : « تنظر إلى الساعة فى معصمها » فى ظرف نصف ساعة ! . . .

عز الدين : شىء عجيب !...

سعاد . لا تعجب كثيراً . . . هناك أسرار فوق أفهامنا . . . والقوى التى تؤثر فى النفوس لا تدركها دائماً عقولنا . . . وليس هاهنا

مجال شكى ... إنما بدأت أشك فى مصلحتى أنا فيما أقدمت عليه ؟ ! ...
هل ارتباطى بك أنت بالذات أمر كان ينبغى أن أسعى إليه ؟ ! ...

عز الدين : هكذا بهذا السرعة تندمين على الارتباط بى ؟ ! ...

سعاد : هذا ما يدهشنى أنا نفسى ؟ ...

عز الدين : إن للعصفور بهجة حتى يقع فى اليد ، ... أليس كذلك ، ؟...

سعاد : نعم ... الآن وأنت فى يدى بدأ إدراكى يتسع وعينى تتفتح ...
وأراك على حقيقتك ... من أنت ! ... وماقيمتك ! ... ومافائدتك
لى ... بدرجتك الخامسة الإدارية ؟ ...

عز الدين : والقلب يا سعاد ... أليس له صوت فى كل هذا ؟ ...

سعاد : أى قلب ؟ ...

عز الدين : ذلك الذى كان يقول منذ قليل إن عز هو كل عملك الذى تفكرين فيه ... هو أمسك ويومك وغدك ... وهو أفقك الذى تتطلعين إليه فى كل شروق وكل غروب ...

سعاد : لعل صوت القلب هو الذى يستطيع أن يخفت صوت الندم . . .

عز الدين : صوت الندم ... ما هذا الكلام الجديد ... أهذا يا سعاد حقا شعورك الأخير ...

سعاد : نعم ...

عز الدين : يا للعجب ! .. ألم نشرب معا من فنجان الشاى ؟ ! لماذا لم أشعر أنا إذن بشعورك هذا ؟ ! ...

سعاد : ليس لهذا الشعور دخل فى الشاى الذى شربناه ... إنما هو صادر عن عواقب تحقق الأمنية ! ...

عز الدين : وإذا كنت نادمة ياسعاد فلماذا نقدم على الزواج ؟ !

سعاد : وكيف نستطيع الرجوع ؟ ! ...

عز الدين : أهو قد تم ؟ ! ...

سعاد : أولا تشعر بذلك الآن ؟

عز الدين : وأنت ؟ ...

سعاد : إنى أشعر ...

عز الدين : تشعرين بماذا ؟ ...

سعاد : أشعر ... نعم أشعر تماما ... هذا الآن واضح ... مفعول الشاى قد سرى فى نفسى ... ولا سبيل إلى الانكار ... كل كيانى خاضع فى هذه الدقيقة لقوة لا أستطيع تعليلها ولا دفعها ... لابد أنك تشعر ياعز فى هذه اللحظة ... أنت أيضاً ... بعين هذا الشعور ...

عز الدين : أى شعور ...

سعاد : عجيبة ! ... ألم تشعر بعد ؟

عز الدين : بماذا ؟. أخبرينى بماذا؟..أرجوك؟..

سعاد : هذه القوة الخفية ...

عز الدين : أى قوة خفية ؟ ...

سعاد : مستحيل ... مستحيل ... إنك تنكر ... إنك تكابر ... أيمكن أن أحسن هذا وحدى من دونك ... وقد شربنا ذلك الشاى معا ! ...

عز الدين . صفى لى هذا الشعور ، ربما كان عندى ولا أعلم .

سعاد : هو نوع من إحساس غامض ، يستولى الساعة على نفسى ... وكأنه يصيح بى ... من أعماق كيانى ... هذه الصيحة الخافتة : « عز

وسعاد شيء واحد ... عز وسعاد مرتبطان »

عز الدين : هذا صحيح ... إنى فعلا أحس الآن أننا قريبان جداً ... أحدنا إلى الآخر ...

سعاد : أرأيت ؟ ...

عز الدين : أرى هذا واضحاً فى هذه اللحظة ...

سعاد : لم يعد سبيل إلى الشك فى هذا الإحساس ...

عز الدين : حقاً ...

سعاد : انه شيء أقوى منا ياعز ...

عز الدين : حقيقة ... أقوى منا ...

سعاد : عز وسعاد مرتبطان ...

عز الدين : نعم ... عز وسعاد مرتبطان ...

سعاد : آمنت بمفعول السحر ؟ ...

عز الدين : السحر ؟ ... لا تقولى هذا الكلام الفارغ ... ولاتشوهى جمال هذه اللحظة بهذه الدعابة التافهة ... أنى أشعر حقاً أن شيئاً يربطنى إليك الآن برباط قوى ... ولا أحسبنى سأندم على الزواج منك ، كما ندمت أنت منذ قليل ... انى فى الواقع لن أعطيك الآن غير درجتى الخامسة الإدارية ... ولكن من يدرى ... من يدرى ماذا يعطينا الغد ! ... آمنى بى ياسعاد ... انى فى حاجة إلى إيمانك بى... قولى إنى أمسك ويومك وغدك ، حتى أستطيع أنا أن أؤمن بنفسى وغدى ... وأرجوك ... أرجوك أن لاتندمى مرة أخرى على هذا الإيمان بى .

سعاد : أخشى أن تندم أنت على كلامك هذا ، بعد أن تغادرنى إلى بيتك الآن ...

عز الدين : لن أغادرك إلا إلى بيتنا ...

سعاد : بيتنا ! ...

(الخادم الأول يدخل حاملا
صينية القهوة والماء ...)

الخادم الأول : القهوة ... سكر على الريحة ...

عز الدين : « ناهضاً » اسمع ياجرسون ... ألا يوجد بالقرب من هنا ...

الخادم الأول : « فزعاً » خير إن شاء الله ...

(عز الدين ينتحى بالخادم ناحية
ويهمس فى أذنه بأمر ...)

الخادم الأول : حاضر ... حالا ... تسمح دقيقة ... زميلى يعرف ... « يتجه إلى أقصى المكان وينادى » يا « أبو درش » . .

الخادم الثانى : « من الخارج » نعم ياسى عوضين ! ..

الخادم الأول : « بصوت خافت ويدارى فمه بكفيه » تعالى بسرعة ... إليك الزبون إياه الموجود مع الست سألنى : يوجد بالقرب من هنا ...

الخادم الثانى : « من الخارج » مفهوم ... مفهوم .. مفهوم .. بوليس ! .. اسعاف ؟.

الخادم الأول : لا يأخى لا .. لا .. المسألة كبيرة ..

الخادم الثانى : « يدخل بلهفة » حانوتى ؟ .

الخادم الأول : « بصوت خافت » مأذون !

الخادم الثانى : « يبتسم بهدوء » « كويسة » ! ..

« ستار »

١٥ – من وحى النماذج البشرية

الحب العذرى

قصة تمثيلية فى فصل واحد

بهو قديم الرياش فى منزل الثرى المعروف عبد الغنى بك خليل ... وقد جلس فى صدر المكان كهلان جليلا المظهر ينتظران .. هما رئيس حزب التقدم الوطنى .. وسكرتير الحزب العام .. وهما يرسلان النظر إلى سلم كبير يؤدى إلى الطابق الثانى .

رئيس الحزب : « همساً لزميله » هل تظن أننا سننجح مع مثله ؟ ...

السكرتير العام : المسألة تتوقف على مقدار لباقتنا ...

رئيس الحزب : نعم... إنه ذكى...فطن...وفى منتهى الخبث ! ...

السكرتير العام : خسارة !... مثل هـذا الرجل ... مع ثروته الضخمة ... ولا زوجة عنده ولا ولد ولا بنت...كان يستطيع أن يلعب أكبر دور سياسى فى البلاد ...

رئيس الحزب : حذار من أن تشير إلى ثروته ونحن نتفاوض معه ؟ !...

السكرتير العام : أعرف...أعرف...

رئيس الحزب : وإياك ان تغلط وتذكر كلمة «النقود» على وجه العموم ...

السكرتير العام : أتوصينى أنا يا باشا ؟ .. ثق أنى أعرفه ... اعرفه جداً ...

« يلمحان الخادم ويهبط السلم ... »

رئيس الحزب : «للخادم»هل أخبرت البك بوجودنا ؟ ..

الخادم : سعادة البك لبس ... ونازل حالا ...

السكرتير العام : «للخادم» كوب ماء من فضلك ! ..

الخادم : أحضر قهوة ؟ ...

« يظهر عبد الغنى بك نازلا السلم »

عبد الغنى بك : «صائحاً» يا بسطويسى!...

الخادم : «يلتفت» افندم سعادة البك !...

عبد الغنى بك : أين ... أين ؟ ...

الخادم : القهوة ؟...

عبد الغنى بك : وما مناسبة القهوة ؟!.. الباشوات ؟ ... أين الباشوات ؟ ... «يراهما فيصيح» اهلا وسهلا . . . اهلا وسهلا . . . اقطاب حزب التقدم الوطنى ... فى بيتى ياله من شرف عظيم ! ...

« الجميع وقوف يتصافحون »

الخادم : أحضر القهوة ؟ ...

عبد الغنى بك : « يلتفت إليه » هل احد طلب منك ؟...

رئيس الحزب : «بسرعة» لا ... نحن لم نطلب شيئا ... هذا اقتراحه هو من تلقاء نفسه!..

سكرتير الحزب : أنا طلبت كوب ماء فقط ...

عبد الغنى بك : «للخادم» أسمعت ! ؟...

الخادم : « وهو ينصرف » حاضر ...

عبد الغنى بك : رح الله لا يرجعك!... هؤلاء الخدم هم سبب أمراضنا ... يزعمون أن القهوة تكريم للضيف ... وما هى إلا سم يفسد أعصابه ... وينبه معدته ... ويتلف كبده ... ويربك أمعاءه ...

رئيس الحزب : صدقت والله يا عبد الغنى بك ... أنا من رأيك ... إنها مضرة بالصحة ... إذا شربت والمعدة خالية فإنها تقطع الشهية وتصد النفس عن الأكل ! !

عبد الغنى بك : بالعكس يا باشا ... بالعكس ... إن هذه الملعونة إذا أخذت قبل الأكل فإنها تفتح الشهية... وإذا شربت بعده فإنها تهضم الطعام..

رئيس الحزب : إذن هذه مزية ...

السكرتير العام : « يتنحنح » لا ياباشا .. . سرعة الهضم تؤدى إلى الرغبة فى الأكل والأكل هو بيت الداء كما لا يخفى عليك ! ...

رئيس الحزب: « مستدركا » صحيح ... صحيح ...

عبد الغنى بك : «مرحبا» أهلا وسهلا ...

السكرتير العام : « يخرج علبة سجايره ويقدم إلى عبد الغنى بك» سيجارة ؟...

عبد الغنى بك : أنا لا أدخن لأن التدخين...

السكرتير العام : مفهوم ...

رئيس الحزب : مثلى تماما ... أنا أيضا قليل التدخين... لأنى أراه متعباً للصدر...

السكرتير العام : «وهو يضع سيجارة فى فمه» عبدالغنى بك رجل العقل والاعتدال ..

رئيس الحزب : من أجل هذا فكر حزبنا فيه... وندبنا اليوم لكى نطالبه بأن ينفع الحزب وينفع البلد بمزايا شخصيته النادرة !!...

عبد الغنى بك : العفو ...العفو ... أنا فى الخدمة... ماهو المطلوب منى...

رئيس الحزب : أن تتفضل وتقبل ترشيحك أميناً لصندوق الحزب . . .

عبد الغنى بك : «متوجساً» صندوق الحزب !...

السكرتير العام : هذا مركز ممتاز لا يستطيع أن يملأه غيرك ! !...

عبد الغنى بك : « بخوف » يملؤه ... يملأ ماذا ؟..

رئيس الحزب : « مبادراً» المركز ... المركز طبعاً ...

عبد الغنى بك : والصندوق ... هذا الصندوق ... هل يوجد فيه الآن ... شىء ؟..

السكرتير العام : « وهو يبادل الرئيس النظرات » طبعاً ... أموال الحزب ...

عبد الغنى بك : ولماذا وقع اختياركم علىّ بالذات ! ...

رئيس الحزب : لأنك شخصية مرموقة .. لا يصح أن تبقى بمعزل عن سياسة البلد . حقيقة أنت عضو فى مجلس الشيوخ .. ولكن مثلك يجب أن يساهم فى الحكم الفعلى ...

السكرتير العام : إننا نرشح وزراء ، رجالا أقل منك حنكة وخبرة .. فكيف لا يتجه التفكير إليك ؟ ...

رئيس الحزب : واجبى كرئيس حزب أن أتقدم وأمد لك يدى ... فإن واجب الأحزاب الحية العاملة أن تختطف الكفاءات ... وتدفع بها إلى حكم البلاد ...

السكرتير العام : حزبنا سيشترك فى الحكم قريباً ...

رئيس الحزب : لقد أعددنا قائمة وزرائنا ... ولكن نسأل الله ياعبدالغنى بك أن تكون وزيراً معنا ... لوزارة الخارجية مثلا !

عبد الغنى بك : (صائحا) الخارجية ! ؟ لا ... لا ... لا ... هذه وزارة الولائم والحفلات ..

رئيس الحزب : أمرك ... أمرك أمرك ... فلتكن إذن وزارة الأوقاف ...

عبد الغنى بك : الأوقاف ؟ ! ... لا ... لا ... لا ... هذه وزارة الشحاذين والصدقات ...

السكرتير العام : (بسرعة) أنا أعرف طلب عبد الغنى بك ... ماقولك ياعبد الغنى بك فى وزارة المواصلات ؟ ... إنك فيها تستطيع أن تركب بالمجان فى جميع القطارات ؟ ! ... مدى الحياة ... بدون أجر ... مدى الحياة ...

عبد الغنى بك . حقا ... هذه وزارة لاترفض ! ...

رئيس الحزب : اتفقنا إذن ؟ ! ...

عبد الغنى بك : أطلب بعض الإيضاح ... أنا كما تعلمون رجل أميل إلى البساطة...

وأمقت الترف ... واخشى أن يتطلب الحكم نوعا من الأبهة منه طبيعتى ...

رئيس الحزب : لاتخش شيئاً ... فى إستطاعتك أن تحتفظ ببساطتك ... كما أن فى استطاعتك ، إذا أردت المستقبل السياسى العظيم ، أن تنفق

عبد الغنى بك : « مرتعدا » أنفق ...

رئيس الحزب : « بإغراء » بعض المال ... أو الكثير من المال ... وكل كثير بالنسبة إلى ثروتك قليل ، وأنت وحيد ، لا بنت لك ولا ولد، فما نفع المال لك بالقياس إلى المجد الذى ينتظرك ...

عبد الغنى بك : ومن قال لكم انى صاحب مال ؟ ...

رئيس الحزب : هذا شىء معروف ...

عبد الغنى بك : فهمت ... هذا إذن هو بيت القصيد ! ...

السكرتير العام : لا ... نحن لم نقصد ذلك ... قصد الباشا الرئيس هو الكلام على وجه العموم فى الوسيلة العملية للوصول اليوم إلى السلطة ...

عبد الغنى بك : المال ؟ ... ألا توجد وسيلة أخرى ...

رئيس الحزب : هذه أرخص وسيلة لشراء قلوب الناس ، وألسنتهم وحناجرهم وعقولهم ، وهذه القلوب والألسنةوالحناجر والعقول هى رصيد كل من يطمع فى السلطان والنفوذ ...

عبد الغنى بك : اللهم احفظنا ! ... اللهماحفظنا! ...

رئيس الحزب : يحفظك من النفوذ والسلطان ! ...

عبد الغنى بك : بل من ... من ...

رئيس الحزب : من دفع الثمن ! ...

عبد الغنى بك : لعنة الله على الناس ... وعلى هذا الجشع ... وعلى هذا الجوع.
يحبون بالنقود ... ويؤيدون بالنقود . ويقتنعون بالنقود ...
وكل شيء عندهم نقود ... نقود ... نقود ...

رئيس الحزب : هذا من حسن حظك ... لولا ذلك لما كان لمثلك أن يأمل فى أن يحبه إنسان ... أو يعجب بعقله مخلوق ! ...

عبد الغنى بك : ماذا تقول ياباشا ؟ ... ألم تؤكـد لى الآن أن حزبكم يرشحنى لكفاءتى وحنكتى وخبرتى ! ...

السكرتير العام : طبعاً ... طبعاً ... الباشا لا يعنيك أنت بالذات ... بل هو يتكلم كلاماً عاماً ...

عبد الغنى بك : أنتم إذن ترشحوننى لشخصى ...

السكرتير العام : لشخصك طبعاً ... ولا شيء غير شخصك ...

رئيس الحزب : اختيارنا لك هو اختيار عذرى ...

السكرتير العام : بالضبط ... مثل الحب العذرى ! ...

عبد الغنى بك : وهذا هو نوع الحب الذى يخفق له قلبي وتتفتح له نفسى ، وأوفق فيه دائماً بحمد الله ! ...

رئيس الحزب : اتفقنا إذن ...

عبد الغنى بك : اتفقنا على بركة الله ! ...

السكرتير العام : سيجتمع اليوم أعضاء الحزب ... وسنزف إليهم البشرى بانضمامك إلينا ... وبتبرعك ...

عبد الغنى بك : « بهلع » تبرعى ؟ ! ...

السكرتير العام : بقبول الترشيح لأمانة الصندوق ...

رئيس الحزب : وسنحدد موعد الوليمة غداء أو عشاء يتم فيها التعارف وتعقد أواصر المودة بينك وبين جميع الأعضاء ! ...

عبد الغنى بك : طباخى خرج أمس مع الأسف الشديد ! ...

رئيس الحزب : أنا الذى سأعد الوليمة لك فى بيتى ، وأرجو منك التشريف ...

عبد الغنى بك : واجبى أن أرد بعد ذلك الوليمة بوليمة فى بيتى ...

رئيس الحزب : مامن أحد يحملك واجبات !...

عبد الغنى بك : مسألة الوليمة هذه ياباشا لالزوم لها ... فأنا صحتى مرهقة ، ومعدتى ضعيفة ، ولا أقوى على الطعام الدسم ... وكل أسبوع أخرج طباخاً وأحضر طباخاً ... لأن الطباخين لايريدون أن يسمعوا الكلام ويصنعوا الطعام الذى يخف على معدتى ... ويناسب صحتى ... وإليكم الدليل ، والشاهد على ما أقول ... « ينادى » يابسطويسى !... يابسطويسى !...

« صوت فى الخارج يصيح ـ حاضر . حاضر ! ثم لا يلبث أن يظهر الخادم يحمل كوباً من الماء . » .

بسطويسى : « يتقدم بالماء إلى السكرتير العام » تفضل ! ...

السكرتير العام : (وهو يتناول الكوب) كدت أنسى هذا الماء ! ...

بسطويسى : هنيئاً ...

عبد الغنى بك : (للخادم) اسمع يابسطويسى ... أين الطباخ ؟ ...

بسطويسى : حضرتك طردته ... والطباخ الجديد يحضر اليوم من عند المخدم...

عبد الغنى بك : ولأى سبب طردته؟...

بسطويسى : السبب المعتاد ... سرقة السمن ...

عبد الغنى بك : والسبب الآخر ؟...

بسطويسى : لا يوجد سبب آخر ... كل تهمتهم سرقة السمن فى العصا ...

رئيس الحزب : « بدهشة » فى العصا ؟...

بسطويسى : نعم... أكثرهم يحمل عصا غليظة مجوفة يقول سعادة البك إنه يصب فى جوفها السمن السائل ، آخر النهار ، ويخرج وهو يحملها بما فيها ، على الرغم من شدة مراقبة سعادة البك اليومية ...

عبد الغنى بك : نعم... اكتشفت ذلك أخيراً...

رئيس الحزب : « فى تهكم مستور » أنت إذن يا عبد الغنى بك تعطى الطباخين السمن بإسراف ؟ ...

عبد الغنى بك : أليس كذلك ؟... هذا هو الواقع ... إسراف وتبذير ... وكلما قلت لطباخ هذا الكلام ... وتوسلت إليه أن يرحم معدتى من كثرة السمن ... بكى ولطم وأقسم أن لا طعام يصنع بغير السمن الذى يريد ... فأعطيه نصف طلبه ... فيطبخ ببعضه ويسرق الباقى... ماذا أفعل يا ناس... كيف أمنع هذه السرقات؟... كيف أضبط هؤلاء المجرمين ؟ ... ولكن الذنب ذنبك يا بسطويسى ...

بسطويسى : أنا يا سعادة البك ؟ ... وهل فى يدى شىء ؟ ...

عبد الغنى بك : فى يدك أن تراقب ... وتلاحظ ... وتفتح عينيك ... ولكنك لا تخاف على مالى ... ولا يهمك أمرى ... على الرغم من طول مقامك عندى ...

رئيس الحزب : بسطويسى فى خدمتك منذ زمن طويل ؟ ...

بسطويسى : منذ عشرين سنة ...

رئيس الحزب : « للخادم » إذن أنت هنا مرتاح ... راض ... غير محتاج ... فى عيشة جيدة ...

بسطويسى : الحمد لله!... العشرة الطويلة لها حكمها ... وعلى رأى المثل: «نذل نعرفه أحسن من كريم ما نعرفه »! ...

عبد الغنى بك : « صائحاً » اخرس... قليل الأدب... حيوان... امش اخرج من هنا ... اخرج ... « يخرج الخادم بسطويسى مهرولا » هذه هى أصناف الخدم التى نؤويها ونطعمها ونكسوها لوجه الله ! ...

رئيس الحزب : إنه لا يقصد إهانة... خذه على قدر عقله وإدراكه...« ينهض مع زميله » والآن... اسمح لنا بالانصراف...شاكرين قبولك العمل معنا... وقريباً إن شاء الله يخبرك زميلى السكرتير العام باللازم...

السكرتير العام : اليوم يا عبد الغنى بك يكون عندك خبر... وربما مررت بنفسى ...

عبد الغنى بك : « وهو يشيعهما إلى الباب » زيارة كريمة حصل لى الشرف !...

« الضيفان يخرجان . . ويعود عبد الغنى بك فيجد الخادم بسطويسى فى انتظاره »

بسطويسى : « متسائلا بسذاجة » : أنا غلطت ؟ ...

عبد الغنى بك : غلطة فى حجم دماغك الوسخ!... ألا تستطيع أن تنتقى ألفاظك؟!... لكن لا فائدة ... ما من تعليم ينفع معك ... كتب على أن أتحملك بعيوبك وأمرى إلى الله !...

بسطويسى : « كالمخاطب نفسه همساً » كل منا متحمل صاحبه بعيوبه ! ...

عبد الغنى بك : ماذ تقول ؟...

بسطويسى : ما قلت شيئاً ...

عبد الغنى بك : اذهب إذن... ودعنى أفكر فى المستقبل... السياسى!..

بسطويسى : « بتردد » أمعك ... قرش ؟...

عبدالغنى بك : ماذا ؟ ...: نقود ؟ ... تتكلم عن نقود ؟ ...

بسطويسى : من الذى تفوه بسيرة النقود ؟ ... أنا تكلمت عن نقود ؟ ... إنى أقول : قرش ... قرش واحد ...

عبدالغنى بك : وما هو القرش ؟ ... أليس هو نقودا ؟ ...

بسطويسى : إنه ليس لى أنا على كل حال ... بل للفأر ...

عبدالغنى بك : الفأر ؟ ... أى فأر ...

بسطويسى : فأر كبير رأيته يجرى فى المطبخ ...

عبدالغنى بك : وما دخل القرش فى الفأر ...

بسطويسى : لابد من صيدة ...

عبدالغنى بك : القرش ؟ ...

بسطويسى : الفأر ... لابد من صيد الفأر ... ولكى نصيده لابد من أن نعمر المصيدة ... ولكى نعمر المصيدة لابد من قطعة جبن رومى ... ولكى نأتى بالجبن الرومى لابد من شرائه من عند البقال ... ولكى نشتريه من عند البقال لابد من قرش ! ...

عبدالغنى بك : شىء لطيف ! ...

بسطويسى : هل غلطت فى هذا الكلام ؟ ...

عبدالغنى بك : كلام محبوك الأطراف ... ولكن اخبرنى يا فصيح ... من أين جاءنا هذا الفأر الارستقراطى الذى لا يأكل غير الجبن الرومى ...؟

بسطويسى : لا أدرى من أين جاءنا ؟ ... ربما انغش فى البيت ...

عبدالغنى بك : ولماذا لا تطعمه مما عندنا ؟ ...

بسطويسى : لا يوجد عندنا شيء...

عبدالغنى بك : ولا لقمة خبز ؟ !...

بسطويسى : بقى من غداء سعادتك لقمة تغديت بها أنا ...

عبدالغنى بك : ما دام لا يوجد فى المطبخ ما يؤكل ... على حد زعمك وادعائك... فلماذا تخاف من وجود الفأر ؟ ! ...

بسطويسى : يقرض أرجل المائدة ويفسد خوص الكراسى ... وهذا ضرر أفدح من إنفاق قرش فى قطعة الجبن ! ...

عبدالغنى بك : قرش ! ... آه يا بسطويسى ! ... ما أهون عليك التفكير فى الانفاق ... لماذا لا يستطيع ذهنك أن يتجه إلى صيد هذا الفأر بغير نفقة؟!...

بسطويسى : كيف ؟...

عبدالغنى بك : القط ... ألم تسمع فى حياتك أن القط يصطاد الفأر ... لماذا لا تدعو قطا إلى المطبخ ؟ ...

بسطويسى : أدعو قطا إلى مطبخنا ؟ ! .. يصنع ما ذا ؟ .. يمضى يوما فى الصيد والقنص ؟ ! ... هذا جائز ... ولكن كيف أتفاهم معه ؟ ... كيف أجذبه إلى البيت أولا ؟ ... إن من يدعو أحدا اليس عليه أن يقدم إليه شيئا ؟ ...

عبدالغنى بك : للقط أيضاً ؟ ...

بسطويسى : ضرورى ... لا أقل من جناح فرخة أو رأس سمكة ... حتى يألف المنزل ...

عبدالغنى بك : « صائحا » : يا حفيظ ... يا حفيظ من اقتراحاتك ... عدبنا إلى

الجبن الرومى ! ...

بسطويسى : حقيقة . الجبن الرومى أسهل حل وأرخص طريقة ... لأن الفأر يشم رائحته عند بعد... وينجذب إلى المصيدة فى الحال.. وبذلك لا نعطيه فرصة طويلة يفسد فيها أمتعة البيت ...

عبد الغنى بك : إياك أن يفسد شعرة من أمتعة البيت ...

بسطويسى : هات إذن القرش ! ...

عبد الغنى بك : ولماذا قرش ؟... ما حاجتك إلى كل هذا الجبن ؟... لماذالا تشترى بنصف قرش ؟ ...

بسطويسى : نصف قرش ؟ ... جبن رومى ؟ ...

عبد الغنى بك : طبعا ... لفأر صغير . . . لا لإنسان كبير . . . ماذا كنت تفعل إذن لو أن معدتى تسمح بهضم الجبن . . بكم كنت تشترى لى ...

بسطويسى : بقرش ...

عبد الغنى بك : مثل الفأر ... ألا يوجد فرق بينى وبين الفأر ...

بسطويسى : فى نظر البقال لا يوجد فرق ؟ ...

عبد الغنى بك : « صائحا » اتستغفلنى؟ ...

بسطويسى : إذا وجدت بقالا يبيع قطعة جبن رومى بنصف قرش فابصق فى وجهى ...

عبد الغنى بك : إنى أبصق فى وجهك من الآن ... لأنك برغم طول عشرتك لى تحاول أحيانا استغفالى مثل بقية الناس... ناولنى معطفى ومسبحتى.. سأذهب بنفسى إلى البقال واشترى قطعة جبن فى حجم رأسك بنصف قرش ...

بسطويسى : « يأتى إليه بمعطفه ومسبحته من ركن البهو » ها هو معطفك وها هى مسبحتك ...

« عبد الغنى بك يلبس المعطف بمساعدة الخادم ... ويمسك مسبحته ... ويخرج من باب البهو ... تاركا الخادم بسطويسى وحده يشيعه بنظراته ... »

بسطويسى : رح الله لا يرجعك ! ... ضيعت عمرى فى هذا البيت الذى لا يعيش فيه فأر ولا قط ... أيوجد فأر مجنون يدخل مطبخك... ولو عن طريق الغلط ؟ ! لكن ثمن الدخان ... كيف أحصل على ثمن سيجارتين اليوم يا ناس ؟ !

« جرس التليفون يرن ... فيسرع بسطويسى ويتناول السماعة ... »

ــ آلوه ... آلو ... من حضرتك ؟ ... المخدم ؟ ... الطباخ الجديد ؟ لم يحضر إلى الآن ... وسعادة البك انتظره وسأل عنه... ليعطيه الدرس المعتاد ويأخذ عليه الشرط ... ماذا تقول ؟ جميع الطباخين يرفضون منزلنا ؟ ... وحياة عينيك ... من فضلك ... من أجلى أنا ... ابحث عن رجل طيب لم يسمع بمنزلنا وأرسله . حالا . . نعم ... من أجلى أنا ... لأن معدتى أوجعنى من أكل الفول والطعمية ... سعادة البك ؟ ... لا ياسيدى ... بالعكس... سعادة البك يهضم جيداً جميع المأكولات الشعبية ... معدته ضعيفه فقط فى الأصناف الغالية ... نعم ... فهمت الآن ؟ ... هذه هى الحقيقة . . . يطرد الطباخ من وقت لآخر ليلغى الطبيخ . . . لكن ... أنا ....

ماذنبي ؟ ارحمني ... وحياة رأسك .. . أرسلنا لنا الطباخ بالعجل .. . الله يسترك ! .. . ويعمر بيتك ...

(يضع السماعة ... وعندئذ يدق جرس الباب فيهرع بسطويسى ليفتح ... « فاذا القادم سيدة في مقتبل العمر وخلفها رجل كهل وقور بعطفه وعصاه ، يقلب بصره في البهو ... بينما السيدة يبدو عليها معرفة البيت ....)

بسطويسى : «للسيدة » أهلا ست نهاد هانم ؟ .. ما كل هذه الغيبة ؟ ..

نهاد : « بصوت خافت » كيف حالك يا بسطويسى ؟ سيدك فوق ؟

بسطويسى : سيدى خرج ...

نهاد : خرج ؟ .. .

بسطويسى : استريحى ياست نهاد .. . سيعود بعد قليل ..

نهاد : « للكهل الذى معها » ننتظره ياخالى .. « تلتفت إلى بسطويسى» لم تر طبعا من قبل خالى أحمد بك أبو شنب المحامى فى فاقوس ومن أعيان البندر ..

بسطويسى : البيت نور .. . أحضر قهوة ؟ ..

المحامى : متشكر .. لالزوم

نهاد : « لخالها المحامى » بسطويسى هو الخير والبركة فى هذا البيت .. . فهو الأمين الملازم لعبد الغنى بك من عشرين سنة ...

بسطويسى : « لنهاد » انت الخير والبركة .. . ولا أنسى فضلك وجودك على فى كل زيارة .. لا بد من إحضار القهوة « ينصرف متحمسا » لقد

أغلق على البن والسكر ... ولكنى سأكسر الباب والدولاب ... « يخرج مسرعا »

المحامى : « لنهاد » أمينه وملازمه ! ... وما الذى صبره على خدمته ؟ ...

نهاد : « هامسة » الوقفية ... أوهم بسطويسى أنه مذكـور فى الوقفية بعد حياة عينه ! ...

المحامى : « لنهاد » وانت ؟ ... ألم يعدك بشىء ؟ ...

نهاد : إنى لم أطلب إليه شيئاً حتى الآن ... كل ما أردت أن يفهمه هو ان علاقتنا لاغاية لها ولا غرض ...

المحامى : حب عذرى ! .

نهاد : نعم ... إنه كان يحب أن يفهم ذلك دائماً ... وكان هذا هو الذى يطربه ويشجيه ...

المحامى : والحمل الذى فى بطنك الآن ؟ ...

نهاد : يجب أن يعلم بأمره ويعترف به ...

المحامى : بل يجب قبل كل شىء أن يتزوجك ...

نهاد : إذا كان شهما فإنه لن يتردد ...

المحامى : لا ينبغى أن نعول على شهامة مثل هذا الرجل ... هل عندك منه خطابات غير التى اطلعتنى عليها أمس؟ ...

نهاد : لا ... تلك هى كل ما كتب إلى ... رداً على رسائلى التى كتبتها إليه من رأس البر فى الصيف الماضى ...

المحامى : البحر والموج والماء والهواء ... والقبلات التى تحملها أجنحة النسيم من من القاهرة إلى رأس البر ... وبالعكس ... إلى آخره ...

على كل حال هذه قرائن يمكن الاعتماد عليها قانوناً ...

نهاد : ماذا كنت تريد أن أصنع معه ؟ ...

المحامى : لو أنك أخبرتنى بالأمر فى حينه ...

نهاد : ما كنت تستطيع أن تشير بغير مافعلت ... هذا رجل يوجس خيفة من كل كلمة يشم منها رائحة طلب ... وعندئذ يسرع بالهرب ولو من أعز الناس إليه ... أو من أعز المطامع عنده !...

المحامى : وهذه الثروة الضخمة التى ينام عليها ؟ ! ولا بنت عنده ولا ولد ؟...

نهاد : اياك أن تذكر ذلك أمامه ... لقد أردت مرة أن أمس هذا الموضوع مساً خفيفاً ... فقلت له : ما بال فلان باشا وفلان بك ممن هم أقل منك ثروة وأكثر عيالا ، يتبرعون لهذا المشروع بكذا ألفا من الجنيهات ، ولهذه الجمعية الخيرية بكذا ألفا ... وأنت لم يسمع أحد عنك أنك تبرعت بجنيه لتعضيد مشروع حيوى ، أو بقرش للمساهمة فى عمل خيرى ، أو حتى بكأس لتشجيع مجهود رياضى أو فنى ... أتدرى ماذا كان رده ؟...صاح بى : حتى أنت تتمنين استغفالى ... حتى أنت تريدين للناس استغفالى ؟...

المحامى : وكيف أفتح لهذا المخلوق موضوعك إذن ؟...

نهاد : لست أدرى ... على أى حال أفضل الآن أن تفاتحه وحدك فى مبدأ الأمر ...

المحامى : وأنت ؟ ...

نهاد : يحسن أن أحضر بعد ذلك ... أو على الأقل بعد أن تكونا قد قطعتما شوطاً فى الحديث منفردين ...

المحامى : تعرضيننى أنا للصدمة الأولى ...

نهاد : بل ادخر نفسى أناللجولة الثانية ...

المحامى : وأين تذهبين ؟... وإذا احتجت إليك أو إلى بيانات منك أثناء الكلام ؟ ...

نهاد : لن أذهب بعيداً ... سأختفى داخل حجرة فى هذا البيت ... انتظر ... « تنادى » بسطويسى ! ... عم بسطويسى !...

بسطويسى : « من الخارج » أفندم ... حالا ... القهوة ؟....

نهاد : لاداعى للقهوة ... لانريد ... تعال انت حالا ... تعال...

« بسطويسى يظهر . »

بسطويسى : استوليت على البن والسكر ...

نهاد : لى عندك رجاء يابسطويسى ... أريد أن تخبئنى فى حجرة ... لأفاجىء عبد الغنى بك فى الوقت المناسب ... وان تقول له عند حضوره إن خالى وحده هو الموجود هنا ...

بسطويسى : البيت كله تحت أمرك . تفضلى ...

نهاد : « لخالها » لحظة واحدة لأرى أين سأختبىء ... تعـــال معى يابسطويسى ؟.

« تنظر حولها لحظة كمن تبحث .. ثم تصعد السلم وخلفها الخادم إلى الطابق الثانى ويختفيان من أحـد أبوابه ... وعندئذ يفتح باب البهو بمفتاح خاص، ويظهر عبد الغنى بك ... فيرى أمامه فى البهو المحامى وقـد وقف لاستقباله متوكأ على عصاه »

عبد الغنى بك : « للمحامى وهو يتأمله بعصاه » حضرت ... أخيراً ... ومعك

عصا أنت أيضاً ؟ ... أرنى هذه العصا ؟ ...

المحامى : « وهو يقدمها بأدب » تعجبك يا بك ؟ ...

عبدالغنى بك : «وهو يفحصها» مجوفة طبعاً ...

المحامى : « بدهشة » مجوفة ؟ ...

عبدالغنى بك : والا ماكنت حملتها وجئت بها ... عدة الشغل ... مثل السكين والمفرمة والساطور . . . بريئة المظهر ... تدخل بها وتخرج فى أمان...تحت الأبصار والعيون ...ولكن بداخلها يمكن إخفاء...

المحامى : ليس بداخلها شيء على الاطلاق .. اطمئن... إنى لست سفاكا..

عبدالغنى بك : إنى لست مغفلا ... إنى فاهم أساليب حرفتك ، وعارف أمورك واغراضك ...

المحامى : أغراضى ؟ ... نحن لم ندخل بعد فى الموضوع ... وإذا كان قد بلغك شيء ، فثق أنى شخصياً ليس لى غرض خاص فى المسألة... اللهم الا خدمتك ومصلحتك قبل أى مصلحة أخرى ...

عبدالغنى بك : وأنا لا أحب إلا من يتفانى فى خدمتى ومصلحتى... ولكى تحسن الخدمة لابد من أن أعطيك الدرس وآخذ عليك الشرط ... أولا معدتى رقيقة وصحتى ضعيفة ...

المحامى : نحن لا نتمنى لك إلا طول العمر ...

عبدالغنى بك : وكما ترى لا يوجد فى البيت غيرى أنا...أما خادمى بسطويسى... فليس فى الحساب ... وما يتبقى من طعامى يكفيه ... فأنت إذن أمام رجل وحيد ... مقطوع من شجرة ! ...

المحامى : لن تكون وحيدا مقطوعا ... سيرزقك الله قريبا من يملأ عليك

البيت ... ويتربى فى عزك وجاهك ! ...

عبدالغنى بك : دعك من الدعوات الصالحات !... نحن الآن فى الأمر الواقع.. أنا رجل وحيد مريض... لا أحب الأكل الكثير ولا السمن الغزير...

المحامى : مسكين ! ... شهيتك مفقودة ... ولكنى أقسم لك أنه يوم تحيط بك الزوجة والولد ... فإنك تأكل الحجر وتهضم الزلط !...

عبدالغنى بك : لا تخرج عن الموضوع !...

المحامى : إنى أتكلم فى صميم الموضوع ... ثق أن حياتك ستبدأ من جديد... وآفاقك ستتسع ... وسيخلق لك الخلف آما لا تعيش بها ولها ... وسيكون المالك معنى... ولوجودك معنى ... ولغدك معنى . . لأنك سترى نفسك فى طفلك ، تدب معه ... وتشب معه ... وتسعى معه ... مخترقة ما بقى من زمنك ... ماضية عبر أزمان مقبلة وأجيال متلاحقة... نفسك هذه السجينة فى صندوق من ذهب... ستنطلق من انانيتها إلى أرجاء لا يحدها زمان ولا مكان ... ويعم خيرها فى حيوات لا يعدها حصر ولا تدركها ظنون ...

عبدالغنى بك : « ناظراً إليه بذهول » ما شاء الله ! ... ما شاء الله ! ... من الذى أرسلك ؟ من الذى قال لهم أن يأتوا إلى بفيلسوف ! ...

المحامى : إنى لست بفيلسوف ... إنما أنا رجل جاء يقدم إليك خدمة !...

عبدالغنى بك : الخدمة الوحيدة التى تقدمها إلى هى طبخ الطعام لشخصى الوحيد ، بأقل نفقة ، وأقل مقدار من السمن ... وأن تحطم عصاك هذة... أو تبيعها أو ترهنها ... فإنى لا أطيق رؤيتها فى بيتى... تدخل بها وتخرج ... بلا حسيب ولا رقيب !...

المحامى : « بدهشة » ما هذا الكلام يا ... عبد الغنى بك! ...

عبد الغنى بك : هذا هو الكلام المفيد... الطعام الصحى الاقتصادى والأمانة التامة الخالصة ...

المحامى : وما شأنى أنا بطعامك ومصروفك ! ...

عبد الغنى بك : ما شأنك أنت؟ ... ألم يحضروك إلى لتقوم بطبخ الطعام؟...

المحامى : طبخ الطعام ؟ ...

عبد الغنى بك : الطبخ والغرف وغسل الأطباق وتنظيف بلاط المطبخ ... كل هذا من اختصاصك ! ...

المحامى : اختصاص من ؟ ...

عبد الغنى بك : اختصاصك أنت ... اختصاص الطباخ ...

المحامى : « بغضب » أنا طباخ ؟ ...

عبد الغنى بك : لا تغضب ... باشطباخ ... طباخ باشا ... خذ كل الألقاب التى تعجبك ... المهم عندى عدم سرقة السمن والاعتدال فى المصروف ...

المحامى : « هائجاً » أنا طباخ ... يا قليل الأدب ... يا عديم الإحساس ... يا وضيع الأصل ... يا سافل ... ! يا منحط ... يا ناقص ... يا صفيق الوجه ... « يخطف العصا » هات العصا ...

« يظهر بسطويسى فى أعلى السلم .. وخلفه نهاد تبرز رأسها من خلف الباب وقد سمعا صوت المشاجرة .. ويهبط بسطويسى السلم على عجل بينما تبقى نهاد مختفية خلف الباب لتسمع .. »

عبد الغنى بك : « لبسطويسى » انجدنى يا بسطويسى انجدنى ... سيضربنى بالعصا ...

المخدوم أرسل لنا هذا الطباخ البطاح « الفتوة » !

بسطويسى : « بسرعة » هذا خال ست نهاد ... أحمد بك أبو شنب المحامى ... خال ست نهاد ...

عبد الغنى بك : « مأخوذاً » خال ست نهاد !... « يلتفت إلى المحامى » لامؤاخذه يا بك !... لا مؤاخذة... حضرتك خال نهاد؟!...نهادهانم ؟!...

المحامى : أنا خال نهاد ... نهاد ناشد...

عبد الغنى بك : حصل لنا الشرف !...

المحامى : أنا شكلى شكل طباخين ! ..

عبد الغنى بك : العفو ... لاتؤاخذنى ... المسألة لها أصل

المحامى : ما علينا ... ندخل فى الموضوع ...

عبد الغنى بك : قهوة يا بسطويسى ! ...

بسطويسى : جد ؟!...

عبد الغنى بك : طبعاً جد ... ومتى كنا نمزح فى هذا ؟ ...

بسطويسى : « هامساً » هذا اقتراحك أنت ... لا تنبس ذلك ...

« الخادم يخرج مسرعا . . »

عبد الغنى بك : « ملتفتاً للمحامى » زيارة عزيزة ! ...

المحامى : جئت أحادثك فى موضوع خطير ... ولكنك لم تترك لى فرصة للكلام ... فأرجو الآن أن تصغى إلى ملياً ...

عبد الغنى بك : تفضل ... تفضل ...

المحامى : الموضوع خاص ببنت أختى نهاد ... يظهر أنه كانت بينكما ولا تزال - علاقة

عبد الغنى بك : علاقة صداقة ...

المحامى : سمها كما تشاء .. هذه العلاقة أو الصداقة قد آتت أخيراً ثمرتها ..

عبد الغنى بك : ثمرتها ؟ ! ...

المحامى : طبعاً .. كل غرس يأتى بثمرته .. النخلة تطرح بلحا ... وشجرة التفاح تحمل تفاحا ... وشجرة الرمان تحمل رماناً ... والعلاقة بين رجل وامرأة تحمل ولدا ...

عبد الغنى بك : بدأت أفهم ...

المحامى : لذلك يحسن وضع هذه العلاقة فى إطارها الشرعى .. حتى تنسب هذه الثمرة لصاحبها ..

عبد الغنى بك : ومن هو صاحبها ؟ ..

المحامى ! أنت أدرى به ...

عبد الغنى بك : إياك أن تقصدنى أنا !.

المحامى : ومن غيرك ؟ ... ألم تعترف الساعة بوجود علاقة بينكما ؟! ...

عبد الغنى بك : علاقة صداقة بريئة عفيفة شريفة ...

المحامى : والثمرة ؟ ...

عبد الغنى بك : الثمرة ؟ . اسأل عنها الشجرة .. أتستطيع أن تعين الأب المسئول عما فوق الشجر من تفاح وبلح ورمان ؟ ! ...

المحامى ! لا تنوى إذن الاعتراف بالحمل ؟ ...

عبد الغنى بك : أى حمل ؟ ...

المحامى : حمل نهاد ...

عبد الغنى بك : نهاد ناشد لا شأن لى بحملها ولا بطرحها ! ...

المحامى : تحت يدى خطابات منك إليها ... وإنى كمحام أنصحك بأن لا تلجئها إلى المحامى ... إن قضيتها مكسوبة مائة فى المائة ! ...

عبد الغنى بك : تهددنى بالمحاكم ؟...

المحامى : بالعكس ... كل أملنا هو تسوية المسألة بالطرق الودية ...

عبد الغنى بك : « ثائراً » ماذا تقول ياحضرة المحامى ؟... أتظن أن الحكاية نهب ؟.. بأى حق تسمح لنفسك أن تطالبنى بهـذا الطلب الغريب ؟ ... وكيف يصور لك عقلك أنى من البلاهة والغفلة بحيث أمكن الناس من نصب شراكهم حولى ، ليقتنصوا ثروتى ؟ ويلقوا حملهم علىّ ، ليرثنى فى مالى . . . ماذا جرى فى الدنيا اليوم ؟ . . . ماذا جرى للناس فى هذا الزمان؟ . . . كل عاجز أو عاطل أو متلاف يحسب أن فى رأسه من الذكاء ما يستطيع أن يحتال به على غيره ممن جمع واقتصد ووفر وادخر ...

المحامى : لاداعى لهذا الكلام الجارح يا عبد الغنى بك ... المسألة ليس فيها نصب ولا احتيال ... إنما هو شرف بنت اختى ... و حقها فى أن ينسب حملها إلى أبيه ... ولولا هذه الاعتبارات ما سمحت لنفسى بدخول بيتك ، ولا بالحديث معك ... وعلى كل حال . . . ليس بيننا وبينك غير كلمة : هل أنت معترف بالجنين أو غير معترف ؟.

عبد الغنى بك : « بدون تردد » غير معترف...

المحامى : انتهى الإشكال ... على المحاكم الآن أن تفصل فى الخلاف ... سلام عليكم ! ...

« يتحرك للانصراف ... وعندئذ تظهر نهاد وتهبط السلم بسرعة ... »

نهاد : « صائحة » انتظر يا خالى ... انتظر ...

عبد الغنى بك : « ملتفتا » اليها أنت هنا ؟ ...

نهاد : نعم ... كنت هنا ... فوق ... وسمعت أكثر ما دار بينكما الآن بخصوصى ... وأسفت للهجة حديثكما التى خلت من الرقة واللطف إجلسا لحظة ... ولتهدأ نفس كل منكما . وليكن الجو صافياً بيننا جميعا ... الحكاية فى غاية البساطة ... أنا وحدى المخطئة ... كما تبين لى الساعة ... فقد كان من واجبى أن أبادر يا عبد الغنى وأخبرك بنفسى بمجرد شعورى بالحمل فى أول هذا الشهر ... ولكنى خجلت وانقطعت عنك هذه الأسابيع ... إلى ان فكرت أخيراً فى توسيط خالى ليخبرك ... لعلى لم أكن موفقة فى هذه الفكرة ... ارجو ان تسامحنى يا عبد الغنى !...

عبد الغنى بك : أسامحك ؟ ! ... أسامحك وانت تلبسيننى تهمة ... وتلقين على رأسى مصيبة ...

نهاد : تسمى طفلك مصيبة ؟ !...

عبد الغنى بك : طفلى ؟ ! ... أنا الرجل الذى عشت حياتى وحيداً فريداً خفيفاً يكون لى طفل ! ...

نهاد : أنت أحوج الناس جميعاً إلى طفل ، يتمتع بخيرك ، ويكبر فى نعمتك ويؤنسك فى شيخوختك ، ويرث من بعدك ثروتك...

عبد الغنى بك : ثروتى ؟! ... يرث ثروتى ؟... يأخذ ثروتى !...

نهاد : بعد حياة مديد: وعمر طويل !...

عبد الغنى بك : يأخذ ثروتى ! ...

نهاد : ولمن تتركها ؟... نحن لا نأخذ مالنا معنا إلى القبور ! ...

عبد الغنى بك : « صائحا » يالها من مؤامرة .. يا لها من مؤامرة ! ... مؤامرة دنيئة ! ... مؤامرة أثيمة !...

نهاد : عيب ياعبد الغنى!... لا تفه بهذه الألفاظ ! اهدأ وفكر جيداً ... وتكلم بعقل ...

عبد الغنى بك : لم يبق لى عقل ... لم يبق لى عقل ! ...

نهاد : يا للأسف . . . ما كان يخطر لى قط على بال أن أبا يستقبل خبر طفل سيولد له بهذه الصورة المخجلة...

عبد الغنى بك : لا أريد أن أكون أباً ... لست أباً ... ليس لى ... ليس منى ...

نهاد : ليس منك ؟ ... ممن إذن ؟ ...

عبد الغنى بك : أنت أدرى بأبيه ... أما أنا فلا أعرف... ولا يهمنى أن أعرف .. إنه ليس منى ... لا أريده ... لا يلزمنى ...

نهاد : لا يلزمك ؟ ... وماذا أصنع أنا به ؟ ! . .

عبد الغنى بك : لا شأن لى ... افعلى به ما شئت ! ...

المحامى : «فاقد الصبر» قومى يا نهاد...لا فائدة معه ... لا بد من المحكمة ! ..

نهاد : «لعبد الغنى» أهذه كلمتك الأخيرة ؟...

عبد الغنى بك : نعم ...

نهاد : نذهب إلى المحكمة ؟...

عبد الغنى بك : «منفجراً» إذهبى إلى جهنم وبئس القرار ! . . . أنسيت أنك كنت

تقولين إنه حب عذرى ... لن يكلفنى شيئا ... ولن يثقل على...
ولن يحملنى تبعة ... ولن يقتضينى نفقة . . . كنت إذن تسهلين لى
الأمور ... وتبددين عنى المخاوف ... وتدفعين بى فى طريق مذللة
ممهدة ميسرة ... لتستدرجينى إلى هذه النتيجة ... وتقودينى إلى هذا
الغرض ... أيتها الكذابة الغشاشة المزورة المدلسه ! ..

نهاد : أغلق فمك القذر ! . . إن السباب لن ينفعك ... ولن يطرح عنك
حملك ! ... الجنين لك وسوف تحكم المحاكم بصحة نسبه إليك وكل
مال مكنوز لابد أن يرسل الله إليه من يخرجه وينتفع به وبنفع ...

عبد الغنى بك : «صائحاً» أيها المحتالون ... لن تنالوا منى مليما ؟ ... يابسطويسى..
أرسل فى طلب الدكتور ابن عمى ! ... سأجعل الأطباء يحررون
لى شهادة بأنى لا آتى بنسل ! ...

المحامى : إلى هذا ؟ ... تطعن فى رجولتك حتى لايكون لك وريث !. .

عبد الغنى بك : لن يكون لى ولد... لن يكون لى وريث ... لن يأخذ مالى أحد..

نهاد : يالك من وغد ! ...

المحامى : «يأخذ ذراع نهاد» هلمى بنا . . . دعيه يعيش وحده حياً فى هذا
القبر !... سيندم يوما . . .

« يتحركان منصرفين ويخرجان »

عبد الغنى بك : «صائحا» اخرجوا من هذا البيت ! ... اخرجوا خاب فألكم ...
أيتها العصابة الخطرة من النصابين الفجرة ... لن يستغفلنى أحد ...
لن يستغفلنى أحد ...

« يدخل بسطويسى يحمل القهوة ... »

بسطويسى : لماذا تصيح هكذا ؟ ... أين الضيوف ؟...

عبد الغنى بك : « ينظر إلى الصينية » ما هذا ؟

بسطويسى : القهوة ؟ ...

عبد الغنى بك : مامناسبة القهوة ؟...

بسطويسى : أمرك انت... اقتراحك انت !... أنسيت ؟ ...

عبد الغنى بك : أأنا أقترح ذلك؟... أيها الحيوان ...وهبنى أخطأت مرة وأمرت ألا تتمهل أنت ؟ ... لماذا التعجل ؟ . . . ألم تسمع أن العجلة من الشيطان ؟ انظر الآن ماذا فعل الشيطان . . . انظر نتيجة تسرعك وتهورك ...ماذا نصنع الآن بكل هذه القهوة ؟...

« جرس الباب يدق ... »

بسطويسى : الباب ... « يضع الصينية ويسرع ليفتح ... »

عبد الغنى بك : خير يا رب ... خير ...

« يظهر السكرتير العام للحزب ... »

السكرتير العام : آسف لازعاجك ياعبد الغنى بك ... ولكنى رأيت من واجبي أن أمر عليك فى طريقى ، لأخبرك بصدى الاغتباط العام فى الحزب عند ما شاع نبأ ترشيحك أميناً للصندوق . . . وكل شىء سائر على ما يرام...

عبد الغنى بك : الحمد لله ! ... قهوة يا بطويسى !...

بسطويسى : « يحمل الصينية فى الحال ويتقدم بها » موجودة ! ..

السكرتير العام : « وهو يتناول فنجانا » بهذه السرعة ؟! لكأنها كانت فى الانتظار ؟.

عبد الغنى بك : أصحاب الحظوظ ينتظرهم الخير على غير ميعاد ...

السكرتير العام : إنى حقا حسن الحظ بمعرفتك ياعبدالغنى بك ... وقد استبشر بك كل الأعضاء ... وأيقنوا أنه على يدك سيتاح لنا أن نتم مشروع بناء الدار الجديدة للحزب ...

عبد الغنى بك : « فى قلق » الدار الجديدة ؟ ! ...

السكرتير العام : نعم ... هذا مشروع قديم عندنا .. . لأن دارنا الحالية متهدمة ولا تليق بحزبنا ... ومن محاسن المصادفات أن قطعة الأرض التى كان قدوقع عليها اختيارنا ، تقع ضمن أملاكك ... هذه القطعة الآن كما تعلم « خرابة » يعبث فيها الصبية ... وتلقى فيها القاذورات . . . ولا يخالجنا أدنى شك فى أنك موافق على إعطائها للحزب ...

عبد الغنى بك : « كمن طعن » ماذا تقول ؟ ...

السكرتير العام : « متراجعاً » أقصد بيعها للحزب .. . بالتقسيط طبعاً ... وبسعر خاص ... وأنت بالطبع بصفتك أمين الصندوق تستطيع أن تطالب البائع ...

عبد الغنى بك : أطالب البائع ؟ أطالب نفسى ! ... ما هذا الكلام ؟ .. . ماذا أسمع ؟ ... ألم تؤكدوا لى أنه لاغاية ولا غرض ... ألم تقولوا انه تقدير لشخصى ...

السكرتير العام : ومازلنا نؤكد لك أن تقديرنا لشخصك خال من الغرض ... وكما قلنا ... تقدير عذرى كالحب العذرى !

عبد الغنى بك : نعم ... نعم ... عرفت الآن ماهو الحب العذرى ! ... أيقنت الآن .. . وأقسم لكم بأغلظ الإيمان أن مجنون ليلى كان يسرق الكحل من عين ليلى بالليل ليبيعه بالنهار فى سوق عكاظ ! ..

السكرتير العام : لاتتهمنا بسوء ياعبد الغنى بك .. دار الحزب هى دارك .. ولهذا

فقط سمحنا لأنفسنا بمفاتحتك فى هذا الشأن ....

عبدالغنى بك : دارى؟ ... ؟ ... لا ياسيدى ... ليست دارى ... ولا يهمنى الحرب ولا دار الحزب ...

السكرتير العام : ومستقبلك السياسى ؟ ...

عبدالغنى بك : ولا المستقبل السياسى ... لا أريد سياسة ولا رياسة ... ولا وزارة ولا صدارة

السكرتير العام : « يضع الفنجال وينهض » انت حر ...

عبد الغنى بك : أريد أن أعيش فى حالى ... دعونى ياناس ... اتركونى ياناس ... لاحاجة بى إلى هذه المغريات...لا تقدير شخصى... ولا حب عذرى

السكرتير العام : « وهو يتحرك للانصراف » إذا كان هناك شخص يعرف الحب العذرى فهو أنت ... أنت الذى تحب ثروتك هـذا الحب العذرى تجن خـــوفاً عليها من أن تمسها يدك ... أو يمسها غيرك ... ثروتك هى زوجتك ... زوجة عذراء لم يقربها بشر ... إذا نظر إليها أحد حسبته يستغلك ... فتثور لذلك نخوتك ! . . . أيها الغيور الأنانى ستعيش بغير صديق . . . وتموت بغير ذمة... وتذهب بغير ذكرى... سلام عليكم ...

« يخرج مسرعاً ... »

عبد الغنى بك : اذهب انت وأمثالك بغير رجعة ! ... « ينادى » يابسطويسى !... أغلق بابى بالمفتاح ... وحذار أن يدخل بيتى سياسى أو محام أو حرامى ! ...

بسطويسى : « يدخل ويتجه إلى فنجان القهوة » لم يشرب قهوته ! ...

عبد الغنى بك : إشربها أنت أولى وأحق ... إشربها كلها فهى مقوية للقلب ومغذية للجسم ... وخذ هذا أيضاً ... « يخرج من جيب معطفه لفة صغيرة ... »

بسطويسى : « ناظراً إلى ما فى يد سيده » ما هذا ؟ ...

عبد الغنى بك : الجبن الرومى ! ... بقرش صحيح وأمرنا إلى الله ... لأن مركزى أمام البقال غير مركزك ... مركزى الإجتماعى حتم على أن أستحى وأشترى بهذا المبلغ كله . . . خذ يا بسطويسى قسم هذه القطعة تقسيما مضبوطا : الثلثين لى أنا ... والثلث لك أنت والفيران ...

بسطويسى : « صائحاً » الثلث بأجمعه ... لنا وحدنا ... أنا والفيران ؟! ... هذا تبذير ! ...

(ستار)

١٦ – من وحى الحياة العصرية

الجياع

تمثيلية فى فصل واحد

كازينو على النيل . .. مائدة منفردة فى ظل الشجرة..
جلس إليها رجل بمفرده ، هو « عزت بك » ...
المصابيح الـكهربائية تصبغ الأشجار بأنوار لطيفة ...
وموسيقى الـكازينو ترسل من بعيد أنغاما خافتة ...

عزت : « يصفق » ياجرسون ! ... ياعبده ! ...

عبده : «يظهر سريعاً » أفندم !...

عزت : الورد ... أين الورد؟ ...

عبده : جاهز ياسعادة البك ... جارى وضعه فى « الزهرية » ... نفس النوع الفاخر كالعادة ، طلبناه خصيصاً من المحل الذى فى شارع قصر النيل ...

عزت : والفاكهة ؟ ...

عبده : كل شىء جاهز حسب الترتيب...لم أنس شيئا... عيب... أهذه أول مرة أخدم فيها سعادتك...

عزت : والكباب ...طبعاً ...

عبده : طبعاً... لحم درجة أولى ممتاز ... ونبدأ الشواء عند حضور الست . .. كالمعتاد . ..

عزت : « وهو ينظر فى ساعته » ساعتك مضبوطة ياعبده ؟ . ..

عبده : « ناظراً فى ساعته » الساعة الآن العاشرة والدقيقة حوالى الخامسة والأربعين ...

عزت : « كالمخاطب نفسه » غير معقول ! ...

عبده : الساعة ؟...

عزت : الست ... ميعادها التاسعة والنصف ! ...

عبده : ربما كانت فى الطريق . . . هل جعت سعادتك ؟ . . . أحضر لك « سلطة طحينة » أو قليلا من الخيار المثلج ؟ ! . . .

عزت : لا . . . ليس الجوع . . . بالعكس . . . أنى فى منتهى الشبع . . . ورائحة الشواء الآتية من مطبخكم تكاد توجع بطنى ! . . .

عبده : رائحة الشواء لذيذة تفتح الشهية ! . . .

عزت : إنها تصد نفسى . . . كنت معزوما اليوم على الغداء على مائدة حوت كل أصناف اللحوم . . . وبالأمس أيضاً . . . مادام لى معارف ، لهم أعياد ميلاد ، ولهم ذهن يتفتق دائماً عن مناسبات لحفلات واجتماعات ، فلا بد أن أدفع هذه الضريبة ! ...

عبده : الخير كثير فى البلد . . . ومادامت الجيوب عامرة ياسعادة البك ، فكل شىء يهون ...

عزت : « يطرد بيده كلباً عابراً » أرجوك يا عبده . . . الكلاب والقطط . . . عيب هذا المكان هذه الكلاب والقطط المتلصصة حول الموائد !.

عبده : « يطرد بخرقة فى يده الكلب » امش ... امش... « يشير إلى الكازينو » نحن أيضاً يابك لا يمضى علينا يوم أو ليلة دون أن نحجز مائدة كبيرة لحفلة خصوصية . . . الليلة مثلا عندنا عشاء لحوالى عشرين . . . من كبار تجار الجملة ، يحتفلون بعيد ميلاد « زين عصره » . . .

عزت : زين عصره ! . . . من هذا ؟

عبده : حصان السبق المشهور... الذى يملكه أحدهم ... مرسى بك أبو طويله.

عزت : فكرة !

عبده : طلبوا تجهيز أصناف «اكسترا»... أربعة ديوك رومية... «جارنتورة» أرز بخلطة أبى فروة مع الزبيب والصنيبر ...

« يعو الـكلب الضال فيظهر ...
ويظهر بجواره طفل فى التاسعة
يحمل ورق اليانصيب وهو فى اسماله
شبه عارى الجسد ...)

الطفل : اسعاف ... اسعاف يا بك ؟ ... ألف جنيه ! .

« يرى الخبز موضوعا على المائدة » تسمح لقمة ؟ ! .

عبده : « يطرده بالخرقة بحركة آلية معتادة » امش... امش ... « يرى الـكلب بجواره » امش انت وهو ! .

(يخرج الـكلب والطفل هاربين
وخلفهما قطة كانت على وشك
الظهور فتهرب بهر وبهما ...)

عزت : « لعبده » ذكرتنى ... بمناسبة الحفلات ... أخشى أن تكون الست التى انتظرتها قد تناولت العشاء هناك . . . الليلة حفلة خيرية لمبرة من المبرات فى طريق الهرم ... وهى مدعوة مع زوجها ...

عبده : ولماذا أمرت سعادتك إذن بأن نعد الليلة الكباب والفاكهة والورد ؟ !

عزت : أكدت لى أنها لن تتناول العشاء إلا معى هنا... وانها لن تمكث طويلا فى الحفلة الخيرية...مجرد قيام بالواجب ، ثم تعتذر بأى عذر وتزوغ من الحفلة وتأتى على الفور...

عبده : لا داعى إذن لقلق سعادتك ... ستأتى ...

عزت : « وهو ينظر فى ساعته » متى ؟ ... متى ... ؟ ... إنها قد تأخرت أكثر من ساعة ! ...

عبده : « فى أدب » ربما كان سعادة زوجها هو الذى أخرها ...

عزت : كيف يستطيع ذلك ؟... ستقول له إنها متعبة ، وأنها ستسبقه إلى البيت فيبقى هو كالعادة فى جماعة من أصدقائه ... يتبارون فى شراء الزهور من كل بائعة حسناء من المتطوعات ... ثم يشاهدون الرقص واللوحات الحية والالعاب ، وهم يتناولون الويسكى والطعام ثم «الشمبانيا» المثلجة وعلى رؤوسهم « الطراطير » الملونة ... ثم يجلسون فى ركن « القهوة البلدى» لتلتقط لهم الصور وفى أفواههم « الجوزة » و « الشيشة» طبعا حضرت هذه الحفلات ياعبده ؟ ! ...

عبده : حضرتها يا سعادة البك ... اشتغلت «بارمان » فى كثير من هذه الحفلات

عزت : إنها مغرية جداً ... أتظن من السهل على رجل يأتى إليها « بالسموكنج» الأبيض الجميل فى هذا القمر الفضى البديع ، يستطيع أن يتركها بعد قليل إلى البيت وراء زوجته المتعبة ! ؟...

عبده : هذا شيء لا يمكن أن يحصل يا سعادة البك ! ..

عزت : هذا أيضاً رأيى ...

(صوت مقترب ينادى)

الصوت : جرسون ! ... ياجرسون ...

عبده : « لعزت » زبون مقبل ... عن إذن سعادتك !...

عزت : « وهو يحدق فى القادم يهمس مرتعدا » ياللمصيبة ؟... زوجها ...

عبده : « همسا لعزت » زوج الست ؟ ! ..

عزت : « هامسا يحاول التوارى » أرجوأن لا يرانى ! ...

(يظهر الزوج فى طرف المكان مرتديا سترة سهرة بيضاء من الحرير)

الزوج : « صائحا » عزت بك ؟ ! ... عزت ؟ ... أنت هنا يا عزت ؟ ! ...

عزت : « همسا لعبده الجرسون » قف بالباب ونبهها ! ...

عبده : « هامسا » لاتخف ! ...

الزوج : « متقدما » اسمح لى يا عزت أن أضايقك لحظة ... لابد أن أقول لك شيئا فى غاية الأهمية ...

عبده : « للزوج » البك يطلب ؟ ...

عزت : « وقد تمالك قليلا » ماذا تطلب يا عبد الغنى بك ؟ ..

عبد الغنى : لا ... لاشىء ...

عزت : اطلب شيئاً ... هل تعشيت ؟ ...

عبد الغنى : لا ...

عزت : « فى تردد » إذن ...

عبد الغنى : لا ... ليست عندى أى شهية للطعام ... وأنت ؟ أراك كنت على أهبة الأكل ...« ينظر إلى المائدة» هذاطبق آخر... كنت تنتظر أحداً بالطبع !

عزت : « بارتباك » لا ... أبداً ... أبداً...

عبد الغنى : على أى حال ، لابد لى من أن أجلس معك الآن قليلا ... وأن تصغى إلى مليا ... فأنت صديق ويجب أن اخبرك ...

عزت « يخفى اضطرابه » تفضل ...

عبد الغنى : « للجرسون كى ينصرف » فيما بعد أطلبك ...

عبده : على راحتك يابك ... « يغمز عزت بعينه » أنا على الباب !..

« عبده يخرج »

عبد الغنى : « لعزت » المسألة تتعلق بشوشو ...

عزت : « مأخوذا » شوشو ؟ !...

عبد الغنى : نعم ... شوشو... زوجتى شوشو .. ألا تعرف ماذا اكتشفت الليلة؟..

عزت : اكتشفت ؟ ... ماذا ؟..

عبد الغنى : أنها تخوننى ...

عزت : ماهذا الكلام ؟ !...

عبد الغنى : يدهشك هذا ؟...

عزت : « يبلع ريقه » أنا ... أنا ...

عبد الغنى : أنا أيضاً مندهش ولكن هذا هو الواقع ..ويجب أن نصدق الواقع..

عزت : ربما ... كانت شبهة ...

عبد الغنى : لاياسيدى ... ليست شبهة ... بل حقيقة ... ملموسة ، اتضحت اليوم لعينى ... أكثر من ذلك أستطيع أن أقول لك أنى عرفت الشخص ...

عزت : « مضطربا » الشخص ؟ . . .

عبد الغنى : العشيق؟...

عزت : « وهو يبلع ريقه » عرفته ؟ ...

عبد الغنى : نعم عرفته ... أتحب أن أقول لك من هو ؟ ... هو صديق مع الأسف الشديد !...

عزت : « متغير الصوت والوجه » صديق ! ...

عبد الغنى : نعم. طالما زارنا وخرج معنا واختلط بنا .. لكن الذى كان يرمى إليه

ولا شك هو الانفراد بشوشو والاختلاء بها ... ولولا المصادفة البحته الليلة لما عرفت الامر ... كان بينهما اتفاق فيما يظهر على ذلك الميعاد ...

عزت : « وهو مطرق » الميعاد ! ...

عبد الغنى : نعم ياسيدى ... كان مقرراً أن نذهب معاً أنا وشوشو إلى حفلة خيرية. وذهبنا بالفعل .. وكانت هنالك مائدة محجوزة لنا مع بعض الاصدقاء.. لكن أتدرى ما الذى حدث ... ماكدنا نصل حتى قالت شوشو إنها تشعر بتعب ورغبة فى النوم ... واعتذرت عن العشاء الذى كان قد أعد هناك ... وانفلتت من بيننا كالهاربة فى وسط الجمع قبل أن يتمكن أحد من استبقائها . . .

عزت : ربما ... كانت ... متعبة حقا ...

عبد الغنى : لا ياسيدى ... المتعبة لا تذهب بعد ذلك إلى كازينو ...

عزت : « متخاذلا » كازينو ! ...

عبد الغنى : لتتعشى وتأكل الكباب ...

عزت : « كمن تلقى الضربة الاخيرة » آه ... كباب ! ... انتهى الأمر !.. لا فائدة

عبد الغنى : أليس كذلك ياعزت ؟...

عزت : « فى شبه توسل » وما الذى عولت عليه ... ياعبد الغنى ... بك ؟ ...

عبد الغنى : أريد أن آخذ رأيك أنت ... قبل أى إجراء ...

عزت : رأيى أنا ...

عبد الغنى : نعم ... لو كنت فى مكانى كيف كنت تتصرف ...

عزت : « متلعثما » المسألة طبعاً ... دقيقة ...

عبد الغنى : أعرف أنها دقيقة .. لكن لا بد لها من حل . هذا الصديق.. المزعوم..

ما رأيك فيه ؟ ...

عزت : « بصوت المتوسل» رأيي أن العلاقة ... بريئة ... تأكد...

عبد الغنى : بريئة ؟ وما الذى يدعو زوجتى أن تكذب على ؟.. وتدعى التعب، وهى ذاهبة للقاء هذا الصديق . ؟ !

عزت : ادعاء التعب أمر عادى... يحدث دائماً بدون قصد ولا تفكير ...

عبد الغنى : تريد أن تقول إن زوجتى وصديقى لم يقصدا خيانتى ...

عزت : «بصوت متهدج» حاشا لله!...

عبد الغنى : وأن انفرادهما برىء ... وليس فيه أى اعتداء على كرامتى ...

عزت : كرامتك فى الحفظ والصون . . ولا يمكن أن يكون أحدهما فكر فى الاعتداء على كرامتك أو مكانتك !...

عبد الغنى : أواثق أنت يا عزت ؟ ...

عزت : كل الثقة ...

عبد الغنى : لقد ألقيت على ثورتى برداً وسلاما . . . وفى الحق ... ربما كنت مبالغا... أهذه أول مرة ألاحظ فيها تصرفات شوشو الشاذة ؟ كثيرا ما قالت إنها متعبة ثم أبدت استعدادها بعد ذلك بقليل للسهر فى «بارتيتة بريدج أو كونكان» ... وكثيراً ماقالت نصيف هذا العام فى الإسكندريةثم تقترح بعد دقيقة التصييف فى أوروبا أو رأس البر.. إن شوشو كما تعلم تغير رأيها فى كل ساعة عدة مرات ...

عزت مضبوط ! ..

عبد الغنى :أناعلى كل حال أشكرك ياعزت...

عزت « فى دهشة» تشكرنى ؟ !..

عبد الغنى: نعم لانك أزلت من نفسى هذه الريب السخيفة ! ...

عزت : « متنفساً » الحمد لله ...

عبد الغنى : « وهو يهم بالقيام » إياك ياعزت أن تخبر شوشو بما تحدثنا به الآن.. هذا سر بينى وبينك .

عزت : طبعاً ... طبعاً ياعبد الغنى .. اطمئن .. اعتمد على كل الاعتماد ...

عبد الغنى : اسمح لى أن أتركك الآن ... لأذهب إلى ... « يشير إلى الكازينو) إلى اخواننا..

عزت : سؤال بسيط يا عبد الغنى ... قلت الآن إنه لولا المصادفة البحتة الليلة لما عرفت الأمر ...

عبد الغنى : هذا صحيح ... إنها والله المصادفة وحدها ... لقد تذكرت ياسيدى بعد أن تركتنى شوشو فى الحفلة أنى معزوم هنا على مائدة « مرسى بك أبو طويلة » ... لمناسبة عيد ميلاد ...

عزت : زين عصره ؟...

عبد الغنى : تمام ... فرأيت من الواجب أن أحضر ... ولو لمدة خمس دقائق ... لا لتناول طعام ... فأنا متخم .. بل لمجرد المجاملة ...

عزت : مفهوم ... ورأيت شوشو . أقصد شوشو هائم فى طريقها إلى...

عبد الغنى : « مقاطعاً » لا.. لا.. لم أرها فى طريق .. انتظر ... وأعجب المصادفة أخطأت ياسيدى فى الكازينو ودخلت الكازينو الآخر الذى قبل هذا ... ولم أكد أخطو فى حديقته قليلا حتى لمحت مائدة مثل هذه تجلس إليها شوشو ، وهى تقضم قطعة من الكباب فى صحبة ذلك الصديق

عزت : « صائحاً على الرغم منه » ذلك الصديق ؟ من ذلك الصديق ؟

عبد الغنى : « بهدوء » الصديق الذى قلت لك عنه الآن . . .

عزت : أنت قلت لى عنه الآن ؟ ...

عبد الغنى : وماذا كنت أصنع طول الوقت؟...

عزت : « بحدة » اسمه ؟... ما هو اسمه ؟...

عبد الغنى : أنك تعرفه . . .

عزت : اسمه ؟ ... اسمه ؟ ...

عبد الغنى : بينى وبينك طبعا...رؤوف علوى...

عزت : « بغضب ممزوج بالدهشة » رؤوف علوى ؟ ... رؤوف علوى يتعشى الليلة معها ؟ ...

عبد الغنى : كباب مشوى فى الكازينو المجاور ...

عزت : أأنت واثق؟...

عبد الغنى : كل الثقة ...

عزت : «خارجا عن أطواره» شيء عجيب...شيء فظيع ؟...

عبد الغنى : « فى دهشة »فظيع؟...

عزت : بالتأكيد ... أنت رأيت ذلك بعينك ياعبد الغنى ؟ ... زوجتك جالسة مع رؤوف علوى على انفراد فى الحديقة ، قرب النيل ، بين الأشجار ، والقمر طالع ، والنسيم عليل ، ومع ذلك ... ومع ذلك ...

عبد الغنى : «فى دهشة» ومع ذلك ماذا ؟ ...

عزت : أخبرنى أولا ... ماذا فعلت أنت بعد أن رأيتهما على هذه الحالة ؟ .

عبد الغنى : هذه الحالة ! ... أى حالة ! ...

عزت : هذا الانفراد ... هذه الخلوة ...

عبد الغنى : لم أفعـــل شيئاً ... أستطعت أن أضبط أعصابى ... وقد أحسنت التصرف ...

عزت : أحسنت التصرف ؟ !...

عبد الغنى : أليس هذا رأيك!...

عزت : وماذا فعلا هما عندما أبصراك قادماً ...

عبد الغنى : لم يبصرانى ... كانا مشغولين بالأكل والكلام ...

عزت : « بغيظ مكتوم » شىء لطيف ! ...

عبد الغنى : وانسحبت أنا بدون أن أشعرهما بوجودى ، لأعطى نفسى فرصة للتحرى الهادىء عن الأمر ... وخرجت من المكان فوراً ... ثم تبين لى خطئى فى الكازينو ... فمضيت إلى هنا حيث أسعدنى الحظ بلقائك والاسترشاد بنصحك ... هذه كل القصة باختصار ... وأكرر الشكر ... وإلى اللقاء ...

عزت : « يجلسه » انتظر ... سؤال ثان ... أهما الآن ... فى هذه اللحظة ... مجتمعان فى الكازينو الآخر !...

عبد الغنى : على الأرجح ...

عزت : أو يجوز لك ياعبد الغنى أن تتركهما هكذا ! ... أهذا يليق ! ... أهذا يصح ! ... أهذا معقول ! ... أهذا مقبول ! ...

عبد الغنى : « بدهشة » ماذا حصل لك ياعزت ! ... ماذا دهاك !...

عزت : تترك صديقك ينفرد هكذا بزوجتك ! ...

عبد الغنى : انفراد برىء بالطبع ...

عزت : برىء ؟ ! ... من أدرانا ؟ ...

عبد الغنى : « فى دهشة » من أدرانا ؟ ! ... أنت ... أنت ياعزت ... أنسيت ما قلت الآن ؟ ... أو كنت تفتينى وأنت غائب الوعى ! ...

عزت : لست أدرى ... ولكنى الآن أرى الموقف بكل وضوح ... شوشو تكذب عليك وتدعى التعب لتذهب بعدئذ إلى كازينو على النيل تتعشى مع صديقك رؤوف ماذا نسمى هذا ؟ ...

عبد الغنى : ماذا تسميه أنت؟...

عزت : ليس له غير اسم واحد : خيانة بكل صراحة ! ...

عبد الغنى : خيانة ؟ ! ... هكذا...مرة واحدة ؟!...

عزت : هذا رأيى ...

عبد الغنى : ورأيك السابق الذى أبديته منذ قليل وأكدت لى به إن ادعاء التعب أمر عادى وأن انفراد زوجتى بصديقى لا قصد فيه لخيانة ... وأن كرامتى فى الحفظ والصون ... إلى آخره ... إلى آخره ...

عزت : أردت تهوين الأمر عليك ... ولكن ضميرى استيقظ ...

عبد الغنى : رأيك الحقيقى إذن هو أن شوشو...

عزت : « من بين أسنانه » خائنة ! ...

عبد الغنى : اليس فى هذا الحكم الصارم بعض التسرع ؟ ! ...

عزت : لا يا سيدى الفاضل...الجريمة ظاهرة ولا تحتاج لدليل...تكذب هذا الكذب...وتذهب إلى ذلك الميعاد...لتتعشى مع من؟...مع رؤوف!... رؤوف علوى ... ذلك الشاب الرقيع السخيف المدلل الفارغ...الذى لا يزهو إلا بمجموعة « كارافاتاته » الحريرية التى قاربت الألف ! ..

شوشو تعجب بهذا الطراز من الرجال!؟..وأسفاه !....وأسفاه !...

عبد الغنى : قد تكون غير معجبة به ...

عزت : « فى أمل » أواثق أنت يا عبد الغنى من ذلك ؟! ...

عبد الغنى : معلوماتى مطمئنة ...

عزت : « فى استجداء » افصح...وضح...فصل ... أرجوك هل لاحظت شيئاً عن مدى العلاقة بينهما ... !

عبد الغنى : علاقة طبيعية...

عزت : طبيعية ؟ ... كيف ... كيف ...

عبد الغنى : طبيعية...علاقة طبيعية...أقصد لم ألاحظ شيئاً غير عادى !...

عزت : « بيأس » أف !...ليس عندك إذن معلومات فى الأمر...

عبد الغنى : أى نوع من المعلومات تريد ...

عزت : ألم تقل مرة إنها تستظرفه ؟ .. ألم تحادثه كثيراً فى التليفون...ألم تبادله نظرةمن تلك النظرات...

عبد الغنى : لا أتذكر...

عزت : تذكر...يجب أن تتذكر...أرجوك يا عبد الغنى أن تتذكر جيدا ...ألم تلمح مرة شيئاً من هذا القبيل يحدث بينهما ؟ ! ...

عبد الغنى : لا ... مرة واحدة فقط ... حدث...

عزت : «بعجلة واهتمام» ماذا ؟...حدث ماذا ؟...تكلم...

عبد الغنى : ضحكت شوشو ضحكامتواصلا لنكتةقالهارؤوف...

عزت : نكتة قالها رؤوف...! رؤوف يستطيع أن يقول نكتة تضحك...! ياللطامة الكبرى!. ياللكارثةالعظمى!...لا بد أن القيامةستقوم قريباً...

لا بد أن القنبلة الذرية ستنسف الكون ... لا بد أن الله سيمسخ الناس قرودا ... لا بد أن ...

عبد الغنى : مهلا ... مهلا ... ما هذه الحماسه !...

عزت : وأنت ... ما هذا ... ما هذا ... ما هذا الفتور ؟ !... رؤوف يأخذمنا ... أقصد يأخذ منك زوجتك ولا تحرك ساكنا ...

عبد الغنى : ومن قال إنه أخذها ...! ...

عزت : أنت ... ألم تقل الآن إنك ضبطتها معه تحت الشجر ... فى ضوء القمر ...

عبد الغنى : ضبطتها ...! هذه كلمة شديدة جارحة ...

عزت : جارحة لمن ؟ ...

عبد الغنى : لشوشو بالطبع ...

عزت : آه!... إنى آسف!...

عبد الغنى : اسمع ياعزت ... لاتعقد المسائل ... ولا تتكلم بانفعال ... راجع رأيك الأول الذى أبديته وأنت هادىء تجد أنه هو المعقول يظهر أن ضميرك عندما استيقظ أراد أن يحدث ضجيجاً بلا مناسبة !! ...

عزت : « فى إطراق » صدقت ... إنى آسف ... كل يقظة فيها ضجيج !... إنى آسف ... إنى آسف ...

عبد الغنى : والمغتنا ياعزت اعتادت الراحة ... أتركك الآن لتتناول عشاءك ... ولأتناول أنا كأسا عند إخواننا ... « يشير إلى الكازينو » إلى اللقاء غدا ... وأشكرك ...

« ينصرف عبد الغنى » . ويبقى عزت وحده امام مائدته . . . ولا يتمالك نفسه فيمد يده وينزع « الفوطة » التى فوق الطبق الآخر بعنف ويلقى بها على الأرض ... »

عزت : تتعشى مع رؤوف !... وأنا هنا فى انتظارها منـــذ ساعتين! ...
ياللفاجرة ! .. ياللفاجرة ! ... « يقرض اصابعه غيظا ثم يصيح فجأة »
جرسون ... عبده ... يا جرسون ! ... يا عبده ...

عبده : « يظهر مهرولا » أفندم سعادة البك ... نشوى الكباب؟ ...

عزت : لن تأتى ...

عبده : ماذا جرى ... لاسمح الله !؟...

عزت : جرى ماجرى... المهم أنها لن تأتى.. تناولت العشاء... فى كازينو آخر؟...

عبده : « بدون أن يفهم » كازينو آخر؟ ! ...

عزت : حسابك ...

« يظهر عندئذ طفل آخر فى العاشرة متدثرا فى الأطمار ... يحمل أوراق « اليانصيب » وهو يلتقط فى نفس الوقت اعقاب السجاير... »

الطفل : « مناديا » ألف جنيه !... ألف جنيه « يشير إلى كوب ماء على المائدة »
تسمح يا بك ... اشرب؟ ...

عبده : « يطرد الطفل بخرقته » امش يا ولد ... امش ...

عزت : دعه يشرب ...

عبده : يوسخ لنا الكوب...

عزت : لا بأس ... « يناول الكوب للطفل » اشرب ياولد ...
« ثم يلتفت إلى عبده » وانت كم حسابك ياعبده ؟ ...

عبده : ألن تتعشى سعادتك ؟...

عزت : قلت لك إنى شبعان ...

عبده : خسارة ... العشاء الفاخر الذى جهزناه... تدفع ثمنه دون أن تمسه...

الطفل : « وقد انتهى من شرب الكوب يضحك » ربنا يطيل عمرك يا بك ...

عزت : « يلتفت إلى الطفل » تعشيت ياولد ؟...

الطفل : أنا ؟! ... لا ...

عزت : « يشير للطفل إلى الكرسى الذى أمامه » اجلس هنا وتناول هـذا العشاء... «لعبده» اشو الكباب يا عبده ...

عبده : « فى دهشة » اشوى الكباب ؟...

عزت : نعم... وبأقصى سرعة ...

عبده : «مشيراً إلى الطفل باحتقار» لهذا...

عزت : نعم... لهذا ... ألست حراً فى عشائى؟... اذهب واحضر الطعام جميعه بسرعة ... ولا تنس الفاكهة ...

عبده : أمر سعادتك !... « ينصرف مسرعا »...

عزت : «يلتفت نحو الطفل» لماذا لم تجلس ... ألم أقل لك اجلس...

الطفل : «متردداً» لا يصح يا بك ...

عزت : بل يصح... وأنا الذى اطلب منك ... اترك أوراق يانصيبك ، وعلبة أعقاب سجايرك تحت المائدة... واجلس هنا..

الطفل : «وهو يضع ما معه» خذ منى يا سعادة البك ورقة بألف جنيه...السحب بكره ! ...

عزت : لا أريد الورقة ... ولكنى سأدفع لك ثمنها ...

الطفل : «وهو يجلس أمامه» لا... لا يابك قصدى أن تأخذ الورقة بدون ثمن...

عزت : قصدك أن تعطينى ألف جنيه فى مقابل أكلة لن تكلفنى أكثر من جنيه !... هـذا كرم منك !..

الطفل : «بدهشة» جنيه ؟ ... سآكل بجنيه !...

عزت : أهذا كثير ؟ . .

الطفل : «برجاء» خذ مني ورقتين بدون ثمن...

عزت : ماذا أفعل بهما ؟ ! ..

الطفل : ربما كسبت واحدة «البريمو»...

عزت : لا أريد أن أكسب ...

الطفل : «بعجب» لا تريد أن تكسب ؟ ... لم أسمع مثل ذلك ... كل الناس تحب أن تكسب « البريمو » ...

عزت : وانت ؟...

الطفل : أنا !...

عزت : ألم يكن معك ذات مرة قرش ...

الطفل : نعم... كان معي قرش ..

عزت : ماذ فعلت به؟...

الطفل : اشتريت به رغيف عيش وحلاوة طحنية...

عزت : ولماذا لم تشتر به ورقة قد تكسب «البريمو»...

الطفل : لا... هذا للزباين...

عزت : الزباين ؟...

الطفل : نعم ... البكوات مثل سعادتك ...

عزت : مفهوم . . . أصحاب البطون الممتلئة ! . . . حقاً هم دائماً المتعطشون لكسب الألوف ! . .

الطفل : أعرف بك كبيراً مثل حضرتك ... يجلس فى القهوة بالعتبة.. يشترى كل

يوم جميع أصناف ورق اليانصيب من كل الباعة المارين ... وسمعتهم يقولون إنه صاحب أربع عمارات . .

عزت : «كالمخاطب نفسه» عندما تصبح عشرين عمارة فإن جوعه لربح المال يتضاعف ويزداد ...

الطفل : «يمد يده نحو طبق الخبز بتردد» هذا الخبز ... لحضرتك؟...

عزت : خذ... خذ ... لا تخف ... كل ما على هذه المائدة هو لك أنت ...

الطفل : «يتناول قطعة خبز» آخذ لقمة ...

عزت : لا تكثر من الخبز ... انتظر الكباب... اتحب الكباب ؟! ...

الطفل : ومن يكره الكباب !...

عزت : اسبق أن أكلته ؟ ...

الطفل : كثيراً ...

عزت : «بدهشة» كثيراً ؟! ... أين؟ ...

الطفل : عند الحاتى ...

عزت : «متعجباً» الحاتى ؟! ...

الطفل : الحاج درويش الكبابجى فى باب الشعرية الله يستره رجل طيب ... كل جمعة يخرج لنا «الجردل» ملآن بما يفضل فى الصحون ... ويقول لنا أنا وزملائى : كلوا يا أولاد واشبعوا... الستم أنتم أولى من الكلاب والقطط!..

عزت : تأكلون ماذا ؟ ... العظام التى تتبقى من زبائن المحل ؟ ! ... أو تجدون فيها ما يؤكل ؟ ...

الطفل : كل منا وبخته ... الولد «حباية» زميلى ، تقع فى يده دائماً العظمة التى

فيها منهش ...

عزت : نعم... نعم ... أما الفاكهة طبعاً فممنوعة ...

الطفل : لا نعرف غير صنفين أو ثلاثة ... فى الشتاء البرتقال ...

عزت : وفى الصيف ؟...

الطفل : البطيخ والشمام ...

عزت : « بعجب » شيء عظيم ... وأين تجدون ذلك ؟...

الطفل : البركة فى الصناديق !...

عزت : صناديق ؟...

الطفل : نعم... الموجودة فى الشوارع ...

عزت : آه...آه صناديق القمامة! ..

الطفل : الشاطر فينا من يجرى إليها عند الفجر قبل أن تأتى العربة الكبيرة ... وينزل من فوقها الكناس يطردنا ويضربنا ...

عزت : ولماذا يطردكم ويضربكم ؟ ! ...

الطفل : لا ندرى ... ولكنه يقول لنا ... امشوا يا كلاب ... أهــذا يملكه أبوكم !...

عزت : ومن الذى يملكه ؟ ...

الطفل : الحكومة ...

عزت : قشر البرتقال والبطيخ والشمام ؟! ...

الطفل : مرة كان يلحق بى... ولكنى جريت منه ... فضرب بمكنسته قطة كانت تنبش معنا فى الصندوق فكسر رجلها وانطلقت تعرج وتصرخ ...

عزت : أفهم أن يضرب الكلاب والقطط ... ولكن لماذا يضربكم أنتم ؟!...

الطفل : ولماذا يضربها هى أيضاً ؟!... إنها تبحث مثلنا عن طعامها ...

عزت : ألا تضايقكم ؟! ...

الطفل : لا ... الصندوق متسع ... وفيه ما نريد نحن... وما تريد هي...

عزت : « خجلا من نفسه » صدقت...

عبده يظهر متسرعا .. وهو يحمل طبقاً به كباب ، وطوقاً آخر به برقوق

عبده : شوينا بمنتهى السرعة ! ...

عزت : « يشير إلى جهة الطفل ويأمر عبده » ضع هنا ...

عبده : « وهو ينفذ بغضاضة » لحم مفتخر... لو دقت منه سعادتك ...

عزت : لا ... « يشير إلى المنشفة التي كان قد ألقاها على الأرض » هات يا عبده هـــذه « الفوطة » وعلقها فى صدر هذا الطفل ... « للطفل » نسيت أن أسألك عن اسمك ... ما أسمك ؟ ...

الطفل : اسمى « بندقة » ...

عبده : « وهو يربط المنشفة فى عنق الطفل بخشونة » بندقة فارغة !...

عزت : لأنه ليس فى جيبه محفظة ! ... أليس كذلك ؟!...

عبده : أتأمر بشيء آخر يا سعادة البك ؟ ! . . .

عزت : لا . . . يا عبده أشكرك . . . « عبده ينصرف ويأخذ عزت فى غرف بعض الكباب من الطبق الكبير إلى الطبق الذى أمام الطفل قائلا » والآن... تفضل بالأكل ... يابندقة ! ... كل طبعاً بيدك كما أنت معتاد أن تأكل . . .

الطفل : « يتناول قطعة لحم ويأكل بشهية وهو يقول » : الله ! ...

عزت : « يراقب شهيته العجيبة » لذيذة ؟ ! ...

الطفل : « وهو يمضع ويزدرد » الله ؟! ...

عزت : ما شعورك ؟ ! ...

الطفل : « غيرفاهم » نعم؟...

عزت : أقصد... ماذا تحس الآن وأنت تأكل مثل هـذا اللحم الفاخر ؟! ...

الطفل : « وهو يزدرد قطعة أخرى » هذه : « كفتة» ... « كفتة » ... «كفتة»...

عزت : بماذا تشعر وأنت تأكلها ؟ ...

الطفل : « وفمــه مملوء » الله ...

عزت : « وهو يتأمل شهيته » أهى لذيذة إلى هذا الحد ؟ . . .

الطفل : « يعزم عليه » دق قطعة ...

عزت : ليس عندى شهية... مع الأسف...

الطفل : ربما كنت لا تحب أن تأكل معى ...

عزت : بالعكس ...

الطفل : « وهــو يأكل » عندما سأقول لزملائى : الولد « حباية » والولد « زقزوق » والولد « محروس » إنى أكلت لحم كباب ... حقيقى ... فى طبقه... مثل الزباين . . .

عزت : ماذا يفعلون ؟ . . .

الطفل : لن يصدقونى أبداً ... ولكنى سأحلف لهم برأس سيدنا الحسين ... وسأصف لهم ...

عزت : تصف لهم ماذا ؟...

الطفل : « وهو يرفع فى يده قطعه » طعم الكفتة ...

عزت : ما هو طعمها ؟...

الطفل : « وهو يزدردها » الله ...

عزت : « فى عجب » أمسرور أنت بهذا القدر ؟ ... أسعيد أنت بهذا المقدار ؟ ...

تظهر سيدة أنيقة فى مقتبل العمر ... هى « شوشو » وتتجه إلى المائدة بخطوات سريعة ...

شوشو : تأخرت عليك قليلا ياعزت ؟ ...

عزت : وماذا يهم ؟ ... مادمت قد تناولت العشاء ...

شوشو : حقاً ... لم استطيع الاعتذار ... ألحوا على كثيراً أن أتعشى فى الحفلة؟ ...

عزت : الحفلة ؟ ! ...

شوشو : طبعاً الحفلة الخيرية ...

عزت : مفهوم...

شوشو : « تشير إلى الطفل » ما هذه القذارة ؟ ! ... ألم تستطع أن تجد غير هذا تشغل به مكانى ؟ ! ...

عزت : لا ... لم أستطع أن أجد قذارة أشغل بها مكانك ...

شوشو : ماذا تقول ؟ !

عزت : لاينبغى أن نصف هذا الطفل البرىء بهذا الوصف ...

شوشو : ماهذه المقابلة ياعزت ؟ ! ... ما الذى جرى لك الليلة ؟ أهذا كله لأنى تأخرت ساعة عن الميعاد ؟ ! ...

الطفل : ينهض ويتنحى عن الكرسى » ؟

عزت : أين تذهب يابندقه ؟ !

الطفل : « بحياء » أكلت ...

عزت : لا ... اجلس ... وأكمل عشاءك .

الطفل : شبعت ...

عزت : تريد أن تترك الكرسي للست ؟ ! ... انها تناولت عشاءها كما سمعت ... ولديها كرسي ثالث هنا ... اذا أرادت الجلوس ...

شوشو : لا ... لن أجلس ... سأنصرف بعد لحظة ... الجو بارد ! ...

عزت : مؤكد ... لابد أن يكون كذلك هاهنا ! ...

شوشو : ثق ياعزت أني كنت أود أن أتعشى معك ...

عزت : أيضاً ؟ ! . .

شوشو : « بقلق » ماذا تقصد ؟ ...

عزت : أقصد طبعاً ... إلى جانب الحفلة الخيرية ...

شوشو : نعم ... ولكني لم أستطع أن أجمع بين ...

عزت : « بسرعة » بين مائدتين في وقت واحد ؟ ! . ولم لا ؟ ... هنالك من يستطيع الجمع بين ثلاث موائد... وربما أكثر ... وأكثر ... من يدري ؟ ! ... هنالك طراز من الجياع يقضون من حياتهم كلها بين الموائد ، ولا يملؤون أبداً ما يشعرون به دائماً من فراغ ...

شوشو : من تعني بهذا الكلام ؟...

عزت : « ينصرف إلى الطفل » كل يا بندقة ! ... أذقت من هذا البرقوق ؟ ... « يعطيه واحدة » ما رأيك فيه ؟ ...

الطفل : « يضعها في فمه » الله ! ...

عزت : حلو ؟ ! ...

الطفل : « هاتفاً مبتهجاً » مثل السكر ! ...

عزت : « لشوشو » بشيء زهيد نستطيع أن نجعل هذا النوع البسيط من الجياع

سعيدا ... أما غيرهم ...

الطفل : « لعزت فى تردد » سعادة البك ... أريد أن أطلب شيئاً ...

عزت : اطلب ... اطلب ...

الطفل : أريدأن آخذ معى ثلاث برقوقات ...

عزت : ثلاث برقوقات ؟ ! ...

الطفل : نعم...واحدة أعطيها لزقزوق...وواحدة لحباية...وواحدة لمحروس...

عزت : فقط ؟ !...لا... بل كل ما تراه هنا فوق هذه المائدة ... من خبز وكباب وفاكهة ستحمله معك ...

الطفل : « بفرح » أحمله معى ؟!...

عزت : نعم لأنه لك ... ألم أقل لك الآن إن كل ما فوق هـــذه المائدة هو لك أنت ! ...

الطفل : « بفرح » أين أضع كل هذا ؟!...معى العلبة... أرمى ما فيها من أعقاب السجاير ...

عزت : بل انتظر...معى أنا هذه الجريدة ... صفحاتها عديدة كما ترى...أجعل لك منها قرطاسا طويلا عريضاً ...

يتناول جريدة ويصنع قرطاسا يصب فيه الكباب ، وآخر يضع فيه الخبز ... وثالثا الفاكهة ...

شوشو : « لعزت بسخرية وهى نافدة الصبر » منذ متى تيقظت فيك هذه العواطف ؟ ! ... أنت الذى كنت تشكو لطوب الأرض ، من جشع الفلاحين فى عزبك ؟ ! ...

عزت : «لايجيبها ويحمل الطفل القراطيس» أفى إمكانك أن تسير بها هكذا ؟...

الطفل : نعم ...

عزت : ألن يسقط منها شيء ؟ ...

الطفل : لا ... لكن ...

عزت : ماذا ؟ ...

الطفل : أخاف أن يضبطونى وأنا خارج من هنا ...

عزت : لماذا ؟... هذه الأشياء ملكك ...

الطفل : لن يصدقوا ... وسيضبطوننى ...

عزت : حقاً ... أنت الذى تضبط ... أما غيرك ...فإن مجرد هذه الكلمة تعتبر بالنسبة إليه ، شديدة جارحة . . . « يلقى نظرة إلى شوشو » تستوجب المعذرة والتأسف ! ... « ينهض مع الطفل » هلم أشيعك إلى الباب ... حتى تغادر هذا المكان كما جئته ... محتفظا بشرفك ! ...

شوشو : « فى ضحكة استهزاء » شرفه ! ...

يخرج عزت مع الطفل المحمل بقراطيسه دون أن ينظر إلى شوشو . التى تبقى فى مكانها تنفخ من الغيظ. ...

ستار

١٧ - من وحي الحياة الفنية

العش الهادئ

قصة تمثيلية في أربعة فصول

الفصل الأول

« كابين » فى بلاج سيدى بشر . . . شرفة الكابين وهى مؤثثة بالمقاعد المريحة والوسائد الملونة . . . وفى أحد أركانها جهاز راديو صغير . . . وفى صدرها منضدة عليها أوراق . . . يجلس إليها رجل يلبس « البنطلون » العادى مع قميص أبيض . . . حلت منه « الكرافتة » وتدلت .. هو الأستاذ « فكرى » ... وهو يهرش شعره المنفوش بقلمه . . . وتحت قدميه كوم من الأوراق الممزقة والمطبقة ... يلقى عليها أيضاً بورقة أمامه كتبها ثم مزقها ... عندئذ يمر به رجل بدين ، مفتول الشوارب ، ملتف فى « برنس » حمام زاهى اللون . . . هو : « بيومى ابو النجف » . . . يقف مسندا ذراعيه إلى حاجز الكابين الخشبى ، ملقيا على الأستاذ فكرى نظرة اعجاب . . .

أبو النجف : بسم الله ما شاء الله !... اللهم صلى على النبى !...اللهم زد وبارك !... ربنا يقويك يا أستاذ ! ... هكذا التأليف والا فلا ...

فكرى : « مشغول عنه بالنظر فى الورق الذى أمامه » ؟...

أبو النجف : صباح الخير يا أستاذ فكرى ! ...

فكرى : « يرفع رأسه ويراه صباح النور يا « أبو النجف » بك !...

أبو النجف : اكتب يا أستاذ ...اكتب... انسجم فى الرواية...أنا كل غرضى... أطمئن عليك ... وعلى راحتك ... الكابينة تحت أمرك فيها كل الاستعدادات ... عندك الراديو ... وعندك فى الداخل ثلاجة ... وأدوات القهوة والشاى .. والهواء الطلق حواليك ...

والبحر اللطيف أمامك... أما الهدوء والسكينة ، فحدث ولا حرج... من جهتى أنا قد نبهت على كل إنسان أن يتركك وحدك تعيش مع الخيال الجميل الذى سيضع لنا «الفيلم» المدهش... وقد نفذت تعليمات المخرج بالحرف الواحد . . . قال لى الأستاذ المؤلف يريد الهدوء التام... لأن وحيه من غير مؤاخذة لا يهبط ولا يعشش ولا يبيض ولا يفقس إلا فى جو الهدوء ... فرأيت أنسب مكان لنزول الوحى هو هـذه الـكابينـة . . . أليس رأيى فى محله ؟ ...

فـكرى : فى محله ... وأين المخرج ؟ ...

أبو النجف : لا أعلم... ألم تره أنت ؟... إنه نازل معك فى فندق واحد...

فـكرى : لم أره منذ الصباح الباكر ... سألت عنـه : قالوا خرج يتمشى على الـكورنيش ...

أبو النجف : رجل رياضى ... هل تريد منه شيئاً يا أستـاذ ... أنا أسد مسده ... قل لى كل طلباتك...لا تظن أنى رجل مالى فقط...اختصاصى تمويل الفيلم... لا... أنا لى ذوق يعجبك ... لا يغرك أنى تاجر خيش ... أنا افهم فى الفن... واعرف بالفراسة الممثلة التى سيكون لها مستقبل فى السينما... ما قولك فى بطلتنا ميمى كمال ؟! ... ألا تستحق أن أصنع لها «فيلماً» بعشرين ألف جنيه ! ...

فـكرى : «بدون التفات» تستحق ! ...

أبو النجف : أنا الذى اكتشفتها... أتدرى أين يا أستاذ ؟...فى صالة بسيطة...ترقص رقصـة عادية . . . ولـكن القوام والنظرات والابتسامات وخفة الدم «الشربات» والعيون والحواجب والشفتين والخدين والذراعين

والوقفة والغمزة والضحكة... والرمش والخال والتيه والدلال...

فكرى : «بضيق خفى» إلى آخره ... إلى آخره ...

أبو النجف : بذمتك ... أنا أرضى بذمتك ... من الألطف والأخف : ميمى كمال ؟ أو ريتا هباب ؟!...

فكرى : ريتا هباب؟... من تكون؟ ... تقصد ريتا هيوارت ؟...

أبو النجف : كل الفرق بينهما فى شىء واحد : الدور ... البس ميمى كمال دوراً فيه لطافة وأناقه ورشاقة ... البسها دوراً من هـذه الأدوار التى تظهر مواهبها ، وهى تضرب ريتا هباب على عينها وعين مخرجها الذى فى هوليود ... وهـذا الدور من يؤلفه غير أستاذنا العظيم ... هكـذا قالوا لنا ... وهكـذا نحن رهن إشارتك ... اعتمادنا على الله وعلى خيالك ووحيك ومزاجك ... أمس قال لى المخرج إن مزاجك لا يروق إلا بقليل من المانجو الفاخرة ... فأرسلت إليك البارحة عشرين « منجاية » من هندى والفونس وبيض عجـل وزبدية ... لتأكلها على الريق...

فكرى : آكلها على الريق ؟ ...

أبو النجف : نعم ... هكذا أوصانى المخرج... وأعطانى رقم حجرتك بالفندق .. رقم «١٥» وقد أرسلت إلى حجرتك هذه أيضاً قبل يومين أقة بطارخ مفتخر ... حسب تعليمات المخرج أيضاً ... لتأكلها قبل النوم حتى يصفو ذهنك ! ...

فكرى : بطارخ ... قبل النوم ! ...

أبو النجف : قبل النوم ... بعد النوم ... انت حـر ... المهم ان كل طلباتك منفذة... وكل تعليمات المخرج متبعة ...

فكرى : ماذا أوصاك المخرج أن ترسل أيضاً ... إلى الحجرة رقم «١٥» ؟!

أبو النجف : السيجار الفخم العجيب ... الذى تسمح فى دخانه المعطر أحلامك الرايقة ...

فكرى : «من بين أسنانه» شىء جميل جيداً ...

أبو النجف : طبعاً وصلتك هذه الأشياء البسيطة ...

فكرى : أشكرك يا أبو النجف بك ... شكراً جزيلا ...

أبو النجف : لاشكر على واجب ... أهذه أشياء لها قيمة؟ ... نحن خدام وحيك... الوحى الذى سيطرز لنا الدور الرائع اللائق بميمى كمال ... لكن ... «على فكرة» ياأستاذ ... لى عندك رجاء ... رجاء واحد ... تسمح؟

فكرى : تفضل ...

أبو النجف : تذكر أنى قلت لك: القبلات ممنوعة ...أعنى أن دورها يجب أن يكون بعيداً عن كل ما... انت فاهم غرضى !... لاتقبل أحداً... ولا أحد يقبلها.

فكرى : أطمئن... دورها فى غاية الجد والاحتشام...لن تغازل ولن تحب... ستحتفظ بقلبها لشخص واحد فقط ...

أبو النجف : من هو ؟ ...

فكرى : شخص غير موجود فى الرواية ...

أبو النجف : «يبرم شواربه باسماً» تعجبنى فيك الفطنة ... تفهمها وهى طايرة !... «يتنهد» لكن ... ياخسارة ! ... على كل حال ... ربنا يعدل الأحوال ... قل لى يا أستاذ ! ... انت هنا من الصبح ؟ ! .

فكرى : من نحو ساعة ...

أبو النجف : ألم يأت أحدهنا ... يسأل عنى ؟ ...

فكرى : تقصد الآنسة ميمى كمال ؟ ! ...

أبو النجف : لا ... لا ... ميمى لاتزال فى فندقها ... أعرف ذلك ... ربنا يحرسها ... أبلغتنى الآن بالتليفون أنها لن تغادر حجرتها قبل الظهر ... أقصد رجلا يرتدى طربوشاً ومعطفاً من الجوخ فوق جلباب من السكروتة...

فكرى : لم يأت أحد وأنا هنا ...

أبو النجف : خشيت أن يكون قد سأل عنى فى الفندق ، فدلوه على الكابينة ... نسيت أن أترك له خبراً قبل مجيئى ... أرجوك .. إذا جاء الآن فلينتظرنى ... سأغطس فى البحر غطستين وأعود ...

فكرى : «وهو ينظر فى أوراقه» اغطس فى البحر...وأنا أغرق فى الورق!...

أبو النجف : « وهو منصرف » ألا يلزمك شىء يا أستاذ ؟ ...

فكرى : الوحى .

أبو النجف : لو كان الوحى يباع ، كنت اشتريت لك منه ملء زكايب ... لكن هذا الصنف لا أعرف أنا شخصياً فى أى سوق يوجد ...

فكرى : ولا أنا شخصياً ...

أبو النجف : « وهو ينصرف » الله يكون فى عونك ... الفاتحة لسيدى بشر ... بجاهه وبركته ينزل عليك الساعة وحى ... بجناح أبيض مرفوف... ابن حلال ...يصور لك أبدع دور سينمائى لميمى كمال...الفاتحة... بسم الله الرحمن الرحيم ...

(يتصرف وهو رافع يديه نحو السماء يتلو الفاتحة ...)

فكرى : « هامسا » الفاتحة لسيدى بشر ... يخلصنى على خير من هذه الرواية السخيفة ... التى قبضت ثمنها ولا أدرى ما ختامها ! ...

(تظهر ميمى كمال وترتمى بسرعة على مقعد فى الكابين محاولة إخفاء نفسها .. وهى مرتديه ثياب البلاج من سراويل طويلة وقبعة كبيرة من القش .. ومنظار أسود الخ ...)

ميمى : أرجو أن لا يكون قد لمحنى... ماله يمشى هكذا رافعا يديه إلى السماء... بهذا « البرنس » المضحك ... وكرشه الذى يهتز أمامه ... كأولئك الذين يقولون : « الحمد لرب مقتدر » ! ...

فكرى : « وهو ينظر فى ورقه » يقرأ لك الفاتحه ! ...

ميمى : لى أنا ؟ ! ...

فكرى : طبعا ... ألا تعرفين ؟ ! ...

ميمى : أعرف ... ياسيدى ... أعرف ... مصيبة ونزلت على رأسى وأنا ، فى زهرة شبابى ! ...

فكرى : مصيبة ؟ ! ... تسمينه مصيبة ذلك الذى ينفق من أجلك عشرات الألوف من الجنيهات ! ... يا للنساء ! ... يا للنساء ! ...

ميمى : لى أحلامى الخاصة يا أستاذ ... وهى منسوجة من خيوط الشعر ... لا من خيوط الخيش ! ...

فكرى : خيوط الخيش هى وحدها التى ستنسج منك نجمة سينمائية ! ...

ميمى : ولو ... ضع نفسك فى مكانى ...

فكرى : أنا فى مكانك موضوع جاهز ... معك فى نفس الزكيبة! ... جيوبى مملوءة بالذهب لأصنع لك الدور الذى يجعل ريتاهيورات بجـــوارك ريتاهباب ... ويجعل من جريتا جاربو بالنسبة إليك جريتا جربوعة! ... اللهم رحمتك ! ... ما أشد إغراء المال ... به نقبل تحدى المعجزات ... نحن الرجال ...

ميمى : نحن أيضاً النساء بالمـال نتحدى كل المعجزات ... إلا واحدة ... الحب ... حب رجل مثل بيومى أبو النجا ! ...

فكرى : « بتهكم » الحب ؟ ... « يغرق فى الورق » عن اذنك ...

ميمى : نعم الحب ... أيستطيع المال أن يشترى القلب ؟ ...

فكرى : من فضلك ... أريد أن أكتب ...

ميمى : الوحى هبط ؟ ...

فكرى : لا ... ولكن الذى سيهبط هو المخرج ... سيأتى الآن ، يفتح حلقه ... ويكرر الاسطوانة المعهودة ... القصة يا أستاذ ... موعد دخول الاستديو حان ... السيناريو لم يقطع ... الألحـان لم توضع ... الأدوار لم توزع ... أنقذنا ... أسعفنا إلى آخر هذا الـكلام الذى يصد النفس ويصدع الرأس ...

ميمى : وجودى إذن يعطلك ...

فكرى : وجودك هنا لن يسرك

ميمى : بالعكس ... من أدراك ؟ ...

فكرى : أى سرور وأى تسلية فى أن تجلسى أمام رجل مطلوب منه أن يؤلف ودماغه أفرغ من جوف هذه المحارة الملقاة على الرمل ! ...

ميمى : أهذا لأنك تكتب لى أنا دوراً ؟ ...

فكرى : لك أو لغيرك . . . الدور الذى أكتبه الآن لابد أن يكون رائعاً ... الفيلم كله سيكون تحفة فنية !... لأن الفن الرفيع هو الذى ينبع من أرفع الدوافع ... ودوافعنا كلها ولله الحمد شريفة !... الممول لا يهمه سوى إخراج هيامه ... والمؤلف لا يهمه سوى إخراج قرشه ... والمخرج لا يهمه سوى إخراج اسمه... والجمهور لن يبقى له سوى إخراج لسانه!...

ميمى : دعاية مدهشة للفيلم منذ الآن ... إنك صريح جداً... خذ منى نصحية ... اترك ورقك الآن ...وقم معى ... نعم ... قم والبس «المايوه» ...وأنا ألبس « المايوه » ونسبح فى الماء... لأن الوحى إذا لم تجده على الأرض فابحث عنه فى البحر ؟ ...

فكرى : البحر؟...أنزل البحر؟...

ميمى : ألا تعرف العوم ؟ ...

فكرى : كما تعرفين أنت التمثيل...

ميمى : قم معى إذن ...

فكرى : ما هذا الكلام الفارغ يا حضرة النجمة ... اترك عملى الذى جاءوا بى وتكلفوا ودفعوا لى من أجله ... وأتبعك فى هذا اللهو واللعب... أهذا يجوز ؟ ... بدلا من أن ألبسك أنا الدور... تلبسيننى أنت « المايوه»...

ميمى : « تضحك » أليس هذا أحسن لك ؟ ...

فكرى : لست أفكر الآن فيما هو أحسن لى ... ولكن فيما هو أحسن عند « أبو النجف » ...

ميمى : أبو النجف ... أبو النجف ... الا يمكن أن نفكر دائما الا فى هذا المخلوق ؟ ... أليس من نكد الدنيا أن يريد مثل هذا الرجل أن يلف فى

خيشه قلبي وذهنك ! ...

فكرى : أرجوك...أرجوك...لا تحاولى أن تثيرينى ضد هذا الرجل ... نقوده فى جيبى ... وليس من السهل على أن أخرجها والتى بها فى وجهه ... لابد لى أن أكتب له قصة فيلمه ... بأى طريقة... وجع ساعة ولا كل ساعة ! ... « يعود إلى ورقه عن » عن إذنك ! ...

ميمى : أهذا تأليف ؟ ... أم خلع ضرس ... لا يمكن أن تكون هذه حالتك فى كل ما سبق أن كتبت ونشرت ...

فكرى : « منهمك فى الكتابة» من فضل حضرتك ...اتركينى أكتب الفيلم الذى سيقال عنه كالعادة إنه رفع رأس السينما المصرية عالياً ! ...

ميمى : « مستمرة » لابد أن يكون قلبك قد تفتح يوما ما لموضوع عجبك وخلب لبك ، فسال قلمك متدفقا يكتبه بلذة ، دون أن تفكر فى غايته أو مصيره ... هكذا الحب أيضاً ...الحب الذى يملك قيادنا ...ويسير بنا بلا غاية ولا غرض ... إلى مصير مجهول .. هذا الحب تعرفه طبعاً ... أليس كذلك ؟ ... أجبنى يا أستاذ ... أجبنى...

فكرى : « يرفع رأسه نحوها » نعم ؟...

ميمى : هل تعرفه ؟ ...

فكرى : « شاردا » من هو ؟ ...

ميمى : الحب ...

فكرى : وآخرتها معك ياسيدتى ؟ ! ... هل ترين أنى خالى البال الآن للكلام فى ... فى الحب ! ؟ ...

ميمى : ما هذه القسوة؟...أأنت تعامل كل النساء بهذه الطريقة...أم أنا فقط...

فكرى : لا تؤاخذينى . . إنى كما ترين « ملبوخ » لا أعرف لى رأسا من قدم ...

ميمى : حسبت أن الحديث فى الحب يهدىء نفسك وينعش فكرك... أنت الرجل ذو القلب الرقيق ، والإحساس المرهف ، والمزاج العاطفى ، والروح الشاعرى ... هذا الحب الذى لهعندك نوع من القداسة...

فكرى : أنا ؟ ! ... من قال ذلك ؟

ميمى : أنت الذى تملأ قصصك بالحب ... لابد أنك أحببت ... لابد أنك تعرف هذا الحب الصارم العارم العاصف الجارف ... الساحق الماحق ...

فكرى : ياساتر ...

ميمى : لاشك عندى فى ذلك ... انى أكون أسعد الناس لو حدثتنى قليلا عن حبك ...

فكرى : « يتمسك بالصبر » حبى ؟ . . .

ميمى : نعم . . . حبك ... حدثنى عنه ... من هى السعيدة التى ظفرت بقلبك وملكت قياده ؟ ...

فكرى : قياد ماذا ؟ ... انك واهمية أيتها الآنسة... ان قلبى ليس له قياد... ولا عيد ميلاده ولا محل إقامة ... ولا أعرف شيئاً عن تاريخه ... كل معلوماتى عنه أنه تركنى منذ زمن طويل...وانقطعت عنى أخباره...

ميمى : بسبب امرأة ؟ ...

فكرى : لا ... أبداً ... بدون سبب...

ميمى : غير معقول ...

فكرى : الحاصل ...

ميمى : أو يمكن أن تعيش بدونه؟... أتعيش بغير حب؟... ألا تريد أن تحب ألا تريد أن تخلص لشخص عزيز ؟ ...

فكرى : « يعود إلى الورق » أريد أخلص من قصة « أبو النجف » ! ...

ميمى : «مستمرة» أتعيش حياتك كلها وحدك... ألا ينبغى لك أن تتزوج؟!...

فكرى : « بدون أن يرفع وجهه عن الورق » أتزوج ؟! ... ان شاء الله... بعد أن أقذف بنفسى أولا فى البحر ...

ميمى : انك مخيف ...

فكرى : « وهو يكتب » قلت لك إن مجلسى لن يسرك ...

ميمى : فليكن ... ولكن الحديث معك يسرنى... على الرغم من انشغالك عنى بالعمل ... لو كنت تترك أوراقك لحظة وتصغى إليك جيداً ، لفتحت لك صدرى ، وقلت لك أشياء ... تعجب لها وتدهش ... وربما ترضيك وربما تغضبك ... لست أدرى ... ولكنى سأقول نعم يجب أن أتشجع وأقول ... قبل كل شىء ... أرجوك ... أرجوك أن تلتفت إلى ... أتسمعنى ...

فكرى : « يلتفت إليها شارداً » أسمعك ؟ ... طبعاً ... أسمع ...

ميمى : اترك ورقك وتعال اجلس هنا ... فى هـــذا المقعد المريح ... إلى جانبى ...

فكرى : والشغل ؟ .. .

ميمى : لن آخذ من وقتك أكثر من دقيقتين .. .أقول لك فيهما كلمتين ..

فكرى : ألا يمكن تأجيل الكلمتين إلى ما بعد ساعتين ؟ .. .

ميمى : يكون الموقف قد برد ..

فكرى : أى موقف ؟ ...

ميمى : ستعرف الآن ... تعال بسرعة هنا ... ولا تضيع الوقت سدى ...

فكرى : «يترك مكانه بحركة آليـــة ويجلس حيث أشارت له بالجلوس» تفضلى... ما هو الموضوع؟...

ميمى : «تنهض برشاقة» تسمح أدير هـذا الراديو قليلا ... «تدير الجهاز فتنبعث منه موسيقى» آه ... إنى أحب هذا النغم !... إنه يثير فى نفسى ذكريات !... لطالما أبكانى ... يا للمصادفة ! ... فى جو هـذا النغم بالذات الذى حرك أشجانى فيما مضى ... سأحدثك الآن ... نعم ... سأحدثك الآن... «تجلس إلى جواره»

فكرى : تحدثيني عن ماذا ؟...

ميمى : «بحرارة» عن عواطفى !...

فكرى : «كاظما ما به وهـو ينظر إلى ورقه المتروك» عواطفك ؟!... الآن

ميمى : إنك تجهل ولا شك كل شىء عنها ... إنك لن تصدق أن امرأة مثلى يمكن أن تكون رقيقة الإحساس ، شاعرية النفس ... لا يستهويها غير الخيال ، ولا تبهرها غير الأحلام ، ولا يعجبها من الرجال غير الفنان المحلق فى سماء الشعر ، الشارد فى جو الأوهام...

فكرى : «وهو ينهض من جوارها ويسرع إلى جهاز الراديو ويغلقه» جو الأوهام !... أيوجد اليوم فنان شارد فى جو الأوهام ؟...

ميمى : أرجوك... لا تكن قاسياً... اجلس قليلا ...

فكرى : انا الذى أرجوك ... وأتوسل إليك ، أن تتركينى أكتب القصـــة لتاجر الخيش ...

ميمى : أتزدرى عواطفى؟!...

فكرى : العفو يا آنسة ... إنما الشغل يحكم ... الشغل ... الشغل ...

ميمى : «تخرج منديلها الصغير وتجفف دموعها» إنى سيئة الحظ ... قليلة

البخت... من يومى!... «تنشج وتشهق بالبكاء» نعم... من يومى...

فكرى : «كالمخاطب نفسه وهـــو ينظر إليها حائراً ساخطاً» آه ... ياله من يوم .. . والعمل الآن ؟ .. .

ميمى : حتى دموعى لاتؤثر فيك ؟!...

فكرى : مؤثرة جداً... لكن... ماذا بيدى؟... معى منديل كبير تجففين به عينيك !...

ميمى : أهذا كل ما تستطيع أن تقدمه إلى...

فكرى : أستطيع أن أقدم إليك نصيحة : اذهبى واغسلى وجهك فى موجة من هذه الأمواج الهادئة البيضاء التى تداعب الشاطىء... ثم «تشقلبى» فوق الرمال ثلاث أو أربع مرات... ثم انهضى واقفزى فى الهواء قفـــزة قوية .. . ثم ارقصى على «البلاج» سامبا ورومبا وفوكس تروت تجدى النشاط قد دب فى روحك المعنوية ...

ميمى : «تنهض» متشكرة ... الآن فقط صدقت حقيقة أنك رجل تعيش بغير قلب وبغير شعور .. . تكتب عن العواطف وتصورها ولا تعيشها .. . تبيعها للناس فى الورق ولا تستعملها .. . تماماً مثل «بيومى أبو النجف» .. . يبيع الخيش للناس ، ولا تجد فى بيته خيشة .. . «باى .. باى .. »

«تنصرف بسرعة ...»

فكرى : «وحده يتنفس» أف .. . «يستنشق الهواء ويمسك رأسه بكفيه» ما ألذ الهدوء .. . الهدوء .. . «يحرك ذراعيه متنشطاً» والآن ... إلى الورق .. . «ينكب على العمل» .. .

« يظهر المخرج وهو جلال أنسى
يرتمى على مقعد وهو يتوجع ... »

جلال : «ممسكا بقدمه» آه يارجلى ... يا قدمى... يا ساقى... يا مفاصلى... يا ركبى ... يا ... يا ... يا ...

فكرى : « يترك ورقه ويلتفت إليه »ماذا جرى لك أنت أيضا يا حضرة المخرج؟..

جلال : جرى لى ما لم يسبق أن جرى لى ...

فكرى : « ناظراً إلى ورقه متنهداً» خيراً...

جلال : نزلت اليوم فى الصباح الباكر أمشى على الكورنيش ...

فكرى : عندى خبر ...

جلال : وجدت أمامى أبدع قوام ممشوق صادفته فى حياتى... قوام لا يدانيه فى الدنيا كلها غير قوام «استرو ليامز» ...

فكرى : «بغير اكتراث» مفهوم...

جلال : تبعت صاحبة هذا القوام ...

فكرى : طبعاً ...

جلال : كانت تسير أمامى على بعد عشر خطوات ...

فكرى : «بصبر نافد» وأخيراً ؟ ...

جلال : أخيراً ... صبراً... نحن لا نزال فى أول الطريق...

فكرى : تفضل...

جلال : سارت وسرت خلفها حتى محطة بولكلى ... ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة سيدى جابر ...ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة الإبراهيمية ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة الشاطبى ... ثم سارت وسرت ...

فكرى : أرجوك ... لا داعى أن تجرنى إلى كل المحطات !... النتيجة ؟ ... أين وصلتما !... فى أى محطة ! ؟. .

جلال : لم نصل...لا توجد محطة وصول ...

فكرى : وهذا السير ! ...

جلال : مستمر ...

فكرى : أنا غير فاهم . . .

جلال : اصبر على يا أستاذ ... وانت تفهم ...

فكرى : تفضل ...

جلال : أين وقفنا ..فى أى محطة ..

فكرى : الشاطبى ...

جلال : وصلنا الشاطبى ...ولكنها لم تقف... واستمرت فى السير... وأنا طبعا خلفها ... سارت وسرت حتى محطة الرمل ..

فكرى : الحمد لله ...

جلال : انتظر ياأستاذ ... لا تتعجل ... لم تقف فى محطة الرمل ...

فكرى : هذا نهاية الخط ...

جلال : لم تقف فى نهاية الخط ... وسارت وسرت...

فكرى : «فى صيحة دهشة» سارت وسرت !... بعد كل ذلك ! ...إلى أين !..

جلال : الأنفوشى ... ثم سارت وسرت خلفها ...

فكرى : «كالمجنون» انتظر ... انتظر يا أخى ...

جلال : إنها لم تنتظر...وسارت وسرت...

فكرى : حلمك... حلمك ...فهمنى...عندما طال بكما الطريق هكذا ألم تستوقفها !

جلال : أبدا ...

فكرى : ألم تكلمها ؟...

جلال : أبداً ...

فكرى : وما الذى أسكتك وألجمك وكتفك وقادك فى ذيلها كل هذا الطريق الطويل الذى يقطع النفس ؟! ...

جلال : خطر لى أن أكلمها عندما وصلنا إلى محطة بولكى ... كان ظنى أنها تقصد بلاج ستانلى ... ولكنها عندما واصلت السير ، أجلت الكلام حتى أعرف بالضبط أين تقصد ... فلما مررنا بكل البلاجات والكازينوهات وهى لاتعرج عليها ولاتقف عندها ، بل تمضى فى سيرها الجاد لاتلوى على شىء ، ولاتلتفت يمينا ولايسارا ولاوراء... تملكتنى فى الحقيقة دهشة وحيرة وعجب وحب استطلاع...واصبح كل همى أن أعرف وجهتها وأقف على آخرة مطافها . فلم أردعندئذ أن أكلمها حتى لايفسد فضولى ترتيبها أو يغير اتجاهها ... واكتفيت بالمشى خلفها لأرى آخرة هذا المسير ... ولكن هذا السير استمر وسارت وسرت ...

فكرى : أيضاً ؟...

جلال : نعم ... أين وقفنا؟...

فكرى : الأنفوشى ...

جلال : سارت بعدئذ فى شوارع أدت بنا إلى ميدان محمد على ... ورأيتها اتجهت إلى موقف الأوتوبيس الذى يذهب إلى الرمل !... فتنفست وقلت فى نفسى : جاء الفرج .. إنها ستركب عائدة .. وسأستريح أنا من هذا المشى الذى كاد يهلكنى لكن للأسف !..

فكرى : الأسف ؟ ! ... ألم تقف ؟ ...

جلال : أبدا ... سارت متجهة فى طريق المكس ...

فكرى : « صائحا » المكس ؟ ! . ياقوة الله ! ... وأنت ؟ .. أيها المسكين !..

جلال : أنا ؟ ! . اسمح لى ... الطاقة البشرية لها حدود .. ماشعرت إلا وأنا ساقط من الإعياء فوق سلم الأتوبيس ... وخيل إلى وأنا شبه غائب عن الوعى أن يد الكمسارى تنتشلنى وتجلسنى على المقعد ... ولم أتمالك نفسى إلا منذ قليل ... وها أنذا أمامك أعود وكأنى فقدت قدمى وأضعت مفاصلى ...

فكرى : وتلك المخلوقة ...

جلال : تسير ... لاتزال تسير ... أغلب ظنى أنها الآن قد تركت مريوط وسارت فى الطريق الصحراوى إلى القاهرة ...

فكرى : أهذه امرأة ؟ ! ..

جلال : من الجنس اللطيف .. الضعيف ... فى غاية الرقة والرشاقة !...

فكرى : يالطيف ! ...

جلال : لو أن الله هداها ووقفت دقيقة واحدة ، لكنا ظفرنا بوجه جديد، لم تر له السينما المصرية نظيراً .. هذه حقاً هى النجمة التى كانت تستطيع أن تسير بالسينما المصرية ...

فكرى : « مقاطعاً » تسير بالسينما .. إلى أين ؟ ..بدون أدنى شك..كانت تسير بالسينما وبالمخرجين والمؤلفين إلى أن تكسحهم ..وتخلع مفاصلهم.. وتوجع ركبهم .. كفاية ياحضرة المخرج .. دع السينما المصرية فى حالها ودعنى أنا أيضاً فى حالى ... أكتب لكم الكلمتين..وأنتهى منكم على خير

« يعود إلى ورقه » عن إذنك ! ...

جلال : أو لم تنته من القصة بعد يا أستاذ ؟ ! ... الاستديو موعد دخوله اقترب ... السيناريو لم يقطع ... والحوار ...

فكرى : والحوار لم يوضع . . والأدوار لم توزع ... والألحان والديكور... أعرف الاسطوانة ... لاداعى لترديدها . . لكن ماذا أصنع ؟... الهدوء ... أين الهدوء ؟ ... خمس دقائق هدوء ...

جلال : أو يوجد أهدأ من هذا المكان البديع ... هذا الكابين المطل على البحر بلونه الأخضر ، تحت هذه السماء بلونها اللازوردى ... أليس هذا أليق مكان فى الصيف تظهر فيه بنات أفكارك ! ...

فكرى : بنات أفكارى ؟ ! ... حتى بنات أفكارى يجب أن تظهر فى الصيف على « البلاج » ؟ ...

جلال : أنا شخصياً لا أرى مكانا أنسب لتأليفك من هذا المكان .. من واجبى أن أراعى مزاجك ... وأحيطك بكل ألوان الراحة والرفاهية . . . وأحرص على كل ما يروق بالك ويصفى ذهنك ويوقظ خيالك . . .

فكرى : حقاً . . . مثل المانجو الهندية والزبدية والبطارخ والسجار ! . . .

جلال : كيف عرفت؟. .. من قال لك؟. ..

فكرى : حجرتى رقم ١٥ ؟؟ ! . . .

جلال : « ضاحكا » الواقع يا أستاذنا إنى ذكرت رقم حجرتى أنا سهوا. .. بدل رقم حجرتك . . . كما يحدث أحيانا ...

فكرى : وأكلت المانجو والبطارخ ودخنت السيجار بدلا منى سهواً ؟ ! . . .

جلال : الحق . . . عندما وجدت هذه الأشياء فى حجرتى، لم أفكر فى سبب

وجودها ... واكتفت بأكلها . . .

فكرى : أحسنت صنعا... تلك هى القسمة العادلة... أنت الذى تأكل و تتمتع .. وأنا الذى يجب أن يروق باله ويصفو خياله !...

جلال : «ضاحكا» وأبو النجف ؟ !... هل عرف الحقيقة ؟ ! ...

فكرى : لا لم أحب أن أكشفك...استمر... لكن ما عدا السهو والغلط ! ..

جلال : اطمئن من الآن... كلام شرف... المهم هو أن تكتب...وأن تسلمنى القصة فى ظرف... فى ظرف كم يوم حسب تقديرك ؟..

فكرى : هذا يتوقف على الجو ...

جلال : « ناظراً إلى السماء والفضاء » الجو غير منتظر أن يتغير ...

فكرى : لا أتكلم عن هذا الجو ، إنى لست طياراً ولا بحاراً ... إنما أقصد جو الهدوء والسكون الذى حولى ...

جلال : ومن الذى يجرؤ أن يعكر عليك جوك وأنا موجود ؟ ! .. « يجس عضلاته » إنى كما تعلم رياضى قديم . . . ولى عضلات أقذف بها من شئت إلى هذا البحر ! . . .

فكرى : أبعد عنى «أبو النجف » ! ...

جلال : «متضائلا» آه . . . الا هذا . . . صاحب الفيلم والمال ! . . .

فكرى : أبعد عنى ميمى كمال ! .

جلال : آه ... إلا هذه . . . التى لسواد عينيها يصنع الفيلم وينفق المال ! . .

فكرى : إذن اسكت...لافائدة لى منك... « يعود إلى ورقه » عن إذنك ...

جلال : « يعود إلى قدمه » آه يا ركبى ... يا رجلى ... يا مفاصلى ...

فكرى : « يلتفت إليه » أأنت الذى ستضمن لى الهدوء ؟ . أغلق لى فمك !

جلال : سكت وأقفلت فمى ... اكتب ... لن يعكر صفوك أحد وأنا هنا...

« يظهر رجل يرتدى معطفا فوق جلباب سكروته وعلى رأسه طربوش ... »

الرجل : منى فضلكم ... بيومى بك أبو النجف !...

جلال : « بخشونة » ليس هنا ...

الرجل : قالوا لى فى الفندق رح له فى الكابينة ! ...

جلال : غير موجود هنا ...

الرجل : أين يمكن أن أجده ؟ ...

جلال : لا نعرف ...

الرجل : وماذا أعمل ؟ ...

جلال : تسألنا نحن ؟... أهذا شىء يخصنا ...

الرجل : بينى وبينه ميعاد مهم ...

جلال : لاشأن لنا ...

الرجل : من حضرتكم ؟ ! ...

جلال : شىء بارد ...

فكرى : « يرفع رأسه عن الورق » أف ! ... ما هذا اللغط ! ...

جلال : لست أنا المصدر ... « يشير إلى الرجل » حضرته ...

الرجل : أبو النجف بك ... بينى وبينه ميعاد ...

فكرى : انتظره...المسألة لاتحتاج إلى كل هذا الجدل...اجلس هنا وانتظره...

الرجل : متشكر « يجلس على مقعد فى الطرف » ...

فكرى : « يعود إلى ورقه » عن إذنكم ! ...

جلال : « لفكرى » شىء غريب !... هكذا بكل بساطة...وأنا الذى أريد أن أبعد عنك مضايقات الناس ! ... من أدرانا أن حضرته صادق فى دعواه .. ؟ ومن أدرانا أن « أبو النجف » بك يسره أن يراه ؟... ومن أدرانا أنه ليس من أدعياء الفن الذين يلحون على الممولين والمنتجين للحصول على دور من الأدوار !!. . انظر إلى هيئته ... أهذا يصلح للقيام بدور ما فى أى فلم عصرى ؟ !. . انظر إليه. . . أرجوك لحظة أن تنظر إليه ...

فكرى : « يرفع رأسه عن الورق بضيق » نظرت ! ...

جلال : يصلح لأى دور مثل هذا الرجل ؟ ...

فكرى : «يبتعد عن أوراقه ساخطا» أواثق أنت انه جاء يطلب دورا فى الفيلم؟...

جلال : مؤكد ...

فكرى : كل إنسان فى الدنيا تنظر إليه أنت على هذا الأساس ! ... يصلح أو لا يصلح لدور سينمائى ! ...

جلال : « ينظر إلى الرجل مليا » سمسار... « أبو نيه »... تاجر مواشى!...

فكرى : أبو النجف ينتظره باهتمام ... فلا بد أن يكون ذلك لأمر يتصل بأعماله التجارية! ...

جلال : « بانتصار » نظرتى إذن مضبوطة ...

الرجل : « خارجا عن إصغائه الصامت » جداً يا حضرة الفاضل... تسمحون لى بكلمه بسيطة... ولو فيها تطفل منى...

فكرى : بالعكس... الموضوع يخصك، وأنت أدرى به منا... نحن المتطفلون...

الرجل : العفو ... أنتم أهل النظر ... فراستكم صادقة ... وحكمكم فى محله...

جلال : ما هى مهنتك ؟ ...

الرجل : مهنتى لها دائما علاقة ... بالمواشى ...

(يظهر أبو النجف ... ويرى الرجل ويتجه إليه ، مباشرة ...)

أبو النجف : « للرجل » أنت ؟ أنت هنا فى انتظارى ؟ ...

الرجل : من مدة قصيرة ...

أبو النجف : « بلهفة » تعال نتباحث فى مسألتنا فى ... مكان آخر ...

فكرى : « ينهض » بل أنا الذى أريد أن اذهب إلى مكان آخر ... أغير هذا الجو ...

أبو النجف : لا يا أستاذ ... لا يمكن ... هذا مكانك ...

جلال : « ينهض » له حق ... دعه يحرك رجليه قليلا على البلاج ... بعد طول الجلوس ... ربما أفاده ذلك ... « لفكرى » هلم بنا نأخذ حمام شمس على هذا الرمل ... آه يامفاصلى ... ربما استطاعت الأشعة البنفسجية أو التى فوق البنفسجية ...

« يخرج « فكرى » وهو يمين « جلال » الذى يعرج ... ويبقى أبو النجف مع الرجل فى الكابين وحدهما ... »

أبو النجف : « للرجل » ماذا صنعت لى ؟ ...

الرجل : كل مافيه الفائدة إن شاء الله ... « بيتنا الأتر » ... لكن لا بد من عمل الحجاب ...

أبو النجف : قلت لك لا تكلمنى فى مسألة الحجاب ؟! ... بك طويل عريض فى مركزى يلبس أحجبة ... على آخر الزمن ! ...

الرجل : « يخبث » الحجاب ياسعادة البك هو أرخص طريقة ...
أبو النجف : أرخص ؟ ... أأنا أبحث عن الرخص أم عن الشىء المضمون ؟ !
الرجل : موجود الشىء المضمون الذى لايلبس ولا يحمل ... ولا يرى ... ولكنه يكلف ...
أبو النجف : كم يكلف ...
الرجل : خمسين جنيها . ..
أبو النجف : أرنى هذا الشىء ؟
الرجل : « يخرج من جيبه قارورة صغيرة » سائل بسيط ...مثل دمع العين... كما ترى سعادتك ... ولكنه مركب من عقاقير نادرة جداً ...
أبو النجف : وكيفية الاستعمال ؟
الرجل : بسيطة ... أغمس أصبعى فى هذا السائل ... وأكتب على جبينك كلمة مسحورة ... فإذا وقع بصر الحبيبة عليك بعدئذ وقعت فى غرامك فى الحال بقدرة قادر ...
أبو النجف : عجيبة !... حتى ولو كانت الحبيبة تنفر منك ، وتستثقل ظلك ، ولم ينفع فى كسب قلبها المال ، ولم ينجح فى إغرائها المجد ...
الرجل : لو كتبنا بهذا السائل على جبين قرد ... لانقلب فى الحال فى نظر الحبيبة إلى غزال ..
أبو النجف : أسرع إذن ... إليك جبينى ...
الرجل : أرقيك أولا . . . « يرقيه ماراً بيده فوق رأسه ووجهه » :

حدرجه بدرجه من كل عين دارجه ، ياببر بلا قعر ، ياكف بلا شعر ، يامعزة بلا ديل ، ياشجرة بلا ورق ، والعين عنك تفترق كما افترق الندى عن المرق ، والعين إذا شافت والقلب إذا نضر . . . عين المره أحد من الشرشرة ، وعين الراجل أحد

من المناجل ، وعين الضيف أحد من السيف ، وعين البنت أحد من الخشت ، وعين اللى شافك ولا صلاش على النبى ... « يغمس أصبعه فى القارورة) الأوله بسم الله ... والثانية بسم الله ... والتالتة بسم الله والرابعة من عين اللى شافك ولا صلاش على النبى والآن أغمض عينيك ، لأكتب الكلمة المسحورة ... « بخط على جبين أبى النجف وهو يتمتم) ح ... م ... ا ...

أبو النجف : « صائحا وهو مغمض العينين » حمار ؟ !...

الرجل : لا .. لا .. لا يوجد راء ، بل هاء ..

أبو النجف : هاء ؟ .. حماه ؟ حمى من ؟ ...

الرجل : حمى أمير الجن الأمرد الذى يخدمك ... ستكون فى حماه ...

أبو النجف : أفتح عينى ؟ ..:

الرجل : نعم ... افتح الآن عينيك ... انتهى كل شىء على خير بإذن الله ؟..

أبو النجف : « يمد يده إلى جبينه » وهذه الكتابة ..

الرجل : « بسرعة » حذار أن تمسها يدك .. أو تمسحها أو تغسل وجهك أو تستحم فى البحر ، قبل أن ترى الحبيبة وجهك ...

أبو النجف : وهل سترى الكتابة على جبينى ؟ ...

الرجل : لا .. الكتابة غير منظورة ... ولكنها سترى جبينك وضاء ، ومحياك جميلا ...

أبو النجف : « يشير إلى بطنه » وكرشى ؟...

الرجل : ستراه لطيفاً ...

أبى النجف : وقوامى ؟...

الرجل : ستبصره نحيفا ...

أبو النجف : « يخرج محفظته » كل هذا بخمسين جنيها « يعطيه المبلغ » سحر معقول؟

الرجل : وهو يضع «المبلغ فى جيبه» سعر التكاليف نحن لا يهمنا غير خدمة الزبون.

أبو النجف : «ملتفتاً جهة البلاج ثم يصيح » هاهى تسير على البلاج فى اتجاهنا ..

الرجل : «يلتفت» أهى هذه المقبلة ؟ ..

أبو النجف : «باضطراب» نعم ... «يرفع يده إلى جبينه هامساً » : ح ، م ، ا ...

الرجل : لا تلمس جبينك . . . لئلا تمس الكتابة . . . تشجع وقابلها بثبات واسمح لى بالانصراف ... « يتحرك بسرعة »...

أبو النجف : أتتركنى ...

الرجل : أتركك مع حارسك الأمين ... الحروف الأربعة التى فوق الجبين.. سلام عليكم !..

« ينصرف الرجل على عجل . . . ويترك « أبو النجف » وحده فى الكابينة مرتبكا مضطربا يمد يده بحذر نحو جبينه ثم يجذبها بسرعة خشية أن يلمسه . . إلى أن تظهر ميمى من طرف المكان ... »

ميمى : انت هنا ؟ ...

أبو النجف : « فى اضطراب » نعم . . .

ميمى : «تبحث بعينها» وأين..الأستاذ؟.

أبو النجف : ذهب يتشمس مع جلال المخرج..

ميمى : «تتحرك» إنى عائدة إلى الفندق أستريح فى حجرتى . . .

أبو النجف : ابق لحظة ...

ميمى : لماذا ؟...

أبو النجف : لى معك كلام ...

ميمى : أى كلام ؟ ...

أبو النجف : خبر سار .. . عندى لك خبر سار .. .

ميمى : ما هو ؟ ...

أبو النجف : « يشير إلى مقعد » اجلسى هنا قليلا وأنا أخبرك...

ميمى : « تجلس » اخبرنى ما هو هذا الخبر السار...

أبو النجف : انظرى إلى بإمعان ...

ميمى : تكلم... إنى مصغية...

أبو النجف : « يقف أمامها متصنعاً الرشاقة « حدقى ودققى فى الشخص الذى أمامك...

ميمى : « غير فاهمة » أحدق وأدقق؟! ...

أبو النجف : نعم... ما رأيك فى الآن على وجه العموم ؟..

ميمى : ما هذا السؤال المحرج ؟..

أبو النجف : أجيبى من فضلك... بكل صراحة ...

ميمى : ما لزوم ذلك الآن ؟ ! ...

أبو النجف : ألا ترين الآن شيئاً يستحق إبداء رأيك ؟! ...

ميمى : رأيى احتفظ به لنفسى...

أبو النجف : بالعكس... لا تحرمينى من سماع هذا الرأى ... إنه يملؤنى سروراً وفخراً وسعادة ...

ميمى : سرور وفخر وسعادة؟! ... رأيى؟...رأيى فى من؟... فى ماذا...

أبو النجف : فيما تبصرين الساعة ... إنك طبعاً ترين الآن شيئاً أمامك ...

ميمى : طبعاً ...

أبو النجف : هذا الذى أريد أن أعرفه منك ... ترين ماذا...

ميمى : « بسخرية » تريد الصراحة ... أرى أمامى شيئاً اسمه مكون من

أربعة أحرف !..

أبو النجف : أربعة حروف ؟ ! ...

ميمى : تريد أن تعرف الحرف الأول؟.

أبو النجف : نعم...ماهو الحرف الأول ؟..

ميمى : الحرف الأول : ح . . .

أبو النجف : شيء عجيب... والحرف الثانى ؟..

ميمى : الحرف الثانى : م . .

أبو النجف : مدهش ... والحرف الثالث؟ ..

ميمى : الحرف الثالث : ا ...

أبو النجف : «صائحا » كفايه أنت تقرئين من وجهى ...

ميمى : « باسمة » أمعترف بذلك ؟ ...

أبو النجف : « تمتد يده إلى جبينه» ثم ترتد » مؤكد .. أنت ترين المكتوب على جبينى .. أهو منظور إذن وظاهر إلى هذا الحد !..

ميمى : «باسمة» ظاهر جداً ... شيء واضح جداً ..

أبو النجف : وكيف قيل انه لا يرى ولا يظهر . . . أمعك مرآة ؟ !

ميمى : «فى دهشة وابتسام »مرآة ؟ . تريد أن ترى هذا فى المرآة ؟ !.

أبو النجف : بدون شك مادمت قد رأيت هذا ، فلا بد أن يكون موجوداً حقيقة.

ميمى : هــذا شيء أراه أنا ... وقد يراه غيرى .. ولكنك لن تراه أنت فى المرآة ! . ..

أبو النجف : على كل حال ما دمت قد رأيت ذلك . . . فهذه بشرى طيبة وعلامة مطمئنة ؟ !...

ميمى : « بدهشة » علامة مطمئنة ؟ ! لمن ؟ لك ؟ ...

أبو النجف : طبعا ... لأنك لابد أن تكونى قد رأيت الباقى ...

ميمى : الباقى ؟ ... أى باق ؟ ..

أبو النجف : شكلى ... ألم ينقلب ؟ ألم يتغير ؟ . أنظرى إلى أولا بالجملة ...

ميمى : بالجملة أو بالقطاعى ... ماهو الداعى ؟ سأبيعك . . . سأشتريك . . . سأتاجر فيك ؟ ! . .

أبو النجف : تأمليني جيدا ، تبصرى العجب ...

ميمى : « تتأمله بابتسامة تهكم » تأملتك جيداً ... أين هو العجب ؟ ! ...

أبو النجف : « يقف متصنعاً الرشاقة » قوامى ! ...

ميمى : « لا تستطيع كتم ضحكها » قوامك ؟ ! ...

أبو النجف : ألا ترينه الآن نحيفا ؟ ...

ميمى : نحيفا ! . بهذا الكرش ...

أبو النجف : « مصدوما » الكرش ! . أتبصرين لى كرشاً ! ...

ميمى : طبعاً دائماً ...

أبو النجف : « يلمسه » أهو لا يزال موجوداً ! ...

ميمى : وأين تريد أن يذهب ...

أبو النجف : أتبصرينه حقا بعينيك ! ...

ميمى : انى لست عمياء ... هاهو صدرك وأمامه الكرش مثل الفنطاس فوق عربة الرش ! ...

أبو النجف : عربة الرش ! ...

ميمى : أتكذب الواقع ..

أبو النجف : ارفعى عن عينيك هذه النظارة . . السوداء ... وانظرى إلى من جديد بالعين المجردة ...

ميمى : «تخلع منظارها الأسود» هأنذى أخلع المنظار الأسود...وأنظر اليك بكل تفاؤل ... بالعين المجردة ... المنزهة ... عن كل غلط وغرض ومرض ! ...

أبو النجف : ماذا ترين الآن !...

ميمى : نفس الشخص والشكل والحجم واللحم ! ...

أبو النجف : مستحيل .. أنا تغيرت .. تبدلت .. تحولت .. وجهى مضىء بالنور كالطبق « البنور » ومحياى جميل ، وقدى نحيل ...

ميمى : « بتهكم » ياعينى ! . . ياعينى !...

أبو النجف : وكان الواجب أن تلاحظى ذلك ...

ميمى : متأسفة ... إنى لست قوية الملاحظة ! ...

أبو النجف : وكان المنتظر أن تكونى الآن قد وقعت فى غرامى !..

ميمى : وما الذى حال دون وقوع هذه الكارثة ! . .

أبو النجف : هذا الذى يحير عقلى !.. أهى مكابرة منك .. أهو احتيال أناضحيته!. هذا جائز وذاك جائز.. ولكن الذى كان ينبغى أن يتم هو أن أكون قد بهرتك واستوليت على قلبك منذ خمس دقائق ...

ميمى : « بسخرية » منذ خمس دقائق ... ما كل هذا التأخير يانور عينى ...

أبو النجف : خمس دقائق .. ثلاث دقائق .. مسألة الوقت ليست بذات أهمية...

ميمى : « ناهضة من مقعدها » مادام الأمر كذلك فاصبر على قليلا ...

أبو النجف : قليلا ... متى . فى ظرف كم ...

ميمى : « وهى منصرفة » فى المشمش ... ربما عينى تفتح ...

« تنصرف تاركة « أبو النجف »
وحدة فى الكابينة ، واقفاً بلا حراك
يعيمها بنظرات جامدة ذاهلة ... »

أبو النجف : يثوب إلى نفسه وينتفض ثائراً ، ياللرجل النصاب ... المحتال... الدجال ... أمير الجان ! ... ح ! م ! ...

(ينهال على جبينه مسحاً بشدة وعنف
وغيظ ، وعندئذ يظهر فكرى
وجلال قادمين من حيث ذهبا .)

فكرى : ماهذا الذى تمسحه من على جبينك ؟ .. قبلة ؟ ...

أبو النجف : « بحرارة » قبلة ؟ ... « يهز رأسه ويتنهد ... »

فكرى : على ذكر القبل كنا نتباحث الآن أنا وحضرة المخرج فى دور ميمى وهو غير موافق على رأيك ...

جلال : أنا قلت انى غير موافق على رأى « أبو النجف » بك ؟ ! ...

فكرى : وماذا قلت إذن ؟ ...

جلال : قلت إن دور ميمى كمال يحتاج من الوجهة الفنية إلى قليل من التوابل والبهارات ؟ ! ...

أبو النجف : توابل وبهارات ؟ ! .. هـــذه أول مرة أسمع فيها أن التوابل والبهارات توضـع أيضا فى أدوار السينما ! ...

فكرى : يقصد أن الدور فاتر ... لأنها فيه لاتغازل أحدا ، ولا أحد يغازلها

أبو النجف : « للمؤلف » وماذا يريد حضرته أن تفعل البطلة المحتشمة ؟...

جلال : تفعل ماتريده حضرتك ... المال مالك ... والرأى رأيك !

أبو النجف : رأيى يعرفه الأستاذ « يشير إلى المؤلف » ...

فكرى : نعم أعرفه ... ستعيش هـــذه البطلة المحتشمة بعيدة عن الناس طوال أيام حياتها ...

جلال : أين ذلك؟ فى جزيرة مهجورة ؟ !..

أبو النجف : يكون أحسن وآمن وأصون ...

جلال : ولكن الرواية مصرية عصرية ... حسب مافهمت ...

فكرى : ستحيا البطلة فى بيئة محافظة جداً من أهل الصعيد ... لا تخرج إلى الطريق ... ولا تطل من شباك ... ولا يظهر طيفها لغريب أو قريب ...

جلال : ولكن ميمى راقصة ويجب فى دورها أن ترقص ...

فكرى : سترقص لنفسها بين جدران أربعة ...

جلال : والثياب الفاخرة التى تصر ميمى من الآن على إعدادها للفيلم ؟ ...

فكرى : ستلبسها وتختال بها فى حجرتها والستائر مسدلة..

جلال وكيف تنتهى هذه القصة ؟ ...

فكرى : فى مستشفى المجاذيب طبعاً ...

أبو النجف : « صائحاً » البطلة ؟ ! ستدخل مستشفى المجاذيب ؟ ...

فكرى : أطمئن ... ليست البطلة ... بل المؤلف والمخرج..

أبو النجف : ماذا تقول...

فكرى : الكلام الجد ... اسمع يا « أبو النجف » بك... فيلم بهذا الوضع لا يمكن أن يسلى مخلوقاً ...حتى ولا أنت... المقترح لهذه الفكرة النيرة..

أبو النجف : أغضبت ؟... لا أحب أن تغضب فلنتفاهم بالراحة ..

فكرى : نعم... فلنتفاهم ... أتظن من المعقول أن تظهر بطلة شابة راقصة فى فيلم ولا تجد أحدا يحبها ؟ ...

أبو النجف : ميمى ؟...لا تجد أحدا يحبها ... آه... آه... يا ألف آه !...

فكرى : أقصد داخل الفيلم لا فى الخارج ... مفروض فى بطلة الرواية عادة أن تكون محبوبة فى الرواية ...

أبو النجف : فليكن يا سيدى ... فى الرواية وفى غيرها ...

فكرى : نعم ... سأجعل شخصاً يحبها فى الرواية... وذلك على أن أجعلها هى من جهته لا تحبه ولا تميل إليه وتنفر منه ولا تعطف عليه وتستثقله ولا تستخف ظله ! ...

أبو النجف : أيضاً ؟ ! ...

فكرى : ماقولك فى هذه الفكرة ؟ ! ...

أبو النجف : هذا شىء معروف.. هذا هو الحاصل...بالفعل ... أين إذن التأليف يا أستاذ ؟ ! ...

فكرى : إن شئت فإنى أحور الفكرة وأجعلها تحبه وتقع فى غرامه ...

أبو النجف : تقع فى غرام من ؟...غرامى ؟!...

فكرى : لا ... بل بطل الفيلم طبعاً ...

أبو النجف : الولد الممثل الا جرب ، الذى جاء به أمس حضرة المخرج ، وحررنا له عقدا بمائتين جنيها ؟ !

فكرى : غرام بالطبع تمثيلى فى الفيلم فقط ...

أبو النجف : ومن أدرانا ؟ ... ألا يجوز أن يصدقا الموضوع ويستمرا فى دور الحب بعد الرواية والفيلم ... إلى ماشاء الله ؟!...

فكرى : احترت واحتار دليلى ... عندك أنت فكرة يا حضرة المخرج ؟ ...

جلال : لا ...أبدا ... الأفكار النيرة عند « أبو النجف » بك ! ! ... ومادام

هو الذى يكلف ، فلنطبخ له نحن على هواه ...

أبو النجف : بالتوابل والبهارات ؟ ! ..

جلال : بدون ملح بالمرة ! ...

أبو النجف : دعنا من الكلام فى الطبخ والغرف ... إنى أريد أن يكون هذا الفيلم درس وعظة ... « يلتفت إلى المؤلف » لماذا لا تعالج فيه ياحضرة المؤلف هذه المشكلة العويصة التى دوخت الناس وأعيت النفوس... هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة التى عجزت عن حلها العقول والألباب ، واستعصى داؤها على العلماء ، ونطس الأطباء ...

فكرى : أى مشكلة ؟ ...

أبو النجف : هذه المرأة ...

فكرى : أى مرأة ؟ ! ...

أبو النجف : هذه المرأة ذات القلب الحجر ... والفؤاد الصخر ... والشعور الزلط ... والعواطف الأسمنت ... لا بالمال والسخاء تلين ... ولا بالتوسف والاستعطاف ترق ولا بالتذلل والأخلاص تحن ... ولم يقدر على قلبها حب ولا ذهب ولا فن ولاجن ! ...

فكرى : أتدرى ما الذى يلين قلب مثل هذه المرأة ؟ ...

أبو النجف : ماذا ؟ ... اسعفنى !...

فكرى : شىء يكلف ...

أبو النجف : كم؟ ... قل ولا تخف ... عشرين ألف ... ثلاثين ألف ... خمسين ألف ... ! ..

فكرى : قرش واحد ..

أبو النجف : قرش واحد ؟ !

فكرى : ثمن عصا بسيطه ... تنزل بها على جسمها الغض البض ... و « تنتشها علقة » لكن نظيفة ... ولا تكف عنها حتى تذرف الدمع السخين، ويلين عظمها على لحمها ... عندئذ ثق أن قلبها هو الآخر قد لان ...

أبو النجف : « فاغراً فاه » عجيبة ! ...

فكرى : هذه وصفة مجربة ...

أبو النجف : « مطرقا متأملا » فكرة وجيهة!...

جلال : حقا ... هذاموقف سينمائى مائة فى المائة ... وسأعرف كيف أجعل منه « كليماكس » السيناريو ! ...

أبو النجف : « يلتفت حوله باحثا ، ويقع نظره على عصا خشبية معلقة بها ستارة من ستائر الكابينه ، فينتزعها قائلا : » هذه تنفع ؟ ...

جلال : « صائحا » ماذا أنت صانع بها ؟ ! ...

أبو النجف : عن إذنكم دقيقتين ! ... « ينصرف بسرعة حاملا الخشبة فى يده ... »

جلال : إلى من يذهب بهذه الخشبة ؟ ! ... إلى ميمى ؟ !

فكرى : ميمى أو غيرها ... لعنة الله عليهن جميعاً ! ... « يعود الى ورقه...» عن إذنكم ! ...

جلال : « ملتفتا جهة البحر يصيح فجأة » بسم الله الحى القيوم ! ...

فكرى : ماذا دهاك ؟ ...

جلال : « مشيراً بأصبعه » أنظر ...

فكرى : « يلتفت » أنظر إلى ماذا ...

جلال : هذه الصخرة ... انظر إلى هذه الصخرة ... ماذا ترى عليها ؟!...

فكرى : « ناظرا إلى الصخرة » امرأة ...

جلال : « هاتفا » هى ... هى ...

فكرى : هى من ؟ ...

جلال : المرأة التى خلعت معاصلى هذا الصباح !...

فكرى : هذه الواقفة فوق الصخرة كالتمثال ! ...

جلال : هى بعينها ! ... ما بالها تطيل التحديق هكذا فى الماء ؟ ...

فكرى : إنها الآن تضع كفيها على عينيها ...

جلال « صائحا » انظر ... تقذف بنفسها فى البحر ... إنها تلفظ صيحة ... أسامع ؟ ...

فكرى : « ناظراً بانتباه » نعم

جلال : إنها تغيب فى جوف الماء ...

فكرى : « ناظراً » حقا ...

جلال : إنها لم تظهر بعد على السطح ...

فكرى : « صائحا » هذه امرأة تنتحر ... النجدة ... انجدوها ... انجدها ...

جلال : « مرتاعا » أنا ... أنا أسير خلفها بين الموج ؟ ! ...

فكرى : « صائحا » النجدة ! ... أنتركها بلا نجدة ... أتتركها تغرق ... تحت أنظارنا تغرق ... أنحن رجال ... « يريد أن يندفع من الكابين »

جلال : « يمسك به » قف ... ماذا تفعل ؟ ...

فكرى : « يتخلص منه » أنقذها ... لا بد من إنقاذها ... دعنى ... دعنى ... لا تضيع الوقت ...

جلال : « يحاول وقفه » انتظر ...

فكرى : « ينجد بقوة» الغريق لا ينتظر ..

جلال : أتحسن العوم ؟ ..

فكرى : «وهو يجرى نحو البحر» لا يهم ..

جلال : « صائحاً به » جنون . . هذا هو الجنون ! . . إنك سائر خلفها فى البحر! .. أنا الذى سرت خلفها على البر وجرى لى ماجرى.. ارجع واسمع كلامى . . ارجع .. ارجع .. « ناظراً إلى البحر بيأس » رمى نفسه المجنون . . بملابسه وحذائه . . يا للنساء ! . . امرأة تأتى لنا بالفيلم .. وامرأة تضيع لنا المؤلف ! .. (يجرى صائحا) النجدة !.. انجدوه .. الحقوه !

ستار

الفصل الثانى

مستشفى . . . حجرة خاصة فاخرة . . . بها سرير يرقد عليه « فكرى » . . . وحوله مقاعد وثيرة . . . وعلى منضدة بقربه آنية بها باقة زهر كبيرة . . . الطبيب يقف إلى جانبه يفحص نبضه . . .

الطبيب : « يترك معصمه » الحمد لله . . كل شيء على ما يرام . . لا يلزمك غير قليل من الراحة . . غداً أو بعد غد على الأكثر تستطيع أن تغادر فراشك فى صحة تامة ..

فكرى : أشعر « بموعان » نفس ..

الطبيب : من ماء البحر المالح الذى ابتلعته . . . لقد أفرغنا معدتك ما يملأ قربة ! ..

فكرى : أعوذ بالله ! . . .

الطبيب : كان بينك وبين الغرق لحظات .. لولا أن هيأ الله لك من أنقذ حياتك فى الوقت المناسب . . .

فكرى : إنى لا أذكر شيئاً مما حدث . . . سوى أنى صرت (أهبش وأطبش) فى الماء . . . إلى أن وجدت نفسى أهوى على الرغم منى نحو القاع .. ولم أفق بعدئذ إلا هنا فى المستشفى . . .

الطبيب : لماذا ألقيت بنفسك فى البحر يا أستاذ ! . . . أنت الرجل المتزن . . .

فكرى : قلة عقل ! . . . هنالك لحظة يفقد فيها الإنسان اتزانه أمام إحساس

حماس فارغ ! ...

الطبيب : حصل خير ... مادامت النهاية خيراً ... كل مانرجو هو أن لاتعود إلى هذه الفكرة ...

فكرى : أأنا مجنون ؟ ! . بعد أن رأيت الموت بعينى ... ووضعت رجلى فى قبرى . ؟ . نحن على الشط نظن البحر فى صفاته وزرقته شيئاً هيناً .. وإذا هو الموت الأزرق ... أنا أضع فيه قدمى مرة أخرى ؟ ولو رأيته ابتلع بلاج سيدى بشر بما عليه من جميع النساء !...

الطبيب : نعم ... تسرنى منك الآن هذه الحالة النفسية... كن دائماً متفائلا... متشبثاً بالحياة... وابعد عن رأسك على قدر الإمكان كل فكرة قائمة سوداء ... تدفعك إلى الانقباض واليأس ...

« يسمع طرق على باب الحجرة ... ثم يظهر التمرجى ... الممرض ... »

الممرض : النيابة ... البك وكيل النيابة !..

الطبيب : « بسرعة » فليتفضل ... يتفضل ...

وكيل النيابة : « وهو داخل خلف الممرض ومعه كاتب التحقيق » ممكن الآن يادكتور استجواب المصاب ؟ ! .

الطبيب : ممكن الآن ... ممكن جداً ... تفضلوا ... إنه الآن بخير... اتركه بين أيديكم ... اسمحوا لى أنا أمر على بقية المرضى ...

« يخرج الطبيب وخلفه الممرض .. ويبقى فى الحجرة وكيل النيابة وكاتب التحقيق ...... »

فكرى : « يشير إليهما بالجلوس » النيابة تقصدنى أنا ؟ ... ما الذى حدث ...

لاسمح الله ؟ ...

وكيل النيابة : جناية ...

فكرى : حدثت جناية ؟ ! ...

وكيل النيابة : ماحدث يعتبر فى نظر القانون جناية ، تنتقل لتحقيقها النيابة العمومية

فكرى : ياحفيظ ! ..

وكيل النيابة : الانتحار والشروع فيه دائماً جناية ..

فكرى : وأنا مسئول ! .

وكيل النيابة : طبعاً ... « لكاتب التحقيق » افتح المحضر ... الاسم والصناعة والسن وكل البيانات موجودة فى بطاقة المستشفى ...

فكرى : محضر ! .

وكيل النيابة : « لفكرى » قل لنا ياأستاذ ! ... هل أنت مصاب بمرض عصبى ! ..

فكرى : « فى دهشة » لا ..

وكيل النيابة : هل تشكو أحياناً من الأرق ! ..

فكرى : الأرق ... بالعكس .. إن أبرع شىء أصنعه فى الوجود النوم ...

وكيل النيابة : هل تنتابك حالات نفسية ، تسأم فيها حياتك وعملك ومن يحيط بك !

فكرى : أحياناً أجد عملى سخيفاً ... وأرى من يحيط بى من أصناف الناس فى مستوى ذهنى يجعلنى اشمئز من نفسى ...

وكيل النيابة : وهذا الاشمئزاز يوحى إليك أحياناً بأن تهرب من هذه الدنيا ! ..

فكرى : أهرب منها إلى أين ! ..

وكيل النيابة : إلى عالم آخر أفضل مثلا ...

فكرى : الحق انى لم أفكر فى مسألة الهرب هذه .. ولا أحسنها .. وإذا كنت

لم استطع أن أهرب من رواية السينما ، هل استطيع أن أهرب من رواية الدنيا ؟ ! ...

وكيل النيابة : ما الذى دفعك إذن إلى إلقاء نفسك فى البحر ؟ !...

فكرى : المروءة والأنسانية ...

وكيل النيابة : ماذا تعنى ؟ ... أفصح ...

فكرى : هـذه المثالية التى ترقد فى نفوسنا . . . تتغذى من معتقداتنا ومبادئنا ومطالعاتنا ... تستيقظ فجأة، لتقوم بعمل غير إرادى ، قبل ان يفكر العقل فى نتائجه أو يتبصر عواقبه...

وكيل النيابة : بلاشك ... رجل له مثل عملك وثقافتك ... أن يكون باعثه طبعاً ضيق ذات اليد ، أو السقوط فى الامتحان ، أوحب بنت الجيران ... بل هذا النوع الفلسفى من المثالية التى يمكن أن تدفعك إلى ارتكاب هذا الفعل ؟! ...

فكرى : ارتكاب هذا الفعل ! ...

وكيل النيابة : غير الأرادى ... قام فى نفسك فجأة ان تلقى بنفسك فى البحر ... لماذا ؟ ... لاتدرى ؟ . فنفذت هذا الخاطر المفاجىء فى الحال .. وألقيت بنفسك فى البحر ... بدون سبب ...

فكرى : بدون سبب ؟ !.. أمجنون أنا ؟ ... أيوجد إنسان يلقى نفسه فى البحر بدون سبب؟ ...

وكيل النيابة : ألم تقل ذلك الآن !...

فكرى : أنا قلت إنى رميت نفسى بدون سبب !...

وكيل النيابة : معذرة . أنا فهمت خطأ إذن ... كان هناك سبب ! ...

فكرى : طبعاً ... كل شيء له سبب ؟...

وكيل النيابة : ماهو إذن السبب ؟...

فكرى : هذه المرأة ... لعنة الله عليها ...

وكيل النيابة : آه ... امرأة ... كانت هناك امرأة إذن ... نعم دائماً ... فتش عن المرأة ... لماذا لم تذكر لنا ذلك من أول الأمر ...

فكرى : هذا شيء معروف ...

وكيل النيابة : معروف عندك .. ولكننا لم نعرف بعد شيئاً عن حياتك الخاصة..

فكرى : ألم تعرفوا أنى ألقيت نفسى من أجل هذه المرأة ...

وكيل النيابة : معقول أن تلقى بنفسك من أجل امرأة .. « يتلفت إلى كاتب التحقيق الذى يدون المحضر » اثبت هذا ... « يعود فيلتفت إلى المؤلف » وما اسم هذه المرأة ...

فكرى : لا أعرف اسمها ...

وكيل النيابة : « فى دهشة » لاتعرف اسمها .. وكيف كانت بينكما العلاقة إذن ...

فكرى : لم تكن بيننا أى علاقة ...

وكيل النيابة : وكنت تحبها ... بدون أن تعرف اسمها ... وبدون أن تكون بينكما علاقة !...

فكرى : أحبها !... ومن قال إنى كنت أحبها ...

وكيل النيابة : ألم تكن تحبها ...

فكرى : أبداً ...

وكيل النيابة : وتلقى بنفسك فى البحر من أجل امرأة لاتحبها ...

فكرى : شيء عجيب ياحضرة النائب .. اسمح لى انى أندهش .. ألا بد أن

يكون هناك حب وغرام كى نقوم بهذا العمل ؟ ! ...

وكيل النيابة : أظن هذا هو الطبيعى ...

فكرى : طبيعى أن نرى شخصاً يغرق أو يحرق أو يدوسه قطار فلا نمد له يد المعونة إلا إذا كانت تربطنا به معرفة أو عشق أو محبة أو استلطاف

وكيل النيابة : هذه مسألة أخرى ... نحن هنا أمام حادث انتحار ...

فكرى : من باب أولى ... لو رأينا شخصاً ينتحر ألا نبادر إلى إنقاذه ، دون أن نشترط المعرفة والحب والهيام ؟ ! ...

وكيل النيابة : طبعاً نبادر إلى إنقاذه بدون قيد ولا شرط...

فكرى : هذا هو الذى حصل ...

وكيل النيابة : بالضبط ... هذا هو الذى حصل من الشخص الذى انقذك من الانتحار ...

فكرى : « بدهشة » انقذنى من الإنتحار ؟ ! ... أأنا انتحرت ؟ !...

وكيل النيابة : شرعت فى الانتحار...ولم تتم الجريمة لسبب خارج عن إرادتك... وهو انقاذك فى الوقت المناسب ...

فكرى : ماهذا الكلام ؟ ... أنا شرعت فى الانتحار ؟ ! . لماذا ؟ ...

وكيل النيابة : هـــذا هو الذى نريد أن نعرفه منك ... والذى من أجله نجرى هذا التحقيق ...

فكرى : انتحرت ؟ !...

وكيل النيابة : تذكر جيداً ... وربما كانت الصدمة وحالتك الصحية بعدها قد أثرتا فى ذاكرتك ...

فكرى : « كالمخاطب نفسه » انتحرت ؟ !...أنا ؟ ... لماذا انتحر ؟ ...لتفاهة

القصة التى أؤلفها ؟! ... جائز ... ولكن... لو كان كل مؤلف ينتحر لهذا السبب لارتفع مستوى التأليف بشكل مخيف ! ...

وكيل النيابة : اقدح زناد فكرك وارجع بذهنك إلى ماقبل الحادث، وتذكر السبب الذى حدا بك إلى القاء نفسك فى البحر ...

فكرى : هذا السبب معروف. .لا يحتاج إلى قدح زناد فكر... قلت لحضرتك إنى ألقيت بنفسى خلف هذه المرأة...

وكيل النيابة : عدنا إلى هذه المرأة ؟! ...

فكرى : ضرورى لأنها هى أصل الكارثة ... ولولاها لما كنت الآن فى هذا المستشفى... هى كل السبب...

وكيل النيابة : فى انتحارك ...

فكرى : قلت لحضرتك إنى لم انتحر .. إنى واثق .. وأقسم لك ..

وكيل النيابة : تذكر . .

فكرى : متذكر تماماً . . رأسى بخير . . ولم أفقد الوعى ... لا يوجد عندى سبب للانتحار ... ولكنها هذه المرأة ... اسألوها هى عن سبب الانتحار ...

وكيل النيابة : سبب انتحارك ؟..

فكرى : سبب انتحارها هى..

وكيل النيابة : ما هذا الخلط ؟!...

فكرى : لا يوجد خلط . . . هى التى انتحرت... وهى التى تسأل عن السبب... أما أنا فكل ما أعرفه هو أنى ألقيت بنفسى خلفها لانقذها بدافع المروءة والإنسانية ...

وكيل النيابة : ولكن الوقائع تكذب ذلك ..

فكرى : أى وقائع ؟ ..

وكيل النيابة : ماحدث فى الواقع هو أن هذه المرأة هى التى انقذتك من الموت المحقق ... وقررت أن عملك كان انتحاراً ...

فكرى : وهى ؟.. ألم تنتحر ؟...

وكيل النيابة : لا ...

فكرى : ألم تقذف بنفسها من فوق الصخرة ،ويبتلعها الماء ، ولا يظهر لها أثراً

وكيل النيابة : ثبت أنها سباحة ماهرة ، مشتركة فى كثيرمن نوادى المدينة الرياضية وانها كانت تقوم بتمرينها اليومى من فوق الصخرة . وأنها تجيد الغوص والعوم تحت الماء ...

فكرى : « كالمخاطب نفسه فى عجب » شىء لطيف ! ...

وكيل النيابة : كما ثبت من أقوالها ومن القرائن أنك لاتحسن السباحة وأنك ألقيت بنفسك فى البحر بملابسك العادية ...

فكرى : من لهفتى عليها .. داهية تلهفها ! ...

وكيل النيابة : لاداعى أن تصر على الإنكار يا أستاذ ... الحادثةواضحة كالشمس ... المنتحر بالغرق لا يمكن أن يكون تلك السباحة البارعة التى ترتدى « المايوه » ... ولكنه ذلك « الغشيم » الذى يلقى نفسه « ببنطلونه » وحذائه ! . ألا ترى هذا هو المعقول ؟...

فكرى : معقول ...

وكيل النيابة : أمام هذه الأدلة الدامغة ماقولك ؟ ..

فكرى : أمرى إلى الله !...

وكيل النيابة : « يتنفس الصعداء » وضح لنا إذن كيف نبتت فى رأسك فكرة الانتحار !..

فكرى : الانتحار ؟.. إنى لم أفكر فى الانتحار !

وكيل النيابة : « يائساً » وبعدها معك يا أستاذ ! ...

فكرى : أتريد أن أقول شيئاً لم يحدث ؟! ...

وكيل النيابة : وماذا يمكن أن نسمى هذا الذى حدث ؟ . . بماذا نكيفه التكييف القانونى ؟! .. بل بماذا نصفه باللغة العادية ؟.. شخص يلقى نفسه فى البحر بملابسه ... لغرض مجهول ... يخفيه وراء سبب ثبت بالدليل بطلانه .. ماذا نسمى تصرف هذا الشخص ؟!...

فكرى : حقاً ... تصرف جنونى ..

وكيل النيابة : شأن كل انتحار .. ما الانتحار إلا تصرف جنونى ...

فكرى : ولكنى لم أنتحر...

وكيل النيابة : « يتنهد إعياء » لماذا تتعبنا هكذا يا أستاذ !!.. أيسرك أن تضعنا فى هذه الحالة من التعب والحيرة بدون مقتض !..

فكرى : متأسف .. إنى أريد راحتكم ... ماذا تحب أن أصنع لأريحكم!...

وكيل النيابة : أن تكف عن هذا الإنكار ... الحادثة ظاهرة .. والمسألة بسيطة .. ولا توجد هناك أدنى عقوبة . . .

فكرى : لاتوجد عقوبة !..ولماذا كل هذا التحقيق!

وكيل النيابة : مجرد إجراء قانونى . . . يحفظ بعده المحضر ؟ . . ولا يطلع على ما فيه أحد...

فكرى : إذن ما الداعى إلى إطالة «السين والجيم» !.. فلننه الموضوع ولا حاجة

إلى اضاعة وقتكم ... أسيلحقنى بى شىء إذا قلت انتحرت ؟ ...
انتحرت انتحرت ... اكتب عندك انى انتحرت ...

وكيل النيابة : « يملى كاتب التحقيق » « اعترف » ...

فكرى : انتهينا !...

وكيل النيابة : سؤال واحد بسيط ...

فكرى : تفضل ...

وكيل النيابة : ما هى أسباب انتحارك ؟...

فكرى : « صائحاً » سبحان الله ! ...إذا قلت لم أنتحر ...تقول لى اتعبتنى ... إذا أرحتك وقلت انتحرت ، تقول لى ما هى الأسباب ؟ ... إذا قلت الأسباب ... تقول لى غير معقولة ! ... احترت يا ناس ... واحتار فؤادى ! ... لكن الذنب ذنبى ... أنا الذى أستحق ! ... أنا الذى لم أسمع الكلام ...وجريت أضع نفسى بقدمى وحذائى فى هذه الورطة ...

وكيل النيابة : هدىء أعصابك يا أستاذ ... الحكاية فى غاية البساطة ... لقد ذكرت الآن فى المحضر أنك انتحرت ، أليس المنطق يقضى أن تذكر أيضاً السبب ...

فكرى : وما هو السبب ؟ ... السبب المنطقى عندكم ؟ ... السبب الذى ترونه انتم معقولا ؟ ! ... ضيق ذات اليد ؟...ولكن جيبى فيه عدة مئات من الجنيهات ثمن القصة ! ... سقوط الرواية ؟ ... ولكن « الفيلم » لم يظهر بعد ؟ ... حب بنت الجيران ؟ ... أين هم الجيران ؟ ... « يتلفت حوله » على ما ذا تطل هذه النافذة من فضلك ؟ ...

وكيل النيابة : « ملتفتا جهة النافذة » من يدرى ؟ ... ربما على قاعة المشرحة ! ...

فكرى : أحب جثة ؟ ! ... يرضيكم هذا ؟ ! ...

وكيل النيابة : باسماً ، ألا يكون حب بين الجيران ؟ ! ... الحب فى كل مكان ... ويكفينا منك فى المحضر أن تقول انك انتحرت بسبب الحب ولن نخوض بعدئذ مطلقاً فى التفاصيل...

فكرى : وننتهى ؟ !...

وكيل النيابة : فى الحال ...

فكرى : انتحرت بسبب الحب !...

وكيل النيابة : متشكر ! ...

فكرى : العفو ! ...

وكيل النيابة ينهض ... وينهض كاتب التحقيق ويقدم المحضر إلى فكرى ليوقع على أقواله...

وكيل النيابة : أزعجناك يا أستاذ... لكن لك الآن أن تستريح ...ونرجو لك دوام الصحة ... وان لا تفكر ابداً بعد اليـــوم فى الانتحار . . . لأى سبب ...حتى ولوكان الحب...«يصافح المؤلف ويتحرك خارجاً» . .

كاتب التحقيق: « لوكيل النيابة وهو خارج خلفه » اذكر سعادتك بالقضية فى الجناح الآخر ! ...

يخرجان...ويتركان فكرى فى سريره . . .

يرسل إلى الفضاء نظرات شاردة حالمة ...

فكرى : «يصيح فجأة ثائراً» الحب !!...أنا ؟...أنا أنتحر بسبب الحب!!..

لكن حصل ... وأمضيت ووقعت وختمت فى أوراق رسمية ...
انتحرت بسبب ... الحب ! ...

تدخل عندئذ فجأة امرأة شابة هيفاء
رشيقة فى نحو السادسة والعشرين ... تحمل
لفة بها أزهار ... وتتجه إلى الزهرية ..
فتطرح عنها ازهارها القديمة ... لتضع
مكانها الأزهار الجديدة التى اتت بها ...
كل ذلك دون أن تلتفت إلى « فكرى »
وكأنه غير موجود فى المكان ...

المرأة : « وكأنها تخاطب نفسها » انتحار خفيف الروح ! ...
فكرى : «فى دهشة من أمرها من ساعة دخولها » خفيف الروح ؟! ...
المرأة : الانتحار بسبب الحب ! ...
فكرى : من حضرتك ؟ ...
المرأة : «تلتفت إليه بكل هدوء » ألا تعرفنى ؟ ...
فكرى : لم يحصل لى هذا الشرف ...
المرأة : هذا الشرف حصل ...
فكرى : أين ذلك ؟ ...
المرأة : (بهدوء تام) فى قاع البحر ...
فكرى : فى قاع البحر ؟ ! ...
المرأة : ألا تذكر ؟ ! ... كنت أنت فى منتهى اللياقة والوقار ... ترتدى ملابسك ... حتى الحذاء ... والكرافتة الحرير ... ولم يكن ينقصك غير الطربوش ... أو العصا أو المنشة أو المسبحة ... بالطبع كنت ذاهبا إلى موعد هام ...

فكرى : هام جدا ... هكذا خيل لى ...

المرأة : لست أدرى لماذا لم تحمل معك أيضا باقة كبيره من الأزهار ؟ !...

فكرى : لم يكن عندى الوقت !...

المرأة : إن المرأة تحب دائما منظر الزهر. سواء أكانت فى الدنيا أم فى الآخرة... تلك التى ألقيت نفسك فى البحر من أجلها كانت ميتة أو هى حية ؟ ...

فكرى : لم تكن هذا ولا ذاك . . .

المرأة : كانت مشرفة على الموت ؟ ...

فكرى : هكذا خيل لى . . .

المرأة : وأردت أنت أن تذهب معها . . . أو تسبقها بلحظات إلى العالم الآخر ، لتكون هناك فى شرف استقبالها ! ...

فكرى : لم أفكر فى شرف . . . ولا فى استقبال . . . ولا فى أن أذهب معها أو أسبقها ... كل ما فكرت فيه وقتئذ هو أن أمنعها من الذهاب...

المرأة : بهذه الطريقة كنت ستمنعها ؟ ! ..

فكرى : هكذا خيل لى ...

المرأة : خيالك واسع جداً يا أستاذ !...

فكرى : هذه مصيبتى ...

المرأة : بالعكس ...هذا شىء بديع...لا أريد التدخل فى شئونك وأسرارك... ولكنى أريد أن تعرف شيئا ... لقد انتظرت حتى تسترد صحتك ، لأخبرك به ... عندما أنقذتك لم أكن أعرف من أنت...فلما عرفت شخصيتك ، وأيقنت أن مثلك لا يقدم على هذا الفعل إلا بدافع عاطفى شعرى ، منبعه الحب الرفيع الذى يصوره دائما فى تأليفه ...

تملكني الأسف والندم ...

فكرى : الأسف والندم على ماذا ؟ ...

المرأة : على تحطيمى هذا التدبير الرائع ! ... هذه الموتة الشعرية التى كان يجب أن تكون خاتمة حياة مثل حياتك ...

فكرى : ماذا تقولين ؟! ...

المرأة : ثق انى آسفة ونادمة على تدخلى

فكرى : نادمة على تدخلك ؟!...أو كنت تريدين أن تتركينى فى قعر البحر ليأكلنى السمك ؟! ...

المرأة : لست إذن ساخطا على ولا غاضباً ؟! ...

فكرى : من هذه الجهة لا ... قطعاً ...

المرأة : وهى ؟ ... هى لابد أن تكون غاضبة ساخطة... كان يسرها بالطبع أن يتم الأمر وأن تموت من أجلها ...

فكرى : يسرها أن أموت من أجلها ؟! ...

المرأة : طبيعى ... انى أضع نفسى فى مكانها ... واتصور مقدار سعادتى لو مات من أجلى رجل ...وأى رجل ؟ ... رجل ممتـــاز ... متقد العاطفة ... مرهف الاحساس ...

فكرى : يسرك موتى ؟!...

المرأة : يسر كل امرأة!...

فكرى : اللهم لطفك ! ...

المرأة : « مستمرة» لأنه دليل الحب ... ذلك الحب الملتهب ... العنيف... العميق ... أكانت هذه المرأة تستحق منك كل هذه التضحية ؟! ...

فكرى : من هى ؟ ...

المرأة : تلك التى ألقيت بنفسك فى البحر من أجلها !...

فكرى : أكنت أعرف إذا كانت تستحق أو لاتستحق ؟ ! ... من الواجب أيضاً أن نبحث و نتحرى فى مثل هذه المواقف عن مؤهلاتها ! ؟

المرأة : حقاً ... إنه قدر ... ومسائل القلب لاتخضع لبحث أو فكر...انى على كل حال أغبطها ...هذهالمرأة...كيف هى؟...صف لىشكلها ...

فكرى : انظرى فى المرآة وأنت ترينها !...

المرأة : تشبهنى إلى هذا الحد ؟ ! ...

فكرى : « فى نبرة تهكم » أظن ...

المرأة : « وهى تتأمل نفسها أمام مرآة فى الحجرة » يعجبك إذن هذا الشكل !!

فكرى : أعجب بعضهم ... وقارنه بقوام ممثلة أمريكية ...

المرأة : وأنت ؟ . .

فكرى : أنا شخصياً ... « يتأملها » لا أفهم كثيراً فى مسألة الشكل ...

المرأة : تهمك الروح ؟ ...

فكرى : « فى تهكم خفى » إذا وجدت !...

المرأة : وما الذى كنت تحبه فيها إذن ؟ ...

فكرى : فى من ؟ ...

المرأة : فى تلك التى ألقيت بنفسك فى البحر من أجلها ! ؟

فكرى : لم أحب فيها شيئاً ...

المرأة : « بدهشة» وتموت بسببها ؟ ! ...

فكرى : يا ناس!..أهذا شيء عجيب إلى هذاالحد!؟ألا يحدث أن يموت الانسان

بسبب آنية زرع سقطت على رأسه من الطابق الخامس وهو سائر فى الطريق ؟!.. أمن الضرورى أن يكون قد أحب الآنية أو عشق ما فيها من زرع أو طين أو رمل ؟!...

المرأة : لست أفهم...

فكرى : لا أريد أن تفهمى أكثر من ذلك ... لئلا يخيب ظنك...

المرأة : ألم تنتحر إذن من أجل الحب ...

فكرى : لم أنتحر .. «يتذكر» بل انتحرت..

المرأة : انتحرت أو لم تنتحر ؟!...

فكرى : لا أدرى ...

المرأة : لا تدرى ؟! .. أهذا أمر يمكن أن تجهله ؟! ...

فكرى : هناك قولان ... قول حسب معلوماتى الشخصية ... وقول حسب الثابت فى الأوراق الرسمية ...

المرأة : وما هو القول الأصح ؟!...

فكرى : الله أعلم !...

المرأة : أرى جيداً بمثل هذه الأجوبة أنك لا تحب أن أكلمك فى شأنك ... الحق معك ... أنت لا تعرفنى ... ولكنى أنا أعرفك ... وأعرف طريقة حياتك التى تحتاج إلى عناية ... ألا ترى أنك بخروجك من الماء قد كتب لك عمر جديد ؟ ... هـــذا العمر الجديد أود أنا أن أحرص عليه ... وأتعهده... لأنك لم تستطع المحافظة على عمرك القديم.

فكرى : حقاً ... أضعته بحماقة . . فى لحظة طارئة ... بدون مناسبة ...

المرأة : أرأيت ؟... إنك غير مؤتمن على حياتك !... ولا يمكن أن نتركها بعد اليوم بين يدى شخص ...

فكرى : قاصر ...

المرأة : لا ... لا أريد أن أقول ذلك بالضبط ...

فكرى : غير رشيد ...

المرأة : بل غير ملتفت إلى نفسه ... شارد فى خياله ... سابح فى ملكوت!.. لا بد لمثلك من وصى ...

فكرى : وهذا الوصى هو.. حضرتك !..

المرأة : أنا أولى من غيرى ...

فكرى : مستنداتك ...

المرأة : أولا ... أنا التى انتشلتك من قاع البحر ... وبهذا أصبحت شيئاً يخصنى ...

فكرى : هكذا بوضع اليد ؟ ! ...

المرأة : حتى ... افرض أن شركة انتشلت سفينة من قاع البحر ... الا تصبح هذه السفينة ملكها ؟!...

فكرى : كلام معقول ! ... « يتنبه للأمر فيصيح » يا للمصيبه ! ... أصبح ملكك ؟!... يعملها القانون ... ويحكم لك بملكيتى !... لم أعد أستبعد شيئاً الآن ! ...

المرأة : اطمئن ... لن ألجأ إلى المحاكم ...

فكرى : نعم ... أرجوك ... أبعدينا عن المحاكم والنيابة والجهات الرسمية !...

المرأة : لا حاجة بى إلى هذا ... إنى معتادة أن أحل دائماً قضاياى بنفسى ...

فكرى : خيراً فعلت ...

المرأة : لقد نشأت هنا فى الإسكندرية ... قرب البحر ... مشبعة من

صغرى بالروح الرياضية .. ولى نظرة فى الحياة ... قـــد تصدم خيالك ...

فكرى : لماذا ؟...

المرأة : لأنى أحب دائما أن أسير فى خط مستقيم ... إلى الأمام . . .

فكرى : إلى آخر محطة ... مفهوم ... مسألةالسير هذه...عندنا بها خبر...

المرأة : « غير فاهمه مرماه » ماذا تقول ؟ ...

فكرى : استمرى ...

المرأة : أحب المواجهة والإصرار . . . وأكره الألتواء والتردد . . . إذا أبغضتك قلت ذلك فى وجهك . . . وإذا أحببتك رأيت ذلك فى وجهى . . . هدفى لا بد أن أبلغه ولو بعد جهد وكد . . . وما أريد لابد أن أناله ولو قسراً وقهراً ... يكفى أن أقرر لأنال ... ويكفى أن أخطو لأصل ...

فكرى : « فى قلق » لاشك عندنا فى ذلك أبداً ...

المرأة : من ذلك تدرك مقدار نجاحى فى كل ما يهمنى من مسائل ...

فكرى : « بتردد » وفى مسألتك هذه ؟ ... خطوت ؟ ...

المرأة : بالطبع ... خطوات . . .

فكرى : « صائحا فى يأس » انتهينا ! ... « رحنا بلاش » !

(تسمع دقة على الباب ... ثم يفتح ويظهر « جلال » مندفعا . . .)

جلال : ما هذه الإشاعة التى تملأ البلد ؟ ...

فكرى : أى اشاعة ؟ ...

جلال : « يرى المرأة فيهتف » استر وليامز !...

فكرى : « مبادراً بتقديم جلال » حضرته المخرج السينمائى المعروف ... جلال أنسى ... لاشك سمعت باسمه ... وعرفت نشاطه الفنى فى السينما والمسرح !...

المرأة : « بلهجة مجاملة » طبعاً...

فكرى : حضرته رآك مرة على الكورنيش ... ومن يومها وهو ... « يريد أن يشير إلى قدمه » ...

جلال : « يغمزه ليسكت » شفيت ... شفينا مما جرى لنا... كلنا ولله الحمد بخير الآن !...

فكرى : من يومها وهو يسميك « استر وليامز » ...

المرأة : « للمخرج » لماذا ؟ ... هل رأيتنى وأنا أسبح ؟ ...

فكرى : رآك أولا وأنت تسيرين من بولكلى إلى المكس...

المرأة : تمرينى اليومى فى السير على الأقدام !...

جلال : « فاغراً فاه » تمرين يومى ... كل يوم تسيرين ... هكذا ... هذا « المشوار » ؟ ...

المرأة : منذ عشر سنوات ... منذ أن كنت فى السادسة عشرة ...

جلال : بسم الله ما شاء الله ! ...

المرأة : ومن قال إنى ذهبت إلى المكس... إنى أمس اتجهت قليلا فى شارعه لاشترى شيئاً ... ثم عدت بالأوتوبيس ...

فكرى : إنه لم يستطع أن يتبعك إلا إلى ميدان محمد على... ثم خر مغشياً عليه ...

المرأة : « فى جد » ولماذا يتبعنى ؟ ...

جلال : « فى ارتباك » كان ذلك ... بالمصادفة ...

فكرى : إنه يتمنى لو قبلت العمل فى السينما...

المرأة : ليس عندى أى استعداد للفن ... ولست من هـــواة ذلك على الإطلاق ...

جلال : خسارة ... خسارة كبيرة . . . « لفكرى » أقنعها ... اكتب لها دوراً ... ضعها فى الإطار الذى يروق لها ... دعها تعيش فى الجو الذى يناسب مزاجها ... اجعلها تسبح فى البحر...

فكرى : «فى ارتياع » البحر ؟ ! . . . ألم نتب بعد من البحر وما جرى لنا منه ؟ ! ...

جلال : على ذكر البحر ... الإشاعة قوية فى البلد أنك انتحرت ...

فكرى : سمعت ممن هذا ؟...

جلال : من الناس . . . كل من قابلنى يقول لى : ألا تدرى ؟ . . . الأستاذ فكرى انتحر ... ألقى بنفسه فى البحر ... فى بلاج سيدى بشر ! ...

فكرى : وأنت ماذا كان جوابك لهؤلاء ؟ ...

جلال : كنت أقول لهم انتظروا حتى أتحرى الحقيقة ...

فكرى : تتحرى الحقيقة؟...ممن؟...

جلال : منك طبعاً ... ما هى الحكاية؟...

فكرى : أى حكاية ؟ ...

جلال : انتحارك؟... لماذا انتحرت؟...

فكرى : أنا انتحرت ؟ . . .

جلال : والإشاعة ؟ ...

فكرى : « صائحاً » الإشاعة ! . . . أتصدق الإشاعة ، وتكذب ما رأيته أنت بعينيك ؟ !... ألم تكن معى ساعة الحادث الملعون ؟ ! ... ألسنا « دافنينه سوا » ؟ ! . . . ألست أنت الذى وجهت نظرى إليها صائحاً : ابتلعها الماء !... فصدقت أنا وهرعت لأنقاذها ؟...حصل كل هذا أمام نظرك أو لم يحصل ؟ ...

جلال : حصل طبعاً . . .

فكرى : بعد ذلك تتحرى منى عما إذا كنت انتحرت ؟ . . . وتسألنى عن أصل الحكاية ؟ ...

جلال : كلام الناس ... ماذا أصنع أمام كلام النـــاس ؟... قالوا كلهم انتحر من أجل امرأة ...

فكرى : وتسمع هذا وتقبله ؟... أنت شاهد الرؤية ... أنت العالم ببواطن الأمور ... أنت الأصل والفصل ؟ ...

جلال : أقول لك الحق ... الإشاعة « لخبطت » عقلى ...

فكرى : « صائحاً » وما قيمة الحقائق إذن فى هذه الدنيا يا خلق الله !... إذا كانت تنهار هكذا أمام الأكاذيب !... فلاتبع أنا أيضاً الأكذوبة ، ولأسر معك خلف الإشاعة ... انتحرت يا سيدى ... انتحرت ... من أجل امرأه !...فقط...ابحث لى عن هذه المرأة من فضلك...

جلال : أنا الذى سأبحث عنها ؟ ...

فكرى : يجب أن تكون موجودة ، مادمنا انتحرنا من أجلها... أين هى ؟...

جلال : من هى ؟ ...

فكرى : تلك التى ألقيت بنفسى فى البحر من أجلها ؟! ...

جلال : « بدون تفكير يشير إلى المرأة » أليست حضرتها ؟ ...

المرأة : « فى دهشة » حضرتى !...

جلال : طبعاً ... ألا تعرفين ...

المرأة : أعرف ماذا ؟ ...

جلال : ما حصل ... عندما وقفت فوق الصخرة ، والقيت بنفسك فى الماء وغصت فيه ... حسبنا نحن أنك تنتحرين ... فأندفع حضرته بكل شهامة إلى البحر لينقذك ..

المرأة : « فى دهشة » ينقذنى أنا ! ...

جلال : ألم يخبرك بكل هذا ؟ . . .

المرأة : لا . . . « تلتفت إلى فكرى » لماذا لم تخبرنى . . .

فكرى : أخبرك بهذا الشىء السخيف ... رجل لا يحسن العوم يذهب لإنقاذ أمهر سباحة من الغرق !... مثله مثل ذلك الذى يذهب ليبيع الماء فى حارة « السقايين » !... الحق أن الأكذوبة أصدق منطقاً ، والإشاعة أجمل مظهراً ... ألقى بنفسه منتحراً من أجل الحب... معقول!...مقبول!...

« يفتح الباب فجأة . . وتظهر ميمى كمال داخلة مندفعة . . وقد وضعت ذراعها اليسرى فى الجبس وربطت برباط صحى . »

ميمى : « بلهفة» لم أعلم إلا الآن يا أستاذ ...

فكرى : تعلمين بماذا ؟ ...

ميمى : خبر انتحارك ...

فكرى : « وهو يتنهد » قسمتى !...

ميمى : الحمد لله على سلامتك ... الحقيقة أننا لم نفهمك ... حسبناك جامد العواطف ...

فكرى : كما ترون ... انتحرت من أجل الحب ! ...

ميمى : لم تتحمل صدمته ! ...

فكرى : « يمثل الرقة والضعف تمثيلا غير متقن » أبداً ... أنهار قلبي الرقيق واحساسى المرهف أمام لمسة الحب ... وتفتت كبدى المقروحة كما يتفتت كعك العيد الناعم عند لمسة الفم ...وتبخرت عصارة روحى تحت أنفاس الحب الملتهبة ، كما تتبخر مياه البحر تحت أشعة الشمس المحرقة ... الحب حطم حياتى وجعلها كالحصى الذى تفرش به الأرصفة ... الحب طحن حياتى ، وعجنها وخبزها كالدقيق الذى تصنع منه الأرغفة ... آه الحب ... الحب ... الحب ...

ميمى : مسكين ! ... ومن هى السعيدة التى ... صنعت بك كل هذا ! ...

فكرى : « بدون تفكير ولا انتباه » جارى البحث عنها ...

ميمى : « لم تفهم قصده » ماذا تقول ؟ ...

فكرى : « يعود إلى تمثيله » آه ...لاتسألينى ولا تذكرينى... لا تعذبوا روحى ولاتحركوا جراحى ... دعونى أعش هذه اللحظات فى جو الحب... هذا الحب الذى بلا حبيب ... ألا بد من وجود الحبيب أولا حتى يوجد الحب ؟ ! ماالذى يوجدقبل الآخر ، الحب أوالمحبوب ؟... البيضة أو الدجاجة ؟ . . . الكتكوت قبل البيضة . . . أو البيضة قبل الكتكوت ..

ميمى : « تلتفت إلى جلال بنظرات متسائلة عن معنى مانسمع » ؟

جلال : « لفكرى » لاتتكلم كثيراً..مراعاة لحالتك ! ...

فكرى : معك حق ... « لميمى » أخبرينى انت...ماهذا الرباط الجبس حول ذراعك ! ...

ميمى : اسكت يا أستاذ...هذه حكاية فظيعة ... ألا تعرف أنى نازلة هنا فى المستشفى منذ أمس ... فى الجناح الآخر ...

جلال : « بسرعة » بلغنى الموضوع ياميمى ...وكنت على وشك زيارتك...

فكرى : ما الذى حدث؟...

ميمى : الوحش ... البهيم ... الحيوان أبو النجف ؟ ... ماشعرت أمس إلا وهو داخل على فى حجرتى بالفندق وفى يده خشبة ...

فكرى : « لا يتمالك نفسه ويضحك» ؟ ...

ميمى : تضحك ؟ ...

فكرى : « يملك نفسه» احكى...ضربك؟. .

ميمى : وأى ضرب ؟ ... كسر لى ذراعى ... كما ترى والنيابة أخذت اليوم أقوالى ... وفحصنى الطبيب الشرعى وقال : من الجائز تتخلف لى عاهة مستديمة ...

فكرى : ياساتر ... وأين أبو النجف ؟ ...

ميمى : أظن وكيل النيابة قبض عليه ...

فكرى : حكاية جامدة ! ...

جلال : جداً ... تتخلف لك عاهة ؟ ! ... والفيلم ؟ ...

ميمى : « للمخرج » أكل ما يهمك هو « الفيلم » ؟ ! ..

جلال : « خجلا » قصدى ...

ميمى : أى فيلم بعدالذى حصل ؟...حتىوإن عادت ذراعىإلى حالتها الأولى، هل تظن فى إمكانى أن أنظر فى هـــذا الجلف بعد اليوم ؟ ....أو أعمل له فى فيلم ؟ ! ... ولو أعطانى ثقلى ذهباً ؟ ! ...

فكرى : معقول ...

جلال : معنى هذا أن العمل فى الفيلم توقف نهائياً ...

فكرى : نكبة كبرى ! ... أليس كذلك ؟ ... سيتوقف معهـــا دوران الكون ! ... لأن دوران الكون عندك متصل بدوران « الكاميرا » ! ...

ميمى : فليدر الأستاذ جلال وهذا الرجل الحيوان الكاميرا أوالكون ... كما يحبان ... ولكن بدونى ! ...

جلال : « بلهجة شك » بدونك ! ! ...

ميمى : النجوم كثيرة ... مثـــل التراب ... فى كل مكان تعثر قدمك بنجمة ! ... « تنظر إلى المرأة من فوق إلى تحت ... فتشيح المرأة بوجهها عنه ... »

يطرق باب الحجرة طرقة واحدة شديدة...
ويفتح الباب ويظهر أبو النجف وهو يقول:

أبو النجف : « وهو داخل » سلامتك يا أستـاذ ... لم أعلم والله إلا الساعة ...

ميمى : تتحرك فى الحال » اورفوار يا أستاذ ...

تخرج بسرعة .. قبل أن يتبين أبو النجف وجودها . . . وقبل أن يتمكن أحد من إستمهالها .

أبو النجف : « يتنبة إليها وهى خارجة بسرعة » : ميمى ... ميمى ... الله يجازى الشيطان ! ...

فكرى : سمعنا أنهم قبضوا عليك ! ...

أبو النجف : أفرجو عنى بكفالة ...

فكرى : نرجو أن تكون العاقبة سليمة ! ...

جلال : لو أن الاصابة خدش بسيط ... لكن مع الأسف ! ...

أبو النجف : قل للأستاذ ... أليست مشورته ؟... أليس الذى حصل هو من تحت رأس نصيحته؟ !...ألم تكن أنت حاضراً وسامعاً وشاهداً ياحضرة المخرج ! ... قرش صاغ !...ثمن مفتاح قلب المرأة المغلق ... قرش صاغ واحد ثمن عصا ... سمعنا الكلام ... واستوعينا الحكمة ... وذهبنا إليها بالعصا ... وإليكم النتيجة ! ...

فكرى : أقلت لك إكسر ذراعها ... وسبب لها عاهة مستديمة ! ...

أبو النجف : ساعة القدر تعمى البصر ...وعند الضرب لايدرى الانسان أين تقع الضربه ! ...

فكرى : المهم تطلع انت براءة ... أو يحكم عليك بغرامة ...

جلال : والتعويض ؟ ... أنظر كم تقدر المحكمة ذراع النجمة ؟ ...

أبو النجف : ذراع النجمة أو ذيل النجمة ! ... هذا الفيلم أرانى النجوم الظهر والسلام ! ...

جلال : وما ذنب الفيلم ! ؟...

أبو النجف : وماذنبي أنا ؟! ... أدخل باب الفن ... فإذا بي أجد نفسي أمام باب السجن . . مع أني دخلت شغلة الخيش ... فلم أجد نفسي فيها إلا مرتدياً ثياب الأبهة والاعتبار ! ...

جلال : ليس باب الفن الذي أوصلك إلى باب السجن ... بل باب النسوان !...

أبو النجف : البخت ! ... المكتوب على الجبين تراه العيون ولو بعد حين ! ... وأنا على كل حال داهيتي خفيفة ، بالنسبة إلى داهية الأستاذ ...

فكرى : «مأخوذاً» داهية الأستاذ ؟ ...

أبو النجف : هذا والله ماعزاني ... وهون على مادهاني ... عندما بلغني انك انتحرت من أجل امرأة ... قلت في نفسي : « ياسلام ! ... الأستاذ فكرى كله بعقله وحصافته وفصاحته يرمى حياته كلها في البحر في سبيل الحب ... وأنا استكثر رمى نفسي في الحبس شهراً أو شهرين أو ثلاثة ...

فكرى : « ممثلا » آه ... صحيح ... الحب يا أبو النجف بك ... الحب ...

أبو النجف : لكن حياتك أغلى ...

فكرى : « ممثلا » عندى أنا ؟ ! أبداً ... أبداً ... حياتى قطعة خيش ... والحب جوهرة منورة ... ماقيمة حياتى لو داستها الجوهرة ؟ ..

أبو النجف : « مبهوراً » شيء جميل ، وهذه المرأة ...

فكرى : « بغير انتباه » أى امرأة ؟ ...

أبو النجف : « فى لهجة جديه » هذه الجوهرة المنورة التى مسحت أقدامها فى خيشة حياتك ...

فكرى : منها لله !...

أبو النجف : أين هى الآن؟...

فكرى : على علمك ! ...

أبو النجف : يالعواطفك السمحة يا أستاذ !.. تكون بهذه الأحساسات الرقيقة.. ويكون الحب عندك بهذه المنزلة ... وتقول أمس إن المرأة لا يلين قلبها إلا إذا لان عظمها على لحمها .. فما أكاد اذهب إليها أنا بالعصا... حتى تذهب إليها أنت بروحك الطاهرة فترميها تحت قدميها ..فى البحر ؟

فكرى : الحب يا أبو النجف بك .. الحب.. انتحرت فى سبيل الحب..اعيش فى جو الحب واتنفس باوكسجين الحب.. قلبي سمكة والحب هو البحر !.

أبو النجف : كلام حلو ... حلو... حلو ...

فكرى : ألم تسمع هذا يقال عنى الآن ؟ ! . .

أبو النجف : الإشاعة ملء البلد ...

فكرى : انتحرت من أجل الحب ... شىء جميل .. أليس كذلك ؟ ...

أبو النجف : أجمل شىء !...

فكرى : لاتحسدنى ! .. أنت أيضاً ستسجن من أجل الحب ! ...

أبو النجف : أبداً يا أستاذ ... بل من أجل العاهة المستديمة ! ليتنى احتملت حبى مع الصد والهجر ... بدل إضاعة كل شىء فى الضرب والكسر !.. أما من أمل فى إصلاح الحال .. «يلتفت إلى المخرج» صديقى جلال.. مارأيك ؟ ...

جلال : أنا مخرج مسرحى وسينمائى ... ولست بمجبساتى ولا مجبراتى ! ...

أبو النجف : لست أطلب رأيك فى إصلاح الكسر ... بل فى اصلاح الحال بينى وبين ميمى ...

جلال : نحاول ...

أبو النجف : هل عندك طريقة ؟ ...

جلال : أقصر طريق هو أن نذهب إليها أنا وانت الآن ... بدون تأخير... نزورها ... وتعنى أنت بصحتها ... وتأتى لها بأعظم الأطباء ... وتكون فى خدمتها ...

أبو النجف : وإذا طردتنى ...

جلال : ننظر فى طريقة أخرى ...

أبو النجف : هيا بنا ... اسمح لنا يا أستاذ ...

جلال : « لفكرى » إلى الغد ...

أبو النجف : « لفكرى » اقرأ لنا الفاتحة ...

يصافحان فكرى .. وينحنيان براسيهما بالتحية أمام « المرأة » ويودعها المخرج مسلماً باليد ... ثم ينصرفان تاركين فكرى والمرأة ...

فكرى : « للمرأة وهو يتنفس الصعداء » أف... لامؤاخذة..انشغلناعنك...

المرأة : « كالخارجة من حلم » حسبتنى أغرق فأردت انقاذى ؟ !...

فكرى : « بدون انتباه » أين‌هذا ؟ ..«يفطن» آه‌حقا .. هذاماحصل‌بالضبط..

المرأة : من أجلى إذن ألقيت بنفسك فى الماء !...

فكرى : من أجلك أو من أجل أى شخص آخر فى مكانك ...

المرأة : مفهوم ... هزتك الأريحية والأنسانية ...

فكرى : ليس إلا ...

المرأة : وأنا التى ظننت الأمر غير ذلك ...

فكرى : ألم أقل لك إن ظنك سيخيب ؟ !...

المرأة : لم يكن إذن فى الأمر حب ... كيف شاع عنك إذن بهذه السرعة أنك تحب ؟ ...

فكرى : خيال الناس الخصب ...

المرأة : يالك من مسكين ... حياتك إذن عارية مجردة عن الحب ... أنت الرجل الخيالى لم تستطع أن تكسو حياتك بالثوب الذى صنعه لك خيال الناس ؟ ... كيف أمكنك أن تعيش هكذا بغير حب ؟ ! ... حتى الموت ... تموته أيضاً بغير حب ! ...

فكرى : « صائحاً ويداه حول رأسه » ياناس ... يا ناس كفى تحطيم أعصاب كفى حرب أعصاب ... أنا فى عرضكم ! ... أعصابى تحطمت !... لم تعد أذنى تسمع ، ولا رأسى يسع غير الانتحار ... الحب ... الحب ... الانتحار ... فى الأوراق الرسمية ... والأخبار المروية ... وكل من دخل على ... الحب ... الانتحار ... الانتحار ... الحب ... سأريحكم وأريح نفسى ... وأقسم لكم بشرفى ... أقسم لكم سأنتحر وأحب ... سأحب وانتحر ... فى ظرف أربع وعشرين ساعة !... قبل أربع وعشرين ساعة ! ... يذاع خبرى ! ...

المرأة : هدىء أعصابك ! ...

فكرى : أين هى أعصابى ؟ ! ... لقد انتهى الأمر ... خرجت حياتى من زمام عقلى وإرادتى ! ... أنا الآن شخص لا يصلح لشىء إلا للبحث عن الحب والانتحار ... أين هو الحب ؟ ... ابحثوا لى من فضلكم عن الحب ! ...

المرأة : الحب لا يبحث عنه ، ولكنه يهبط من تلقاء نفسه ! ...

فكرى : وإذا لم يهبط انفلق أنا ؟ ! يقع برج من دماغي ؟ ...

الفصل الثالث

حديقة فندق ... « فكرى » غارق فى مقعد كبير مريح إلى جوار مائدة منعزلة ... يرشف كوبا من عصير الليمون ... وأمامه المرأة » تتصفح بعض الجرائد والمجلات ...

فكرى : نصيحتى لك من الآن : لا تصدقى كل ما ينشر فى الجرائد والمجلات ! ...

المرأة : مؤكد ... أقرأت ما هو منشور فى هذه المجلة ؟ ! ... « تشير إلى مجلة فى يدها »

فكرى : « بغير اهتمام » لا ...

المرأة : اقرأ لك ؟ ...

فكرى : لخصى لى ...

المرأة : تزعم المجلة أنك انتحرت من أجل ممثلة ... تكتب لها دوراً فى أحد الأفلام ... لأن ممول الفيلم الثرى ينافسك فى حبها ... واكتشف أخيراً ما بينكما من علاقة فضرب الممثلة ضرباً خطيراً ، هو محل تحقيق النيابة ...

فكرى : لم يذكروا أسماء طبعاً ...

المرأة : لا ...

فكرى : يشيرون إلى حادثة ميمى كمال وأبو النجف ! ... وقد ربطوا بينها وبين حادث انتحارى المزعوم ... أرأيت براعة الصحافة ؟ ! ...

المرأة : ولكن الحادثتين لا توجد بينهما رابطة ... وقد شاهدت الأشخاص

بعيني فى حجرتك بالمستشفى ، وسمعت حقيقة ماحدث منهم بأذنى ... هذه المجلة تكذب ... هذه الصحف تختلق ..

فكرى : إنها تؤلف ! ...

المرأة : مثلك ! ...

فكرى : نعم ... مع هذا الفارق بيننا... وهى أنها تؤلف تخيلات يأخذها الناس دائماً على أنها حقائق... وأنا أؤلف حقائق يأخذها الناس دائماً على أنها تخيلات ! ...

المرأة : ترى ماذا ستقول هذه الصحف عن زواجنا ، عندما يتم ؟ ...

فكرى : ستقول إنه قصة خيالية لم تحدث وليس لها وجوداً ...

المرأة : فى هذا الصحف معذورة ... أنا نفسى لا أكاد أصدق ...

فكرى : لا تصدقين ماذا ؟ ...

المرأة : قرار كهذا فى منتهى الخطورة، تقدم أنت عليه هكذا بكل بساطة وبكل سرعة..

فكرى : طبعى ... هكذا خلقت ...

المرأة : مستحيل ... ألا تفكر قليلا قبل أن تكتب أو تؤلف ؟ ! ...

فكرى : الكتابة والتأليف شيء آخر ... إنى فكرت مرة عشر سنوات قبل أن أؤلف ، قصة وانى ربما أتردد يوماً كاملا قبل أن استعجل كلمة أوحرفاً من حروف الجر ...

المرأة : والكلمة التى قد تجر حياتك كلها إلى الجحيم ... تلفظها بدون تردد ...

فكرى : ثقى أنى أكثر منك دهشة من نفسى ... لكن ماذا فى استطاعتى أن أصنع . ؟ . طبعى هكذا ... هكذا خلقت ...

المرأة : ألست نادماً على نطقك بهذا اللفظ . ؟ . إنى على استعداد أن أحلك منه...

فكرى : الزواج ؟!... هذاشىء مفروغ منه ... لابد أن أتزوج... وسأتزوج...

المرأة : إنك حتى الآن لاتعرف عنى شيئا ...

فكرى : أعرف عنك كل شىء : امرأة ككل النساء ! ...

المرأة : « ساحرة » معلومات واسعة حقا ! ...

فكرى : تكفينى ...

المرأة : واسمى ! ... حتى اسمى لم تسأل عنه ! ...

فكرى : اسم كمئات الأسماء ! ...

المرأة : وأسرتى ... لم تعرف أسرتى ! ...

فكرى : أب وأم من نسل آدم وحواء ! ...

المرأة : ألا تلزمك بيانات عنى أكثر من هذه ؟ ! ...

فكرى : لا أظن ...

المرأة : إلى من ستخطبنى إذن ؟ ! ...

فكرى : إلى والدك ...

المرأة : أتعرف عنوانه ؟ ...

فكرى : لا ...

المرأة : أتعرف صناعته ؟...

فكرى : لا ...

المرأة : تحب أن أقول لك ما عمله ؟

فكرى : لا بأس ...

المرأة : مهندس ...

فكرى : لا ضرر ...

المرأة : هو الذى بنى منارة الاسكندرية . . .

فكرى : ماذا ؟ ... منارة الاسكندرية ؟ ! . . . ألم نقرأ فى التاريخ أن الذى بناها هو اسكندر الأكبر ؟ !...

المرأة : هذا صحيح ... فى عهد اسكندر الأكبر ...

فكرى : « صائحا » فى عهد اسكندر الأكبر ... وبناها أبوك ؟! ...

المرأة : بالضبط ... ورأيت أبى وهو يضع التصميم ! ...

فكرى : « بدهشة » على هذا الاعتبار عمرك كم سنة ؟ ! ...

المرأة : خمسة وعشرون! ..

فكرى : قبل الميلاد ؟ ! . . .

المرأة : «ضاحكة» قبل ميلادك أنت ... على وجه التقريب ... ربما أكون مغالية فى سنتين أو ثلاث ...

فكرى : إنى لم أولد فى عهد الأسكندر ! ...

المرأة : ولا أنا ...

فكرى : والمنارة ؟ ! ... ألم تقولى إنك رأيت وضع تصميمها ؟ ! ...

المرأة : رأيت ذلك بعينى وكنت طفلة ... كان أبى يرسم على الورق الأزرق السميك خريطة للبرج الجديد الذى يوضع فيه المصباح الكهربائى...

فكرى : المصباح الكهربائى ... أبوك اذن مهندس فى مصلحة ...

المرأة : الموانى والمنائر ...

فكرى : قولى هذا من أول الأمر ...

المرأة : وهل تركت لى وقتا لأوضح قصدى . . . إنك لا تريد منى بيانات ولا ايضاحات ... وتسمع بدون أى عناية أو اهتمام ...

فكرى : سأسمع ... تفضلى

المرأة : هذا فيما يختص بوالدى ...

فكرى : الكلام سيكون إذن مع حضرته؟ ...

المرأة : إنه غير موجود ...

فكرى : مسافر ؟...

المرأة : متوفى ...

فكرى : ألف رحمة عليه ... من غيره ؟ . . .

المرأة : أخى . . .

فكرى : ماذا يعمل أخوك ؟ . . .

المرأة : صاحب أطيان ... سبع عزب ...

فكرى : صاحب سبع عزب ؟!.. ورثها أو اشتراها ؟!.

المرأة : لم يرثها ... ولم يشترها ... وجدها ...

فكرى : « بدهشة » وجدها ؟... وجد سبع عزب؟! ...وجدها أين ؟!...

المرأة : وجدها حيث هى موجودة ... دائما ... بمساحاتها الشاسعة ...

فكرى : مساحاتها الشاسعة ؟ ! كم فدانا ... ألف ! ...

المرأة : ألف فدان فقط ؟ ! ...

فكرى : ألفين؟...ثلاثة آلاف فدان ؟..

المرأة : فقط ؟ ... قل ثلثمائة ألف فدان ... مليون فدان ...

فكرى : مليون فدان ! ... فى أى مديرية ؟ هذه ... هذه الأطيان ؟ . . .

المرأة : ليست فى مديرية ... ليست على البر ...

فكرى : ليست على البر ؟!...

المرأة : فى البحر ... ألا تعرف أنه توجد سبعة بحار ؟! ... هذه هى السبع عزب ... التى يتنقل بينها أخى ... كأنه يتنقل بين أطيان وغيطان خضراء هى الأخرى ... ذلك الاخضرار الذى لا يقل جمالا عن اخضرار الزرع ... هكذا يقول لى أخى دائما كلما عاد إلينا بعد رحلة بحرية طويلة ...

فكرى : أهو ضابط بحرى ؟! ...

المرأة : نعم . . .

فكرى : قولى هذا من أول الأمر ...

المرأة : أنى أضع لك المعلومات فى القالب الخيالى الذى يروق لك ...

فكرى وحضرة الأخ هو الذى سيكون معه الكلام ! ...

المرأة :لا .. إنه غير موجود ...

فكرى : متوفى ؟! ...

المرأة : مسافر ...

فكرى : ومتى يعود ؟ ...

المرأة : هذا شىء لا يمكن معرفته ، ولا التنبؤ به . . . لأنه يعمل على سفينة تجارية ، تجوب كل البحار ... وتقف على كل الموانى ... وقد يمضى العام دون أن نراه ...

فكرى : غيره ؟ ...

المرأة : عمى ...

فكرى : ماذا يعمل عمك ؟...

المرأة : تاجر ...

فكرى :كنى ... عرفت ...

المرأة : كيف يمكن أن تعرف قبل أن أقول لك ؟ ! ...

فكرى : ألم تقولى تاجر؟! ... طبعا لا بد أن يكون تاجر رمال فى الصحراء الغربية أو تاجر سحاب فى السماء الشتوية... او تاجر هواء فى البلاد القطبية .

المرأة : خيالك شطح أكثر من اللازم ! . . .

فكرى : أنت التى فتحت الباب ... ثق أنى أقل الناس حباً للخيال . . . وأتمنى لو تسردين لى الحقائق عارية مجردة . . .

المرأة : عمى يا سيدى العزيز ليس تاجر رمال ولا سحاب ولا هواء ...

فكرى : تاجر حبوب؟ قطن؟ حرير ...

المرأة : ليس تاجر طعام ولا ثياب ! ...

فكرى : تاجر ماذا إذن ؟ . . .

المرأة : ابحث فى ذهنك قليلا . . .

فكرى : تاجر زهور ؟ ...

المرأة : لا . . .

فكرى : تاجر عطور ؟ . . .

المرأة : لا . . . تاجر عيون . . .

فكرى : عيون ؟! . . . أعترف أن هذا لا يمكن أن يخطر لى على بال ... تاجر عيون ؟ ... عيون بشرية ؟ ! ...

المرأة : طبعاً ... عيون بشرية ...

فكرى : وأين يجد هذه العيون البشرية ؟ ! ...

المرأة : إنه لا يصنعها ... بل يحصل عليها « جاهزة » ...

فكرى : « جاهزة » ؟! ... يا لطيف ! ...

المرأة : ترد إليه من الخارج ... إنه الوكيل العام لشركة سويسرية كبرى...

فكرى : آه ... عيون صناعية ! ...

المرأة : طبعاً ... أو كنت تظنها حقيقية ؟ ...

فكرى : ماذا أصنع لك؟ . «لخبطت» دماغى !..

المرأة : انت الذى ترى بدهشة الاشياء البسيطة . . . وترى ببساطة الأمور الخطيرة !..

فكرى : وعمك هذا ؟ ... موجود ؟...

المرأة : ومحله خلف البورصة ...

فكرى : الكلام إذن مع عمك ؟...

المرأة : نعم ... وقد مهدت للأمر ... وذهبت إليه أمس ... وأخبرته أنك ستخرج من المستشفى إلى هذا الفندق ... وأقنعته بأن يأتى لزيارتك والتعرف بك ...

فكرى : زيارتى هنا ؟ ..٠؟ متى ؟ ...

المرأة : كم الساعة عندك بالضبط ؟ ...

فكرى : « ينظر إلى ساعته » الساعة الآن الخامسة والنصف ..٠

المرأة : لن يلبث أن يأتى ... سيحضر على كل حال قبل المغرب ...

فكرى : ولماذا لم تخبرينى بذلك ساعة مجيئك ؟ ...

المرأة : أخبرك بحضوره قبل أن أحدثك عنه...

فكرى : ألم يكن من الواجب أن أذهب أنا إليه ..

المرأة : انت خارج من المستشفى ... والواجب على الناس أن تزورك ...

فكرى : معقول ...

المرأة : كل ما أخشاه هو أن تستثقل عمى ... فهو رجل عمل ... لا يجيد الـكلام فى أى موضوع خلاف الموضوع المتعلق بعمله...

فـكرى : لن أكلمه طبعاً فى الأدب ولا فى الفن ...

المرأة : ستفاتحه فى هذه الجلسة ... ؟

فـكرى : فى مسألة الزواج ... ولم لا ؟..

المرأة : ماذا ستقول له ؟ ..

فـكرى : سأقول له بكل بساطة : أطلب إليك يد...يد ... ما هو اسمك ؟..

المرأة : عرفت الآن أن اسمى له بعض اللزوم ؟ !. .

فـكرى : حقاً ... اخبرينى باسمك ! ...

المرأة : اسمى : جنبرية...

فـكرى : « بدهشة » جنبرية ؟ !...

المرأة : نعم جنبرية...ألا تعرف الجنبرى ...

فـكرى : الجنبرى الأحمر الذى يؤكل مع الأرز ؟! ...

المرأة : نعم...ويسلق ويوضع فى الزيت والليمون ...

فـكرى : ويؤكل بصفة « مزة » ...

المرأة : ويطبخ بالبصل والطماطم ...

فـكرى : أنت هذا ؟ ! ...

المرأة : نعم ...

فـكرى : جنبرية ! ... أتزوج جنبرية ! ...

المرأة : جنبرية مسلوقة...بدون أرز ولا زيت ولا ليمون ولا بصل ولا طماطم...

فـكرى : مسلوقة ؟ ! ...

المرأة : بالشمس وماء البحر...منذ صغرى...أحيا هكذا بين الموج والرمل والصخر...لهذا أطلق على أهلى اسم جنبرية...

فكرى : عاشت «الأسامى»!...

المراة : ألا يعجبك ؟...

فكرى : وفى شهادة ميلادك كتبوا جنبرية ؟!...

المرأة : طبعاً لا...اسمى الأصلى فى شهادة الميلاد : دريه ...

فكرى : دريه ...

المرأة : لك أن تختار ما يحلو لك ..

فكرى : اختار...اختار...اختار جنبريه ...

المرأة : أرأيت ؟!... هذا الاسم لا يريد أن يتركنى...

فكرى : سيتركك يوم تتركين البحر ...

المرأة : متى ذلك ؟...

فكرى : عندما نذهب إلى القاهرة...سنقيم بالضرورة فى القاهرة أغلب العام... أيضايقك هذا؟ ...

المرأة : لماذا؟...

فكرى : فراق اهلك ؟ ... والدتك ؟ ...

المرأة : والدتى توفيت بعد وفاة والدى بعامين . . . وليس لى هنا غير عمى وزوجته وهى فى نفس الوقت خالتى ... وفى منزلها أقيم... هنا قرب بلاج « جليم » ...

يظهر جلال وهو يمسح عرقه بمنديله ،..
ويروح به على وجهه من الحر والتعب ...

جلال : « وهو يحنى رأسه للمرأة » مساء الخير !...

فكرى : أنت قادم الساعة من الخارج ؟ ...

جلال : لأصعد توآ إلى حجرتى ... وأعد حقائبى وأعود إلى القاهرة الليلة...

فكرى : تعود نهائياً ؟ ...

جلال : نهائياً ...

فكرى : وما الداعى إلى عودتك الفجائية ؟ ...

جلال : وما الداعى إلى إقامتى هنا ؟!...كل شىء انتهى...

فكرى : ما هو الذى انتهىء ؟...

جلال : الفيلم ... لن يعمل الفيلم ...

فكرى : ومساعيك ؟ ...

جلال : فشلت ! ...

فكرى : وميمى كمال ؟...

جلال : رأسها والخشب ! ...

فكرى : وأبو النجف ؟ ...

جلال : طردته ميمى شر طرد . . . وهددت باستدعاء البوليس إذا حاول الاقتراب من بابها ...

فكرى : وأخيراً ؟ ...

جلال : أخيراً ... خاف أبو النجف من كلمة البوليس ... وقرر إقفال باب الموضوع بأكمله ... وقال لى : « على العوض فيما صرفته على الفيلم حتى الآن »...وودعنى وكلفنى أن أودعك... وذهب إلى حال سبيله...

فكرى : والآن ... ما مشروعاتك ؟ ...

فكرى : زواجى ...

جلال : « فاغرا فاه » زوا ... زوا ... زواجك ؟

فكرى : مالك ارتعت هكذا ؟...

جلال : المفاجأة ...

فكرى : شديدة ؟ ! ...

جلال : أخذت على غرة ...

فكرى : أنت أو أنا... ؟ ...

جلال : بدون مقدمات ! ؟ ...

فكرى : كم من الزمن يلزم إن انتظر ليزول عنك أثر المفاجأة...وتصغى بهدوء!؟...

جلال : هدأت ... تكلم ...

فكرى : سأتزوج ...

جلال : من ؟ ... ستتزوج من ؟ ...

فكرى : تلك المرأة التى كانت هاهنا منذ لحظة ...

جلال : استروليامز ! ؟ ...

فكرى : ما رأيك ؟ ...

جلال : الآن زالت دهشتى ... ولم يعد فى الأمر مفاجأة لى... انى منذ رأيتها عندك فى المستشفى حدثتنى نفسى أنكما لابد سائران معاً فى طريق طويل... لقد سخرت أنت منى عندما سرت خلفها من محطة بولكلى إلى ميدان محمد على ! .. وها أنت ذا ستسير خلفها من هنا إلى آخر محطة فى العمر ! ...

فكرى : اللهم لا اعتراض! ...

جلال : هذا أسلم عاقبة ، على أى حال ، من سيرك خلفها إلى قاع البحر !...

فكرى : اللهم لا اعتراض !...

جلال : تشجع...وسر فى طريقك بصبر وجلد ! ...

فكرى : لا تشمت ! ...

جلال : بالعكس...انى اهنئك...وطالما تمنيت لك ...

فكرى : هذه المصيبة ! ...

جلال : هذه المرأة التى تشاركك الحياة ... وتسير معك ...

فكرى : على «كورنيش» العمر...إلى أن تقع مفاصلى ، وتنخلع ركبى ! ...

جلال : عجباً...إذا كان هذا رأيك ، فكيف تقدم على هذه الخطوة ؟ ! ...

فكرى : لأنه يجب أن أخطوها...لا أستطيع أن أقف . .

جلال : ما الذى يرغمك ؟ ! ...

فكرى : وأنت ما الذى أرغمك ان تسير يومها من محطة إلى محطة... دون إن تقف ؟ ! ...

جلال : اردت ان امضى إلى نهاية المطاف...إصرار وعناد ...

فكرى : أنا أيضاً أريد إن اذهب إلى النهاية ! ... قرار عناد واصرار !

جلال : فليكن...من يدرى ؟ ... ربما كانت نهايتك سعيدة ! ...

فكرى : إنها نهاية ... على كل حال ...

جلال : وبداية أيضاً ...

فكرى : ماذا ؟ ...

جلال : بداية حياة جديدة ... لا تعلم عنها شيئاً ... وربما كانت أجمل من حياتك هذه الأولى ؟ ! ...

فكرى : هكذا نقول دائما عندما نشرف على الموت ! ... نعلل النفس بحياة أخرى فى العالم الآخر ، أجمل من حياتنا الأولى ! ...

جلال : ولماذا لا يكون هذا صحيحاً ؟ !... هل يعلم أحد ما يخبئه لنا الغد؟!...

فكرى : حقاً ...منذا الذى كان يستطيع منذ يومين أن يتنبأ بما وقع اليوم؟!..

جلال : وقعة سليمة إن شاء الله ! ...

فكرى : أنت موافق إذن ! ؟ ...

جلال : بلا تحفظ ...

فكرى : على موتى؟ ! ...

جلال : على زواجك ...

فكرى : الاثنان واحد ! ... وكان يجب أن ألقى بنفسى فى أحدهما لأصل إلى الآخر ...

جلال : على خيرة الله ! ...

فكرى : « فجأة » أتحب الجنبرى ؟ ...

جلال : « بدهشة » الجنبرى ؟ ! ... ما هى المناسبة ؟ ! ...

فكرى : حقاً لا توجد مناسبة ! ...

جلال : «ناظراً إليه بقلق» ماذا بك؟...

فكرى : علامات الساعة ! ...

جلال : لا تتشاءم ! ... فكر فى عش الزوجية الجميل ! ...

فكرى : على ذكر العش ... هل تعتقد إن الوحى يستطيع أن يبيض ويفقس ويفرخ فى عش الزوجية ؟ !...

جلال : جداً...جداً...ومن غير الزوجة يحسن هذا العمل ؟ !...أليست هى التى تعنى بتربية الحمام والدجاج ؟ !...وإذا كانت هى التى تعرف كيف ترعى أعشاش الدواجن...ألا تعرف كيف ترعى عش «الوحى»،وتغنى

بفراخه وكتاكيته ؟ ! ...

فكرى : معقول ! ...

جلال : من هذه الناحية اطمئن كل الاطمئنان ... سوف تجد حياتك قد انتظمت وبيتك قد خيم عليه الهدوء... تجلس إلى مكتبك تكتب الساعات كما تشاء...دون أن يعكر عليك أحد صفاءك...لأن زوجتك وحارسة معبد فكرك واقفة على الباب بالمرصاد ... إذا حدثت ضجة منعتها من الوصول اليك... وإذا سمعت همسة خافت ان تبلغ أذنيك... انها هى التى ستحيط وحيك بذراعيها لتحميه من الهرب أو الشرود...وتمسح على ريشه بيدها الحريصة...وتجعله يألف عش الزوجية ويجعل منه عشه الدائم . .

فكرى : هذا حلم ! ...

جلال : ثق أنه سيتحقق ...

فكرى : هذا حقاً ما يلزمنى ! ...

جلال : ثق أنك ستناله ...

فكرى : عش الزوجية هو عش الوحى الدائم ! ...

جلال : ثق ان هذا هو الذى سيحصل ...

فكرى : انك تجعل لى البحر طحينة ! ...

جلال : ثق ان هذه جنتك وجنة فنك الموعودة ...

فكرى : انك تملأ نفسى بالأمل فى المستقبل ! ...

جلال : اياك أن تفقد هذا الأمل لحظة...ومثل استروليامز قديرة على أن تحقق لك كل هذا الحلم...ان التى لها الجلد على السير هكذا إلى آخر محطة...

ولها البراعه أن تسبح هكذا إلى الأعماق ... لن تعجز عن اقتناص وحيك ولو هرب إلى واق الواق ! ...

فكرى : معقول ...

جلال : ثق أنى لو كنت وجدت مثلها لتزوجت منذ زمن طويل ! ...

يظهر خادم الفندق ... ويقدم بطاقة زيارة إلى فكرى ... فينظر فيها ويلتفت إلى الخادم فى الحال ...

فكرى : « للخادم » فليتفضل ! ... « للمخرج » عمها ! ...

جلال : « يمد يده لفكرى » مبروك ... بالوفاء والبنين إن شاء الله ... اسمح لى الآن أعد حقائبى ...

فكرى : أشكرك جداً يا جلال ... مع السلامة ! ...

يخرج جلال ... ويبقى فكرى وحده ثم لا يلبث أن يظهر خادم الفندق يقود الزائر وهو العم ...

العم : الأستاذ فكرى ؟ ...

فكرى : أنا ... تفضل ... أهلا وسهلا ...

العم : أزعجتك ؟ ...

فكرى : بالعكس ... حصل لنا الشرف ... ماذا أطلب لك ؟ ...

العم : لا شيء ... متشكر ...

فكرى : لا بد ...

العم : قهوة مضبوطة ... إذا سمحت ...

فكرى : « للخادم » قهوة مضبوطة ... « الخادم يخرج »

العم : بنت أخى أخبرتنى أن حضرتك خرجت من المستشفى ... لا بأس عليك

ماذا كان عندك؟...

فكرى : ألم تخبرك هى بما أصابنى ؟ . . .

العم : لا . . . أخبرتنى فقط أنه كان عندك تعب . . . استوجب الراحة ... ماذا ؟ ... أعصابك ؟...

فكرى : أعصابى ؟ ! ... نعم ... حقاً كانت أعصابى محطمة ولا تزال . . .

العم : آه ... هذا فعلا يؤثر فى العيون ! ...

فكرى : العيون ؟ ! . . . وغير العيون !

العم : « يخرج نظارته ويضعها على أنفه ويحدق فى عينى فكرى » بديع ... بديع ... عمل متقن ؟ ...

فكرى : « غير فاهم » بديع ؟ . .. متقن ؟ . . .

العم : بدون شك.. عمل متقن..تسمح حضرتك...

فكرى : ماذا ؟ ...

العم : تخلعها لحظة ...

فكرى : ما هى التى أخلعها ؟ . ..

العم : العين

فكرى : عين من ؟ . . .

العم : عين حضرتك طبعاً . . . أخلعها لحظة واحدة . . . نفحصها ونردها فى مكانها . . .

فكرى : « فى ذهول » تخلعها وتردها ؟ . . . عينى ؟ ما هذا الكلام ؟ . . . حضرتك تتكلم بجد ؟ ! . . .

العم : « ينهض » المسألة بسيطة جداً ولن تستغرق ربع دقيقة .. تسمح لى

أنا ... يدى متمرنة ... تلقطها فى ثانية !...

فكرى : «صائحاً» تلقط عينى؟ ... انتظر ياحضرة الفاضل... انتظر !...

العم : لاتخف ... الحصها انت بيدك إذا شئت... المهم هو أن ألحصها .. وأرى اللون جيداً .. وآخذ المقاس ... وأعرف الماركة ...

فكرى : المقاس والماركة ... وبعدها مع حضرتك ؟ ! ...

العم : فقط لا غير... والباقى على أنا ...

فكرى : اجلس من فضلك... أرجوك... يظهر ان بنت أخيك لم توضح لك الموضوع ... اسمح لى أدخل مباشرة فى الموضوع ...

العم : الموضوع معروف ... هذا شغلى الذى أفهم فيه وأمارسه منذ ثلاثين سنة ... سترتاح من عملنا جـــداً ... وستكون مسروراً من شغلنا للغاية ...

فكرى : الموضوع يتعلق ببنت أخيك...

العم : أخبرتنى... أخبرتنى ... وقد أحضرت معى «العينات»...

فكرى : «مدهوشاً» العينات ؟ ! ...

العم : «يخرج من جيبه صندوقا صغيراً» انظر حضرتك ... انظر البضاعة.. هذا شغل سويسرا ... لم أحضر معى غير اللون العسلى... لأن بنت أخى أخبرتنى أن عينك عسلية ...

فكرى : أهذا هو كل ما أخبرتك به بنت أخيك؟!..

العم : قالت لى إن عين حضرتك لاهى بالمتسعة جداً ولا بالضيقة جداً ... متوسطة الفتحة... أى مقاس متوسط ...

فكرى : خلاف فتحه العين ومقاسها ... ألم تقل لك شيئاً آخر ؟! ...

العم : قالت لى ...

فكرى : «بأمل» ماذا قالت !..

العم : أن أتساهل معك فى الناحية المادية ...

فكرى : هل تعرف ما هو قصدها بهذه العبارة ؟ ...

العم : قصدها طبعاً أن أكارمك فى الأسعار .. . وهذا ما ستلمسه حضرتك بنفسك . ..

فكرى : «كالمخاطب نفسه» شىء عجيب !...

العم : «مستمراً» لأن أسعارنا لاتقبل المزاحمة ... حقيقة أشهد ... والشهادة لله . . ان الشغل الذى عندك «يشير إلى عينى فكرى» متقن جداً .. لأنى أجد صعوبة فى التمييز بين عين وعين .. ولكن الثمن أيضاً لابد أن يكون باهظاً .. بالصراحه كم دفعت فى عينك ؟! ...

فكرى : «يائساً مخاطباً نفسه» وآخرتها يا ربى !.. الموضوع ...

العم : «مستمراً» أنا أعرف ... لا داعى أن تقول. . . لن آخذ منك انت مثل هذا السعر .. أنا يهمنى « الزكلام » ... وسأعطيك بضاعة لمجرد الإعلان ... تسمح نجرب «العينة» . . . «ينهض بالصندوق ويقترب من وجه فكرى »

فكرى : « متراجعاً » ارحمنى يا حضرة .. أرجوك . . دعنى أفهمك الموضوع بنت أخيك لم تقل لك شيئاً . أنا أقول لك ...اجلس

العم : « يجلس » أمرك ...

فكرى : إنى لست زبون عيون ... عيناى طبيعيتان سليمتان انظر

العم : «ينهض ماداً أصابعه » أرنى. . .

فكرى : «بخوف» ابعد أصابعك من فضلك ...الموضوع لا يمس عيني بالكلية...
أنه خاص بزواج بنت أخيك ...

العم : « مفاجأة » زواج بنت أخى ... درية !...

« الخادم يحضر القهوة ... »

فكرى : تفضل القهوة أولا ...

العم : « يتناول القهوة من الخادم الذى ينصرف » درية ستتزوج ؟ ! .

فكرى : إذا سمحت لها ...

العم : انى دائماً أسمح ... ولكنها دائماً ترفض ...

فكرى : أسبق أن رفضت ...

العم : كثيرين تقدموا لطلبها... شبان من متخرجى الجامعة ... ومن مهندسين
وضباط وموظفين وتجار ... ان بنت أخى لها عقلية خاصة وطراز
خاص ... انها من صغرها تميل إلى الأشياء الغريبة ...

فكرى : وهل أعتبر أنا من الأشياء الغريبة ؟ !

العم : حضرتك ؟ ! ...

فكرى : أريد التقدم لطلبها ... هل عندك مانع ؟ ..

العم : إذا قبلت هى فأنى أرحب ..

فكرى : هل أستطيع أن أزورك عصر الغد ؟..

العم : يحصل لنا الشرف ..هل تعرف المنزل ؟ «فيللا» صغيرة زرقاء اللون.
بالقرب من «بلاج» .. انتظر اكتب لك العنوان بالضبط ...

يضع فنجان القهوة ويخرج بطاقة من جيبه ويكتب العنوان ويسلمه لفكرى

فكرى : شكراً ...

العم : انى آسف ... أزعجتك بالعيون و « العينات » بدون مبرر ... لقد فهمت خطأ من درية أنك خارج من المستشفى متعب الأعصاب والعين ... فاتجه ذهنى إلى ما يتصل بعملى بالطبع ...

فكرى : بالطبع ...

العم : أكرر أسفى وخجلى .. لست أدرى لماذا فهمت أن الموضوع يتعلق بعين صناعيه بالذات لا « بنظارة » مثلا .. مع أن تجارتى الأصلية هى فى كل أصناف « النظارات » والعدسات ... قد تكون العفريتة درية هى التى تركتنى أفهم ذلك .. انى أزعجتك « ينهض ويسلم » أدعك الآن تستريح .. أنا سعيد بالمعرفة .. إلى الغد ..

فكرى : « ناهضاً مسلماً » إلى الغد ..

يخرج العم ... ويبقى فكرى وحده ... وما يكاد يجلس فى مكانه ، حتى تظهر درية باسمة ...

فكرى : « فى حدة » أين كنت حضرتك ..

درية : هنا مختفية على مقربة منكما .. أشاهد ما يجرى ، ولا أحد يرانى ..

فكرى : تشاهدين ما يجرى ! . وتتركينه هكذا يريد أن يخلع عينى ، ويركب بدلا منها « ماركة » جديدة ..

درية : « تضحك » ثق أنى ساعة الخطر كنت تقدمت لنجدتك !.. كالعادة !..

فكرى : نعم كالعادة ! .. انى منذ رأيتك والخطر يحوم حولى فى كل لحظة ..

درية : وماذا يهم الخطر ، مادام هناك من ينقذك منه دائما !؟ ...

فكرى : وهل يوقعنى فى الخطر غير حضرتك ؟!...أنت التى توقعيننى فيه دائما ! .. اخبرينى ! .. لماذا تركت عمك يفهم أنى زبون ؟!..

درية : لأنه لو لم يفهم أنك زبون ، لما حضر بهذه السرعة ! .. .
فكرى : كان يجب أن تفهميه أنى زبون ... يريد عينيك انت ... بنظراتها الحقيقية ... لا عيونه هو الزجاجية ! ...
درية : لن يهتم ...
فكرى : لن يهتم بخاطب يطلب يدك ؟ ! . ..
درية : لن يأخذ الأمر على سبيل الجد ... سيظن الحكاية كغيرها لن تؤدى إلى نتيجة ...
فكرى : ولماذا لاتؤدى إلى نتيجة ؟ ! ....
درية : هذه فكرته عنى الآن ...
فكرى : معذور .. لأنك سبق أن رفضت طلاباً من خيرة « العرسان » !...
درية : ربما ... ولكنهم لا يصلحون لى...ولا أصلح أنا لهم .. انى لاأريد زوجاً عادياً ... لا أريد رجلا مثل كل الناس ...
فكرى : تريدين شيئاً غريباً .. .
درية : نعم ... أريد رجلا يسبح فيه خيالى .. كما يسبح فى هذا البحر الغامض العجيب ، الذى نشأت فى أحضانه .. . رجلا يرينى ألواناً من تلك المشاعر ، التى غصت عليها بين سطور صفحاته، كما أغوص على الأصداف تحت صفحات الماء .. . رجلا يجعلنى أعيش فى كنفه حياة بطلات القصص التى يبدعها .. تلك الحياة التى تهمس فى أرجائها موسيقى الكلمات الشعرية .. . وترترف على عشها أجنحة الأحلام الذهبية ..
فكرى : اسمعى .. . مادمنا قد دخلنا فى الأعشاش والأجنحه ... أنا أيضاً لى حلمى ... الذى أريد أن يتحقق على يديك. ..

درية : حلمك ؟ ! . ماهو حلمك ؟ ..

فكرى : هل تفهمين فى تربية الكتاكيت ؟ !...

درية : « بدهشة » الكتاكيت ؟ ! ...

فكرى : كتاكيت...حمام...دجاج...أى طير يبيض ويفقس ويفرخ... ويريش...ويعشش...

درية : لم أكن أعلم أن لك هذه الهواية ؟ ! ...

فكرى : هواية ؟ ... هذا عملى ... هذا صميم عملى ...

درية : عملك ؟ .. «فرارجى» ؟ إنى أعلم انك مؤلف ؟!...

فكرى : طبعاً ... مؤلف ...

درية : وما علاقة المؤلف بالطير ؟ ...

فكرى : الوحى ...

درية : آه ... فهمت ...

فكرى : أليس الوحى من لوازم عملى ! ؟ ...

درية : بالتأكيد ...

فكرى : هذا الوحى بأجنحة الرقيقه أين يهبط ؟ ...

درية : أين ؟ ..

فكرى : فى عش ... لا بد له من عش ..

درية : طبيعى ...

فكرى : عش الوحى يجب أن يكون عندى هو عش الزوجية ... وعش الزوجيةهو عش الوحى! ...

درية : اطمئن ... سأجعل الوحى لايفارق العش !....

فكرى : بماذا ؟ ...

درية : ما الذى يحبه الوحى؟..

فكرى : الهدوء ...

درية : سأفرش له البيت بالهدوء ...

فكرى : أو تعرفين متى يهرب الوحى ؟ ...

درية : متى ؟ ...

فكرى : إذا سمع صوت مناقشات ومشاجرات ...

درية : لن يسمع ... ستكون أعصابى فى ثلاجة صيفاً وشتاء ... وستكون على فمى الابتسامة صباحاً ومساء ... لن يعرف وجهى العبوس ... ولا جبينى التقطيب ... ولا ملامحى التجهم ... ولا شفتاى التبرم... ولا ضميرى القلق ... ولا روحى الحيرة ...

فكرى : ولا قلبك الغيرة ؟...

درية : الغيرة ؟. ممن ؟. من ماذا ؟...

فكرى : من كلام مع ممثلة !... من خطاب معجبة ... هذه الأشياء الداخلة فى أعمال المهنة ... ولا يمكن تفاديها ولا تحاشيها ولا الخلاص منها ...

درية : أأنت إلى هذا الحد ضعيف الثقة بعقلى !...

فكرى : عقلك مهما يكن هو عقل امرأة ...

درية : انى حقاً امرأة ... ولكنى لست كالأخريات! ...

فكرى : كل امرأة تقول عن نفسها ذلك ...

درية : سترى .. وستعرف . وستتأكد ...

فكرى : واثقة ...

درية : كل الثقة..

فكرى : ضمناك ... من يضمن الأولاد ...

درية : أى اولاد ...

فكرى : ألن يولد لنا طفل !...

درية : « كالحالمة » حقاً ... ما أجمل ذلك !..

فكرى : لا أتكلم عن جماله .. بل عن صراخه !..

درية : لن يصرخ ...

فكرى : كيف تتنبئين بذلك ...

درية : سأجعل حجرته بعيدة عنك ...

فكرى : وإذا مرض !..

درية : سأتولى أنا ملاحظته ... ولا أشغلك بشىء ... ولن يبلغك من أمره مايزعجك . يصحو وينام .. ويبكى ويضحك .. ويصح ويتوعك .. دون أن تعلم انت عن ذلك شيئاً ..

فكرى : هذا هو الحلم .. هذا حقاً هو عش الوحى ...

درية : ثق ان الوحى سيشعر أن البيت بيته .. ولن يسمع فيه صوتاً غير صوته

فكرى : على رأى المثل : « دبورين مايزنوش فى عش واحد » !... إما طنين المرأة ... وإما طنين الوحى !...

درية : لن يسمع فى العش غير طنين الوحى وحده ...

فكرى : أبشرى إذن ببقائه الدائم ...

درية : لن يهرب ما دمت أنا فى البيت .. سيجد من حنانى وشفقتى ...

فكرى : انتظرى من فضلك ... على ذكر الشفقة والحنان ... إذا أطلت الجلوس إلى مكتبي والوحى مرفرف بجناحيه على ورقى ... فأياك أن تقطعى عملى بحجة الشفقه والحنان ... ولو مكثت الساعات ... تلو الساعات !

درية : وإذا جاء وقت الطعام ...

فكرى : لا تنبهينى ...

درية : وكيف تعمل ومعدتك خاوية ؟ !

فكرى : لا بأس بقطعة « ساندويتش » تضعينها برفق وهدوء وحذر تحت يدى ... دون أن تشغلينى عن مواصلة العمل ...

درية : وإذا أذن عليك الفجر وأنت لم تزل تكتب ؟ ...

فكرى : ماذا تفعلين ؟ ...

درية : أقول لك هذا أذان العصر ...

فكرى : أى عصر ؟ ...

درية : عصر اليوم السابق طبعاً . .

فكرى : أحسنت ... « برافو » ! ...

دريه : وإذا جاءنا زائر فى البيت وأنت تكتب ! ...

فكرى : ماذا تصنعين ؟

دريه : أغلق بابك عليك بالمفتاح ... واضع خلفه المتاريس من الموائد والكراسى والأثاث . . .

فكرى : أحسنت ... « برافو » ... « برافو » ! ...

درية : وإذا لاسمح الله حدث فى المنزل حريق وأنت تؤلف ... ؟ ...

فكرى : ماذا تفعلين ؟...

درية : لا أقاطعك ... واتركك فى عملك لا تشعر بشىء ...

فكرى : « صائحاً » ياللمصيبة النازلة ! ... تتركينى لا أشعر بشىء حتى تلتهمنى النار ؟ ! ...

درية : لا أقصد ذلك ... لا أقصد ذلك ...

فكرى : ماذا تقصدين إذن؟ ...

درية : أقصد إنى لن أدعك ترتاع وتنزعج وتضطرب ويهرب منك الوحى ...

فكرى : فى هذه الحالة كيف ستتصرفين؟ ...

درية : سأعرف كيف أتصرف فى الوقت المناسب ...

فكرى : قولى لى من الآن ... أتوسل إليك ! ...

درية : لا تخف ... إنك تخشى أن أزعجك ... اطمئن ... لن أزعجك أبداً ...

فكرى : والنيران ؟ ! ...

درية : مالك أنت والنيران . . . لا شأن لك أنت ولا وحيك بنار ولا دخان ... سأطفىء أنا الحريق من حولكما ، دون أن تفطنا إلى ما حدث ...

فكرى : كيف ستطفئين أنت النار ...

درية : سأنزل إلى الطريق وأصيح ...

فكرى : أنت تنزلين فى الطريق وأنا أبقى فى البيت الذى يحترق ؟! ...

درية : نعم ... حتى اصيح فى طلب النجدة بملء فمى دون أن يزعجك الصوت ؟ ! ...

فكرى : حتى لا يزعجنى الصوت ؟ ! ...

درية : نعم ... لأنى سأصيح بأعلى صوتى : حريق ... حريق ... حريق ..

(خـدم الفندق يسمعون صوتها وهى تصيح . . . فيهرعون مرتاعين . .)

الخـدم : « صائحين » الحريق ... الحريق . . .

فـكرى : « ينهض مرتاعاً يلتفت حوله » الحريق ؟.. أين هو ؟.. أين.. أين ؟..

الخـدم : « مشيرين إلى درية » الست صرخت .. الست صاحت الآن ...

فـكرى : « متنفساً » آه ... الست ! ... أف ... دمى هرب ! . .

درية : « للخدم » هذا خيال ... « لفكرى » وأنت أيضاً صدقت الخيال !...

الخدم : « بدون فهم » خيال ؟ ! ...

فـكرى : « يشير إلى رأسه ويفهم الخدم » نعم ... الحريق هنا ... فى الخيال فى الخيال . . . الخيال ! . . .

(ستار)

الفصل الرابع

حجرة مكتب فى «عش الزوجية» لابأس بر ياشها ... وقد جلس «فكرى» إلى مكتبه تحت ضوء «الأباجو» الأخضر ... فى مطلع الليل ... يعتصر ذهنه فوق الورق المتناثر حوله وتحت قدميه ... وخلفه باب مفتوح يؤدى إلى حجرة داخلية ، يأتى منها نور شاحب ، ويتصاعد من جوفها صوت زوجته درية الثائر الغاضب المتوسل الصاخب ...

دريه : «من الداخل» ارحمونى ياناس !... ارحمنى أيها الزوج...عاونى ... ساعدنى... أنامت... انتهيت ... تحطمت...أعصابى ... أعصابى ...

فكرى : «وهو منكب على ورقه» أف ! ... هذا البطل ! ..

درية : «من الداخل» لكل شىء آخر ... لم أعد أحتمل...لاأستطيع المقاومة لا أستطيع ...

فكرى : «يبحث فى ورقه» كيف أختم الفصل الثالث ؟ ... البطل أرسل إلى البطلة خطاب غرام ...

درية : «تظهر منهوكة القوى» ألا تسمع ما أقول ؟...

فكرى : «وهو غارق فى ورقه» ماذا تقولين ؟...

درية : طبعا لم تسمع شيئاً كما هى العادة ... غارق فى هذا الورق... أرجوك أرجوك . . . التفت إلى لحظة . . . ارفع رأسك قليلا . . . انظر إلى ... انظر إلى ...

فكرى : «بدون أن يرفع رأسه» انظر إليك ؟ لماذا ؟

درية : « فى شيء من التوسل » لترى وجهى ... لأنى سأموت ...

فكرى : « شارد الفكر » متى؟...

درية : متى ؟!... إنك لا تعقل الآن ما تقول ؟ ...

فكرى : ماذا قلت ؟...

درية : لا تشرد ... أرجوك.. أصغ إلى كلامى ...ثق إنى سأموت حتما إذا استمر الحال هكذا ليلة أخرى...إنى لم أنم ...لم يغمض لى جفن منذ أسبوعين كاملين ... التيفوئيد كما تعلم يحتاج إلى تمريض دقيق... وطفلنا الآن فى مرحلة الخطر . . . وقواى لم تعد تحتمل السهر عليه بمفردى... لقد وعد الطبيب بأن يرسل إلينا الليلة ممرضة تعاوننى... ولكنها لم تحضر حتى الآن ... أرأيت كربى ؟... أرأيت بلوتى ؟... إنها لم تحضر... لم تحضر...

فكرى : لم تحضر ؟ ...

درية : نعم ... كما ترى ... لم تحضر حتى هذه اللحظة . . .

فكرى : من هى ؟ ...

درية : الممرضة ...

فكرى : أى ممرضة ؟ . . .

درية : أأنت معى بعقلك ؟ ... يا لمصيبتى بك ...يا لكارثتى بمثلك ... فيم تفكر الآن إذن ؟ ...

فكرى : « بغير انتباه » فى الفصل الثالث . . .

درية : الفصل الثالث !... «ترتمى على المقعد آه ... آه...على بختى الأسود...

فكرى : « وهو ينظر إليها وهى ترتمى على المقعد » فكرة ... فكرة نيرة...

نعم... هكذا يجب أن يختم الفصل... انهضى ثم ارتمى مرة أخرى... مع شيء قليل من الدموع ... إذا أمكن ... لينزل الستار على منظر مؤثر ...

دربة : منظر مؤثر ؟ ! ! ...

فكرى : ألا ترين ذلك ؟ ...

دربة : أرى حقاً أنى تزوجت من رجل مجنون ! . . . هذا ذنبي ! . . . هذا اختيارى ! ...

فكرى : ناقشيني ... لك الحق أن تناقشيني إذا كنت تخالفينني فى الرأى ... : هل عندك اقتراح بموقف آخر يصلح لنزول الستار ؟ ...

دربة : أهذا وقت مناسب... أحدثك فيه عن نزول الستار على قصتك ؟!... أنسيت لماذا جئت إليك الآن ؟ ...

فكرى : لماذا ؟ ...

دربة : لأحدثك عن نزول مصيبة على رأسي وحدى ...

فكرى : مصيبة ! ! ... شيء جميل .. حدثيني عنها بتأن ... وتفصيل ... وهدوء ... ووضوح ... من يدرى ... ربما هبط علينا منها ...

دربة : « ثائرة » هبط عليك منها ماذا ؟... أهذا كل ما يهمك من الأمر؟ ... تنقض على أنا المصائب والمتاعب والهموم ... فتبادر أنت لا إلى حملها عنى ... بل إلى نقلها ووضعها فى هذا الورق ... هذا الورق الذى أكرهه... وأمقته وأوده لو أمزقه وأحرقه...أحرقه...

فكرى : تحرقين فنى ؟ ! ...

دربة : فلتسمه أنت فنك ولكنى أسميه عبثك . . . إنك تعبث بآلام الغير ، وأنت تصنع منها هكذا مادة قصص ومسرحيات ... أنت رجل لا قلب له ... أنت تعيش على مصائب الناس !

فكرى : أنا وحدى ؟ ! ... والطبيب .. والمحامى ... والحانوتى والمرابى ... كل أصحاب المهن الشريفة ! ... حتى السياسى وتاجر الأسلحة ومخترع القنابل الذرية والصاروخية ! ... كل هؤلاء جميعاً يستغلون نكبات الناس ! ...

درية : ولكنك أنت وحدك من بين هؤلاء جميعاً الذى تستغل نكباتك ونكبات أقرب الناس إليك ...

فكرى : أو ليس هذا سر شقائنا بهذه المهنة ! ... إننا نعطى الفن كل شىء كما ترين

درية : نعم ... كل شىء حتى ذاكرتك ... فإنك تنسى أحيانا أهلك وأطفالك ... وحتى انتباهك ... فأنك تشرد بذهنك عنا وعن نفسك ...

فكرى : كل شىء فينا هو ملك مباح لهذا الفن الملعون ... إننا عندما نعطى الناس عملا فنيا لا نعطيهم فقط عصارة ذهننا ... بل مشاعرنا وتجاربنا ودموعنا وضحكاتنا ... وكل شخصيتنا وكل ذرة من حياتنا ...

درية : وكل هذا مقابل كم من الجنيهات ؟ ... ماذا تعطينى أنت فى أول كل شهر لأنفق على بيتك وعيالك ؟ ...

فكرى : دعينا الآن من الحديث فى المادة ...

درية : وفيم تريد الآن أن أحادثك ؟ ...

فكرى : فى ختام الفصل الثالث إذا سمحت ... أرجوك أن تعاونينى قليلا ... يجب أن أعرفك أولا بصفات بطل الرواية ... إنه كريم جداً ... ونبيل جداً ... ويحب البطلة إلى درجه الهيام ...

درية : وما صناعة هذا البطل الهمام ...

فكرى : غنى جداً ...

درية : غني جداً ... وكريم جدا ... هل تستطيع أن تسأله أن يقرضنا الآن خمسين جنيهاً ...

فكرى : من هو ؟ ..

درية : بطلك هذا ...

فكرى : أأنت مجنونة ؟. إنه بطل وهمى .. من خلق قريحتى ..من صنع خيالى.

درية : نعم هذا كل ما يفلح فيه خيالك ! .. يستطيع أن يخلق شخصاً غنياً جدا ... ولا يستطيع أن يخلق خمسين جنيها ضرورية لنا جداً !..

فكرى : عدنا إلى الكلام فى النقود ؟ ! .

درية : لأن بها وحدها مع الأسف الشديد نحصل على الكلورمايستين الذى وصفه لابنك الطبيب ! ...

فكرى : ماذا ؟... مايستين ؟ !..

درية : كلورومايستين ... أحدث دواء للتيفوئيد . ياسيدى المؤلف الغارق مع أبطاله فى وديان العشق وتباريح الهوى !...

فكرى : أتعنفيننى ؟.. ماذا تريدين منى أن أفعل ! هذه صناعتى ... لا بد لى أن أعيش مع أبطالى أولا ... كى أستطيع بعدئذ أن أجعلكم تعيشون .

درية : أعرف ذلك .. مع الأسف !.

فكرى : نعم ... يجب أن تعرفى أن أبطالى هم الذين يكفلون لنا الرزق ، ويفتحون لنا البيت . أنا خالقهم .. ولكنهم هم الذين يرزقوننى !..

درية : « سخرية خفية » بلغ شكر الأسرة لهؤلاء السادة الأبطال ...

« جرس الباب يرن ... »

فكرى : الباب ! ...

درية : « فى لهفة » المرضة ! ...

فكرى : جاءنا الفرج ... سيكون فى مقدورك الليلة أن تنامى قليلا بهدوء ... وأن أكتب أنا قليلا بهدوء ...

درية : لاتنس أن الممرضة تتقاضى فى الليلة الواحدة ، على الأقل، جنيهين !...

« يدخل الخادم وفى يده بطاقة »

فكرى : ألا بدلها أن تقدم بطاقتها ؟!...

درية : «للخادم» أدخلها ... أدخلها...

الخادم : دا واحد أفندى...واحد بك...

فكرى : بك ؟ ! . . . أرنى البطاقة ! . . . « يتناولها من الخادم ويقرأها ويصيح » يا للطامة الكبرى ! . . . جلال . . . مدير الفرقة . . . المسرح ... جاء يطلب الرواية ...

درية : فى هذه الساعة ؟ ...

فكرى : موعدى معه كان البارحة ... وقد طلبنى اليوم مراراً بالتليفون فغيرت صوتى وأنكرت وجودى ... ما العمل ؟ ...

درية : ما العمل فى الممرضة التى لم يأت ... آه يا إلهى ! ... سأسهر الليلة أيضاً ... أعصابى تحطمت ... أعصابى ... أعصابى ...

«تخرج من الباب الذى جاءت منه وتغلقه خلفها»

فكرى : « للخادم » أدخله ... وأمرنا إلى الله ! ...

يخرج الخادم من الباب الآخر الذى جاء منه . .
ويتجه المؤلف إلى أوراقه للبعثرة يجمعها
ويرتبها . . . إلى أن يظهر جلال . . . »

جلال : لا مؤاخذه إذا أزعجتك ... لقد طلبتك فى التليفون أكثر من عشرين

مرة ، فكان يرد على صوت كنعيق الغراب، يقول : غير موجود ...
وقد انتهى الممثلون من تدريبات الفصل الثانى منذ أمس وقفوا مكتوفى
الأيدى .. وإعلانات الرواية على الحيطان .. ولا بد من الفصل الثالث
الآن بأى طريقة ... أين الفصل الثالث ؟... أعطنى الفصل الثالث ...

فكرى : لحظة واحدة ! ...

جلال : « بشىء من العنف » أعطنى الفصل الثالث من فضلك ... بدون مناقشة

فكرى : حلمك ... الصبر طيب ...

جلال : صبرنا كثيراً ... والعمل معطل ... تعالى أنظر من هذه النافذة !...

« يقوده من يده إلى نافذة الحجرة . . . »

فكرى : انظر ماذا ؟...

جلال : «وهو يفتح النافذة» تحت فى الشارع ... ماذا ترى ؟...

فكرى : « وهو يطل » لا أرى شيئاً من هذا الطابق الرابع ! ...

جلال : ألا ترى شيئاً فى الشارع ! ...

فكرى : أرى الأسفلت ...

جلال : وفوق الأسفلت أمام باب العمارة . . . ألا ترى سيارة « تاكسى » وبجانبها ملقن ؟!...

فكرى : ملقن ؟!...

جلال : عبد التواب الملقن؟ . . جئت به معى . . . وأوصيته أن يقف تحت النافذة وأفهمته أنى صاعد إليك لأفعل أحد أمرين . . . إما أن ألقى إليه بالفصل الثالث ... فيسرع به إلى المسرح بالسيارة ، حيث ينسخ حالا ويعد للتدريب . . . وإما أن ...

فكرى : وإما أن ؟؟ ...

جلال : وإما ان الق إليه من هذه النافذة بالمؤلف نفسه ! ..

فكرى : يا مغيث ! ..

جلال : وثق أنى أفعلها .. انظر إلى عضلاتى .. إنك تعلم أنى كنت فيما مضى من هواة الرياضة وحمل الأثقال ! ..

فكرى : « وهو ينظر إلى عضلاته » تفعلها .. آه .. ليتنى لم أكن فيما مضى من هواة الأدب وحمل القلم !...

جلال : والآن ... ناولنى الفصل الثالث بالذوق... بدون إضاعة وقت.. وبدون ضوضاء ! ...

فكرى : الفصل كله ؟ ..

جلال : أولم تتمه بعد ؟..

فكرى : الذنب ليس ذنبي ... وأقسم لك ...

جلال : ذنب من إذن ؟ ...

فكرى : الوحى ...

جلال : أي وحى ؟ ... نحن لا نعرف غيرك ... نحن لم نتفق مع الوحى.. نحن قد اتفقنا معك أنت ...

فكرى : الآن تقول ذلك يا « جلال » ! هذا صحيح ... أنا الذى أمضيت العقد.. ولكنه هو فى الحقيقة الذى يقوم بأكثر العمل أنا أتحمل مسئولية التأخير.. وهو يجىء ويذهب تبعا لمزاجه ..غير مقيد كما تعلم بمواعيد ...

جلال : ومتى جاءك آخر مرة ؟ ..

فكرى : هذا المساء منذ ساعتين ...

جلال : ولماذا ذهب ... قبل ان يتم عمله ؟...

فكرى : هرب ...

جلال : ولماذا هرب؟ ! ...

فكرى : لأنه لا يستطيع أن يمكث إلا فى جو هادىء ...

جلال : «يلتفت حوله متسمعاً» وهل هناك جو أهدأ من جو هذا البيت ! .. إنى لا أسمع صوتا ... ولا حركة .. ولا أرى عندك ما يزعج الخاطر أو يشغل البال! .عش للوحى مثالى كما تنبأت لك منذ سنتين .. تماماً .. تماماً ..

فكرى : «فى سخرية خفية» أتظن ذلك ! ...

جلال : انى متأكد ... ما الذى يمكن أن يشغلك هنا عن القصة ؟! ...

فكرى : «كالمخاطب نفسه» يشغلنى .. المايستين ! ...

جلال : ماذا ؟ ... «الميزانسين» ؟... لا ياسيدى ... لا تشغل نفسك انت بالميزانسين .. هذا من شأن المخرج ...

فكرى : لست أتكلم عن «الميزانسين» بل عن المايستين .. الكلوروما يستين.. دواء التيفوئيد ...

جلال : ماهذا الخلط التيفوئيد ما دخله هنا ؟ .. أهذا موجود فى القصة ! ...

فكرى : لا .. بل موجود فى حياتى الخاصة ...

جلال : لست أفهم ...

فكرى : أيهمك أن تفهم أم يهمك أن أسلم إليك الفصل ! ...

جلال : أن تسلم إلى الفصل ...

فكرى : لتلقى به من النافذة إلى الملقن ...

جلال : أو الق إلى الشارع بالمؤلف ! .

فكرى : ولماذا لا تلتى إلى المؤلف بالمحفظة ؟ ...

جلال : أى محفظة ؟ . . .

فكرى : محفظتك ... محفظة نقودك ... ثق أنها لو ظهرت الآن من جيبك ، لظهر الوحى فى الحال من الباب ! ...

جلال : وما العلاقة بين الوحى والنقود ؟ ... ألم تقل دائما إن وحيك لا يريد غير جو الهدوء ؟ ! ...

فكرى : الآن فى هذا البيت الهدوء لا ينسج جوه بغير النقود ! ..

جلال : ألم تقبض مائة جنيه على الحساب ؟ ..

فكرى : إن الهدوء قد ارتفع ثمنه فى هذه الأيام ! ..

جلال : « وهو يخرج من جيبه المحفظة » لو ناولتك الآن عشر جنيهات هل تناولنى الفصل ؟ ..

فكرى : كم معك فى المحفظة ؟..

جلال : شىء على قدر الضرورة ..

فكرى : ضرورتى أنا بالطبع .. أنا أدرى بها منك .. تسمح ؟ .. « يخطف المحفظة .. »

جلال : محفظتى..محفظتى..

فكرى : لا تصرخ هكذا .. اهدأ .. اهدأ .. والا يهرب الوحى .. لقد ظهر .. إنه على عتبة الباب .. على العتبة ..

جلال : « يلتفت » ظهر ! ...

فكرى : «وهو يفرغ محتويات المحفظة على المكتب » منظرك نفره...ولكن منظر النقود قد يجذبه ...

جلال : ماذا تصنع ؟ ... أوراق الخصوصية ...

فكرى : سأفرز كل شىء أمامك... وأعطى كل ذى حق حقه... «يوزع» هذه ورقة نقدية للوحى ... وهذه ورقة خصوصية لك... هذه ورقة مالية للوحى ، وهذه ورقة خصوصية لك ... هذا له ... لك وهذا كله لك... وهـذا كله له...

جلال : «صائحاً» وحيك جردنى من نقودى... هذا الوحى قاطع طريق!...

فكرى : «وهو يعد النقود ويضعها فى جيبه» مبلغ ثلاثين جنيها لا غير ... بها قد نشترى بعض الهدوء... لا كله ... فى هذا العش المثالى!...

جلال : «وهو يتسلم محفظته فارغة من المال» أترك لى على الأقل أجرة التاكسى...

فكرى : إليك عشرة قروش ...

جلال : عشرة قروش فقط... وهو فى خدمتى منذ أكثر من نصف ساعة؟!...

فكرى : هاك خمسين قرشاً... لأثبت لك أنى رجل كريم ...

جلال : «وهو يتناول المبلغ الصغير» لعل حضرة الوحى الآن مسرور منى ، راض عنى... مستعد لتسليم الفصل الأخير فى الحال ...

فكرى : «وهو يجمع ورقه المتناثر» مستعد... ها هى ذى أوراق الفصل كاملة... ما عدا ورقة واحدة ... فيها الختام... أتمها الليلة ...

جلال : أعطنى ما تم ... أسرع أنا به الآن إلى النسخ ... على أن تعـدنى بشرفك ، أن تحضر بختام الفصل إلى المسرح فى صباح الغد ...

فكرى : أعدك بشرفك ...

جلال : بشرفك انت ...

فكرى : «شارد الفكر وهو يراجع أرقام الورق» بشرفك انت ...

جلال : أأنت معى ؟ ... افطن إلى ...

فكرى : انتظر .. ورقة أخرى ناقصة ... من الآخر...

جلال : أى ورقة ؟ ...

فكرى : « يبحث حوله » لابد أنها دشتت ... فيها خطاب البطل الذى أرسله إلى البطلة . . . خطاب غرامى . . . ملتهب ولكنه لا يقع فى يد البطلة بل يقع فى يد...

جلال : فى يد من ؟ . . .

فكرى : « يناول مدير الفرقة الأوراق » خذ . . . حتى أبحث لك عن هذا الخطاب ... ما من شك فى أنه هنا ... تائه بين أوراق أخرى فى هذا المكتب أو ربما سقط بين الصحف القديمة والمجلات... انتظر لحظة...انتظر.. «يريد البحث فى أكوام الصحف فى أحد الأركان».

جلال : لا أستطيع الانتظار ... وقتى ضيق ... سأذهب أنا الآن بهذا الذى تم من الفصل ... ليسهروا على نسخه الليلة ... واحضر انت الورقة التائهة فى صباح الغد مع ختام القصة . ليلتك سعيدة ! « يهم بالخروج مسرعاً » ...

فكرى : « يترك الأكوام التى كان يبحث فيها » دعنى إذن أرافقك إلى الباب.. وآتى لك بالمصعد ... إن الخادم قد اوى . فيما يظهر إلى حجرته بالسطح ولم يفكر فى أن يحضر إليك فنجانا من القهوة ...

يخرجان... ويسمع فى سكون الليل صوت فتح باب الشقة الخارجى... ويسود الصمت فى الحجرة لحظة . . ثم يفتح الباب الذى أغلقته درية برفق ... وتطل هى منه برأسها ... فحينما تجد الحجرة خالية تتقدم ... فتتعثر قدمها بعجلة ... فتنحنى لتناولها ... فتسقط منها ورقة . فتأخذها وتقرأها

درية : « تقرأ على مهل بصوت خافت » : « حبيبتى ... غرامى... حياتى ... اكتب إليك هذا الخطاب بالدم . . بدمى الذى استنزفته من شريانى..

ذلك أن حبك قد جرى فيه . وامتزج به .. وأن لونه الأحمر هو لون النار التى تلسعنى . كلما مر طيفك الجميل بخاطرى ... أنفاسى الآن معلقة على كلمة تخرج من شفتيك ... اذكرى هذه الكلمة بمجرد وصول خطابى إليك ... وإلا فاعلمى انك قتلت رجلا ... لا ذنب له سوى أنه عبدك وأحبك حتى الموت »...

« فكرى يدخل ويتجه مسرعا إلى مكتبه ... »

فكرى : إلى العمل أيها الوحى. لقد هدأ الجو !

درية : « تقدم إليه الخطاب » تفضل !...

فكرى : ما هذا ؟...

درية : أليس هذا خطك ؟ ... خطك الشريف !...

فكرى : « ينظر فى الورقة » الخطاب ! ... خطاب البطل ... كيف وصل إليك أنت ؟ !...

درية : وقع فى يدى بالمصادفة !...

فكرى : مفروض فيه أن لا يقع فى يد البطلة ولا تعلم به...

درية : أى بطلة ؟...

فكرى : بطلة الرواية طبعاً ...

درية : ومفروض أيضاً أن لا يقع فى يد زوجتك ؟ !...

فكرى : وما دخل زوجتى فى القصة ؟!...

درية : حقاً ... ليس لها دخل فى قصتك ولا شئون أبطالك ... ولكن لها مع ذلك أن تعجب وأن تتسائل : كيف استطاع زوجها أن يكتب مثل هذا الخطاب بدمه.. وأن يملأه بهذا الغرام الحار الى امرأة اخرى..

فكرى : امرأة أخرى ؟ !...

درية : ماهى تلك الكلمة التى تتعلق بها أنفاسك ...و تريدان تخرج من بين شفتيها ؟ ! ...

فكرى : شفتى من ياسيدتى العزيزة ؟ . . . إنك تتكلمين كما لو كان الخطاب موجها إلى امرأة موجودة..حية...حقيقية من لحم ودم ...

درية : ومن يدرينى أنها ليست كذلك !؟ ...

فكرى : اللهم عفوك ! ... أتشكين فى أنها امرأة وهمية ... خيالية ... من بنات أفكارى ؟ ! ...

درية : أو تستطيع امرأة وهمية أن تلهمك هذا الكلام الجميل . . . بينما أنا المرأة الحقيقية لم تظفر منك قط يوماً بخطاب واحد ، فيه عبارة من هذه العبارات البديعة ، أو عاطفة من هذه العواطف الملتهبة ؟ ؟...

فكرى : هذا كلام للشغل ... للتأليف ... لزوم التأليف ... مجرد كلام ...

درية : ولماذا تضن على بمثل هذا الكلام فى خطاباتك ؟ !...تسافر فلا أتلقى منك غير رسائل تكتب على عجل...بأسلوب عادى مبتذل...لا بالدم ولا بالحبر... بل بالقلم الرصاص ! ...

فكرى : أو كنت تريدين أن أكتب لك بالدم...وافتح شريانا نامع كل خطاب؟!..

درية : وهل أنا أقل شأنا عندك من البطلة..الوهمية التى تكتب لها بدمك؟!..

فكرى : بدمى أنا أو بدم البطل ؟ ! إنه البطل الذى يقول ذلك فى الرواية ... وقد يكون كاذبا . . . ومامن أحد سيجرى تحليلا كيميائياً . . . ليعرف هل كتب بدم أحمر أبحبر أو حمر؟!. . .

درية : « تتنهد » إنى سيئة الحظ ! ... إنى العن اليوم الذى تزوجتك فيه ... كنت قبل أن أعرفك . . . اقرأ وأشاهد كل ما تكتب . . . وأقول :

ما أسعد تلك التى ستتزوجه !...إنه سيخاطبها كل يوم بتلك الكلمات الرقيقة الرائعة التى يسحر بها العقول فيما يؤلف وينشر ... لكن وا أسفاه...! ما أن تزوجتك وعشت معك تحت سقف واحد...حتى وجدتك فرداً عاديا مثل كل الناس ..لا أسمع منه غير الكلام الفارغ..

فكرى : أو كنت تريدين منى أن أخاطبك كل يوم بلغة الكتب والقصص والروايات ؟ !...

درية : ولم لا ؟!...اتبخل بذلك علينا ؟!..

فكرى : ليست مسألة بخل ولكنها ...

درية : ولكنها طباعك ...هكذا...لا تريد أن تعطينى غير الجانب الذى لا يطاق منك ولا يحتمل...هذا الشرود الطويل عندما تفكر فى مشروع قصة وهذا الحديث الهامس مع نفسك...كأنما هنا لك شيطان يأخذك منى ويوسوس لك... كم من مرة كدت أصرخ خوفا ... وأنا أرى شفتيك تهتزان بكلام غير مسموع ... وعينيك تشعان بنظرات زائغة ... ويديك تتحركان باشارات حائرة ... ثم تنهض فجأة إلى مكتبك ، فتنكب على ورقك وتغرق فيه..فلا ينبهك إلى الوجود طلق المدافع ولا صوت الرعود ...

فكرى : صوتك أنت هو الذى ينبهنى فى أكثر الأحيان !...

درية : أشكرك...ومع ذلك فأنا التى أبذل كل جهدى لاحمل عنك المتاعب... وأوفر لك خلو البال ... وأنشر حولك جواً من الهدوء ...

فكرى : الهدوء الذى يسبق العواصف ! ...

درية : يا لك من جحود...كنود... ناكر للجميل...هذا كل جزائى منك... هذا هو نوع الكلام الذى تخصنى به وتتحفنى ... بينما كلامك العذب

تضعه فى الورق ... وتعطيه لمن يدفع فيه نقوداً...

فكرى : « كمن تذكر » على ذكر النقود... خذى... « يخرج من جيبه الثلاثين جنيهاً يدفعها إليها »....

درية : « تعدها » ثلاثين؟!... قلت لك أريد خمسين !...

فكرى : هذا كل ما وجدته فى جيب الرجل ! ... ولو كان فى استطاعتى أن أجرده من ملابسه لفعلت...

درية : « وهى تعد النقود من جديد» ثلاثين فقط ... وماذا أصنع بهذه الثلاثين ؟! ...

فكرى : ألا تكفى الآن لاشترى بها نصف ساعة هدوء ؟!... إنى أشترى الهدوء بالنقود فى هذا العش يا ناس !... هذا العش الذى اتفقنا على انك ستفرشينه بالهدوء ! . .. أنسيت ؟ .. أين أعصابك التى قلت أنها ستوضع فى ثلاجة ، فلا يصدر عنك صياح ولا شخط ولا تبرم ولا حيرة ولا غيرة ولا ضيق ولا ضجر ؟ ... أكل هذا تبخر ؟... نصف ساعة هدوء أدفع فيها ثلاثين جنيهاً فتطلبين خمسين ؟ ... ضجتك أغلى من أكبر مطربة ! ... نصف ساعة هدوء فقط لا لمزاجى والله ولا لراحتى بل لكى أختم بها الفصل ! ...

درية : « مشغولة عن كلامه بفحص ورقة مالية ثم تطوى النقود أخيراً وتنصرف بها » اختم ... اختم فصلك ... وعلى الله أن يختم ليلتى على خير ! ...

« تدخل الحجرة التى كانت قد خرجت منها .. وتغلق بابها خلفها .. »

فكرى : « وهو يمسك بالقلم » أف!...أين أنت أيها الوحى... تعال ولا تخف ها قد صرنا وحدنا ... والهدوء شامل !... « يغرق فى الورق »

« جرس الباب يرن .. »

درية : تفتح باب الحجرة وتظهر » الباب!...

فكرى : « يضع القلم ويتنهد » آه ... لا مؤاخذة أيها الوحى ! ...

درية : من يكون الطارق؟... قد يكون لك أنت أيضاً ... قم وافتح...

فكرى : أنا ؟...

درية : طبعاً ... من غيرك ... الخادم قد نام ...

فكرى : « ينهض » سمعا وطاعة ! ...

« يخرج فكرى من البـاب المؤدى إلى الردهة ... وتتبعه درية وتقف على العتبة تتسمع لتعرف من الطارق ... ولا تمضى لحظة حتى يرتفع فى الردهة صوت فكرى يقول : « تفضلى ... تفضلى .. »

درية : « بلهفة » من ؟... من ؟... الممرضة؟...

« يظهر فكرى وخلفه الممرضة »

فكرى : نعم ... أخيراً ...

درية : « للممرضة » لماذا ابطأت علينا كل هذا الإبطاء ؟ ! ...

الممرضة : أرجو المعذرة ... كان على أن أمر على عـدة منازل أعطى بعض الحقن ولم أفرغ من هذا العمل إلا الساعة...

درية : « وهى تفحصها بعينيها » كدت أيأس من حضورك الليلة... وأنا على وشك انهيار القوى ، وتحطم الأعصاب من السهر المستمر ...

الممرضة : استريحى من الآن واتركى لى الأمر ... أين حجرة المريض ؟ ...

درية : اتبعينى ...

« تقودها إلى الحجرة التى خرجت منها منذ قليل ... وتغلق خلفها الباب »

فكرى : « يعود وحده إلى مكتبه ويحمل قلمه » تفضل يا حضرة الوحى ...

ها نحن وحدنا .. وعاد الهدوء ..

باب الحجرة يفتح . . وتظهر
الزوجة وحدها وتقترب من زوجها ..

درية : اصغ إلى لحظة . .

فكرى : « يرمى القلم من يده على المكتب » اللهم الصبر ! .. اللهم الصبر ! ..

درية : « بصوت منخفض » ألم تلاحظ شيئاً على هذه الممرضة ؟ ..

فكرى : لا . .

درية : وتسمى نفسك كاتباً ومؤلفاً ؟ ... أى إنسان على قدر بسيط من قوة الملاحظة يرى أن هذه المرأة ..

فكرى : آه .. نعم .. قبيحة جداً . . .

درية : لست أقصد ذلك . .

فكرى : ماذ تقصدين إذن إنها حسناء ؟ .. لا ياعزيزتى . . أنا لم ألاحظ ذلك مطلقاً ... وأقسم لك...

درية : ليس هذا هو المقصود ...

فكرى : انت حرة فى ذوقك ..وأنا حر فى ذوقى ... هى فى نظرى قبيحة... ولاتحاولى استدراجى لأقول غير ذلك...فتنقلبى على وتكون ليلتنا أسود من «الهباب» !...

درية : بطنها ..بطنها ألم تنظر إلى بطنها !...

فكرى : أنا نظرت إلى بطنها ؟ .. اتق الله . . . ما هذه التهمة ؟ بطنها ؟ . .

درية : نعم .. كان يجب أن تلاحظ أنها حامل . . حامل فى الشهر الأخير !.. بل على وشك الوضع... وربما جاءها المخاض الليلة ..

فكرى : ما هذا الكلام ؟

درية : إنى أتكلم عن تجربة . . إننى متأكدة مما أقول .. هذا بطن امرأة على وشك الوضع ...

فكرى : وما قولها هى ؟...

درية سألتها باختصار فقالت إن ولادتها لن تكون قبل أسبوعين..ولكنى واثقة أنها مخطئة فى الحساب ..

فكرى : شىء غريب .. هل تعرفين أنت خيراً منها ؟.. لماذا لا تكونين أنت المخطئة فى نظرك ؟ ! . .

درية : لا .. بل هى المخطئة . . .

فكرى : هى المخطئة أو أنت المخطئة ... هذا شىء خارج عن اختصاصى !

« يريد أن يعود إلى قلمه وورقه »

درية : بالعكس ... هذا شىء يجب أن تبت فيه بسرعة ...

فكرى : « يضع القلم » أنا ؟!...

درية : نعم . . . أنت . . . بسرعة ...

فكرى : وما هو المطلوب منى فى هـــذا الموضوع ! ؟ ...

درية : ناقشها معى ... لنتأكد ...

« تتركه وتسرع إلى الحجرة لتأتى بالممرضة . . . »

فكرى : آه... أيها الفن اشهد ...أيها الوحى اشهد...ولكن فيما بيننا فى السر وفى صمت ... وإلا هدم علينا جميعا البيت ! ...

درية : « وهى تقود الممرضة » أنا وزوجى نخشى أن تكونى متعبة وغير قادرة على القيام الليلة بالسهر والتمريض . .

الممرضة : لا خوف على ... إنى فى صحة جيدة ...

درية : وجهك شاحب ...

الممرضة : لعل هذا من أثر العمل طول النهار ولكنى أستطيع السهر على المريض كونوا مطمئنين ! ...

درية : ألم تشعرى بعلامات اقتراب الوضع ؟ ! ...

الممرضة : لا ...

درية : أما شعرت بخبط ولو قليل فى الظهر ؟ ...

الممرضة : لا ...

درية : « لفكرى » ما رأيك أنت ؟ ...

فكرى : رأيى ...

درية : تكلم ... ناقش ... المسألة ليست بسيطة ...

فكرى : « للممرضة » ألم تحسى أنك فى حاجة إلى العزلة والانفراد ؟ ...

الممرضة : لا ...

فكرى : أما أحسست برغبة ولو ضئيلة فى الانطلاق بخيالك فى أجواز الفضاء؟...

درية : ما هذا الهراء ؟ ! أتظنها ستضع قصة ! . . إنها ستضع طفلا ! ...

فكرى : « صائحاً » ماذا أقول ياناس ! . وهل هذا موضوع أستشار أنا فيه !.

درية : صدقت .. أنا المذنبة .. التمس عندك الرأى فى شىء ما ... «للممرضة» هلمى بنا إلى حجرة الطفل المريض ! ...

الممرضة : « متغيرة الوجه فجأة » أتسمحين ! ... أين .. أين .. أين «التواليت» الحمام ... الحمام ...

درية : « فزعة » ماذا بك ؟...

الممرضة : الحمام ... الحمام ...

درية : « تسندها » ماذا بك ؟ ... المخاض ؟ ... أليس كذلك ! ...

الممرضة : أظن ذلك !...

درية : تظنين ذلك ... الآن ! ... ستضعين هنا ... ستلدين هنا ...

الممرضة : نعم ... افرشوا لى هنا ... فى هذه الحجرة ...

درية : « صائحة » نفرش لك هنا !.. ماشاء الله ... جئنابك لتعينينى... فإذابى أنا التى سأعينك ... لا ... ياستى .. مستحيل .. أعصابى لن تتحمل أبداً سأجن ولا شك ... لن أستطيع أن أسهر على تمريض ابنى وتوليد الممرضة ! « الممرضة تنهار على مقعد » أغثنى يا زوجى !... أتشاهد وتتفرج ... تحرك أسرع إلى ... ساعدنى ...

فكرى : « ينهض ويبادر إليها » أوامرك ... أناموجود ... طلباتك ... ماذا أصنع !...

درية انقل هذه الممرضة إلى المستشفى .. إلى الإسعاف.. إلى قصر العينى ... لاينبغى بأى حال أن تلد هنا ... لايوجد هنا أحد يعنى بها العناية اللازمة أسرع بها ... حالا ... انقلها ...

فكرى : أنقلها ... وكيف أنقلها !...

درية : احملها ... وانزل بها فى المصعد وأيقظ البواب يحضر لك «تاكسى» واذهب بها إلى اقرب مستشفى ...

فكرى : « ينظر الى حجم الممرضة » أحملها ... أو تظنين أنى كنت من هواة حمل الأثقال ...

درية : الموقف لايحتمل التردد ...أسرع بنقلها قبل أن يقع المحظور ...

فكرى : هلمى ... حمليني ...

درية : « تقيم الممرضة » انهضى قليلا على قدميك ...
الممرضة : « تتمالك قليلا » أين ؟ ... إلى أين ؟ ...
درية : إلى المستشفى ... انه قريب من هنا ... لابد أن تلدى فى المستشفى... هنا مستحيل ! تمالكى نفسك ... واتكئى على ذراع زوجى ، وهو يذهب بك حالا إلى أقرب مستشفى !

الممرضة تنهض وتتكىء على ذراع المؤلف ...

درية : « وهى تشيع المؤلف والممرضة » الله يمتعك بالسلامة ! ...
فكرى : « لزوجته » متشكر ! ...
درية : انى أدعو لها هى ... لا لك !...

يخرج فكرى والممرضة .. بينما الزوجة تتبعهما بالنظر على العتبة .. ويسمع فتح باب الشقة الخارجى .. وإطلاقه .. وعندئذ تعود الزوجة وتتجه إلى التليفون فوق المكتب وتدير القرص ..

درية : « فى التليفون » ألو ... الدكتور ؟ أنى آسفة لإزعاجك فى هذه الساعة ... لا ... الموضوع خاص بالممرضة التى أرسلتها إلينا ... لابد أنك لم ترها منذ زمن ... لماذا ؟ لأنها جاءتنا الليلة وهى حامل ... وكادت تضع فى منزلنا .. لولا إسراعنا بنقلها إلى المستشفى...حادث غريب ؟ أليس كذلك ؟ خصوصاً وانى محطمة القوى من السهر ... وفى حاجة إلى ممرضة تعيننى ...نعم سوء حظ ... ترسل إلينا ممرضة أخرى ؟ متى ؟ غداً على الأكثر ! متشكرة جداً ... ليلتك ...

«جرس الباب يرن رنينا متصلا ... فتلق
الزوجة السماعة وتسرع مهرولة لتفتح ...
ولا يمضى قليل حتى يسمع ضجيج فى الردهة...
وبكاء مولود حديث عهد بالولادة ...

فكرى : «صائحاً من الخارج» المعونة ... المعونة... ولدت ... الممرضة ...
ولدت فى المصعد ...

درية : «صائحة من الخارج» ولدت ... احملها... أدخلها!..

فكرى : «من الخارج» ساعدينى خذى منى المولود... خلصينى من الوالدة!..

درية : «من الخارج» ما هذا ... كيف حدث ذلك هكذا ؟ ...

فكرى : «من الخارج» فى المصعد ...ارتمت الممرضة فجأة... وانحنيت أنهضها
فإذا بها تطلق وما شعرت إلا والمولود فى حجرى ، والخلاص فى
بطنها... «صائحاً» يازوجتى تحركى ...ساعدينى ... تتفرجين على ...
شدى الخلاص ... خلصيى ...

درية : «من الخارج» اخلصك لأقع أنا ... كل ما حسبته لقيته !

جرس التليفون يدق على المكتب ،
فيدخل المؤلف يمسح يديه من الدم
بمنديله ... وقد تبعثرت ثيابه ..
ويسرع إلى التليفون

فكرى : «ممسكا بالسماعة» ألو ... من حضرتك ؟ الوحى ! أين أنت ؟ أين
ذهبت ؟ فى المسرح ؟ ... أى مسرح ؟ ! آه مدير الفرقة ! جلال ؟
ماذا تريد ؟ على وضع ختام على وضع ختام الفصل ؟ لا سيدى لم
أضع شيئاً حتى الآن ... شخص آخر هو الذى وضع ...

يلقى السماعة
ستـــار

١٨ – من وحي الأخلاق والوصولية

مفتاح النجاح

قصة تمثيلية في فصل واحد

وزير فى إحدى الوزارات ... جالس إلى مكتبه . .. وأمامه وكيل الوزارة المساعد يعرض عليه أوراقا يستخرجها من أضابير وملفات . ..

الوزير : كلمنى بصراحة يا زكى بك ... أنا لست من أولئك الرؤساء الذين يحبون من مرؤوسيهم الموافقة التامة على كل ما يقولون ... والتأمين المطلق على كل ما يفعلون ... دأبى الصراحة والشجاعة . . أحب الموظف الذى يناقشنى ويعارضنى ... وأرحب بالمرؤس الذى يبدى رأية ويخطىء رأيى ...

الوكيل المساعد : وهل رأيت معاليك منى ما يخالف هذه القاعده الذهبية أو يتنافى مع هذه النصائح الثمينة ؟ ! ...

الوزير : مشروع الحركة إذن كما رأيته أنا ليس عليه غبار ؟ ...

الوكيل المساعد : غبار ؟ ! ... أستغفر الله ! .. هذا مشروع لم يسبق أن شاهدت له مثيلا فى الدقة والحكمة والمتانة .

الوزير : والعدالة ؟ ...

الوكيل المساعد : والعدالة ... والإنصاف .. والرحمة ...

الوزير : راجع الملفات مرة أخرى ... لنستوثق من أننا لم نظلم أحداً ...

الوكيل المساعد : إنى واثق أن عدل معاليك قد شمل الجميع ...

الوزير : لا أريد أن ينكشف الأمر بعد ذلك عن وجود مظلوم واحد ..

الوكيل المساعد : معاليك أوصيتنا بالصراحة والشجاعة ... وعملا بهذه النصيحة الغالية اسمح لى أن أتكلم ...

الوزير : تكلم... تكلم...

الوكيل المساعد : ولو أن فى كلامى معارضة لرأى معاليك ...

الوزير : عارض... عارض...

الوكيل المساعد : يوجد مظلوم تخطيته معاليك فى هذه الحركة...

الوزير : مظلوم ؟ !... من هو ؟...

الوكيل المساعد : الأستاذ فهمى عبد الودود...

الوزير : فهمى عبد الودود ابن عمتى ؟!...

الوكيل المساعد : ليس لأنه ابن عمة معاليك ... بل لأنه يستحق الترقية ...

الوزير : ولكنه رقى إلى درجة أعلى منذ شهرين ! ...

الوكيل المساعد : هذا لا يمنع من أن هذه الحركة يجب أن تشمله أسوة بغيره... هذا هو العدل...

الوزير : وأين هى الدرجة التى تضعه فيها ؟ ...

الوكيل المساعد : على أنا تدبير هذه الدرجة...

الوزير : هذه الدرجة خالية ؟ ...

الوكيل المساعد : نخليها إذا لزم الأمر . . . ولكنى أعتقد أنه توجد درجة مدير إدارة يمكن أن نربطه عليها . . .

الوزير : اربط وحل كما تشاء ... الأمر متروك لك ... ثقتى فيك لم تكن عبثاً... إنك دائماً خير حلال للعقد ومدبر للأمور ...

الوكيل المساعد : بفضل تشجيع معاليك !...

الوزير : بل بفضل جهودك انت . . . وتفانيك فى الخدمة وإخلاصك للعمل... ومع ذلك يتهامس حسادك بأنك وصلت بسرعة ،

وسبقت زملاءك إلى المناصب الكبيرة . . وفاتهم أن مرد ذلك هو إلى الكفاءة والاجتهاد . .

الوكيل المساعد : أرجو أن أكون دائماً حائزاً لهذا العطف والتقدير ...

الوزير : هل عرضت الحركة على عمر بك ...

الوكيل المساعد : سأعرضها عليه بعد موافقة معاليك ...

الوزير : بالضرورة .. لابد أن يطلع عليها وكيل الوزارة ..

الوكيل المساعد : حالا .. سأذهب بها إليه بعد قليل ..

الوزير : خذ موافقته عليها حالة حالة ...

الوكيل المساعد : أسأل الله أن يكون فى عونى... معاليك تعلم الصعوبات التى يثيرها الوكيل دائماً أمام اقتراحاتنا ؟! ...

الوزير : تجلد واصبر ..

الوكيل المساعد : انى أستمد من معاليك الصبر والجلد ...

الوزير : الصبر من عند الله ..

الوكيل المساعد : « يحمل ملفاته للانصراف » استأذن معاليك . .

الوزير : تفضل . .

الوكيل المساعد : نسيت اسأل معاليك عن صحة الست ؟ كيف حالها الآن .. زوجتى أخبرتنى أمس بالتليفون أنها ستبقى يوماً أو يومين إلى جانبها تسهر عليها وتسليها وتروح عنها ... فقلت لها ابقى يومين أو ثلاثة أو أكثر . . المهم عندنا صحة الست ...

الوزير : صحتها الآن بخير ولله الحمد . . والحق أن اسانتا عاجز عن شكر سميرة هانم . . فهى لم تتركها فى الليل ولا فى النهار . . بينما لم

تستطع ابنتى نبيلة مقاومة النعاس بعد الساعة الحادية عشرة...

الوكيل المساعد : اخبرتنى سميرة الآن فى التليفون أنها خرجت مع الآنسة نبيلة إلى بعض الدكاكين فى شارع فؤاد لتساعدها فى شراء أقمشة ... وسيذهبان بعدئذ إلى الخياطة...

الوزير : وكلمتنى نبيلة بالتليفون منذ قليل أنها قادمة إلى فى مسألة هامة مستعجلة ... لا شك عندى الآن فى أنها ستطلب نقودا لتعطيها للخياطة ...

الوكيل المساعد : « باسما » إنى موافق على طلبها يامعالى الوزير ... وأرجو اعتماده

الوزير : « باسما » هكذا مقدما ... قبل أن تفحص الموضوع أو تعرف المطلوب؟!...

الوكيل المساعد : الموضوع مقبول ... والطلب عادل ...

الوزير : أراك تسرف قليلا هذه المرة فى فكرة العدالة ! ...

الوكيل المساعد : وحيدة معاليك ... يجب أن تجاب إلى كل مطالبها ... وإلا فإنى سأعارض معارضة شديدة ...

الوزير : تعارضنى ؟ ...

الوكيل المساعد : لانصاف الآنسة نبيلة ... نعم ... سأعـــارض معاليك ... وبكل صراحة ...

الوزير : لا أقدر على معارضتك وصراحتك ...سأنفذ وأمرى إلى الله!... لأثبت لك مرة أخرى انى لست ممن يغضبون على من يعارضهم فى الرأى ...

الوكيل المساعد : « وهو منصرف » هذا ليس موضع شك يامعالى الوزير ...

يخرج من أحد الأبواب .. ويظهر السكرتير الخاص من باب آخر .. ويقف على العتبة مترددا ...

الوزير : « يلتفت إلى السكرتير » نعم ؟...

السكرتير : وفد من الموظفين يطلب مقابلة معاليك ...

الوزير : لماذا ؟ ...

السكرتير : لبسط ظلامة خاصة بالحركة ...

الوزير : الحركة ؟ ... وهل ظهرت ؟ ... إنها لا تزال فى نطاق الإعداد والتحضير ...

السكرتير : يقول بعضهم إن هناك إشاعة سرت فى الديوان عما ستنتجه إليه الحركة .. ويلتمسون عرض مخاوفهم...

الوزير : ما هـــذا الهراء ؟ ! . . . أعند الوزير متسع من الوقت لسماع الإشاعات وتبديد المخاوف ؟ ... قل لهؤلاء الموظفين أن يتركوا هذه الخرافات والوساوس وينصرفوا إلى أعمالهم ...

السكرتير : أمر معالى الوزير !... « يخرج »...

« يفتح باب فى الصدر ...
وتدخل الآنسة نبيلة باندفاع
وخلفها سمـيرة هانم ...

نبيلة : خفنا أن تكون عندك لجنة يا بابا ... أو أن تكون ذاهباً إلى مجلس الوزراء . . . فاقترحت على « تانت » سمـــر أن نسرع إليك ... ونحن وبختنا ...

سميرة : الحمد لله طلع بختنا من السماء ! ...

الوزير : وبختى أنا ... ألا يفكر أحد فيه ؟ ...

سميرة : بختك يا باشا أسعد بخت !...

الوزير : هذا يتوقف على مقدار المطلوب منى ! ...

نبيلة : مبلغ زهيد جداً ...

الوزير : « وهو يخرج محفظته من جيبه » كم ؟ . . .

نبيله : «ملتفتة إلى زميلتها» متر الكريب جورجيت وجدناه بكم ياتانت سمر ؟...

سميرة : أى نوع تقصدين... أى لون ؟...البوادى روز؟...

نبيلة : نعم . . .البوادى روز؟...

سميرة : المتر قطع جنيهين ! . . .

نبيلة : ويلزمنى على الأقل خمسة أمتار ...

سميرة : لماذا خمسة أمتار يا نبيلة ؟ . . .

نبيلة : لا تنسى « الكلوش » . . .

سميرة : آه . . . سيكون هناك « كاوش » ! . . .

نبيلة : ضرورى . . . أليس هذا من رأيك ؟ . . .

سميرة : طبعاً . . . و « الكول » مفتوح ؟ . . .

نبيلة : ما رأيك أنت ؟ . . .

سميرة : هذا يتوقف على الكلفة.. ماقولك فى شريط «ساتان» أحمر طرابيشى؟...

نبيلة : حول « الكول » ؟ ! ...

سميرة : الكول والأكمام . . .

نبيلة : انسيت يا تانت سمر أن الاكمام ستكون جابونيز » ؟ ! . . .

سميرة : آه . . . جابونيز ! . . . « تفكر » إذن اجعلى الكلفة « دانتلا » . . .

نبيلة : ما رأيك لوكانت « تفتاه » . . .

سميرة : « تفتاه ؟ ...

نبيلة : نعم ؟... أخضر زرعى ... أو مشجر على « موف » . . .

سميرة : أنا مصرة يانبيلة على الأحمر الطرابيشى ...

نبيلة : « تشير إلى طربوش أبيها » هاهو أمامك ... تصورى هذا اللون على الكريب جورجيت البوادى روز ؟ ! ...

سميرة : لائق جداً ...

نبيلة : نعرض الموضوع على بابا ... ما رأيك أنت يا بابا ؟! ... بكل صراحة ...

الوزير : « الذى كان يتبع مناقشتهما دون أن يفقه منها شيئاً » بكل صراحة!...

نبيلة : نعم ... أنت تعرف إنى أحب الرأى الجرىء الصريح ...

الوزير : أنت أيضاً ...

نبيلة : نعم... تكلم ...

الوزير : هذا هو الذى كان ينقصنى ... أن أبدى رأيى فى الكريب جورجيت والساتان الموف !...

نبيلة : « مصححة » الكلفة التى على الأكمام الجابونيز تكون دانتلة أو تفتاه ؟ ... واللون المناسب للكريب جورجيت البوادى روز يكون أحمر أو أخضر أو موف ؟! ... هذه هى المسألة!...

الوزير : حقاً ... هذه هى المسألة ؟! ...

سميرة : أتريدين يا نبيلة أن تشغلى والدك الباشا بإبداء الرأى فى هذه المسائل ؟ !...

الوزير : قولى لها ياسميره هانم ...قولى لها...

نبيلة : ولم لا ؟... أهى مسألة هينة ؟!...

الوزير : مسألة فنية ... لا أفهم فيها ...

نبيلة : أهذه أول مسألة فنية لا تفهم فيها ... ومع ذلك يطلب منك أن تبدى فيها الرأى ؟ !...

الوزير : ماذا تقصدين ؟ ...

نبيلة : أأنت تفهم كل شيء فى وزارتك هـذه ؟ ! ..

الوزير : دخلنا فى السياسة ! ...

سميرة : نبيلة ... لقد خرجنا عن موضوعنا ... أجئنا لهذا الـكلام ؟ ! ...

الوزير : أحسنت ياسميرة هانم ... انقذينى منها ...

نبيلة : هات يا بابا النقود ونحن نذهب عنك بسلام ...

الوزير : كم ؟ ...

نبيلة : هات أربعين جنيهاً تحت الحساب ...

الوزير : أربعين جنيهاً ؟ ! ...

نبيلة : نعم ... يدخل فيها طبعاً أجرة الخياطة « مارى » ... انها تتقاضى عن الثوب الواحد عشرين جنيها أجرة يدها فقط ... وأسأل « تانت » سميرة ...

الوزير : « وهو يعطيها المبلغ » خذى ... وأمرى الى الله ! ...

نبيلة : متشكرة جداً يا بابا ...

سميرة : أصبر يا باشا أصبر . سأعرف كيف أنقذك منها ! ..

الوزير : متى ؟ ...

سميرة : عندما أظفر لها بالعريس الذى يليق بها ...

الوزير : أتفـكرين لها فى هذا ؟ ...

سميرة : هذا مشروع بينى وبين الست والدتها ...

الوزير : أفى الأفق شيء ؟ ! ...

سميرة : أشياء .. ولـكنى لن أرضى لمثل نبيلة إلا بمن فى فكرى ...

الوزير : وهل فى فـكرك أحد بالذات ؟ ...

سميرة : دكتور يكسب من عيادته لا أقل من خمسمائة جنيه فى الشهر ... وقد
بنى أخيراً عمارة فخمة فى الزمالك ... لكن يا خسارة ...

الوزير : ماذا جرى له ...

سميرة : سل ياباشا نبيلة !

نبيلة : ثقيل الروح ! ...

الوزير : أهذا هو المانع؟ ...

سميرة : لامانع غيره ...

الوزير : وهل هو ثقيل حقاً ياسميرة هانم ؟ ...

سميره : فى نظرى أنا لا... ولكن هذه مسألة شخصية ...

الوزير : وأين رأيته يانبيلة ؟ ...

نبيلة : عندنا فى البيت ... جاء مره منذ أسبوع يفحص والدتى ... أتت به
تانت سميرة لأنها تثق بكفاءته ...

الوزير : ثقيل الروح ! ... أهذا عذر مقبول يانبيله ؟ ! ...

سميرة : « لنبيلة » قد يكون فى نظرك ثقيل الروح . . . ولكن لاتنسى أنه
ثقيل المحفظة ! . . .

نبيلة : أريد أن يكون زوجى خفيف الروح . . .

سميرة : وخفيف المحفظة ؟ ...

الوزير : اختارى يانبيلة . . . أيهما تختارين ؟ . . .

نبيلة : أختار الثقيل المحفظة الخفيف الروح ! . . .

الوزير : وهل من السهل أن يجتمع هذا الثقل المطلوب مع هذه الخفة المحببة ؟!...

سميره : اجتمعنا ياباشا فى شخص . . .

الوزير : من هو ؟ ..

سميرة : شاب متعلم تعليما عالياً ... وارث عن أبيه ستمائة فدان من أجود الأطيان ... لكن ياخسارة ...

الوزير : ماذا أيضا ؟ ...

سميرة : من أسرة عصامية ؟...

الوزير : وما الضرر فى ذلك؟...

نبيلة : أتزوج ابن جزار ؟ !..

الوزير : إنه ليس ابن جزار ... إنه ابن كذا ألف جنيه ... وابن كذا مائة فدان ! .. النقود فى هذا الزمن يا بنتى هى التى تشترى الأصل ... وتشترى المركز. وتشترى الاعتبار ...

سميرة : قلت لها هذا يا باشا بالحرف ! ...

الوزير : يدهشنى هذا من جيلك يا نبيلة ... أفهم أن نفكر نحن هكذا ... أنا ووالدتك ... أيامنا كان الأصل شيئاً ... وكان المال شيئا آخر .. كان الاعتبار والقيمة شيئاً ... وكانت النقود شيئاً آخر ... كانت القيم لا تباع ولا تشترى .. وكان المال لا يشترى ولا يبيع القيم ... كان الشخص بفضله لا بجيبه .. ولكن اليوم .. اليوم يكفى أن يقال عن شخص: هذا يملك كذا ألف .. فلا يسأل أحد عن الباقى ... لأن الباقى لم يعد يهم أحداً ..

نبيلة : وهل ماما قلبت ؟...

الوزير : أهى لم تقبل؟ !...

سميرة : تحادثنا فى ذلك ... لم تتحمس للنسب ... ولكنها لم ترفض .. ولم تقبل. تركت الأمر للباشا ولنبيلة ...

الوزير : وما رأيك أنت ياسميرةهانم ؟!.

سميرة : رأيي بصراحة ؟ . . .

الوزير : نعم .. تكلمى بكل بصراحة...

سميرة : رأيي أن تكون نبيلةراضية عن عريسها كل الرضا من كافة الوجوه.. وعلينا نحن أن نتعب قليلا فى سبيل أن ندبر لها ما تريد بالضبط ..

الوزير : ولكنها ليست سهلة .. كما ترين ...انها تصعب لك الأمور ...

سميرة : سأعرف فى النهاية كيف أحل لها الموضوع بالشكل الذى يعجبها ويسرها ويسعدها ..

الوزير : لاشك عندى فى قدرتك ... إنك مثل زوجك .. حلالة العقد ! ..

نبيلة : «تنظر فى ساعة معصمها» تانت سمر ... الوقت سيفوت ... هلمى بنا قبل أن تغلق الدكاكين ..

سميرة : نعم .. فلنسرع يا نبيلة !.. «أرفوار» يا باشا !..

الوزير : إلى اللقاء ياسميرة هانم ... أكرر شكرى على عنايتك..

سميرة : «وهى خارجة» العفو يا باشا ! . . .

نبيلة : « وهى خارجة بسرعة» « مرسى يا بابا » على النقود ...

تخرجان من الباب الذى دخلتا منه . . ولا يكاد الوزير يعود إلى ملفاته ليفتحها وينظر فيها . .حتى يفتح الباب الذى ظهر منه السكرتير منذ قليل . . ويدخل منه وكيل الوزارة .

الوكيل : جئت إلى معاليك منذ لحظة ، فوجدت النور الأحمر على الباب !...

الوزير : كان عندى زوار ... فى موضوع هام ...

الوكيل : أردت أن أحادث معاليك فى موضوع الحركة ...

الوزير : عرضها عليك الوكيل المساعد ؟ . .

الوكيل : نعم ...

الوزير : وهل وافقت عليها ؟ ...

الوكيل : لا أستطيع أن أوافق عليها بهذه الصورة...

الوزير : لماذا ؟ ...

الوكيل : تسمح لى معاليك أن أتكلم بكل حرية وصراحة ؟ ! ...

الوزير : طبعاً . . طبعاً ... أنت تعلم أنى أحب الصراحة وارحب بالحرية ... تفضل... تفضل يا عمر بك تكلم... ماذا وجدت فى هذه الحركة ؟...

الوكيل : وجدت أنها موضوعة على غير أساس ... ولا قاعدة ... فلا هى مراعى فيها الكفاءة ... ولا هى مراعى فيها الأقدمية ...

الوزير : مثال ذلك ؟ . . .

الوكيل : أعطى معاليك مثلا تعرفه جيداً ... وتعرف حالته وظروفه ... الاستاذ فهمى عبد الودود... أولا ملفه مملوء بالتقارير التى تشهد كلها بعدم كفاءته وسوء خلقه واستهتاره وغروره وانقطاع الأمل فى الاعتماد عليه فى العمل ... وفضلا عن كل هذا فقد رقى ترقية استثنائية منذ شهرين ... فعلى أى أساس يقفز اليوم إلى درجة مدير إدارة ؟ ! ...

الوزير : قيل لى أن هذه الدرجة خالية ... وإنه لاضرر من ربطه عليها ...

الوكيل : بالعكس يا معالى الوزير... هذه الدرجة يستحقها موظف آخر ترشحه كفاءته الممتازة وأقدميته المطلقة . . . وهو القائم فعلا الآن بتصريف أعمال هذه الإدارة على الوجه الأكمل ...

الوزير : اطرح عنك هذا المنظار الأسود الذى تنظر به إلى الأشياء ... البلد بخير... والناس راضون مستبشرون ... وكل شىء سائر بإذن الله من حسن إلى أحسن ...

الوكيل : أتمنى ذلك ...

الوزير : أنا الذى أتمنى أن تكون الحركة الآن فى نظرك لا غبار عليها ... بعد أن استبعدنا منها تلك الحالة الفاضحة !...

الوكيل : لا أحب أن تفهم معاليك أن الأستاذ فهمى عبد الودود هو وحده المقصود !...

الوزير : أيوجد غيره عندك ؟ ! ...

الوكيل : معاليك تريد بدون شك أن تكون الحركة مبنية على العدالة ...

الوزير : العدالة ! ... طبعاً العدالة ...

الوكيل : الحركة كلها إذن فى حاجة إلى أن يعاد عليها النظر ...

الوزير : غرضك إذن يا عمر بك أن تهدم كل ما بنيناه...

الوكيل : غرضى هو أن تبنى معاليك على أسس صحيحة ... حتى تلهج بشكرك بعدئذ الألسنة ...

الوزير : فى هذه الحركة إذن ظلم...

الوكيل : نعم... ظلم واقع على عدد كبير من الموظفين العاملين ...

الوزير : تتهمنى بالظلم يا عمر بك ...

الوكيل : حاشا أن أتهمك يامعالى الوزير ... ولكنى قصدت أن هناك حالات كثيرة تستوجب البحث...

الوزير : قصدك دائماً مفهوم !...

الوكيل : أخشى أن يكون مفهوماً على غير حقيقته ... لأن الحظ لم يسعدنى بإرضاء معاليك ...

الوزير : لا تلق المسؤولية على الحظ ! ...

الوكيل : ثق يا معالى الوزير انى آسف كثيراً عندما اضطر إلى مخالفتك فى الرأى ... ولكنى أعتقد أن واجبى هو أن أكون لك بمثابة « الفرامل » للسيارة ... تستخدمنى للتهدئة عند المزالق ! ...

الوزير : هذا حقاً تشبيه منطبق عليك ياعمر بك ... أنت حقاً معى بمثابة « الفرامل » التى تقف المشروعات ... وتعطل سير الأمور ...

الوكيل : أليس هذا أسلم من أن تندفع الأمور فى طريق خطر ؟ ! ...

الوزير : خطر فى ذهنك أنت فقط ! ...

الوكيل : لا أدعى أن ذهنى معصوم من الخطأ ... ولكن العبرة بحسن القصد ...

الوزير : عندما يسعى القصد فى أكثر الأحوال إلى المخالفة والعرقلة ... ويتجه إلى التعقيد وإظهار الخطأ ... فإن من الصعب على النفس أن تصفه بالحسن ! ...

الوكيل : نعم ... ليس أصعب على النفس من أن ترضى حقاً عمن يقف فى طريق رغباتها ... لكنه واجبى يامعالى الوزير ! ...

الوزير : واجبك ؟ ! ... لا ... لا أظن واجبك أن تفهمنى فى كل لحظة أن عملى خاطىء ... وأن تصرفاتى مغرضة ! ...

الوكيل : وهل واجبى أن أقول لمعاليك فى كل لحظة : آمين ! ...

الوزير : كفى ياعمر بك ... انى لا أطلب إليك أن تقول لى آمين ... ولكنى أريد فقط أن تتعاون معى بإخلاص ...

الوكيل : وكيف يكون هذا الإخلاص ؟ ! ...

الوزير : لست أنا المكلف أن يعطيك فى الإخلاص دروساً ...

الوكيل : لا ... لست أنت معاليك ... ولكن هنا فى حجرة قريبة من يستطيع أن يعطينى هذا الدرس ... ولكن ثق يامعالى الوزير انى لو تعلمته لما نفعتك كما انفعك الآن ...

الوزير : «ينظر فى ساعته» متشكر ... نتم الحديث الشائق فى فرصة أخرى ...

الوكيل : « وهو منصرف » إلى اللقاء يامعالى الباشا ...

يخرج الوكيل .. ويبقى الوزير ويسرع إلى الجرس . . فيدخل السكرتير . .

الوزير : « للسكرتير » الوكيل المساعد ... بسرعة ! ...

يخرج السكرتير سريعا . . ويأخذ الوزير فى مراجعة بعض الأوراق التى أمامه .. إلى أن يدخل الوكيل المساعد مهرولا . . .

الوكيل المساعد : معاليك طلبتنى ؟...

الوزير : نعم ... اجلس ...

الوكيل المساعد : خيرا ؟ ...

الوزير : هل عرضت الحركة على الوكيل ؟ ...

الوكيل المساعد : طبعاً ... منذ قليل ...

الوزير : ورفضها ..

الوكيل المساعد : رفضها ... جملة وتفصيلا ...

الوزير : هذا ما فعله أمامى أيضا الآن بكل جرأة ...

الوكيل المساعد : روق نفسك يامعالى الباشا ... هذا هو المنتظر منه ...

الوزير : ماذا قال لك فى شأنها ؟ ...

الوكيل المساعد : لا داعى ...

الوزير : بل قل...أريد أن أعرف...

الوكيل المساعد : كاد يقذف بالورق فى وجهى... وصاح قائلا : « هذه فوضى... هذا عبث... لو كنت ناظر زراعة فى عزبة معاليه لما حق لى أن أرقى الأنفار بهذه الطريقة!...»

الوزير : قال ذلك؟...

الوكيل المساعد : قال كلاماً كثيراً... كثيراً جداً... لا يبيح لى أدبى ولا إخلاصى أن أوذى به سمع معاليك!...

الوزير : لابد أن يكون قد أصابك أنت أيضاً من هذا الكلام رذاذ ؟!...

الوكيل المساعد : بالطبع . . كان يقول لى ويكرر ويعيد « أنقل لوزيرك هذا ... بلغ وزيرك الذى تخلص له كلامى هـــذا... لا أخشى أن تعلم وزيرك رأيى فيه وفى تصرفاته .. »

الوزير : «وزيرك !...»

الوكيل المساعد : هذه كلمته التى يخاطبنى بها دائماً ...

الوزير : كفاية ...

الوكيل المساعد : أرجو أن تهدىء نفسك يا باشا . . . وأن لا تلقى بالا إلى هذا الكلام الذى لا يرتفع إلى أكثر من نعل حذائك... صحتك عندنا أغلى وأهم وأثمن من كل شىء...

الوزير : إنى هادىء النفس...خذ ورقة يازكى بك واكتب ما أمليه عليك...

الوكيل المساعد : « يتناول ورقة وقلماً من فوق المكتب » أفندم!...

الوزير : صورة مذكرة ... سرية طبعاً .. أرجو أن تشرف بنفسك على كتابتها على الآلة الكاتبة ... لتعرض على مجلس الوزراء فى جلسته القادمة . .

الوكيل المساعد : « متأهباً للكتابة » أفندم!...

الوزير : « يملى » بعد الديباجة .. « بما أنه قد تبين لنا أن التعاون بيننا وبين وكيل الوزارة عمر بك عبد التواب قد أصبح فى حكم المستحيل...فقد دأب حضرته على مناوأة سياسة الوزارة...وانتهج خطة سافرة العداء ترمى إلى عرقلة أعمالنا وتسفيه رأينا...مما يجعل بقاءه فى منصبه ضاراً بمصلحة العمل ... لذلك نطلب من المجلس النظر فى أمر إحالته إلى المعاش ...

الوكيل المساعد : إحالته إلى المعاش ...

الوزير : أفى هذا إجراء تعسفى ؟!...

الوكيل المساعد : أبداً يا معالى الوزير... هذا إجراء حازم... إنك تضع الاعتبار العام فوق الأشخاص والمناصب...

الوزير : قد يكون فى هذا الإجراء بعض الشدة... ولكن المصلحة العامة تملى علينا أحياناً ما لا ترضاه عواطفنا الخاصة...

الوكيل المساعد : هذا ما يعرف دائماً عن معاليك...

الوزير : «متأهباً للإملاء» أكتب بقيةالمذكرة...

الوكيل المساعد : «متأهباً للكتابة» أفندم ! ...

الوزير : «يملى» ... كما نطلب إلى مجلس الوزراء الموافقة على شغل منصب وكيل الوزارة الشاغر ... وتعيين الوكيل المساعدزكى بك عبدالله

وكيلا للوزارة ...

الوكيل المساعد : « صائحاً بفرح » أنا ؟ ... وكيل الوزراء ؟ ! ...

الوزير : فى دورك ... ليس فى هذا أى محاباه ...

الوكيل المساعد : « ينهض » تسمح لى ؟ ..

الوزير : ماذا ؟ ...

الوكيل المساعد : « ينحنى ويخطف يد الوزير » أقبل يد معاليك الفياضـــه بالخير والعدل والإنصاف ...

ينهال على يد الوزير لثما وتقبيلا . . .

ســتار

١٩ ١٩ — من وحى تيار المجتمع

الرجل الذى صمد

قصة تمثيلية فى فصل واحد

حجرة مكتب نظيفة بسيطة لا أثر فيها للترف ولا للبذخ ، في منزل الشيخ المحترم « صالح بك زهدى » ... وهو جالس إلى مكتبه ... مكب على أوراق وفي يده قلم ... تدخل عليه زوجته « فاطمة هانم » فلا يفطن ولا يرفع رأسه عن عمله المنهمك فيه ...

فاطمة هانم : أتدرى كم الساعة الآن ؟ . . . نحن الآن الظهر ... وأنت مكب على عملك هكذا منذ الصباح ؟ ! ... قلت لنا بعد نصف ساعة تفرغ لنا ... وها قد مضت ساعات... علوية بنتنا كادت تظن أنك تتهرب عمداً من الحديث في مسألة جهازها ! ...

صالح بك : إني الآن مشغول بجهاز آخر أهم من جهاز علوية ! ...

فاطمة هانم : جهاز آخر أهم ؟ ! ...

صالح بك : جهاز الدولة ... هذا المساء تعرض على مجلس الشيوخ مذكرة اللجنة المالية عن الميزانية الهامة... أليس من واجبي وأنا رئيس هذه اللجنة أن ألقي نظرة أخيرة على التقرير ؟ ! ...

فاطمة هانم : نعم ...ميزانية الدولة !... تحسن تدبير ميزانية الدولة ... ولا تحسن تدبير ميزانية بيتك ! ... ، على رأى المثل :

« باب النجار مخلع!...»

صالح بك : ثقي أني سأحسن تدبير المبلغ اللازم لجهاز علوية ...

فاطمة هانم : ستقترض ؟ ! ...

صالح بك : عندى فكرة أخرى سأخبرك عنها فيما بعد ...

فاطمة هانم : أخبرني الآن ... ليطمئن قلبي ...

صالح بك : سأستبدل جزءاً من معاشي ...

فاطمة هانم : « صائحة » معاشك ! . . معاشنا ؟ .. تمس معاشنا ؟ ... هذه الثمانون من الجنيهات التى خرجت بها بعد خدمتك القضائية طول العمر ! .. هـذه الجنيهات الثمانون التى بها نعيش طول الشهر ونربى أولادنا ونحافظ على مظهرنا..

صالح بك : مهلا . . . مهلا . . . لاتنسى أنى أتقاضى فوق ذلك أربعين جنيها مكافأتى البرلمانية ...

فاطمة هانم : هذا مبلغ ليس بالدائم . . ولا يمكننا الاعتماد عليه فى المستقبل . . وليس عندنا كما تعلم مدخر ... وقد حاولت كثيراً الاقتصاد والتوفير فلم أفلح ... فمنذ تزوجتك من ثلاثين عاما مضت ، ومرتبك يزيد ببطء ، وأعباؤنا تثقل بسرعة ... فلنحمد الله أننا استطعنا أن نعيش حتى الآن مستورين ... لكن لاتنس أن المعيشة اليوم مرتفعة التكاليف ... وأن مركزك الاجتماعى الآن لايسمح مطلقاً بالهبوط عن هذا المستوى ... وهو مستوى متواضع بالنسبة إلى مكانتك... لاتنس كل ذلك وانت تفكر فى استبدال معاشك الذى نعتمد عليه جميعاً...

صالح بك : مهلا ... لا تنسى أنت أيضاً أن أعباءنا ستخف فى المستقبل القريب إن شاء الله ... فعلوية ستتزوج ... وعادل سيتخرج فى كلية الهندسة هذا العام ...

فاطمة هانم : كم المبلغ الذى سيستقطع من المعاش ...

صالح بك : هذا يتوقف على المبلغ الذى نحتاج إليه ...

فاطمة هانم : ليس أقل من خمسمائة جنيه ... عريسها لم يدفع غير ثلثمائة جنيه

مقدم صداق ... وهى لاتـكفى اليوم لتأثيث حجرة نوم محترمة ... ألا تلزمها حجرة أخرى أو حجرتان ... ليـكون لها من ذلك مسكن ... هـذا فضلا عن الملابس الضرورية ! ... أأنا مغاليـة فى هذا التقدير ؟...

صالح بك : لا ...

فاطمة هانم : إذن يجب تدبير هـذه الجنيهات الخمسمائة . . . حتى نستر البنت ... ولا نفتضح أمام أهل العريس ... ولو أردت رأيى لقلت إنى كنت أفضل أن تقترض هذا المبلغ ، ولا تمس المعاش ..

صالح بك : أقترض هذا المبلغ ؟ ممن...

فاطمة هانم : من أى بنك ؟...

صالح بك : والضمان !.. أعندنا عقار !.. أو منقول ذو قيمة نقدمه ضمانا لهذا المبلغ !. أنسيت أن « البنوك » لابد لها من ضمان مالى أو شخصى..

فاطمة هانم : أو شخصى ! ..

صالح بك : « ينظر إليها محدقاً » نعم ... ماذا تقصدين !..

فاطمة هانم : أيوجد شخص له رصيـد يرفض أن يضمنك لدى أى بنك فى مثل هذا المبلغ الزهيد ؟ ...

صالح بك : « بخشونة » فاطمة .. فاطمة .. ألى أنا تقولين هذا الـكلام ؟..

فاطمة هانم : لاتؤاخـذنى ياصالح ! . . حقاً ليس لك أنت ... انى أعرفك ... أعرفك جيـــدا ... انت هو انت ... لم تتغير ... أعرفك ... « تتنهد طويلا » أعرفك ..

يسمع جرس الباب الخارجى

صالح بك : من هذا ؟ ... « ينظر فى ساعته »

فاطمة هانم : أتنتظر أحداً ؟ .

يظهر خادم وفى يده بطاقة . . فتتناولها فاطمة هانم من يده وتنظر فيها » .

صالح بك : « متسائلا » من ؟ .. عبد البر باشا ؟ ! .

فاطمة هانم : « وهى تناوله البطاقة » نعم .. هو بعينه ..

صالح بك : « للخادم » قل له يتفضل .. « الخادم يخرج بسرعة » .

فاطمة هانم : أليس هو المالى المعروف ؟ . أتعرفه إذن جيداً ؟ ! .

صالح بك : زميل قديم ... ولكنى لم أقابله منذ مدة ... ولا أدرى لماذا طلب منى هذ الموعد اليوم ؟ ! ..

فاطمة هانم : « وهى منصرفة » أنصرف أنا إذن ... لأعد لكما القهوة ... « كالمخاطبة لنفسها » خيراً يارب ... خيراً ... خيراً ...

تخرج . . ولا يمضى قليـل حتى يظهر الخادم من باب آخر وخلفه عبد البر باشا . ويتركه وينصرف .

صالح بك : « ناهضاً لاستقبال ضيفه » أهلا عبد البر باشا ... أهلا وسهلا ...

عبد البر باشا : أرجو ألا تكون زيارتى معطلة ... إنى أعرف مشاغلك فى المجلس ... خصوصاً هذه الأيام ... لذلك سأكون مختصراً على قدر الامكان ...

صالح بك : « يشير إليه بالجلوس » خذ مطلق حريتك ... نحن لم نتقابل منذ زمن طويل ...

عبد البرباشا : حقاً ... منذ أن كنا قاضيين فى دائرة واحدة بمحكمة مصر تحت رياسة زميلنا المرحوم ...

صالح بك : راغب بك ...

عبد البرباشا : مضبوط ... راغب بك حمدى ...

صالح بك : الله يرحمه . كان مثال الإستقامة .. وكانت له كلمات لاتزال منقوشة فى ذهنى ...

عبد البرباشا : أيام ...

صالح بك : ولكنى أذكر أننا تقابلنا أيضاً بعد ذلك العهد ... أظن عقب استقالتك من القضاء واشتغالك فترة بالمحاماة .

عبد البرباشا : بالضرورة .. تقابلنا فى فترة اشتغالى بالمحاماة .. وقد ترافعت أمامك وأنت رئيس الدائرة المدنية .. ولا أريد أن أذكرك بأنك كنت فى غاية الدقة والشدة ولم تكسبنى قضية واحدة ..

صالح بك : على الرغم منى ولاشك ...

عبد البرباشا : طبعاً ...

صالح بك : بعد ذلك انصرفت أنت فيما أعلم إلى الأعمال المالية نهائياً ..

عبد البرباشا : ووفقنى الله فيها كل التوفيق ...

صالح بك : الحمد لله ...

عبد البرباشا : منذ ذلك الوقت لم يسعدنى الحظ بمقابلتك ... وإن كنت اتتبع أخبارك فى الصحف ...

صالح بك : أنا أيضاً أعرف أخبارك من الصحف ... لقد قرأت حديثاً أنك عدت من رحلة خارج القطر ...

عبد البر باشا : نعم . . . سافرت إلى ايطاليا وفرنسا وانجلترا ... رحلة أعمال ...
وعدت فوجدت صديقنا وزير المالية قد استقال لأسباب صحية ...
وعين خلفا له صديقك الوزير الحالى...

صالح بك : هذا صحيح ...

عبد البر باشا : الوزير الحالى رجل طيب ، فيما علمت ، ولكن صلتى الشخصية به
فى حكم المعدومة ...

صالح بك : هو حقاً رجل طيب ...

عبد البر باشا : قيل لى انه صديق حميم لك ...

صالح بك : نحن أبناء قرية واحدة ...

عبد البر باشا : عظيم ... عظيم جداً ... عظيم ... هذا من فضل الله وتوفيقه ...
لا أطيل عليك ... هل عندك مانع . . نذهب معاً لمقابلته فى
مسألة بسيطة ؟ ! ...

صالح بك : مسألة من أى نوع ؟ ...

عبد البر باشا : أولا لتوكيد المعرفة وتقديم الهدية الصغيرة التى أحضرتها له من
ايطاليا .. انظر .. « يخرج من جيبه علبة » علبة سجاير من الذهب..
منقوشاً عليها الحرف الأول من اسمه .. حرف الميم ..

صالح بك : أكنت قد أحضرتها له هو خصيصاً ؟ ! ..

عبد البر باشا : « باسما » بينى وبينك كانت لصديقى الوزير السابق ... ولكن
من فضل الله وتوفيقه أن الوزير الحالى يبـــدأ اسمه هو الآخر
بحرف الميم ...

صالح بك : وما هو الغرض بالاختصار؟...

عبد البر باشا : الغرض باختصار أن هناك طلبا سيعرض على هذا الوزير لتصدير كمية كبيرة من الزيت والأرز إلى بعض الأقطار ...

صالح بك : فهمت ...

عبد البر باشا : الصفقة فيها عمولة ... قد تصل إلى عشرة آلاف جنيه ...

صالح بك : مبلغ جسيم ! ...

عبد البر باشا : لعمل لن يستغرق منك أكثر من ربع ساعة ... نذهب خلالها معاً إلى صديقك وزير المالية ليعجل باعطائنا إذن التصدير ...

صالح بك : تطلب منى أنا ذلك ؟ ! ...

عبد البر باشا : وسأحرر لك الآن شيكا بمبلغ خمسة آلاف جنيه... دفعة أولى... « يضع يده فى جيبه ويخرج دفتر الشيكات » ...

صالح بك : مهلا يا باشا ... مهلا ... لقد كانت بيننا علاقة زمالة قديمة ... وكنت أعتقد أنك تعرفنى وتفهمنى وتقدرنى ...

عبد البر باشا : آسف ياصالح بك . . . آسف . . . لعلى اسأت معك التصرف أو التعبير ... ولكن ثق أن هذا صادر عن حسن نية...فأنا أول من يعرف ويفهم أن قدرك أرفع بكثير من مثل هذا المبلغ الزهيد ولكنى قلت إنه دفعة أولى معجلة ... ومع ذلك فأنا على أتم استعداد ، اثباتا لحسن قصدى وعظيم تقديرى ، أن أرفع قيمة الدفعة الأولى وأحرر لك منذ الآن الشيك بمبلغ عشرة آلاف جنيه ! ...

صالح بك : « كالمخاطب نفسه » ياله من تقدير !...

عبد البر باشا : أنا تحت أمرك يا صالح بك ... مر بما تشاء ... هذه أول مرة نشترك فيها معاً فى عملية مالية... ومن واجبي بحكم الزمالة القديمة أن أرضيك كل الرضا ...

صالح بك : أشكرك ...

عبد البر باشا : ما الذى يرضيك ؟ !...

صالح بك : أتريد أن تعرف ما الذى يرضينى ؟ ...

عبد البر باشا : يهمنى ذلك جداً ... لأن صلتنا المالية قد لا تقف عند حد هذه العملية ... إنى أؤمل أن يكون لنا معا بإذن الله نشاط أوسع وأكبر فى مجال الأعمال ... إن بعدك يا صالح بك عن هــذا المجال حتى الآن ، ليس له ما يبرره على الإطلاق ... على كل حال الفرص المقبلة كثيرة... وكل ما أرجوه أن نتعـاون ، وأن تفضى إلى بكل صراحـة بما يرضيك ...

صالح بك : ما يرضينى بكل صراحة هـو أن ترد إلى جيبك دفتر شيكاتك ... وأن تنسى كل ما قلته لى الآن...

عبد البر باشا : « مصدوماً » ماذا تقول ؟ ...

صالح بك : « مستمراً » وأن تذكر ما كنا نقوله فى حجرة المداولة يوم كنا نجتمع فيها مع زميلنا راغب بك حمدى رحمة الله عليه ! ...

عبد البر باشا : ما مناسبة ذلك الآن ؟ ! ...

صالح بك : إنى أذكر الآن كل حرف مما كنا نقوله بالأمس ... كنـا نذهب

فى الصباح إلى المحكمة بالترام أو مشياً على الأقدام... بينما المحامون وموكلوهم يذهبون بالسيارات الفخمة . . . وكنا نسائل أنفسنا قائلين : ألنا أن نخجل من ذلك أو نفخر ؟... فكان راغب حمدى يقول : نخجل؟ ... ولماذا نخجل ؟ ... هل قيمتنا فى شخصيتنا أو فى السيارة؟ ... وهل فضلنا فى خلقنا أو فى المحفظة ؟ ... إذا انحط مجتمع إلى هذا الدرك الذى يجعل فيه « للجاه » سلطة الحكم على قيمة «الإنسان» فلا خير لحياة البشر ...

عبد البر باشا : «مطرقا» رحمة الله عليه !...

صالح بك : نعم رحمة الله عليه ورضوانه ... كان هذا القول الجميل يرفع قيمتنا الذاتية فى نظر أنفسنا ... حتى كدنا نعتقد أن لنا رسالة فوق رسالة العدالة... هى أن نثبت للناس أن فى المجتمع طائفة محترمة لفضيلتها المجردة ... فى الوقت الذى أصبحت فيه المراتب والقيم تسعر بقدر الألوف ... وأصبح فيه لفظ الكبراء والعظماء مرادفا لعدد الأسهم والسندات وكراسى مجالس الشركات ... كان راغب بك حمدى يقول : « إذا استطعنا يا اخوانى أن نحافظ على احترامنا ونحتفظ بجلالنا وسط بحر الأوراق المالية الهائج المائج حولنا ، دون أن تغرق فيه رؤوسنا ، فقد أثبتنا أن المثل العليا فى البلد لم تمت » ...

عبد البر باشا : وهل ثبت ذلك حقا ؟! ... أو أن الذى ثبت أنه هو الذى مات... دون أن يذكره بعدئذ أحد !...

صالح بك : وا أسفاه ! ...

عبد البرباشا : حتى أهله نسوا نزاهته ، وأنكروا استقامته ، وفضلوا لو أنه ترك لهم بدل مثله العالى بيتا ... وليكن غير عال ... من طابقين فقط . يدر عليهم من بعده رزقا ...

صالح بك : كل عظيم غريب بين أهله ! ...

عبد البرباشا : وقد جاءنى ابنه الأكبر بعد وفاته يسألنى الوساطة فى إيجاد وظيفة له ... فوفقنى الله فى الحاقه بعمل فى إحدى الشركات ...

صالح بك : واجب ... واجب ...

عبد البرباشا : هذا كل ما بقى من خبره ! ...

صالح بك : ذكرى عاطرة ... ماذا كان يمكن أن يبقى خيراً من ذلك ! ...

عبد البرباشا : كلماته قد ذهبت معه ... ولم يسمع بها الناس ... ولم تحتفظ بها حتى جدران حجرة المداولة ! ...

صالح بك : أنت الذى لم تحتفظ بها يا عبد البرباشا ! ... لاتدعنى أذكرك ... ألست أنت الذى كنت تؤيدها بتحمس ... ألست أنت الذى كنت تقول : إن الفضيلة الصادقة هى التى تنتصر على الإغراء الشديد !. . ألست أنت الذى كنت تردد : ان عيون النفوس الرفيعةلا تبهرها أضواء الثراء؟ ... ألست أنت الذى كنت تؤكد أن أبواب الغنى لو فتحت لك على مصراعيها لما دخلت؟ ، حتى لا تلتقى فى الداخل بأناس يعاقب قربهم الضمير النقى ، ويأنف منهم الخلق السوى؟ ...

عبد البرباشا : الزمن قد تغير يا صالح بك ... الزمن قد تغير ...

صالح بك : الزمن لا يتغير ... نحن الذين نتغير ...

عبد البرباشا : ألا تعترف معى أن المجتمع اليوم قد تطور ... وأن المادة هى الآن كل شىء ؟ ! ...

صالح بك : ومن الذى جعل المادة كل شىء ؟ ... أليسوا هم أولئك الذين قلت عنهم بالأمس إن الضمير النقى يعافهم وان الخلق السوى يأنف منهم ؟ ! ... أليسوا هم أيضاً هؤلاء الذين خانوا فكرتهم وتبعوهم واندمجوا فى زمرتهم ! ...

عبد البرباشا : لا تبالغ يا صالح بك .. لا تبالغ ... ليست هناك خيانة لفكرة أو تنكر لمبدأ ... ولكنه فهم لمطالب العيش فى المجتمع الحديث...

صالح بك : مطالب العيش تقتضيك أن تحصر كل فكرك ونشاطك وإيمانك واهتمامك فى تكديس مئات الألوف فوق مئات الألوف ؟ ! ... لا تؤاخذنى إذا أشرت إلى شئونك الخاصة ... كم يقدرون ثروتك الآن...؟ قرأت مرة فى الصحف أنها لا تقل عن ستمائة ألف جنيه...

عبد البرباشا : وما ستمائة ألف جنيه ؟ ! ... هل تعد هذا المبلغ فى وقتنا الحاضر ثروة كبيرة ؟ !...

صالح بك : أرأيت ؟ ... لقد ولجت الباب الذى لا تدخله القناعة ! ...

عبد البرباشا : إذا عرفت دنيا المال والأعمال ، فإنك ستحكم من الفور أنى رجل فقير ...

صالح بك : فقير بالنسبة إلى من جمع المليون ... فإذا صرت إلى المليون فأنت فقير بالنسبة إلى صاحب المليونين ... فاذا نلت فى يدك المليونين فأنت فقير بالنسبة إلى من فى يده ثلاثة ملايين ... وهلم جراً ... صعداً فى الدرج ... بل خفضا فى السلم المؤدى

إلى جحيم الجشع !..

عبدالبر باشا : الجشع ؟ ! . اسمح لى يا صالح بك أن أقول لك إنك تتكلم كلاما ساذجا فى موضوع لا تدرى عنه شيئا ...

صالح بك : لست فى حاجة إلى علم كثير لأرى الآن هدفك فى الحياة . . قرأت فى الصحف أخيراً أنك احتفلت بزواج ابنك من كريمة أحد كبار المقاولين وأصحاب المال والأعمال الذين يملكون نحو مليونين من الجنيهات ! . تريد أن تدعم ثراء بثراء ! أهذا كله من مقتضيات مطالب العيش ؟ ! لو كان رغيف خبزك اليومى من الذهب الابريز لما لزمك كل هذا المال .. لا .. ليست هى مطالب العيش .. ولكنه إيمان جديد . إيمان جنونى بقوة هى عندك اليوم وعند أمثالك فوق كل القوى .

عبدالبر باشا : وهذا هو الواقع . الواقع الذى لا تنكره إلا إذا أردت المكابرة.. أهناك قوة فى مجتمعنا اليوم غير قوة المال تستطيع بها أن تسمع صوتك وترفع قدرك ، وتبقى أثرك ؟ ! .

صالح بك : رحمة الله عليك يا راغب حمدى !. أين أنت الآن لتسمع هذا الكلام؟!. أين أنت لترى زميلنا القديم قد لجأ هو أيضا آخر الأمر إلى «الجماد» ليرفع له قدره ! .

عبد البر باشا : أو لم يرفع لى قدرى بالفعل؟ !...

صالح بك : « مطرقا » حقا . مع الأسف الشديد ! .

عبد البر باشا : هذا هو مجتمعنا الحديث ! .. ومن سوء التدبير وقلة العقل أن يتجاهل الإنسان الوسط الذى يعيش فيه ، واللغة التى يفهمها

أهله .. ان من يسبح ضد التيار يتعب ...

صالح بك : خلا أصحاب العضلات القوية !...

عبدالبر باشا : ربما استطاعوا المقاومة قليلا ... ولكنهم فى آخر الأمر يهلكون...

صالح بك : ولكن التيار يتحول...

عبدالبر باشا : أين رأيت هذه المعجزة ؟!...

صالح بك : فى البلاد التى يظهر فيها الأنبياء والمصلحون والمخلصون ...

عبدالبر باشا : ليس هذا فى مصر على كل حال !...

صالح بك : ما أشد إيمانك ببلدك!...

عبدالبر باشا : لأنى فهمت البلد تمام الفهم!...

صالح بك : بالضبط .. الفهم الذى لا يعرف غيره كل أولئك الذين دخلوا من ذلك البـــاب ... وصعدوا أو هبطوا سلم الألوف ودرج الملايين ! ..

يدخل خادم يحمل صينية القهوة . . . ويتقدم بها إلى عبد البر باشا . . فيتناول فنجاناً .. ثم يتناول صالح بك فنجانا .. وينصرف الخادم ..

عبدالبر باشا : « يأخذ رشفة من فنجانه » لو كنت أعتقد ياصالح بك أنك جاد فى كلامك هذا ، لما كنت أضعت وقتك ووقتى حتى الساعة ! ...

صالح بك : أو تشك فى أنى جاد ؟...

عبدالبر باشا : بالطبع جاد ، كما نحن جادون جميعاً ، كلما تكلمنا فيما ينبغى أن يكون ... ولكن الأمانى شىء والكائن شىء آخر... ورجل مثلك

وثيق الصلة بالحياة السياسية والبرلمانية والاجتماعية والاقتصادية بحكم رياستك للجنة المالية لا يمكن أن تفوته حقائق الأمور ... كل مافى الموضوع أنك لاتثق بى ... وانك تعتقد أن العملية أضخم مما عرضته عليك وأن عمولتها لا بد أن تكون أهم ... وغلطتى أنى لم أحضر معى المستندات التى تثبت لك صحة ما عرضت ! ...

صالح بك : أهذا كل تعليلك للموقف ؟ ! ...

عبد البرباشا : هو التعليل الوحيد ... ولا أصدق غيره ... أو يوجد اليوم من له الشجاعة أن يرفض مبلغاً كهذا فى عمل بسيط برىء كهذا ! ؟ ... ولكن الانصاف يدعونى إلى عذرك ... فإن وضعك الأخير يحتم علينا أن ننظر إليه بعين الاعتبار ... وإنى أعدك وعداً أكيداً أن هذا سيكون له وزنه وثمنه ...

صالح بك : وضعى الأخير ؟ ! ... ماذا تقصد ؟ ...

عبد البرباشا : مسألة تعيينك ... الأمر لم يزل محاطاً بالكتمان . . . ولكنى علمت من أوثق المصادر أن الحكومة رشحتك لعضوية مجلس إدارة شركة كبرى ... مكافأتها السنوية لاتقل عن ثمانية آلاف جنيه !... ألم يحدث هذا ؟ ...

صالح بك : « بهدوء » حدث فعلا ...

عبد البرباشا : هذا الخبر هو الذى جرأنى على زيارتك والتفكير فى العمل معك فلدينا شركات أخرى تحتاج إلى عونك وخبرتك ... صديقك وزير المالية هو الذى خدمك طبعاهذه الخدمة ؟ ! ...وإن كان بعض الخبثاء يهمسون بأن الحكومة أرادت بذلك أن تتخلص من شدتك

المعروفة فى مجلس الشيوخ واللجنة المالية ...

صالح بك : لا أعرف الدوافع إلى هذا الترشيح ... ولكن الذى حدث هو انى رشحت حقا ...

عبد البرباشا : وقدمت استقالتك من المجلس بالضرورة ...

صالح بك : لا . . .

عبد البرباشا : ومتى تقدمها؟ . .

صالح بك : لن أقدمها . . . ولن أستقيل من المجلس . . . لسبب بسيط وهو أنى رفضت الترشيح . . .

عبد البرباشا : « بدهشة » ما هذا الكلام ؟ ...

صالح بك : الكلام الذى قلته لك منذ قليل ... ولم تأخذه مأخذ الجد ...

عبد البرباشا : ترفض عضوية هذه الشركة الكبيرة ؟ ! . . . مامن شك فى أنك ترمى إلى مطمح أكبر من ذلك ...

صالح بك : « بهدوء » بالتأكيد . . . أداء واجبى الحالى فى المجلس ... لا أكثر ولا أقل . . .

عبد البرباشا : أيمكن تصديق هذا ؟ ! . . .

صالح بك : المسألة بسيطة جداً . . . انتظر وراقب وتربص . . . فإذا وجدتنى تحولت عن موقفى وقبلت عرضاً أو استسلمت لإغراء . . . فاحضر إلى سريعاً وأنا أقبل منك فى الحال ربع ما تعرض على الآن ... هذا كل مالك عندى الساعة من قول فى هذا الموضوع . ..

عبد البر باشا : « يضع فنجان القهوة فوق المكتب وينهض » متأسف لإزعاجك اليوم ... وأرجو أن تراجع نفسك قليلا فى أمر خطتك هذه ... فإن لأسرتك وأولادك عليك حقاً ... هذا بلد لا يستحق التضحية... لا تجعل مصيرك مثل مصير راغب حمدى ... لقد عاش فى الحرمان وذهب فى النسيان ...

صالح بك : لم يذهب فى النسيان ... لأنى أذكر قوله ، واحتذى مثله ...

عبد البر باشا : وما نفع فرد واحد فى أمة ؟ !...

صالح بك : البذرة الواحدة تنبت الغابة ! ... سأذهب أنا أيضاً ... ولكن شخصاً ... قد لا أعرفه . . سيتلقى البذرة ، وتعيش فيه الفكرة ... ويقع فى يده المشعل . . وهكذا دواليك... إن المثل الحى لا يموت... إنه يعيش فى أشخاص جدد ، وحيوات متجددة...

عبد البر باشا : « مادا يده مصافحاً » إنى على كل حال سعيد بلقياك !...

صالح بك : « يشيعه إلى الباب » أشكر لك الزيارة ...

« يخرجان .. ولا تلبث أن تطل فاطمة هانم برأسها من الباب الذى كانت قد خرجت منه .. فلما وجدت المكان خالياً دخلت. »

فاطمة هانم : الضيف خرج ... تعالى يا علوية ! ...

علوية : « تظهر خلفها » أقال لك يا ماما متى يحضر المبلغ ؟ ...

فاطمة هانم : لا ... لم يقل متى ... ولكنه قال إنه سيستبدل جزءاً من معاشه ...

علوية : هذا إجراء طويل ... سيستغرق وقتاً ...

فاطمة هانم : كلميه انت فى ذلك بنفسك... لقد تكلمت أنا بما فيه الكفاية ... ها هو ذا قد أقبل ...

« يظهر صالح بك عائداً . . ويتجه توا إلى مكتبه . . شأن من ينوى استئناف عمله »

علوية : بابا . . .

صالح بك : « دون أن يحول نظره من مكتبه » نعم يا ابنتى ! . . .

علوية : لقد وعدتنى هذا الصباح أن تصغى إلى لحظة . . .

صالح بك : أصغيت إلى أمك وتباحثنا فى مسألتك . . . ودبرنا الحل اللازم . . .

علوية : استبدال المعاش؟! . . .

صالح بك : بمقدار المبلغ المطلوب . .

علوية : ولكن هذا يستوجب اجراءات طويلة . . . ولا بد لنا من أن نفرش سريعاً . . .

صالح بك : أظن أن الاستبدال النقدى لمثل هذه الظروف العائلية يتم عادة فى وقت قصير . . . على أى حال سأقدم الطلب غداً إن شاء الله ، إلى الإدارة المختصة . . . فلا تقلق . . .

فاطمة هانم : ألا تكلم فى ذلك الوزير . . . وهو صديقك ؟! . . .

صالح بك : لا . . .

فاطمة هانم : لمجرد التسهيل ... ليس إلا . . .

صالح بك : « حاسماً » لا . . .

علوية : ألا يمكن استدانة المبلغ بكمبيالة . . .

فاطمة هانم : اقترحت هذا على أبيك ، ولكنه لم يقبل . . .

علوية : ولم لا ؟ . . . هذه أسرع وسيلة . . .

فاطمة هانم : ورجل مالى مثل عبد البر باشا الذى كان هنا الآن ، ما كان يتردد . . .

صالح بك : صه ... صه ...

فاطمة هانم : صمتنا ... وتركنا لك الأمر ...

صالح بك : نعم ... اتركا لى الأمر ...

فاطمة هانم : أسمعت يا علوية ؟ ! ... صدقت الآن أنا أباك فى سبيل تدبير أمر جهازك ... وأنه مهتم بذلك ... وأننا بحثنا المسألة فى غيبتك ، وانتهينا إلى هذا الحل الوحيد... هلمى بنا إذن !.. دعى والدك لعمله... لا ينبغى أن تأخذ من وقتنا أكثر من ذلك ...

علوية : بابا ... أأنت تحبنى حقاً ؟ ...

صالح بك : ماذا تقولين ؟ ! .

علوية : هل تحبنى ؟ ... وهل تهمك سعادتى ؟ ! .

صالح بك : أجننت يا علوية ؟ ! أهذا سؤال تلقينه على أبيك ؟ ! ...

علوية : أريد أن أسمع من فمك الجواب ...

صالح بك : أولا تعرفين الجواب أنت ؟ ! ...

علوية : أعرف أنى عزيزة عليك ... أثيرة عندك منذ أن كنت طفلة ، وابتسامتى تشرق فى قلبك كأنها شمس... ولطالما قلت لى إن متاعبك اليومية تختفى عندما تقع عينك على وجهى ... وإن الطمأنينة تقر فى نفسك عندما تسمع صوتى ... انى إذن شىء له قيمته عندك ... أليس كذلك ؟

صالح بك : أتشكين فى ذلك ؟

علوية : قيمتى تساوى كم فى حسابك ؟ !

صالح بك : عيب يا علوية ؟ ...

علوية : ألا تقدرها على الأقل بثمن فرش حجرتين أو ثلاث ؟!...

صالح بك : ألا تخجلين من هذا الكلام ؟ ! ...

فاطمة هانم : ثقى ياعلوية أن أباك لا يضن عليك بمال ... إنى أعرفه أكثر منك. لو كان فى يده شىء لأغدقه فى الحال عليك ... لكن رزقه محدود كما تعلمين ... لا يكاد يكفى لفتح هذا البيت البسيط ... اعذريه ياعلوية اعذريه ... لو هبط على أبيك من المال ما يهبط على الآخرين لكان لنا شأن آخر .

يظهر فجأة شاب فى مقتبل العمر هو « عادل » يحمل فى يده صحيفة ...

عادل : « ملوحاً بالصحيفة » أقرأتم هذا الخبر المنشور فى هذه الجريدة ؟ !.

علوية : « بلهفة » أى خبر ؟ !

عادل : خبر ترشيح بابا لعضوية شركة كبيرة ! ...

علوية : « تخطف منه الجريدة » أرنى ... أرنى ...

عادل : مكافأتها السنوية ثمانية آلاف جنيه ! ...

فاطمة هانم : « هاتفة » ربك كريم ! ...

علوية : « والجريدة فى يدها دون أن تقرأها أو تنظر فيها » وافرحتاه ! ... وافرحتاه ! ... جاءنا الفرج ... سيكون لى أجمل جهاز ! ...

فاطمة هانم : ياللمفاجأة السارة ! ... لن نعيش فى ضيق بعد اليوم ...

علوية : أول كل شىء لا بد لى من أثواب جديدة ... لقد خجلت من كثرة لبسى لأثواب الأعوام الماضية التى كنت أقلبها وأرتقها وأصبغها ...

فاطمة هانم : وأنا يابنتى سأخلع هذا الثوب الأسود ، الذى ارتديه منذ عامين

بحجة الحداد على عمتى .. والحقيقة انى عاجزة عن تفصيل الجديد !..

علوية : إنى لم أرد أن أخبرك وأكدرك يا ماما بكلمات صديقاتى اللاذعة كلما رأيننى بثوبى القديم . . . كن يقلن لى : نرجوك يا علوية . . . عيوننا تعبت وسئمت من شكل « فستانك » الذى لا يتغير ! . . . الفصول تتغير ، والأفكار تتغير ، والدنيا تتغير . . . ولبسك ثابت على المبدأ ... لا يتحول ولا يتغير ! ...

فاطمة هانم : الحمد لله انتهى كل هذا ... وكل شيء عندنا الآن سيتغير ! ...

علوية : « تلتفت إلى أبيها المطرق » لماذا تطرق هكذا يا بابا ؟ ! . . . لماذا لا تفرح مثلنا ؟ ! ...

فاطمة هانم : بل قولى له لماذا أخفى علينا هذا الخبر ؟ ... أكان يجهله ؟ ... أم كان يريد أن تفاجئنا به الصحف ؟ !..

علوية : تكلم يا بابا . . . أيصح أن تكتم مثل هذا الخبر السعيد عن أحب الناس إليك وأنت تعلم كم سيثير فى قلوبهم من ابتهاج ، وكم سيحدث فى حياتهم من انقلاب ؟ ! ...

عادل : اقرئى يا علوية تفصيل الخبر أولا فى الجريدة التى فى يدك . . . قبل أن تسترسلى فى الحماسة ...

علوية : « تقرأ بسرعة متمتمة » « رشحت الحكومة حضرة الشيخ المحترم صالح بك زهدى لعضوية مجلس إدارة شركة كبيرة معروفة مكافأتها السنوية تبلغ حوالى ثمانية آلاف جنيه . وقد علمنا أن حضرته اعتذر من عدم قبول هذا المنصب . . . » اعتذر ! . . . « تلتفت إلى أبيها بلهفة » اعتذرت يا بابا ؟ . . .

فاطمة هانم : « مصدومة » اعتذر ؟ ! . . .

علوية : بابا ... اعتذرت ؟ ! ... أحق هذا المنشور هنا ؟ ... أصحيح هذا ؟!..

صالح بك : « وهو مطرق » صحيح . . .

علوية : ولماذا تفعل ذلك؟ ! . . .

صالح بك : فعلت وانتهى الأمر . . .

فاطمة هانم : أغلقت بيديك فى وجهنا باب الرحمة ، الذى كان قد فتح ...

صالح بك : « كالمخاطب نفسه » بل أغلقت باب الجحيم ! . . .

فاطمه هانم : « صائحة ثائرة » لماذا ؟ . . . لماذا يا صالح تفعل ذلك بنا ؟ ! . . . نحن الذين سرنا معك هذا الشوط من الحياة فى عيش ضيق شاق ... تطرد عنا هذه النعمة المواتية ، وقد أتت فى حينها ؟ ! . . . ثمانية آلاف جنيه فى العام ! ... تصور ماذا كنا نستطيع أن نفعل بهذا المبلغ ؟ ... أى حياة كنا نحياها... وأى متعة كنا نظفر بها ؟ !... واعزاؤك ...عادل وعلوية...أى بهجة كنت تدخلها على شبابهما الذى لم يعرف غير الشدة والشظف والحرمان...إنها لقسوة منك على أهلك فائقة الحد .. لماذا كل هذا ؟ ... فى نظير أى ثمن؟ ...من أجل أن يقول الناس إنك مترفع عن المناصب ، متعفف عن المال ! تسومنا العذاب وتحملنا ما لا نطيق فى سبيل أن تظفر بكلمات ! ...

صالح بك : « كالمخاطب نفسه » كلمات ؟ ...

عادل : حتى هذه الكلمات لا يقولها الناس ... اقرأوا تعليق الجريدة ! ...

علوية : « تنشر الجريدة » ماذا فيها أيضاً ؟ ...

عادل : ظالعى يا علوية الأسطر الأخيرة من الخبر . . .

علوية : « تطالع بسرعة متمتمة » « ... اعتذر من عدم قبول المنصب . . والمفهوم أن ذلك من قبيل المناورات والمساومات التى لا يفوت مرماها المطلعين على بواطن الأمور وعلى ما يجرى وراء الستار ... »

صالح بك : «مصدوما» مساومات ومناورات ؟! ... أقالوا ذلك ؟! ...

علوية : «وهى تمد بالجريدة يدها» بالحرف الواحد... هاهى الجريدة يا بابا.. خذ واقرأ ...

فاطمة هانم : أرأيت ياصالح ؟ ! ..

صالح بك : «مطرقا بلا حراك» كان يجب أن أتوقع هذا !.. كل مجتمع يصل إلى الانحلال يرى الانحطاط هو التعليل الطبيعى لكل التصرفات !..

فاطمة هانم : والنتيجة يا صالح ؟! .. ماذا جنيت من هذا الموقف ؟! .. أنت الآن كالراقص وسط السلم . . . لم يرك من فى الأعلى ولم يلمحك من فى الأسفل . . . ما صدق الناس أنك ترفعت وتعففت ... وما قبضت المال ونفعت به وانتفعت!..

صالح بك : إذا كنت أرتدى العفة طمعاً فى تصفيق الناس فأنا دجال . . . وإذا كنت أطرحها عند جحود الناس فأنا مزعزع العقيدة !. .

علوية : اسمع لى يا بابا أن أقول لك انك تصنع شيئاً لم يسمع به أحد فى زمننا.. كل الناس من حولنا يسعون إلى رغد العيش ولا يفكرون إلا فى التنعم والترف .. كل صديقاتى يتحدثن عما أصاب أهلهن من أرباح وغنائم.. وأنا أسمع فى حسرة.. وأقول عسى أن يصادف الحظ والدى ولو مرة. إنى لا أصدق أن رفضك نهائى !.. لعل الجريدة صادقة ..وأنت تخفى

عنا ما يجرى معك الآن من مفاوضات لتفاجئنا بالمغنم الأكبر والخبر الأهم.. أليس كذلك ياأبى ؟! ...قل... لا تكتم عنى شيئاً... ادخل الفرح على قلبي!..اهمس فى أذنى أنا.. ان تعليق الجريدة صحيح.. وان خلف الستار الآن عرضاً مغرياً لن يلبث حتى يصبح فى يدك.

صالح بك : « فى مرارة » أنت التى تتحدثين ياعلوية ؟! ..

فاطمة هانم : أسكتى ياعلوية لاتؤلمى أباك ... ليس هو الذى يساوم ويفاوض .. إنى أعرفه جيداً .. أعرفه .. أعرفه ..

علوية : « متوسلة» بابا .. انظر إلى الدنيا من حولك .. أنظر إلى الناس من حولك ..هذا هو تيار المجتمع اليوم ..

صالح بك : « كالمخاطب نفسه» لن يجرفنى هذا التيار ! ...

علوية : سنعيش إذن هكذا دائماً ... لا أمل لنا فى غد بهيج ... ولا فى أيام ترف ...

فاطمة هانم : لاتتعبى نفسك ياعلوية ... لن يتغير من أمرنا شيء ! ..

صالح بك : «كالمخاطب نفسه » لن أغير عقيدتى .. كى تتغير أثواب أسرتى ! ..

عادل : انتظروا إلى آخر العام الدراسى ... وأنا أغير كل ما بكم ... ما أن أظفر بدبلوم الهندسة حتى تجدونى قد شققت طريقى إلى الثروة فى بضعة أعوام . . . إنى أفهم بلدى وأعرف كيف أنجح . . . عليك قبل كل شيء يا أمى أن تبحثى لى من الآن عن عروس بنت رجل ذى نفوذ أو ذى نقود ... وعلىّ أنا بعدئذ الباقى . . . سأسدد بصرى إلى كبير أو عظيم ممن لا يأفل نجمهم فى السياسة أو الحكم ، فألتصق به ... أضع له تصميم عزبته ... أو أشرف له على

ترميم «فلته» أو تشييد عمارته... وأكون دائماً فى خدمته شاء أو أبى... بمناسبة وبغير مناسبة... سيجدنى دائماً تحت تصرفه ورهن إشارته وعند مرمى نظره... وفى كل وقت... وفى كل ساعة... فى المنزل وفى المكتب وفى النادى وفى الديوان ... فإن لم أقفز بسرعة البرق فى سلم الدرجات والعلاوات والترقيات ويمتلىء جيبى بالجنيهات، فقولوا إن عادل لا خير فيه ولا نفع...

صالح بك : «مصدوماً» ابنى يفعل هذا ؟!...

عادل : «بحماسة» نعم... واقسم !...

صالح بك : « ينهض خارجا من المكان وهو يهمس » اللهم رفقا بى... اللهم رفقا!... رفقا !... رفقا...

فاطمة هانم : إلى أين يا صالح ؟ !... تهرب منا ؟!...

عادل : تهرب منا يا أبى لأننا لسنا من رأيك؟!...

علوية : كلنا يا بابا نخالفك فى الرأى... لن تجد أحداً من الناس يوافقك فى هذا... أو يتابعك...

صالح بك : « يخرج من أحد الأبواب ويغلقه فى وجوههم وهو يصيح بقوة:» سأصمد وحدى... سأصمد... سأصمد!...

ستار

٢٠ ٢٠ – من وحي المجتمع والعلم الحديث

لو عرف الشباب

قصة تمثيلية في أربعة فصول

الفصل الأول

حجرة مكتب فى منزل صديق باشا رفقى ـ باب صغير مفتوح يؤدى إلى حجرة نوم الباشا ، وباب آخر كبير يؤدى إلى البهو ، ومنه تظهر سيدة محترمة فى نحو الستين هى زوجة الباشا ، وخلفها الدكتور طلعت يحمل حقيبته الصغيرة . . .

الزوجة : تفضل يادكتور ! .

الدكتور: الباشا نائم ؟ ..

الزوجة : « تتجه إلى باب حجرة النوم وتلقى نظرة » طبعاً لا .. انه بالتأكيد الآن فى الحمام ... منذ ساعة على الأقل ... أتستطيع الانتظار ؟ ..

الدكتور: « ينظر فى ساعته » سأنتظر . لم يحن بعد موعد القاء محاضرتى فى الكلية. ولا بد من إعطائه حقنة « الانجيوكسيل » .

الزوجة : ضد الذبحة الصدرية ..

الدكتور: نعم .. حتى لا تعود إليه الأزمة على نحو خطر ... فى مثل سنه ينبغى اتخاذ منتهى الحيطة .. لكن ماذا هو يصنع فى الحمام منذ ساعة ؟ .

الزوجة : الخضاب .. اليوم موعد صبغ شاربه بالصبغة التى يزعم انها مضمونة .. وهى لا تضمن إلا لمدة أسبوع .. الآن ستراه خارجا إليك برأس أبيض فى لون الكتان ، وشارب أسود فى لون الفحم ! ..

تظهر فتاة فى نحو العشرين هى نبيلة ابنة الباشا وهى تصيح بأمها . . . .

نبيلة : ماما . . . الخياطة حضرت بالفساتين . . « تلتفت إلى الدكتور » بونجور

يا دكتور طلعت ! ...

الدكتور : بونجور يا آنسة نبيله .. متى نهنىء ؟ ..

نبيلة : تهنىء بماذا ؟ .

الدكتور : بالقران السعيد ...

نبيلة : القران السعيد ؟.. بالنسبة إلى من ؟.. لست أراه سعيداً على الإطلاق

الزوجة : لا تقولى ذلك يا نبيلة .. خطيبك مدحت من خيرة الشباب..وقد قبل أخيراً فى بعثة وزارة الأشغال..وسيسافر بك إلى انجلترا بعد إتمام العقد.

نبيلة : لست أقصد مدحت ولا غيره .. إنما أقصد الزواج على وجه العموم.. والدكتور طلعت خير من يعرف ...

الدكتور : أعرف ماذا ؟..

نبيلة : الحياة الزوجية..هل أنت سعيد فى زواجك؟..

الدكتور : طبعاً..

نبيلة : «باسمة» تكلم بحرية..لطفية ليست معنا الآن..

الدكتور : إنى أتكلم بكل حرية وصراحة.. حياتى الزوجية ليس فيها ما يتعارض مع السعادة..

نبيلة : أهذا أيضاً رأى لطفية ؟...

الدكتور : أهى قالت لك شيئاً ؟ . .

نبيلة : لم تقل شيئاً خطيراً..ولكنها مع ذلك تشكو لى دائماً من عملك وبحوثك ومعملك وأرانبك .. إنك تذكر كل شىء وتنسى أن لك زوجة لم تبلغ الثلاثين..بل إنك تنسى أحياناً كثيرة أنك أنت نفسك لم تجاوز الخامسة والثلاثين ، فيتخذ وجهك فى البيت لون الجد الصارم ، فلا ضحكة . .

ولا فرحة.. بل نظرة لاهية مفكرة إلى الفضاء من خلف منظارك.. كأنك مكلف أن تقلب الكون . . أو أن تحمل على كاهلك كل ما فى الدنيا من علم وطب ..

الدكتور : أهى قالت لك إنها غير سعيدة ؟!.

الزوجة : لم تقل لها شيئاً يادكتور .. صدقنى أنا .. إنى أعرف بنتى.. إنها هى التى تتوهم الزوج بهذه الصورة..دعك من هذا الكلام يا نبيلة .. واذهبى إلى أبيك وأخبريه أن الدكتور موجود ..

نبيلة : «تتجه إلى حجرة النوم» أليس فى حجرته ؟..

الزوجة : فى الحمام ...

نبيلة : «تدخل الحجرة وتطرق باب الحمام الذى فى داخلها » بابا ... بابا ... الدكتور طلعت حضر ...

صوت : « عميق من الداخل » لحظة واحدة ...

نبيلة : « تظهر خارجة من حجرة النوم » سيخرج حالا ...

الزوجة : «لابنتها» هيا بنا نحن إلى الخياطة ... تسمح لنا يا دكتور ...

تخرج الزوجة والابنة .. ويبقى الدكتور فيفتح الحقيبة الصغيرة ، ويضعها فوق المكتب، ويخرج منها الحقنة ويأخذ فى التأهب لعمله.. وعندئذ يسمع فتح باب الحمام الداخلى .. ثم لا يلبث الباشا أن يظهر بشعره الأبيض .. دون أثر لصبغة أو خضاب ...

الباشا : أهلا وسهلا بالدكتور طلعت !.. انت هنا منذ وقت طويل ؟ ..

الدكتور : «وهو يحدق فيه» لا ...

الباشا : لماذا تنظر إلى هكذا؟...

الدكتور : الباشا لم يصبغ ...

الباشا : اصبغ ؟ ... من قال لك ذلك ؟... الست ! ... هى التى تراقبنى هذه المراقبة العسيرة ! ...لا... كنت احلق ذقنى ...فقط ...أما الخضاب فلعنة الله عليه ... لم يعد يأتى بنتيجة ... مامن شىء يا ابنى يستطيع أن يخفى أثر الثمانين ... انى بالطبع لم أبلغ الثمانين بعد ...

الدكتور : المهم الصحة ياباشا أرجو أن تكون الحقن قد أفادت ...

الباشا : أفادت أو لم تفد ... وهل يصلح الدكتور ما أفسد الدهر ؟ ! ... « يرتمى فى مقعد متهالكا » .

الدكتور : « وهو يفتح قارورة الحقنة » من يدرى ياباشا ؟ ... ربما أصبح ذلك فى الإمكان غداً ... ان العلم فى تقدم مستمر ...

الباشا : عندما يستطيع العلم أن يرد إلى مثلى بعض الشباب ، أوصه من فضلك أن يأتى ليقابلنى ...

الدكتور : لاتسخر من العلم ياباشا ..إنه قد يقبل التحدى ويأتى بالفعل ليقابلك!..

الباشا : متى ؟... متى ؟...

الدكتور : أسرع مما تتصور...

الباشا : جائز ... كل شىء جائز فى هذا العصر الذى نعيش فيه ولكن الذى لاشك فيه هو أنه يوم يأتى أكون أنا قد ذهبت ...

الدكتور : أغلب ظنى أنك لن تكون قد ذهبت ... بل تكون فى انتظاره ...

الباشا : فى انتظاره ؟!... من يسمع كلامك يعتقد انه الآن يقترب من عتبة الباب ... وانه بعد قليل يقرع الجرس ...

الدكتور : ماذا تفعل لو حدث ذلك ؟...

الباشا : حدث ماذا ؟ ...

الدكتور : حدث ان عاد إليك شبابك...

الباشا : ماهذا السؤال...

الدكتور : أيهمك حقا ياباشا أن يعود إليك شبابك اليوم ؟!...

الباشا : يهمنى ! .. يهمنى فقط !... إنك تلقى السؤال بكل بساطة كما لو كنت تقول : « أيهمك أن تقرأ صحف الأمس » . ولكنك معذور ياابنى .. معذور ... صدق من قال : آه لو عرف الشباب ...

الدكتور : عرف ماذا ...

الباشا : عرف أهمية مايملك ... يوم كنت فى مثل سنك . كنت انفق شبابى بغير حساب ... كأنما هو شيء لايمكن أن ينفد أو ينقص أو يزول ... وا أسفاه ...

الدكتور : إنك على كل حال أنفقته ياباشا فى خير ماينفق فيه ... انفقته فى العمل وفى الحب وفى المتعة وفى الخدمة العامة . كلنا يعرف تاريخ شبابك ... كنت وزيرا ولم تبلغ الأربعين ... وكنت معبود النساء ، على الرغم مما كانت فيه نساء مصر يومئذ من حجاب ... لم يزل جيلنا الحديث يذكر قصة ذلك الحب العجيب بينك وبين بنت أحد زملائك ... ذلك الحب الذى انقلب مأساة يوم كشف زوجها الأمر ... فلم تجد هى بدا من الانتحار ... ولم تجد انت بدا من السير فى جنازتها إلى جانب أبيها ... والناس من حولك يهمسون : يالها من جرأة ...

الباشا : اسكت يا ابنى ... اسكت يا طلعت ... لاتذكرنى . لاتذكرنى . حقاً .. كانت جرأة ! لكنه الشباب ..

الدكتور : « ناظراً إليه بعجب » لكأنك تنطق كلمة سحرية!... أنا شخصياً لست أجد لها سحراً... صدقني يا باشا ... لو خيرت فى أن أعود عشرة أعوام إلى الوراء لما رضيت... بل إنى أحياناً أتمنى فى سوالفى متعجلا بضع شعرات بيضاء... تكسبنى على الأقل وقار العلماء ... وتجعلهم فى بلادنا يصغون إلى رأيى... ويصدقون بعض ما أقول ...

الباشا : « يتأمل شعر الدكتور الفاحم » بضع شعرات بيضاء !...

الدكتور : إنى فى نظرك مغفل !!...

الباشا : آه ... لو كان فى المقدور أن أعطيك مما عندى ... وأن تعطينى مما عندك !...

الدكتور : « باندفاع كالمخاطب نفسه » ربما كان فى مقدورى أنا أن أعطيك مما عندى ...

الباشا : ماذا تقول؟...

الدكتور : « يتنبه » لا ... لا شيء ... هلم بنا يا باشا ... لقد أضعت وقتك فى حديث فارغ ... إلى الحقنة ... إلى الحقنة ...

الباشا : قلت الآن إن فى مقدورك أن تعطينى... ماذا ؟ ...

الدكتور : الحقنة ... أقصد هذه الحقنة ...

الباشا : لا ... لا ... لم يكن هذا قصدك ... إنى شيخ عرك الدهر ... استشف من نبرات صوتك ... وأفهم ما بطن من عبارتك... صارحنى يا طلعت ماذا كنت تريد أن تقول ؟ ...

الدكتور : أتظن يا باشا أن فى استطاعتى أن أعطيك شيئاً أكثر من حقنة « الانجيوكسيل » ؟...

الباشا : «فى يأس» أف.. صدقت... قاتل الله الوهم!... هلم بنا...

الدكتور : « ناظرا إليه طويلا فى شفقة » لا تيأس يا باشا... هناك أمل على كل حال... تشجع واملأ قلبك بالأمل ...

الباشا : الأمل ؟ !... فى ماذا ؟...

الدكتور : فى ... فى أن يكشف العلم قريباً عن عقار من العقاقير أو كما يقولون ، عن أكسير يجدد الخلايا ، ويرجع المسن بضع سنوات إلى الوراء ... إنى كما تعلم يا باشا مختص فى البيولوجيا... واقضى أغلب وقتى فى بحوث تتصل بهذه المسائل... فمن يدرى ... من يدرى...

الباشا : أذكر إنك قلت لى عرضا ذات مرة انك فى بعثتك الأخيرة إلى أمريكا أجريت بحوثاً خطيرة بمشاركة أستاذك فى جامعة ... جامعة ...

الدكتور : روشستر...

الباشا : نعم... ولكنك ما أخبرتنى قط عن طبيعة هذه البحوث ولا الغرض منها... وكلما سألتك راوغت...

الدكتور : لم أراوغ... ولكنى تجنبت الخوض فى بحوث لم أكن فى حل من الحديث فيها . . فقد كنا اتفقنا أنا وأستاذى الأمريكى على كتمان هذه الأبحاث... وهو على قيد الحياة ...

الباشا : أهو قدمات ؟...

الدكتور : منذ شهر واحد... بإشعاعات الذرة ، فى أغلب ظنى ، فقد كان كثير الاتصال بها ... مات مع الأسف فى اليوم الذى كنت موشكا فيه أن أبلغه نجاح تجربة عجيبة ، كان سيسر لها أيما سرور! ...

الباشا : لا أريد أن استفسرك ولا أن استدرجك... احفظ سر عملك... ولكن إذا بدا لك أن تطلعنى على أمر فثق انى كتوم كالقبر...

الدكتور : انك تعرف ياباشا مبلغ احترامى لك وتقديرى لشخصك ...وليس عندى الآن ما يمنع من أن أفضى إليك ببعض عملى ... وان أرى رأيك فيما انتويته من تصرف... ابحاثنا أنا والاستاذ الأمريكى تقوم على فكرة بسيطة ... هى أن تركيبنا الآدمى ما دام قائما على خلايا حية،فهو لا يمكن أن يستهلك كما تستهلك السيارة مثلا ... بل يتجدد كلما أمكن تجديد الخلايا... ولكن كيف يمكن تجديدها ؟ ... هنا استطعنا بفضل الاكتشافات الحديثة التى أجريت على الذرة ... وبفضل دراسة الاشعاعات الكونية وخواصها أن نكشف عن سر تجديد الخلايا مهما يصبها من هرم ... لكن بقى الأمر الأصعب وهو كيف نستطيع عملياً أن نباشر هذا التجديد ؟ ... هذا هو الجانب الذى اضطلعت به وحدى ...واستطعت أخيراً أن اتوصل بطريق الحقن البسيط بمادة معينة أن أعيد الشباب إلى أرنب عتيق ...

الباشا : أعدت اليه شبابه ؟ ...

الدكتور : فى أقل من دقيقة ... نعم .. بعد أن تم حقنه بتلك المادة ، ظهرت على جسمه الهرم تحولات سريعة ... لم تصدقها عينى ... فاذا هو أرنب شاب فتى ... لا فرق بينه على الاطلاق وبين غيره من الأرانب صغيرة السن

الباشا : ياللعجب ! ...

الدكتور : « يخرج زجاجة متوسطة الحجم من حقيبته الصغيرة » هذه هى المادة العجيبة... ولقد أجريت هذه التجربة نفسها على عدد كبير من الأرانب الهرمة فكانت النتيجة واحدة ... كلها عادت إلى الشباب. .ولم أكتف بذلك ... بل طلبت أن تذبح وتطبخ إلى جانب أرانب صغيرة السن .. وأكلت من هذه

ومن تلك ... فلم أجد فرقا على الاطلاق ...وصرت اكرر هذا الطعام، حتى سئمت منه زجـــتى ... وجعلت اسأل الطباخ عن الوقت الذى يستغرقه انضاج هذه الأرانب ... فكان جوابه أنها كلها تستغرق عين الوقت ... فهى عنده كلها إذن صغيرة السن ...

الباشا : « يطيل النظر إلى الزجاجة كالحالم » أمر مدهش ... مدهش ...

الدكتور : من غير شك ... إنها نتيجة لم أكن أتوقعها بهذه السرعة ... لقدحالفنى حسن الحظ ! ... هذا كل ما أستطيع تعليله ...

الباشا : «مادا يده» هذه الزجاجة؟!...

الدكتور : نعم ...

الباشا : وهذه التجربة ؟ ... هذه التجربة ...

الدكتور : ماذا ؟ ...

الباشا : ألم ... تعلنها ؟...

الدكتور : أعلنها ؟ ...أنا مجنون ؟ ! انى لم أخبر أحداً بأمرها إلا أنت الآن ... أنسيت ياباشا أننافى مصر ؟ ! لماذا أخلق لنفسى أعـــداء وخصوماً وحساداً فى طرفة عين ؟ ! أيستطيع رجل نافع أن يظهر فى بلادنا ، دون أن تتألب عليه الحشرات السامة ، وتتحالف على مجهوده العناصر التافهة بكل مالديها من وسائل وأساليب وقوى ... مجتمعنا الحاضر للأسف لاتعيش فيه غير الوصولية والتهريج والدجل ... وأنا رجل كل ما أحتاج اليه فى بحوثى هوأن أختفى خلف العمل ... فإذاوصلت الى شىء فيجب أن أحيطه بسياج الكتمان ..إلا عن أهل العلم المختصين، لنتشاور فى نتائجه ... كل ما عولت عليه الآن هو السفر فى إجازة

الصيف إلى أمريكا لأعرض هذه التجارب على زميل آخر لى فى جامعة روشستر ، من المشتغلين بمسألة تجديد الخلايا ...

الباشا : هذه الزجاجة ... أرنى عن قرب ... هذه الزجاجة ... « يخرج منظاره ويضعه على عينيه »...

الدكتور : « يدنيها من نظر الباشا » سائل لا لون له ...

الباشا : « كالحالم » نعم ... ولكنه يلون الحياة بأزهى الألوان ...

الدكتور : هذا صحيح ...

الباشا : « بصوت متهدج » ألم تحاول أن تجرى التجربة على ... على ... على...

الدكتور : على ما ذا ؟ ...

الباشا : على شخص آدمى ...

الدكتور : شخص آدمى ؟!..لا ... لا بالطبع..

الباشا : ولم لا ؟ ...

الدكتور : ليس من حقى أن أفعل ذلك...ليس من حقى أن ألعب بحياة بشرية ... وأعرضها لضرر محتمل الوقوع ...

الباشا : ولماذا لا تفكر فى الاحتمال الآخر ... أليس من الجائز أن تنجح التجربة ... فتسدى بذلك إلى إنسان ... إنسان قريب من الفناء ... أعظم خير يمكن أن يعطى لبشر ؟ ! ...

الدكتور : هذا محتمل أيضاً . . . ولكن يكفى مجرد شبهة . . . أو شك بسيط فى النجاح ، لاضن بأى حياة آدمية ... هذا واجبى ...

الباشا : وإذا توسلت إليك أنا أن تجرى هذه التجربة ؟ ...

الدكتور : على من ؟ ...

الباشا : على شخصى...

الدكتور : شخصك انت ... انت يا باشا ؟ ... مستحيل ...

الباشا : ما الذى تخشاه ؟ .. تخشى أن تخفق التجربة .. وأن تقضى على حياتى .. هذه الحياة التى لم يبق منها غير ثمالتها ... خير لى أن تقضى على حياتى التجربة من أن تقضى على حياتى الذبحة الصدرية ...

الدكتور : لا...لا...هذه جريمة ... لا تطلب منى يا باشا أن أرتكب جريمة ...

الباشا : انى أطلب منك أن ترجعنى بضع سنوات إلى الوراء...إنى أطلب منك أن تعطينى بعض ما أعطيته للأرانب ! ... اتقبل أن ترد الشباب إلى أرنب ... وترفض أن ترد الشباب إلى صديق باشا رفقى ! ...

الدكتور : مستحيل يا باشا..مستحيل..هذه مسئولية خطيرة...هذا عمل خطير... لا أستطيع أن أحدث مثل هـذه التجربة فى شخصية كبيرة مثلك ... لا تزال البلاد تنتفع بخدماتها ...

الباشا : خدماتى ؟ ! . . أفى مقدور هـذه الصحة المهدمة أن تؤدى إلى البلاد خدمات ! ـ حتى مجلس الشيوخ الذى أتشرف بعضويته لم أعد أقوى على حضور جلساته بانتظام...لا يادكتور!...اطرح عنك هذا التردد والجبن...واقدم على هذه التجربة...إذا أردت أن تجعل منى حقاً أداة صالحة نافعة...وأن تخطو باكتشافك خطوة حاسمة باهرة ...

الدكتور : « مفكرا » خطوة حاسمة باهرة ! ... حقاً انها لتجربة علمية من الطراز الأول ... ولكن... ولكن...

الباشا : لا تقل لكن .. أقدم .. أقدم..انتهز الفرصة..كن جريئا يا ابنى..أشيخ متهدم مثلى يعلمك الجرأة؟.هلم بنا.. املأ حقنتك من هذه الزجاجة..واتبعنى..

«ينهض ويشير إلى حجرة نومه» سأخلع سترتى وانتظارك فى حجرتى.

الدكتور: «كالمخاطب نفسه» لا .. لا .. لا .. هذا شىء خطير .. خطير ..

الباشا : ما بالك جمدت كالتمثال ... أقدم على هذه التجربة يا طلعت ... قد تأتى بمعجزة .. لم يكن ليحلم بها إنسان ..

الدكتور: حقاً .. إذا نجحت .. ولكن ..

الباشا : لا تفكر فى شىء إلا فى النجاح ...

الدكتور: قد لا يقوى قلبك على صدمة التحولات المفاجئة .

الباشا : ولماذا لا تتوقع عكس ذلك ... فترى السائل العجيب قد جدد خلايا القلب فيما جدد ، فلم يفاجأ بأى صدمة ؟ ! .

الدكتور: «حائراً» محتمل ... كل شىء محتمل ... ولكن هذا لا يبيح لى ...

الباشا : أنا الذى يبيح لك ... بل يطلب إليك ... بل يأمرك ... إنها ليست حياتك أنت .. إنها حياتى أنا .. وأنا حر التصرف فيها كيفما أشاء .. إنى أعرف أن نهايتى قد دنت .. وقد رتبت أمورى على هذا الأساس وكتبت لابنتى وزوجتى ممتلكاتى ، حتى لا يؤول منها شىء إلى أخوتى العديدين ! وأكثرهم يتمنون موتى منذ زمن طويل ... وصلتى تكاد تكون مقطوعة بالكثيرين منهم .. ففيم خوفك إذن وترددك ؟ .. إذا لم تنجح التجربة فسيقال «مات بالذبحة الصدرية كما هو متوقع» وإذا نجحت فهو انتصار لك وللبشرية ، سيخلده لك التاريخ ..

الدكتور: «كالمخاطب نفسه» انتصار ! .. وأى انتصار ..

الباشا : نعم ... أقدم ياطلعت ... ليس فى اقدامك أى ضرر لى أو لك .. إنها كما قلت لك فرصة .. انتهزها .. لن تظفر بمثلها كل يوم ..

الدكتور: فرصة ... نعم فرصة لن تعوض ... أعرف ذلك ...

الباشا : « يجذبه من يده » هلم بنا إذن ...

الدكتور: ضميرى يا باشا... ضميرى ...

الباشا : ضميرك ؟ .. ما هو هذا الضمير ؟ ... أأنت من أولئك الذين يصغون إلى كلام هذا الثرثار ؟ ! .. صوت هـدفك يجب أن يعلو على صوت ضميرك .. هيا بنا .... لا تضع وقتك فى الترهات ... احمل حقيبتك وزجاجتك ...واتبعنى...

الدكتور: « يحمل حقيبته وزجاجته » اللهم عونك !...

الباشا : نعم ... استعن بالله ... وتشجع ...

الدكتور: ألا تراجع نفسك يا باشا قليلا ...

الباشا : أنا ؟ ... أتظننى أجبن فى اللحظة الأخيرة ... انك لا تعرفنى إذن ؟ ...

الدكتور: كل الناس تعرف يا باشا أنك دائماً رجل شجاع ...

الباشا : إلى الأمام إذن .. إلى القبر .. أو إلى الحياة ...

يمسك بيد الدكتور ويقوده إلى حجرة النوم . . ويغلق الباب الصغير خلفهما . . وتمضى لحظة ولحظة والمسرح فارغ غارق فى صمت إلا من صوت موسيقى خفية شجية كأنها منبعثة من عالم آخر . وأخيراً . يفتح الباب المغلق ويظهر الدكتور وحده خارجا يتصبب جبينه بالعرق وهو يمسح وجهه بمنديله ويرتمى فى مقعد متهالكا غائب اللب . . .

الدكتور: « مخاطباً نفسه » إلهى ... ماذا فعلت ؟ ! ... ماذا فعلت ! (يضع رأسه فى كفيه لحظة ... ثم يعود فيرفع رأسه وينهض فجأة وينظر فى ساعته

ثم يقترب من باب حجرة النوم ، ويلقى نظرة .. ثم ينادى ، باشا ...
يا باشا ... لا يجيب .. مات الرجل .. « يعود فيرتمى فى المقعد من جديد يائساً » كيف أطيع هذا الشيخ .. وأفعل هـذه الفعلة ... لن يفيق من إغمائه ... لن ينجو .. إنى قاتل ... لقد قتلته ...

يعض أنامله ... ثم يفرك كفيه بحالة عصبية ... ثم يضم رأسه بين يديه ويخفى وجهه ... وعندئذ يسمع فجأة حركة داخل حجرة النوم فيرفع رأسه بسرعة

الدكتور : « بأمل » باشا ... أفقت ؟ ... باشا ...

عندئذ يظهر الباشا على عتبة باب حجرته كالمترنح يفرك عينيه كالمستيقظ من نوم عميق ... ولكنه ليس الباشا الذى ذهب منذ قليل ... بل شاب فى نحو الخامسة والعشرين أسود الشعر ، وسيم الهيئة ، جميل المحيا ...

الباشا : « يتثاءب » يخيل إلى أنى نمت دهراً ! ...

الدكتور : « ينظر إلى الباشا الشاب ويصيح مذهولا » ياقوة الله ! ...

الباشا : ماذا ؟ ... ماذا فى شكلى يدهشك ؟ ! ...

الدكتور : مستحيل !... مستحيل !... أيمكن أن يحدث هذا ؟!... إنى واهم... إنى مجنون ... إنى أحلم ...

الباشا : تحلم؟!...

الدكتور : مؤكد... هو حلم... لايمكن أن يكون ما أرى الآن حقيقة... لا يمكن أن تكون أنت الباشا .. «بقوة» من حضرتك ؟ . . .

الباشا : من حضرتى .. ماذا جرى لعقلك يا دكتور طلعت ؟ . . لا تعرفنى ؟..

الدكتور : وحضرتك تعرفنى ؟ ...

الباشا : ما هذا الكلام ؟ ... كيف لا أعرفك يا طلعت ، وقد دخلنا معاً منذ قليل هذه الحجرة وأعطيتنى الحقنة المدهشة... ها أنذا أمامك حى ... فى صحة لم أعرفها فى جسمى منذ أمد طويل ...

الدكتور : « وهو يحملق فيه » شيء عجيب ! ...

الباشا : طبعاً شيء فى منتهى العجب ... ماذا وضعت فى شراييني يا دكتور ... أحس دمى يجرى حارا كالنار أو كالخمر ...

الدكتور : « محملقاً فيه مشدوها » وبماذا تشعر أيضاً ؟ ...

الباشا : بنشاط . . . « يحرك عضلاته » نشاط يهد الجبال . . . بى رغبة فى أن أقفز إلى الحديقة من هذه النافذة ... وأن أجرى فى الطرقات ... وأن أتسلق عربات الترام والاوتوبيسات ! ...

الدكتور : مؤكد ... لأنك فى الخامسة والعشرين ... إنك يا باشا فى الخامسة والعشرين من العمر ! ...

الباشا : وأنت الذى كنت تتردد فى إعطائى الحقنة . . . آمنت الآن أنى أنا الذى كنت على حق ... صدق من قال : ما فاز باللذة غير الجسور ... على ذكر اللذة يا دكتور .. إنى جائع .. أريد أن آكل ضلع خروف بمفردى . . . ألا ترى أنى أستطيع أن آكل ذلك ؟ ... أما الحلو فطبق كنافة باللوز والصنوبر . . وطبق عيش سراية بالقشدة ...

الدكتور : « وهو لم يزل مذهولا » طبعاً تأكل ذلك . . . أنت فى الخامسة والعشرين ... أنت فى ربيع الحياة .. إنى غير مصدق لما أرى . هذه إذن

المعجزة ... هذا اكتشاف سيقلب الكون ... إنى سأجن ...

الباشا : هدىء روعك ياطلعت .. إنك قد انتصرت.. بدون شك...واكتشافك هذا يستطيع أن يجعلك من أصحاب الملايين..

الدكتور : لاتهمنى الآن الملايين ... يهمنى عقلى ... أهذا ممكن أن يحدث ...

الباشا : لقد حدث ... ويسعدنى أن أكون أول من يهنئك يا طلعت يا ابنى ...

الدكتور : ابنك ؟ ! أنا ابنك ؟..

الباشا : طبعاً ... فى كل وقت أنا اعتبرك مثل ابنى...

الدكتور : « يمسك يد الباشا » تعال ... اين المرآة ؟... انك لم تبصر بعد وجهك ولا منظرك... «يقوده إلى مرآة كبير فوق المدفأة » انظر.. تأمل نفسك جيداً ...

الباشا : «يجفل مأخوذاً» ياقوة الله ...

الدكتور : أرأيت ؟... ليست المسألة مجرد صحة ودم حار ونشاط... ولكن الشكل نفسه . إنك شخص آخر... انك لم تعد الباشا ... انك لست أكثر من طالب فى السنة النهائية بالجامعة .. أوعلى أكثر تقدير شاب تخرج حديثاً بعد أن نال البكالوريوس ...

الباشا : «يتأمل نفسه مشدوها» البكالوريوس .

« يسمع فى الخارج صوت نبيلة ابنة الباشا تصيح .. »

نبيلة : « من الخارج منادية » بابا ... بابا ...

الباشا : «يفيق ويفطن للموقف » بنتى ! ..

الدكتور : نعم ... يا للمشكلة ...

الباشا : « بسرعة حائراً » والعمل ...

نبيلة : « تدخل بثوب جديد » بابا .. ما رأيك فى فستانى الجديد ؟ ... « تنظر فى المكان باحثة » أين بابا ؟ ... أين الباشا يادكتور طلعت ؟ ...

الدكتور: « حائراً » الباشا ...

نبيلة : « تتجه إلى حجرة النوم » فى حجرته ... لا ... ليس فى حجرته ... فى الحمام إذن .. «تذهب داخل الحجرة متجهة إلى الحمام صائحة» بابا.. بابا؟..

الباشا : « ناظراً إلى الدكتور هامساً » والعمل الآن ؟ ! ...

الدكتور: « يلمح نبيلة عائدة فيهمس ويشير للباشا يائساً » هس ! ...

نبيلة : « تظهر » بابا ليس فى الحمام... « تلتفت إلى الباشا » من حضرته ؟...

الدكتور: « فى حيرة » حضرته... حضرته ...

نبيلة : أحد تلاميذك !...

الدكتور: تقريباً ...

نبيلة : عرفت ذلك من هيئته.. شاب خجول ...

الباشا : « فى حيرة » أنا ...

نبيلة : « مازحة » لا تقل شيئاً ... طلبة الطب لا يعرفون أن يتكلموا إلا فى التشريح والبنج والمكروسكوب...

الباشا : أنا لست طالب طب...

نبيلة : طالب ماذا إذن ؟ ...

الباشا : حقوق ...

نبيلة : هذا أحسن بكثير...على الأقل عندى ... لأن فكرتى عن الأطباء انهم من أردأ الأزواج ... أليس كذلك يادكتور طلعت ! ...

الدكتور: « شارد اللب » افندم ؟ !.

نبيلة : أرأيت ؟... سابح فى أبحاثك ؟... معذوره لطفية معك !... «تلتفت إلى الباشا » إياك أن تقلده أنت فى هذا ... إذا أردت أن تتزوج يوماً فتاة تسعدك وتسعد بك !...

الباشا : « كالمخاطب نفسه » أتزوج فتاة ؟!...

نبيلة : ليس الآن بالطبع.. إنك لم تزل صغير السن...صغير المركز الاجتماعى.. هل التحقت بعمل ؟!...

الباشا : «ينظر إلى الدكتور حائراً » عمل ؟... أنا ...

نبيلة : لا تخجل . . . إذا كنت تريد أن تشق طريقك فى الحياة فاطرح عنك الحياء ... إن صدقت فراستى فأنت جئت الآن تطلب وساطة الباشا ليعينك فى إحدى الوظائف ... أليس كذلك ؟ ...

الباشا : « مستسلماً » أمرك ...

نبيلة : الدكتور طبعاً هو القائم بأمر تقديمك إلى بابا ...

الباشا : « فى تردد وارتباك » . .

نبيلة : هذه أول مرة تقابل فيها بابا ؟!...

الباشا : «مرتبكا» أظن ... أقصد ...

نبيلة : «وهى تتحرك للانصراف» أنصحك أن تكون مع أبى أكثر صراحة .. لأنه يحب دائماً الرجل الشجاع الفصيح الصريح . . .

« الباشا والدكتور يتبادلان النظرات الحائرة . . . ولا يدريان ماذا يقولان ولا ماذا يفعلان . . . »

نبيلة : « تعود ملتفتة إليهما » لم تخبرانى .. أين أبى ؟ !.. هل رأيتماه ؟ ... هل رأيته يادكتور ؟...

الدكتور : طبعاً .. طبعاً ..

نبيلة : «تبحث فى المكان بعينها» وأين ذهب ؟...

الدكتور : ذهب.. ذهب.. أعنى خرج ...

نبيلة : «بدهشة» خرج من المنزل ؟..

الدكتور : نعم .. خرج .. « يلتفت إلى الباشا » أليس كذلك ؟ ..

الباشا : « موافقاً » معقول .. أقصد .. مضبوط ...

نبيلة : هذا عجيب.. يخرج هكذا بدون أن يخبرنا ..أهناك سبب مفاجىء دعاه إلى الخروج على هذه الصورة ؟!..

الدكتور : طبيعى ...

نبيلة : ولماذا ترككما هنا وذهب ؟...

الدكتور : «فى ارتباك» آه .. حقاً..تركنا هنا ...

الباشا : «بسرعة» قال لنا أن ننتظره هنا...

نبيلة : سيعود إذن بعد قليل .. ربما استدعاه أحد بالتليفون لأمر هام ..

الدكتور : «يشير إلى التليفون فوق المكتب » نعم ... نعم ... التليفون ..

الباشا : كاوب محمد على...

نبيلة : فهمت الآن . هذا ممكن .. خرج يا دكتور قبل أن تعطيه الحقنة ؟..

الدكتور : الحقنة ؟.. أى حقنة ؟ .. آه ..نعم .. أعنى .. لا .. إنى فى انتظاره ..

نبيلة : أنا أيضاً سأظل بهذا الثوب فى انتظاره..إنى دائماً أعلق أهمية كبرى على ذوقه ... بابا له رأى لا يمكن أن يخطىء فى كل ما يتعلق بالنساء ... وأثوابهن وزينتهن ..هذا بالطبع شيء لا يمكن أن يهمك أنت يا دكتور ؟!.

الدكتور : مع الأسف...

نبيلة : «للباشا» وانت أيها الشاب الخجول... أيهمك ذلك؟..

الباشا : كثيراً...

نبيلة : أتستطيع أن تحكم بذوق سليم على أزياء السيدات؟...

الباشا : أرجو أن أستطيع ذلك ؟...

نبيلة : ما قولك إذن فى ثوبى هذا ؟ ...

الباشا : «يتأمل ثوبها» ثوبك هذا ؟...

نبيلة : نعم ما رأيك فيه ؟ ...

الباشا : « ناسياً نفسه » جميل جداً يا نبيلة . . . ولكن الحزام كنت أفضله من الجلد « الشاموا » ! ...

نبيلة : «مأخوذة» نبيلة !... من أين عرفت إسمى ؟!...

الباشا : « مرتبكا متداركا » آه .. حقا... أعرف... كلنا نعرف ان الباشا... صديق باشا رفقى له بنت تدعى نبيلة ...

نبيلة : لابد أن تكون قرأت ذلك فى أخبار المجتمع ...

الباشا : معذرة إذا كنت قد تجرأت...

نبيلة : لاداعى مطلقا إلى الاعتذار . . . إنه ليسرنى أن تخرج عن خجلك ... وأن تبدى رأيك بصراحة . . . « تتأمل ثوبها » العجيب : ان مثل هذا الفستان فعلا يكون أجمل بحزام من الشاموا ... من علمك هذا الذوق فى مثل سنك ... إنك حديث عهد بالخروج من الجامعة ... أين ومتى لاحظت أزياء السيدات؟!...

الباشا : أنا فى نظرك صغير إلى هذا الحد؟!...

نبيلة : فى العمر بالطبع... لا فى الذكاء ... إنى لم أرك إلا الآن ... ولا أحكم

عليك إلا من ظاهرك ... هـــذا الظاهر الحيي الهادىء قد يخفى شيئاً آخر ...

الباشا : شيئاً آخر ... مثل ماذا ؟...

نبيلة : أنت أدرى بحياتك... لا بدانك عرفت كثيراً من الفتيات فى الجامعة... وفى غيرها ... إن الشاب الهادىء المظهر كثيراً ما يخفى خلف هدوئه أو حياته قلبا ملتهبا وعاطفة متأججة ...

الباشا : أترين من مظهرى انى أحمل مثل هذا القلب...

نبيلة : أعتقد ...

الباشا : شيء عجيب ...

نبيلة : ما هو العجيب؟... أن أستطيع فهمك بهـــذه السرعة... ولم لا ؟ ... أتظننى غرة ساذجـة ؟ !... إنى سأبلغ العشرين بعد قليل ...

الباشا : نعم... سن متقدمـة جداً...

نبيلة : أتهزأ ؟... لاحـظ أنك فى نفس الوقت تهزأ من نفسك... إن الفرق بيننا ليس شاسعـا...إنك قد لا تـكبرنى بأكثر من أعوام قليله جـداً كم ؟ ... ثلاثة ؟... أربعة؟ ... خمسة ؟ ...

الباشا : «فى تهـكم خفى» على أكثر تقـدير!...

نبيلة : لا تدهش إذن لتفاهمنا السريـع!... نحن من جيل واحد! ...

الباشا : «يلتفت إلى الدكتور» سامع يادكـتور ؟ ...

نبيلة : دع الدكتور فى حاله ... إنه بعيد جداً عنا... ألا ترى كيف ينظر إلينا بدهشة وذهول...كأنما هـو يرقبنا من كوكب المريخ!...

الباشا : «كالمخاطب نفسه» معذور!...

نبيلة : خطيبي أيضامن هذا النوع ...

الباشا : « باندفاع » مدحت ! ...

نبيلة : « بدهشة » أتعرفه ؟ ...

الباشا : « مستدركا » من الصحف ... أخبار المجتمع ...

نبيلة : قد يكبرك ويكبرنى بسنوات قليلة هو الآخر ... ولكن لست أدرى لماذا يخيل إلى أنه من طبيعة أخرى لا تتفق مع مزاجى ! ...

الباشا : لا تقولى ذلك ... مدحت خطيبك من أنبغ الشبان ! ...

نبيلة : وما قيمة نبوغه عندى ! ... إذا كان بكل هذا النبوغ لا يستطيع أن يقول لى إن ثوبى جميل أو ان الذى ينقصه ليكون أنيقا فاتنا هو حزام من الشاموا ! ...

الدكتور : « ينهض » أظن أنى انتظرت الباشا أكثر مما ينبغى ! ...

الباشا : « بارتياع » ماذا تفعل ؟ ... أتذهب ؟ ...

الدكتور : طبعا ... لا أستطيع البقاء هنا إلى غير حد ...

الباشا : وأنا ؟ ! ...

الدكتور : أنت حر ...

الباشا : « فى حيرة » حر ...

نبيلة : بالطبع أنت حر ... دع الدكتور يذهب إلى عمله ... وابق أنت فى انتظار بابا ... إنى متكفلة بأن أقدمك إليه ... بهذه المناسبة ... ما اسمك ؟

الباشا : « ينظر الى الدكتور » اسمى ؟ ! ...

نبيلة : نعم اسمك ؟ ... أليس لك اسم ؟ ...

الباشا : اسمى ...

الدكتور : « بسرعة » لا تؤاخذينى يا آنسة نبيلة ... كان يجب أن أقدمه اليك ساعة

دخولك ... ولكنى ... ما حسبت أنه سيحظى منك بهذا الاهتمام ...

نبيلة : لا أحب المعرفة التى تأتى عن طريق التقديم ... حضرته فـــلان ، وحضرتها فلانه ... ما قيمة ذلك ؟ ! ... ولكن يحدث أحيانا أن تقابل شخصا ، لاتدرى من يكون ... فيخيل إليك أنك رأيته من قبل ، وأنك تعرفه منذ زمن طويل ...

الباشا : وهل أنا عندك من هذا النوع؟ ..

نبيلة : نعم ... منذ وقع نظرى عليك ، تولد عندى شعور انى رأيتك من قبل ... أين ؟ ... متى ؟ ... لست ادرى ... ولكنى واثقة أننا تقابلنا فى مكان ما ...

الباشا : أنا أيضاً على ثقة من ذلك ...

نبيلة : أنت أيضاً تذكر أنك رأيتنى من قبل ؟! ...

الباشا : بالتأكيد ...

نبيلة : أين ؟ ... فى الجامعة ؟ ... انتظر ... أنا أقول لك ... فى العام الماضى كنت أتتبع بعض المحاضرات فى القسم الفرنسى بكلية الآداب ... وكلية الحقوق فى مواجهتنا ... لعلنا تقابلنا فى حرم الجامعة ... عند النصب التذكارى مثلا ... إنك لم تكن تخرجت فى العام الماضى ... فى أى سنة تخرجت أنت ؟ ...

الباشا : « بلا وعى » أنا ... تخرجت فى سنة ١٨٩٨ ...

نبيلة : « فى دهشة ضاحكة » ١٨٩٨ ؟ ! ...

الباشا : « مستدركا » اقصد ١٩٤٨ ... نعم ١٩٤٨ طبعاً ...

نبيلة : طبعاً ... لا .. أظن انى رأيتك هناك إذن ... لأنى عام ١٩٤٨ كنت

لا أزال فى المير دى ديو ...

يسمع صوت زوجة الباشا تنادى من الخارج ابنتها ...

الزوجة : « تظهر وهى تنادى » نبيلة !... هل رأى أبوك الفستان؟ ...

نبيلة : لا ياماما ... بابا خرج...

الزوجة : متى ؟...بدون أن نراه؟...

نبيلة : يظهر أنه خرج أثناء وجودنا مع الخياطة فى حجرتى ... استدعى إلى كلوب محمد على بالتليفون ...

الزوجة : آه ... لاشك أن الأمر متعلق بالأزمة الوزارية الحاضرة ...

نبيلة : سيعود حالاً ياماما ... لأنه قال للدكتور طلعت أن ينتظر ...

الزوجة : « للدكتور » لم يأخذ الحقنة إذن يادكتور؟!...

الدكتور: لا ...

الزوجة : كان الواجب أن يأخذها قبل أن يذهب ... إنه يرهق نفسه كثيراً بنشاطه السياسى الذى لا يهدأ ... وبأحاديثه الصحفية التى لا تنقطع ... ألا تلاحظ معى يادكتور أن صحته متأخرة جداً فى هذه الأيام ؟...

الدكتور: اطمئنى ... لم يبق هناك أى محل للخوف على صحته !...

الزوجة : وقلبه؟...

الدكتور: قلب شاب فى الخامسة والعشرين ... ولم أعد أرى داعيا للاستمرار فى الحقن الآن « ينظر فى ساعته » أزف أوان عملى فى الكلية .. أتسمحون لى بالانصراف ؟...

الباشا : « فى أثره » وأنا طبعا ...

نبيلة : « للباشا » لماذا تتقيد أنت بالدكتور ... انه مرتبط بأعمال ومشاغل ...

الزوجة : من هذا الشاب يانبيله ؟...

نبيلة : شاب مهذب ياماما متخرج فى كلية الحقوق جاء ليوسط الدكتور طلعت عند الباشا ليعين فى إحدى الوظائف...

الزوجة : «للباشا» ابق يابنى حتى عودة الباشا، واعرض عليه مسألتك بنفسك...

نبيلة : قلت له ذلك ياماما ... ولكنه ، كما ترين ، شاب خجول ...

الزوجة : لاداعى للخجل يا ابنى ، الباشا لن يتأخر عن مساعدتك ... خصوصا وأمرك يهم الدكتور ... انك لاتعرف منزلة الدكتور طلعت عندنا !

الدكتور : أنا ...متشكر جداً ...

الزوجة : « تنظر إلى الباشا مليا » شكلك ليس غريبا على ... لكأنى أعرف هذه النظرات ...وهذا الصوت...وهذه الملامح هل رأيتك مع الدكتور قبل اليوم؟ ...

الباشا : من الجائز...الدكتور هو الآن ولى أمرى...أليس كذلك يادكتور!؟..

الدكتور : تقريباً ...

نبيلة : «للباشا» اسمح لى أن أحتج على ولى أمرك ... انه يعاملك كطفل ... لايريد أن يقدمك إلينا ... ولاأن يذكر لنا شيئاً عنك ... حتى ولا اسمك !... سألتك عن اسمك فلم تجب ... كيف يريدأن أناديك إذن ؟..

الباشا : اسمى ... ستدهشين إذاعرفت... وخفت أن تحسبي أنى أمزح... اسمى : صديق رفقى ...

نبيلة : مثل اسم بابا !...

الباشا : بالضبط ... هكذا سمانى المرحوم والدى...

نبيلة : لابد أنه كان من المعجبين ببابا ...

الباشا : جداً ...

الزوجة : والست والدتك أيضاً لابد أنها رأت صورة الباشا فى إحدى الصحف.. ساعة الوحم .. لأن فيك شيئا منه ..

الدكتور : من الجائز أن الباشا فى شبابه كان بهذا الشكل تماما ...

الزوجة : ليس تماما .. ولكن بالتقريب ..

نبيلة : الأمر الذى يشبه فيه بابا تماما هو ذوقه فى الأزياء .. تصورى يا ماما انه اقترح أن ألبس مع هذا الفستان حزاما من الشاموا ؟ ! ..

الزوجة : « تتأمل الثوب فاحصة » فى محله ..

نبيلة : « للباشا » أرأيت ... نظرك فى محله ... إنى أتنبأ لك بمستقبل باهر ... من يدرى ؟ .. قد تصل فيما بعد إلى مركز مثل مركز بابا ..

الباشا : أشكرك ! ..

نبيلة : وأنت يا ماما . . . ألا ترين له ما أرى ؟ ألا ترين أنه قد يصل يوما ما إلى الوزارة ؟ ! ..

الزوجه : «باسمة» انك يا نبيلة مشغولة منذ الآن بمستقبل هذا الشاب ! ؟ . .

(جرس التليفون على المكتب يدق
فيتحرك الباشا نحوه دون وعى ...)

الباشا : من ؟ .. « يتذكر نفسه ويتدارك ويقف فى موضعه» لا مؤاخذة ! ..

الزوجة : « تسرع إلى التليفون وتتناول السماعة » ألو .. ألو .. من يا أفندم !.. غير موجود ... أنا زوجته ... مطلوب ضرورى جداً ... لتأليف الوزارة الجديدة ! .. آه .. هو الآن فى كلوب محمد على .. « تضع السماعة وتلتفت إلى الحاضرين » الباشا سيؤلف الوزارة ! ..

الدكتور : « فى غير وعى ناظراً إلى الباشا » والعمل ؟ ! ..

الزوجة : « للدكتور » أهـذا كل ما تقوله لتهنئنا يا دكتور طلعت ؟ ..

الدكتور : « ثائبا إلى رشده » عفوا .. معذرة .. إنى مشغول البال فى موضوع آخر ..

نبيلة : « للباشا » مالك قد وجمت ؟ ! ... يجب أن تسر وتفرح ... حظك من السماء .. بابا الآن رئيس حكومة ... معنى هـذا أن فى استطاعتك أن تطلب وتختار ... أى وظيفة تريد ... فى السلك القضائى أو فى السلك السياسى أو فى أقلام القضايا ، أو فى ...

يدخل الخادم مسرعا

الخادم : معالى رئيس مجلس الشيوخ ! ...

الزوجة : أين ؟ ...

الخادم : أدخلته فى الصالون الكبير ...

الزوجة : هيا بنا نستقبله يانبيلة .. عن اذنكم لحظة...

(تعود ابنتها وتخرج بها مسرعة ... تاركتين الدكتور والباشا وحدهما مذهولين ...)

الدكتور : « يفيق من ذهوله ويلتفت إلى الباشا » والعمل ؟ .. أنت الآن مطلوب لتأليف الوزارة ؟ ! .. أرأيت الورطة التى نحن فيها الآن ؟!..

الباشا : « بدون تفكير » أى ورطة ؟ !..

الدكتور : ألا ترى الورطة ؟ ! .. أين هو الآن صديق باشا رفقى الذى سيؤلف الوزارة ؟ ! . .

الباشا : وأنا أين ذهبت ؟ . ..

الدكتور : أنت ؟ ! .. الشاب الخجول الساعى فى طلب وظيفة ! ..

الباشا : ماهذا الكلام الفارغ ! . . .

الدكتور : أعرف . . . أعرف انك لم تزل محتفظاً داخل نفسك بكل دقائق شخصيتك الكثيرة ... بكل ماضيك ، وكل تجاربك . وكل كفاءتك ... لم يستجد عليك شيء إلا الشباب الظاهرى الجثمانى ... ولكن الناس . . . أيمكن أن يصدق الناس أن هذا الشاب هو نفسه صديق باشا السياسى الهرم !؟.

الباشا : وإذا أكدنا لهم ذلك ؟ . .

الدكتور : من الذى يؤكد لهم ذلك ؟ . . . أنت ؟ . . . يضعونك فى الحال فى مستشفى الأمراض العقلية ، مع أولئك الذين ادعوا شخصيات هتلر وموسولينى ونابليون ... وتنشر الصحف فى اليوم التالى خبراً ظريفاً عن شاب مثقف أصيب بخبل ... يزعم أنه صديق باشا رفقى . . .

الباشا : أنت تؤكد لهم وتثبت بالتجربة . . .

الدكتور : « كالمخاطب نفسه » نعم . . . نعم . . . استطيع ذلك . . . ولكننى أنا نفسى لم أزل غير مصـــدق لما فعلت . . . رأسى يدور بى وكأنى فى حلم . . . لا بد لى من بعض الوقت ، لأرى الأشياء فى وضوح .. وأقدر النتائج.

الباشا : النتائج .. حقاً . . . ها أنذا أفطن إلى نتيجة مروعة ؟ . . . زوجتى . . . هذه العجوز التى نادتنى الآن بيا ابنى . . . أمعقول أن أستأنف حياتى الزوجية معها ؟ . . .

الدكتور : وبنتك نبيلة التى كادت تغازلك على المكشوف . .

الباشا : حقاً . . . لم يعد لى مكان فى هذا البيت : هلم بنا .. إلى الطريق .. إلى الحياة

إلى الحياة .. إلى حياة جديدة .. إنى شاب !..

الدكتور : نعم .. هلم بنا معاً .. نحن فى حاجة إلى شىء من الهدوء .. والعزلة ... لنتدبر كل ما حصل ... وما سيحصل ... إن هذا ليس حدثاً عادياً .. «يصيح» آه يا ناس !.. هـذا شىء أعجب من أن يتصوره عقل . . إنى سأجن .. ساعدنى . ساعدنى يا باشا ... دعنى أضعك تحت المراقبة ... بضعة أيام .. أريد أن أراقبك .. وأراقب عقلى ..

الباشا : راقب عقلك إنت ... أما أنا ففى غاية الصحة والعافية والنشاط .. هلم بنا .. بعيداً عن هذا المكان .. أريد أن أفرح .. وأن ألعب .. وأن أضحك .. وأن آكل وأن أشرب وأن أهرج وأن أمزح وأن أسهر وأن أضرب وأن أبطح وأن أغازل وأن أعشق وأن أشعر وأن أغنى وأن أبكى وأن أجرى وأن أنفق وأن أفلس وأن أجوع وأن أشبع وأن أبطش وأن أعطش ..

الدكتور : كفى .. كفى .. فهمت .. هيا بنا . .

الباشا : هيا بنا ..

الدكتور : ألا ننتظر الست بعد أن تفرغ من رئيس مجلس الشيوخ ..

الباشا : الشيوخ !.. مالنا وما للشيوخ !..

« يجرى بنشاط نحو باب البهو ويلقى نظرة إلى الخارج ثم يقول هازئاً : »

— معاليه يسعل سعاله المعتاد ! لعنة الله على الشيخوخة !..

إلى الطريق .. إلى الطريق .. سأقفز من النافذة !..

« يقترب من النافذة ويرفع قدمه ... »

الدكتو : « يسرع بمنعه » اعقل يا باشا ! ..

الباشا : « يدفعه عنه » دعنى أفرح بشبابى ! ...

« يقفز من النافذة إلى الحديقة ... ثم يصفر

له بفمه من الخارج صفيرا مستطيلا ... »

الدكتور : « وهو مطل عليه من النافذة » تصفر لى أيضاً ؟ ! ...

الباشا : «مناديا كما يفعل الشبان من الخارج تحت النافذة» طلعت... يا طلعت...

قابلنى على ناصية الشارع ! ..

الدكتور : « يضع رأسه فى كفيه ضاغطا » هل أنا بعقلى ؟ ! ... هل أنا أحلم ؟ ! ...

(ستار)

الفصل الثانى

المنظر الأول

في منزل الدكتور طلعت ... بهو استقبال حسن الرياش ، بسيط الأثاث ... « لطفية » زوجة طلعت جالسة في مقعد مريح .. وأمامها « صديق رفقى » في مظهره الشاب على مقعد آخر ...

صديق : « يخرج ساعته من جيبه وينظر فيها » الساعة الآن الخامسة والنصف... ولم يعد بعد ! ...

لطفية : ما هذه الساعة العتيقة...التى لا تناسب سنك ... لكأنها ساعة المرحوم والدك ! ...

صديق : « شارداً » حقاً ...

لطفية : يحسن بك أن تبيعها وتشترى ساعة حديثة تضعها فى معصمك ... مثل الشبان ! ...

صديق : ليس هذا وقته ياسيدتى ... المهم الآن الدكتور طلعت ... لماذا تأخر حتى هذه اللحظة ؟ ... وأين تناول طعام الغداء ؟ . .

لطفية : لا أعرف . . . ولم يخبرنى . . . كل ما قاله لى الظهر فى التليفون أن لا أنتظره على المائدة ... لأنه مطلوب فى النيابة ... لسؤاله فى قضية اختفاء صديق باشا رفقى...

صديق : « كالمخاطب نفسه » ترى ماذا سيقول فى النيابة ؟ ! ...

لطفية : بالطبع سيدلى بمعلوماته القليلة فى الموضوع . . . ذهب ليعطى الباشا الحقنة المعتادة ضد الذبحة الصدرية ... فطلب الباشا إلى كاوب محمد على وخرج ولم يعد . . . هذا كل ماعلمته من زوجى ... وأظنك كنت معه وقتئذ فى بيت الباشا ...

صديق : « فى إطراق » نعم ...

لطفية : ليقدمك إليه من أجل وظيفة فيما أذكر ...

صديق : « فى إطراق» نعم...

لطفية : حادث غريب .. قرأت طبعاً ماتقوله الصحف اليوم ...

صديق : « وهو ساهم» يعللونه بأنه اختطاف مدبر من جمعية إرهابية ...

لطفية : هـذا هو المعقول ... رجل كهذا كبير السن .. فى يوم دعوته لتأليف الوزارة .. لن يختفى طبعاً من أجل الحب. . ولن تخطفه امرأة ! . . لابد أن يكون ذلك لأسباب سياسية ... وقد كانت له آراء جريئة ... وكان له خصوم ...

صديق : « فى تهكم خفى » تعليلات منطقية ! ... حقاً ليس أصدق من المنطق فى الدلالة على الحقيقة !...

لطفية : تقول الصحف إن التحقيق يتقدم بنجاح .. ولن تمضى أيام حتى يقبض على المجرمين ...

صديق : « بدون وعى» أى مجرمين ؟! ...

لطفية : الذين اختطفوا رفقى باشا ...

صديق : آه ... حقاً ... حقاً...

لطفية : خصوصاً بعد أن أعلنت الحكومة فى صحف الصباح عن مبلغ الخمسة

الآلاف من الجنيهات مكافأة لمن يرشد أو يدلى بمعلومات تكشف عن الجريمة ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » مبلغ يغرى بالاختراع والافتراء ! ...

لطفية : أهم شيء يرجى الآن هو العثور على الباشا حياً .. دون أن يمس بسوء.. رحمة بزوجته وابنته...

صديق : « باهتمام » أخبريني ياسيدتى...هل رأيتهما ؟ ! ...

لطفية : طبعاً ... إنهما من أعز صديقاتى ...

صديق : متى رأيتهما ؟ ! ...

لطفية : كل يوم تقريباً منذ أن اختفى الباشا ...هذا هو اليوم الثالث لاختفائه أليس كذلك ؟ ...

صديق : « كالمخاطب نفسه» ثلاثة أيام !...بهذه السرعة !...

لطفية : بهذه السرعة ؟ ... ماذا تقصد ؟ ...

صديق أقصد مر الأيام ... على وجه العموم ! ...

لطفية : أترى الأيام تمر سراعاً ... ما أسعد حظك ! ... إنها فورة الشباب لم تنطفىء بعد عندك...بينما الأيام تمر فى نظرى بطيئة متثاقلة متشابهة ... إنى مع ذلك صغيرة السن...وقد لا أكبرك كثيراً ... كم سنك ؟ ...

صديق : سنى ؟ ! ...

لطفية : نعم ... لماذا ارتعت هكذا ؟ ... إنك لم تزل بعيداً جداً عن المرحلة التى يخفى فيها الشخص عمره ؟ ... كم بالضبط ؟ ...

صديق : قدرى أنت سنى ؟ ! ...

لطفية : « تتأمله ليس أكثر من ستة وعشرين عاما...نحن أظن من عمر واحد..

صديق : حقاً ... من عمر واحد !...

لطفية : كان يجب مع ذلك أن أرى الحياة مثلك فى لون الورد ... لكن وا أسفاه ! ...

صديق : كيف عرفت انى أرى الحياة فى لون الورد؟! ...

لطفية : «باسمة» هـذا ظاهر ومطبوع ... على صدرك! ...

صديق : صدرى ؟! ...

لطفية : «مشيرة بأناملها» أقصد على قميصك ... هـذه الآثار الحديثة من أحمر الشفاه!... أتريد خاتماً وطابعاً وتوقيعاً من الحياة أدمغ من هذا؟!...

صديق : «يلتفت إلى آثار الأحمر فوق قميصه ويسرع بإزالتها بمنديله» معذرة... معذرة ! ...

لطفية : لاحاجة بك إلى الاعتذار ... هذا طبيعى ... إن لم تستمتع بحياتك الآن فمتى تفعل ؟...

صديق : إنى لم أضع دقيقة! ...

لطفية : لاحظت ذلك عليك يوم جئت أمس الأول هنا لمقابلة زوجى...كنت مضطربا ... غير مستقر على حال ... تريد الإسراع بالانصراف والانطلاق ... ولم ترد انتظار القهوه... وكانت نظرات عينيك غريبة فيها لمعة المستغرب لكل شىء... وكانت حركاتك فيها ما يشبه انتفاضة السعادة... أو رقصة الفرح بشبابك وحياتك ... وقد خلوت بزوجى لحظة ثم انصرفت كالراكض... فقال لى طلعت عنك إنك حديث تخرج فى جامعة الاسكندرية... وقد جئت القاهرة حديثاً فى طلب وظيفة... وان ما يظهر منك هو الدهشة للقاهرة التى لم تعش فيها كثيراً ... فهى تبهرك وتريد المبادرة إلى الاستمتاع بكل لحظة فيها...

صديق : وماذا قال لك عنى أيضاً ...

لطفية : قال عنك إنك عرفته عن طريق أستاذ فى الجامعة وعن والدك انه كان من أصدقاء رفقى باشا وسماك على اسمه . . وربما قال أشياء أخرى لم التفت اليها... لأن كل هذا لا شأن لى به ... الأمر الوحيد الذى لفت نظرى إليك فرحتك العجيبه بحياتك! . أأنت مزهو بنفسك إلى هذا الحد؟ ! ... أم هى نشوة الشباب الجامح كالمهر بغير زمام !...

صديق : لست مزهواً بنفسى... بل بشبابى !...

لطفية : خيل إلى وقتئذ انك تريد أن تحب كل امرأة تراها!...

صديق : فراستك فى محلها !...

لطفية : هذا من حقك... هذا هو وقت الحب عندك ... حذار أن تضيعه... كما ضيعته أنا...

صديق : كما ضيعته أنت ؟!...

لطفية : بالزواج ... عندما تتزوج ستعرف...

صديق : « كالمخاطب نفسه» أعرف...«يتدارك» أعرف ماذا ؟!...

لطفية : تعرف أن الزواج هو مقبرة الحب الملتهب...خصوصاً إذا كان الزوج رجلا مشغولا بعمله أو معمله !... إنى واثقة من أن طلعت لا يذكر جيداً لون عينى... ولكنه يعرف أتم المعرفة ألوان عيون أرانبه !...

صديق : إن زوجك عالم فاضل ... عالم عظيم ... ألا يكفيك هذا فخراً ؟ ! ...

لطفية : « متنهدة » حقاً ... يكفينى فخراً ...

صديق : «ينهض» أظن أنه ليس من حقى أن انتظره هنا أكثر من ذلك... لا بد لى مع ذلك من مقابلته اليوم فى موضوع مهم جداً ...

لطفية : موضوع ... الوظيفة ...

صديق : « بدون وعى » الوظيفة ؟!... «يتدارك» نعم ... نعم ... موضوع وظيفتى .. لقد استجد فى شأنها ما يجب أن يطلع عليه فى أقرب وقت انه هو الذى يسعى لى فيها الآن ..

لطفية : ولماذا لا تنتظره ؟.. إن غيبته لن تطول .. وإلا كان أخطرنا بالتليفون

صديق : إنى أضايقك ...

لطفية : بالعكس .. نحن نمضى الوقت فى حديث لطيف ! ..

صديق : «يعود إلى الجلوس» اسمحى لى أن أنتظره بضع دقائق أخرى ..

لطفية : انتظره ما شئت .. إنك لا تضايقنى .. ولا تعطلنى .. ليس عندى ما أفعل فى هذه الساعة...

صديق : أشكرك .. إنك ظريفة حقاً ...

لطفية : ليس فى كل الأحوال. ولا مع كل الناس ...

صديق : إنى سعيد الحظ أن أظفر بهذا الاستثناء..

لطفية : وإنى سعيدة الحظ لو كان جلوسك إلى يسرك فى ذاته ..

صديق : بالطبع يسرنى فى ذاته ...

لطفية : إنك تجامل ...

صديق : إنى أقرر الواقع ...

لطفية : تريد أن تقول إنه لو لم تكن لك علاقة بزوجى أو غاية من زيارته ، لكان فى مجرد جلوسك إلى وحديثى معك سرور لك ؟! ...

صديق : وأى سرور ؟ ! ...

لطفية : وستذكر حديثنا معاً بعد انصرافك ؟!..

صديق : أفى هذا شك؟!...

لطفية : « باسمة » كما يذكر طلعت لون عيني ؟! ...

صديق : إنك تبالغين . . أيمكن أن ينسى رجل لون هاتين العينين ! . .

لطفية : أشكر لك هذا الإطراء !..

صديق : بل أرجو أن تصححى رأيك فى الدكتور طلعت ... إنه مثال نادر من النفس الكريمة والمشاعر الرقيقة . . .

لطفية : من هذه الجهة لست أنكر . . .

صديق : كل ما فى الأمر أن أبحاثه تستغرق فكره .. .ولو عرفت خطورة أبحاثه العلمية لعذرت كل ما يبدو عليه من شرود وشذوذ...

لطفية : آه . . خصوصاً فى الأيام الأخيرة .. آه لا تذكرنى .. ربما لم تلاحظ أنت . . . لأنك لم تقابله أكثر من لحظات . . . أما أنا التى أعاشره عن قرب .. فقد رأيت منه أخيراً ما يزعج البال ، ويقلق الخاطر . . .

صديق : « باهتمام » ماذا رأيت ؟..

لطفية : منذ ثلاثة أيام تقريباً وهو على حالة لم يسبق أن رأيته عليها .. انه يكثر من مخاطبة نفسه بكلام غير مفهوم .. ويستيقظ فى جوف الليل ويجلس فى فراشه ويضغط رأسه بين كفيه هامساً : « هذا جنون . . إنى أحلم .. إنى سأجن ! . . . »

صديق : لعل هذا من أثر الإجهاد فى بحوثه ...

لطفية : قلت له ذلك.. واقترحت عليه أن يأخذ اجازة مرضية نمضيها فى الفيوم قرب بحيرة قارون . . ولكنه رفض .. زاعماً أنه لا يستطيع ترك دروسه فى الكلية فى الوقت الحاضر..

صديق : لا تخافى .. هذا أمر عارض من تأثير الصدمة ...

لطفية : أى صدمة ؟ ..

صديق : قصدى ... قصدى حادث اختفاء صديقه رفقى باشا ... هذا حادث لابد أن يزعجه ... وهو الذى كان يباشر علاجه ...

لطفية : بالتأكيد ... ولقد انزعج فعلا لهذا الحادث انزعاجا شديداً ... وعندما كانت زوجة الباشا وابنته تبكيان أمس ، كان هو ينظر إليهما وهو فى غاية التأثر ...

صديق : « بدون وعى » أو كانتا تبكيان؟!...

لطفية : طبيعى ! ...

صديق : «خارجا عن طوره» لاحول ولاقوة إلا بالله .. لاحول ولاقوة إلا بالله

لطفية : « تنظر إليه فى دهشة » أحالها يؤلمك هكذا ؟!...

صديق : « بدون وعى » مؤكد . . « يتدارك » أقصد أن تصور ماهما فيه الآن يثير فى النفس ... فى أى نفس الرحمة بهما والرثاء لهما ...

لطفية : هذا صحيح ...ولقد فعلت أنا كل ما فى وسعى لأهدىء من روعهما ... ولم أزل بهما أحيي فيهما الأمل والاعتقاد بأن الباشا حى سليم معافى ... إلى أن خفت عنهما وطأة الحادث...

صديق : « باندفاع » أشكرك ! ...

لطفية : « فى دهشة » أنت الذى تشكرنى ؟ ! ...

صديق : « مستدركا » أقصد ... نيابة عن المروءة والشعور الحى ... ان موقفك يستحق الشكر من أى إنسان يقدر المواقف الكريمة ...

لطفية : إنك أنت فيما أرى الذى تملك إحساسا مرهفاً وقلبا رحيما ...

جرس الباب يرن

صديق : هذا جرس الباب ؟!..

لطفية : نعم ... وقد يكون طلعت ... إنه يحمل مفتاح الباب ... ولكنه ينسى ذلك دائما .. ويضغط على زر الجرس ..

يسمع فتح الباب وغلقه ... ولا يلبث طلعت أن يظهر ...

طلعت : « يرى صديق فيجفل » أنت ؟ ! ...

لطفية : ما الذى راعك منه يا طلعت ؟! إنه ينتظرك منذ نحو ساعة ...

طلعت : « وهو يرتمى اعياء على مقعد » عطشان ...

لطفية : هل تغديت ؟ ...

طلعت : لا ...

لطفية : أحضر لك طعاما ؟ ...

طلعت : ليس بى جوع ...

لطفية : أعد لك إذن قدحا من الشاى .. مع بضع فطائر .. لحظة واحدة ..

« تخرج مسرعة ... »

صديق : « يقترب فى الحال من طلعت » النقود .. بسرعة يا طلعت .. النقود...

طلعت : أى نقود ؟ ! .

صديق : الشيك .. ألم تصرف الشيك ؟ ...

طلعت : رفض البنك صرف الشيك...

صديق : رفض ؟ !...

طلعت : امضاء الباشا متغيرة.. هكذا قالوا..

صديق : امضائى متغيرة ؟ ! . كيف ؟ . امضائى هى دائما امضائى ...

طلعت : امضاء الباشا كانت فيها رجفة الشيخوخة...

صديق : رجفة الشيخوخة . . .

طلعت : ثم إنهم وجدوا المبلغ كبيراً .. وتاريخ الشيك محرراً بعد يوم اختفاء الباشا الذى ورد فى الصحف... ولولا تأكدهم من شخصيتى لارتابوا فى أمرى وأبلغوا البوليس . . . لقد اكتفوا بأن ردوا إلى الشيك متأسفين . . .
« يخرج الشيك من محفظته ويقدمه إلى صديق »..

صديق : « يتناول الشيك وينظر فيه » حتى الإمضاء لم يعد إمضائى ؟! ... ماهذا الكلام ؟ ..

طلعت : إذهب بنفسك إلى البنك إذا شئت ...

صديق : أذهب بنفسى ؟! .. ليقبضوا على... ولا أجد لى ضامناً . . .

طلعت : « يشير إلى رأسه » أشعر بصداع هنا ...

صديق : والعمل ؟..أسأعيش هكذا بغير نقود ؟!.. ومالى فى البنوك مرصود ؟!..

طلعت : «يشير إلى رأسه مستمراً» كأن هنا مطارق تضرب على حديد ساخن !..

صديق : مبلغ العشرين جنيهاً التى أقرضتنى إياها منذ تركت منزلى قد أنفقتها عن آخرها .. طبعاً .. إحسب معى ... أجرة فندق هذه الليالى الثلاث ... ومصروفات الطعام والشراب والمواصلات والسهرات .. بدون شك.. شاب فى فورة الشباب مثلى لن تنتظر منه أن ينام من المغرب ... وفى البلد صالات وكباريهات وراقصات فاتنات .. الحق يا طلعت الشباب نعمة.. الشباب متعة . . . الشباب جنة . . . ما كل هذه الجميلات فى الشوارع والحوانيت !. . منذ أسبوع واحد فقط .. كنت أمر بهن وأنظر إليهن بعين كليلة وأترنم هامساً : «أواه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب !» اليوم أنا أعرف وأقدر فى آن ! .. ولقد عشت هذه الأيام الثلاثة ،

كمن يعيش معجزة ! ... ولكن النقود ياطلعت ... النقود ... كيف أعيش بغير مال ؟ .. مالى الذى جمعته على مر السنين .. لا أستطيع أن أنفق الآن منه ؟..الآن والحياة تولد عندى من جديد ، باسمة بهيجة؟!..
تكلم يا طلعت .. تكلم دبرنى !..

طلعت : « ويده على جبينه » دعنى ...

صديق : أدعك ؟!.. كيف أدعك ؟.. «يهز الشيك بين أصابعه» ثروتى .. هذه ؟.. ضاعت منى الآن ؟ .. أو لا يمكن للإنسان أن يحتفظ طويلا فى وقت واحد بالمال والشباب والتجربة !.. لابد لأحدها أن يختفى سريعاً ؟!..

طلعت : « كالمخاطب نفسه» اختفى .. اختفى !..

صديق : مالى ؟.. تقصد مالى ؟ .. اختفى عند ما ظهر الشباب ؟!.. ولكن هذا لا يمكن أن يكون ...إن ماضى موجود... لا تنس ذلك يا طلعت... مهما يكن من أمر . . فأنا صديق رفقى .. بكل ذكرياته وخبرته وحنكته وثروته ... بل وبألقابه... أنا صديق باشا رفقى ...

طلعت : « متمتما فى همس » صديق باشا رفقى ! ...

صديق : بدون أدنى شك !.. هل أستطيع أنا التجرد من ذلك ؟!... وهل تستطيع أنت أن تنكر أنى أنا صديق باشا رفقى ! ..

طلعت : « هامساً كمن يتذكر » صديق باشا رفقى ؟...

صديق : « بقوة » نعم .. وهذا ما يجب أن تقوله للناس جميعاً ... يجب أن تثبت للناس شخصيتى ، حتى أستطيع التصرف فى ثروتى . . لأنى ما أظنك أردت أن تعطينى الشباب ، وأن تجردنى فى نظير ذلك من كل ما أملك ؟!..
هذا يا طلعت مالا أعتقد أنه مر برأسك ؟.. أليس كذلك ؟! ...

طلعت : « ويده تضغط على جبينه » رأسى !.. نعم .. رأسى ! ...

صديق : ماذا برأسك ؟...

طلعت : طنين... طنين... طنين ...

صديق : « ينظر إليه بقلق » لا بأس ... هذا صداع من أثر الاجهاد ، سيزول عندما تشرب الشاى ... ولكنك الساعة يجب أن تصغى إلى مليا وان تعى جيداً ما أقول : الموقف لم يعد فيه خيار ... والأمر لم يعد يحتمل التلكؤ ... لقد قلت إنه لا بد لك من بضعة أيام ، قبل أن تعلن ماحدث حتى تراقبنى ، وترى الأشياء بوضوح ، وتقدر النتائج ... وها هى أيام قد مضت ... والحقنة قد نجحت ... ولكن النتائج تتطور على عجل بشكل يدعو إلى القلق . فأموالى عنى محجوزة ... وأنا فى نظر الحكومة والرأى العــــام مخطوف ... وأسرتى باختفائى منكوبة ... أظن كل هذا يجب أن يوضع له حد ... آن الأوان ياطلعت أن تعلن إلى الناس الحقيقة .. وأن تخبرهم بما حصل... وتكشف لهم عن سر الحقنة والتجربة .. ومن رأيى أن تبدأ بتبليغ النيابة قبل أن تتورط فى تحقيقات متشعبة لاطائل تحتها ... هـذا المساء بالذات اذهب إلى النيابة وأخبرها أن صديق باشا رفقى موجود ... لم تخطفه جمعية إرهابية ... ولكنه أجريت عليه تجربة ردته إلى الشباب ...

طلعت : « ورأسه بين يديه » ماهذا الحلم ؟!..

صديق : أى حلم ؟!..

طلعت : « هامساً » صديق باشا رفقى .. الحقنة .. النيابة ...

صديق : حقاً .. كأنه حلم .. ولكن يجب منذ الآن أن يجرى كل شىء فى وضح

النهار ... لاتبطىء يا طلعت ... اسمع نصيحتى ... انى رجل حنكته التجارب ... اسبق الحوادث قبل أن تسبقك .. لأنها إذا سبقتك فاجأتك أحيانا بما لا يسرك .. اذهب الليلة إلى النيابة و بلغها ...

طلعت : « فى ذهول » النيابة .. بلغت النيابة ...

صديق : « فى عجب » بلغت النيابة ؟ !. بماذا ؟...

طلعت : « شارد كالحالم » بما رأيت ...

صديق : « متوجساً » ماذا رأيت ! ...

طلعت : « كمن يرى أشباحاً أمامه » الباشا .. الباشا .. الحقنة . . أخذ الحقنة . . لا .. لم يأخذها بعد ..

صديق : « فى قلق » لم يأخذها بعد ! ...

طلعت : « كالمخاطب نفسه » لا أذكر ...

صديق : لاتذكر !. لا تذكر الحقنة !...

طلعت : « كمن يرى أمامه مايجرى » نعم .. أخذ الحقنة .. حقنة « الأنجيوكسيل » ودخل حجرته .. واستراح قليلا على فراشه .. ثم .. ثم .. ثم قرع جرس التليفون .. كاوب محمد على .. فنهض الباشا وخرج ... ولم يعد اختفى .. اختفى ...

صديق : هذا ماقلته للنيابة طبعاً ...

طلعت : نعم ... اختفى الباشا ... اختفى ...

صديق : الليلة كما قلت لك يجب أن تعود إلى النيابة وتصحح أقوالك وتذكر حقيقة ماحصل ..

طلعت : حقيقة ماحصل ... الباشا اختفى ...

صديق : مفهوم ... هذا كلام الصحف ... وأقوالك السابقة... ولكني أريد أن تدلى بأقوال جديدة تكشف بها عما تم بالفعل ... أقصد أن تخبر النيابة أن الباشا لم يختف ...

طلعت : ولكنه اختفى ...

صديق : «بقلق» اختفى اين ..

طلعت : لا أحد يدرى ... لا أحد يدرى ...

صديق : وأنت ياطلعت تدرى طبعاً ...

طلعت : لا ... لا أدرى ...

صديق : أنت لا تدرى . . أنت ياطلعت . . لا تدرى أين صديق باشا رفقى !. . لطيفة .. نكتة لطيفة ...

طلعت : «كمن يرى شيئاً امامه» صديق باشا رفقى .. أخذ حقنة «الانجيوكسيل» ورقد لحظة ... ودق جرس التليفون .. وخرج.. .اختفى... خطفه الأرهابيون ...

صديق : «باسما» وأنا ...

طلعت : «يتفرس فيه» انت ... من أنت ! ...

صديق : منى أنا... ألا تعرفنى ...

طلعت : «يحملق فيه» انتظر... لاتؤاخذنى... لاأذكر اسمك... ولكنى أعرفك... نعم... نعم... رأيتك عند الباشا... قبل ان يختفى... جئت من أجل وظيفة فيما أعلم... أليس كذلك...

صديق : لا... ياطلعت... ارجوك... المزاح فى كل شىء إلا فى هذا.. ليس الآن وقت ذلك على كل حال ... عد إلى الجد لنواجه الموقف ونبادر

بإعلان الحقيقة ...

طلعت : الحقيقة ؟ ! .

صديق : نعم . . . بدون تأخير ... أسامع ؟ ... بدون تأخير ... أسرع وأعلن أنى لم أختف ...

طلعت : « يحملق فيه » أنت اختفيت ؟ . . . متى اختفيت ؟ ... إنى رأيتك هنا أمس ... وأمس الأول ... أليس كذلك ؟ ...

صديق : بالضبط ... وهذا ما ينبغى أن تقوله لهم : إن صديق باشارفقى لم يختف ... وإنك رأيته أمس ... وأمس الأول ...

طلعت : صديق باشار فقى ؟ ! ... لم أره أمس ... ولا أمس الأول ... إنه اختفى ... اختفى منذ ثلاثة أيام ... وقد رأيته آخر مرة يخرج بعد الحقنة إلى الطريق بشعره الأبيض وظهره المنحنى وجسمه المتهدم ...

صديق : « كمن لا يصدق ما يسمع » رأيته هكذا ... آخر مرة ؟ ! ...

طلعت : بعينى رأسى ...

صديق : رأيته هكذا ؟ ! ... بعد الحقنة ... يخرج إلى الطريق ...

طلعت : وبعدها اختفى ... اختفى ..

صديق : بعد الحقنة رأيته شيخاً متهدما ؟ ...

طلعت : بعينى رأسى ...

صديق : ألم ينقلب بعد الحقنة إلى شاب ؟ ! ...

طلعت : « يحملق فيه مشدوها » شاب ؟ ! ... ما هذا الهراء ! ...

صديق : هراء ؟ ! ... ومن أين خرجت أنا إذن ؟ ! ...

طلعت : أنت ؟ ! ..

صديق : عيب يا طلعت .. عيب .. قلت لك كف عن هذا المزاح الثقيل .. خصوصا فى مثل هذا الظرف .. مهما يكن من أمر فإن من الواجب أن تبقى لى فى نفسك شيئا من الاحترام القديم .. يجب أن أكون دائما فى نظرك أنت على الأقل ، صديق باشا رفقى !..

طلعت : صديق باشا رفقى ؟! أنت ؟!.

صديق : أتجهل ذلك ؟ .. أتجهل أنى هو ؟! ..

طلعت : أنت هو ؟! . أنت هو ؟! . « يضحك ضحكة عصبية » ...

صديق : «فى رعدة خوف» لطفك يارب ! .. « فى نبرة توسل » لا ياطلعت ... أرجوك .. لا تفعل معى ذلك ... أنت الوحيد الذى يعرف حقيقتى... فإذا كنت ستتجاهل أو تتخابث أو تفقد صوابك ، فماذا يكون مصيرى!.. أتوسل إليك أن لا تخيفنى هكذا ... نادنى باسمى حتى اطمئن عليك أو على نفسى ! ...

طلعت : اسمك ! ...

صديق : نعم ... قل يا صديق ... يا صديق رفقى ...

طلعت : « يحملق فيه » صديق رفقى ... أنت ؟ ! . « يضحك ضحكة عصبية »

صديق : « كالمخاطب نفسه» ومن أكون غيره !.. أترانى جننت ؟.. طلعت .. أتريد أن تفقدنى عقلى أيضا ... قل لى الحقيقة ... لى أنا وحدى على الأقل ... بينى وبينك ... أرجوك ... تكلم ... من أنا ؟ ... ألا تعتقد حقا أنى صديق باشا رفقى ! ... أتشك فى أنى هو ؟ ! .

طلعت : أنت هو ؟ ... « يضحك ضحكا هستيريا » ...

صديق : « يلاحظه فى خوف ويأس » أترانى أحلم ؟ ! .. أترانى أنتحل شخصية

الباشا وهماً !...

طلعت : أنت هو ؟... « يضحك الضحك الهستيرى » ...

صديق : « بقوة » نعم... أنا هو... إنى متأكد... رأسى فوق كتفى بخير ... ولكنك أنت الذى فقدت صوابك ولاشك... هذه الضحكة العصبية... وهاتان العينان الجاحظتان ... وهذه الحركة المضطربه... رأسك متعب يا طلعت ... ومن العبث أن أحادثك الآن ...

طلعت : «صائحاً لجأة» أنت هو؟ ... هذا احتيال ... احتيال ... احتيال...

« تدخل لطفية ... وخلفها خادم يحمل صينية الشاى ... »

لطفية : لماذا تصيح هكذا يا طلعت؟ ...

صديق : «للطفية» أرجو أن تسرعى إليه بالشاى ... لعله يهدىء أعصابه ...

طلعت : «صائحاً» تتهامسان على ...!...

لطفية : لنسرع إليك بالشاى ... « تضع قطعتين من السكر فى الفنجان »

طلعت : «صائحاً» ماذا تضعون لى فى الفنجان... لقد رأيت بعينى...

لطفية : السكر طبعاً ...

طلعت : بل المخدر ...

لطفية : مخدر؟ !...

صديق : «همساً» إنه ليس فى حالة طبيعية !...

طلعت : «لصديق» ماذا تقول لها ؟!...

صديق : لا شىء ... إنك متعب... من رأيى أن تذهب فى الحال إلى فراشك...

طلعت : تريدون أن أنام ؟ !... نعم ... هذه هى خطتكم المدبرة... ولكنى لن أنام...

لطفية : لا أحد يرغمك على النوم ياعزيزى طلعت... اشرب الشاى أولا... ربما أفادك ...

طلعت : «يهجم عليها صائحاً» وضعت لى فيه المخدر ... لن أشرب ... لن أشرب!... مؤامرة لخطفى...أنتم كلكم متآمرون... معالإرهابيين...

صديق : «يسرع ويمسك بيديه قائلا للطفية والخادم :» ساعدانى لنجلسه فى هذا المقعد ...

طلعت : «صائحاً وهو بين أيديهم ليجلسوه» يخطفوننى ... يخطفوننى ...

لطفية : «للخادم» المنشفة لمسح العرق على جبينه والزبد على فمه ...

طلعت : «صائحاً محاولا التخلص» يريدون خطفى... يريدون إخفائى...

صديق : «للطفية» استدعى الطبيب ! ...

طلعت : «يحاول التخلص صائحاً» يخطفوننى... الإرهابيون يخطفوننى...النجدة النجدة ! ...

«صديق والخادم يمسكان طلعت بقوة بينما اتجه لطفية مسرعة إلى التليفون»

ستار

المنظر الثانى

«نفس المنظر السابق فى منزل الدكتور طلعت ... ولكن البهو يبدو عليه الإهمال وزهور الأوانى قد ذبلت وتركت فى موضعها .. «لطفية» ترتب فى حقيبة كبيرة مفتوحة بعض الثياب الخاصة بالرجال ... يعاونها فى ذلك «صديق» ...

لطفية : «وفى يدها بذلة تطويها» حاذر يا صديق ... لا تضع القمصان هكذا فى قاع الحقيبة ! ... ستتكسر ... اجعل القاع للملابس الداخلية ... وافسح مكاناً عندك لهذه البذلة الخفيفة ... الطقس فى حلوان آخذ فى الحرارة... وهو كما تعلم كثير العرق... مالك ؟ ... ما بالك شارد اللب ؟ ! ...

صديق : «يلتفت إليها» أنا ؟ ! ... لا ... لاشىء...

لطفية : معذور ... الجو حولنا مقبض ... مضى ما يقرب من شهر ونحن فى حبس... بل فيما هو شر من الحبس ... طلعت فى تلك المصحة لم تتحسن حالته ... وأنا مضطرة إلى الحياة بجانبه هناك ... وأنت قد شاءت عواطفك الكريمة أن تلبى ندائى وأن لا تحرمنى معونتك ومودتك ... ولا أريد أن أطمع منك الآن يا صديق فى أكثر من ذلك ...

صديق : أنا الذى أطمع فيك أكثر مما ينبغى... إنى خجل من حياتى هذه يا لطفية...

لطفية : لا تقل هذا ...

صديق : كم صار المبلغ الذى أقرضتنى إياه حتى الآن ؟ !...

لطفية : لا تتكلم فى النقود يا صديق .. أرجوك... قلت لك أكثر من مرة إن

هذا دين بسيط ستسدده إن شاء الله عندما تعين فى وظيفة..أنت شاب ذكى ... حامل لليسانس الحقوق ... ولا بد أن تجد فى القريب وظيفة محترمة...لقد كنت على وشك الحصول عليها..لولا الحظ السيء الذى شاء أن يختطف الباشا صاحب والدك...ليلة ترشيحه لرياسة الوزارة.. وإن يختطف عقل زوجى يوم اهتمامه بأمر توظيفك ... لكن ثق أيها العزيز ان الحظ عندما يتجمع هكذا ضد إنسان ، فإنه يتحول بعدئذ بنفس القوة إلى صفه...كما تتحول الرياح مرة ضد الشراع ومرة معه!...

صديق : إنك تعزيننى دائماً بكلامك اللطيف ! ...

لطفية : بل أنا التى اسائل نفسى أحيانا يا صديق ... ترى لو لم تنفذ إلى حياتى فى هذا الظرف الموحش... ما ذا كنت أصنع ؟ ! ... لكأنك نسيم جميل نفذ إلى صحرائى هذه...الجافة الجرداء... فرطب قلبى وأنعش روحى...

صديق : إنى اسعيد يالطفية أن أكون إلى جانبك فى محنتك ...

لطفية : ليس من السهل ان أتأكد من أنك تبادلنى الشعور ...

صديق : و لم لا ؟ ...

لطفية : لأن هناك فرقاً بين عينك ولسانك ... نظراتك تبرق أحياناً بوميض الحب الدافىء ... فإذا نطق لسانك . . . خرجت منه كلمات موزونة بميزان العقل الهادىء ...

صديق : لم ألاحظ ذلك ...

لطفية : ولكنى أنا لاحظت ... إن لك عين شاب ... ولسان شيخ ...

صديق : « كالخاطب نفسه » عجباً ! ... يالدقة الملاحظة عند المرأة ! ...

لطفية : أتسخر منى ؟!... ثق أنك تحيرنى ياصديق ...وتملؤنى غيظاً منك ، وسخطاً

عليك ، ورغبة فى البكاء وذرف الدموع ...

صديق : الدموع ؟ ! ... لماذا يالطفية ؟...

لطفية : لأنى لا أستطيع فهمك...ولا أعرف ما أصدق فيك ، ولا ما اتبع ؟.. عينك التى تشجعنى ... أو لسانك الذى يصدنى ؟ !...

صديق : وهل يعذبك هذا ؟ ...

لطفية : وأى عذاب ! ...

صديق : وهل تعتقدين أن هذا يريحنى ؟ ...

لطفية : لا أدرى ...

صديق : لا تدرين ؟ ! ... أتتصورين أن نفسى يمكن أن تكون مطمئنة لذلك مرتاحة له ؟ ...

لطفية : إذا كانت نفسك غير مطمئنة لذلك ولا مرتاحة له ، فلماذا لا تثور ؟!...

صديق : أثور ؟...

لطفية : بالتأكيد ... أنت فى سن الثورة...إذا لم نثر فى شبابنا على الوضع الذى لا يريحنا ، فمتى نثور ؟ ! ... إنى انتظر منك كلمة ...

صديق : كلمة ؟ ! ...

لطفية : كلمة واحدة : « لطفية ... إنى أحبك ... ضعى ملابسك فى حقيبة ... ولنهرب معاً إلى أى مكان فى الأرض ! ... »

صديق : وزوجك ؟ ! ..

لطفية : إنى لم أكن بزوجى مغرمة فى يوم من الأيام ... وما من أحد يرغمنى على أن أضيع شبابى بجوار رجل لا أحبه قد فقد عقله ووضع فى مصحة...

صديق : والمجتمع ؟ ... وما سيقوله الناس ؟ ! ...

لطفية : المجتمع .. والناس ؟! . أرأيت ياعزيزى صديق ؟ ! أهـذا كلام شاب فى مثل سنك ؟. أيوجد الشاب الذى يصم أذنه عمـا يضطرم به قلبه . ليصغى إلى ما يلغط به الناس ؟ . . أيوجد الشاب الذى لا يندفع خلف عواطفه ، ليقعد جامداً يفكر فى العواقب التى سيرتبها المجتمع ، والنتائج التى ستتمخض عنها الليالى والسنوات ؟ ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » هذه العواقب أبصرها ... وهذه النتائج أعرفها ..

لطفية : من أدراك ؟ . هل تقرأ المستقبل ! .

صديق : « كالمخاطب نفسه » أقرأ الماضى ...

لطفية : « فى دهشة » الماضى .. أمثلك له ماض ...

صديق : « يستدرك » ماضى رجل آخر ... اندفع فى شبابه ... وأغوى زوجة زميل .. وكانت مأساة .. لم ينسها له المجتمع فى كهولة ولا فى شيخوخة.

لطفية : « تتذكر » آه .. تقصد ماحدث للمرحوم صديق باشا رفقى فى شبابه .. هذه أشياء أصبحت فى ذمة التاريخ يبلغنا خبرها اليوم .. ويدهشنى أنك تحلها من نفسك محل الاعتبار ...

صديق : ألا يحق لنا أن نعتبر بماضى الغير !...

لطفية : ماضى غيرنا لا يؤثر فينا ... إن الذى يؤثر فينا حقاً هو ماضينا نحن ..

صديق : « كالمخاطب نفسه » ماضينا نحن ؟ .. نعم .. نعم ...

لطيفة : ونحن لم نزل فى ربيع العمر .. لا ماضى لنا بعد يثقل ظهورنا ، ويقعدنا عن الاندفاع بكل قوانا الفتية وعواطفنا الملتهبة وراء ذلك المجهول .. الذى يلمع لنا عن بعد ...

صديق : المجهول ...

لطيفة : نعم ياصديق .. هلم بنا نكتشف الحياة معا .. هلم بنا نقرأ معاً هـذا الكتاب الجديد علينا ..

صديق : « مطرقا » وا أسفاه !..

لطيفة : ماذا بك ياعزيزى صديق ؟ !.

صديق : « كالمخاطب نفسه» هذا الكتاب الجديد علينا !...

لطيفة : لا أراك متحمسا لقراءته ؟ ! ... أعجب ما فيك هو انى ما رأيتك قط متحمسا لشيء ... هذه الحماسة التى لا يمكن أن يخلو منها قلب شاب !.. كل فكرة وكل اقتراح تقابله بالتفكر أو التشكك أو الابتسام أو أو الصمت أو الاطراق .. كأنك عرفت ... وخبرت .. وتحقق أملك . وخاب فألك .. وليس شيء عليك بجديد . . .

صديق : « يتأملها مليا » يدهشنى منك هذا الكلام؟ ! . .

لطفية : أليس حقا ما أقول ؟ ...

صديق : أكل هذا استطعت أن تستخلصيه فى المدة التى جمعتنا ؟ ! .

لطفية : إن المرأة عندما تهتم برجل تستطيع أن تستشف منه ماقد يجهله عن نفسه ..

صديق : هنالك شيء تجهلينه عنى ، لا يمكن لغريزتك ولا لبديهتك أن تكشفا عنه الستر ...

لطفية : ماهو ؟ ...

صديق : « يتنهد » ليتنى أستطيع أن أبوح لك به ...

لطفية : أهناك سر تستطيع أن تخفيه عنى ياصديق ! . أتشك إذن فى إخلاصى .. كل شيء أسمح لك أن تشك فيه إلا إخلاصى لك ...

صديق : ألا شك فى إخلاصك يالطفية.. ولكنى.. لا أستطيع.. لا أستطيع الآن .

لطفية : « تنظر إليه ملياً » إذاً صدق إحساسى أيها العزيز فأنت ...

صديق : « فى رجفة » أنا ؟ .. ماذا ؟ ..

لطفية : محزون ... مضطرب ... يائس ... منذ وقت أستطيع أن أحدده لك بالضبط ... بدت عليك السحابة القائمة عندما قرر الطبيب أن حالة طلعت لا يرجى لها شفاء سريع ... ثم جثم عليك الهم الأسود يوم اكتشفوا جثة المغفور له رفقى باشا وشيعوا جنازته الرسمية إلى مقرها الأخير ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » نعم .. بهذا انقطع الحبل ..

لطفية : أى حبل ؟ ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » الحبل الذى يصلنى بحياتى...

لطفية : لا تضحكنى ياعزيزى صديق ... أتظن أن الله لم يخلق لك غير هذين الرجلين ليساعداك على شق حياتك ؟ ! ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » أما أحدهما ففى يده المفتاح الذى يثبت حقيقتى .. وبضياع عقله ضاع المفتاح ..وأما الثانى فبدفنه دفنت أنا ...

لطفية : دفنت أنت؟ .. ياله من يأس ! .. ومن هذا الذى أمامى ؟ ! ...

صديق : كتاب نزع غلافه وعنوانه ، وألقى به فى الطريق العام ! ...

لطفية : إن الغلاف والعنوان ليسا كل شىء فى الكتاب...

صديق : سنرى ! .

لطفية : قم ياصديق وكافح فى الحياة ، ولا تستسلم لهذا القنوط . .

صديق : « بقوة » نعم .. لن أستسلم .. ولن أسلم .. لقد دفنوه .. ولكنى سأثبت للملأ أنه لم يدفن...

لطفية : لم يدفن ؟ ! . من هو ؟ ...

صديق : صديق باشا رفقى .. أنه لم يدفن .. إنه ليس هو الذى وضعوا جثمانه أو بقايا جثته فى المقبرة باحتفال رسمى ..

لطفية : ما هذا الكلام ياصديق ؟ ! ...

صديق : سأثبت لك .. انظرى .. (يخرج من جيبه صحيفة) هذه إحدى الصحف التى نشرت منذ أسبوعين خبر اكتشاف الجثة فى مغارة جبل المقطم .. أعيد عليك ما لا بد قد قرأته فى حينه ، كى أبين لك ماكمن خلفه .. اسمعى : « أخيراً أزال التحقيق فى حادث دولة صـديق رفقى باشا الغموض الذى اكتنف ذلك الاختفاء ... فقد عثر الجاويش علوان من مخبرى القلم السياسى على مغارة فى جبل المقطم ، كانت تستخدمها فى إخفاء المفرقعات إحدى الجمعيات الإرهابية التى سبق الحكم على بعض أعضائها فى قضايا الاغتيالات ... وبتفتيش هذه المغارة وجدت فى بعض أركانها بقايا جثة لشيخ فى نحو الثمانين ، منسوفة بالديناميت ، ولكن آثار الثياب دلت على أنها لدولة صديق رفقى باشا ... وقد عرضت هذه البقايا والآثار على أسرة الفقيد ، فاستعرفت عليها وأكدت أنها له ... وقد تم القبض على أفراد الجمعية التى ثبت استخدامها للمغارة المذكورة ... ممن كان قد أفرج عنهم فى القضايا السابقة ... والمنتظر أن يمنح الجاويش علوان مبلغ الخمسة الآلاف من الجنيهات قيمة المكافأة التى أعلنتها الداخلية لمن يكشف عن سر الحادث ... »

لطفية : قرأنا هذا من أيام طويلة مضت ...

صديق : الأمر الذى لا يعلمه أحد ... أو لم يلتفت إليه أحد هو أن الجاويش

علوان قريب لشحاته سائق سيارة الباشا...

لطفية : وماذا فى هذا ؟ ...

صديق : قيمة المكافأة مغرية ... ومن السهل على شحاته الحصول على ثياب للباشا ، وتسليمها لقريبه علوان... ومن السهل على الجاويش علوان أن يعرف مغارة المتهمين فى قضايا اغتيالات سياسية ...

لطفية : والجثة؟ ...

صديق : « يمد إليها الجريدة » أنظرى فى نفس الصحيفة ... فى عمود حوادث العاصمة ... هذا الخبر الصغير الذى لا يسترعى الالتفات عن اختفاء شيخ فى نحو الثمانين يبيع اللب والحمص للأطفال فى حى القلعة ...

لطفية : «ساخرة» ما شاء الله ! ... « شرلوك هولمز» !...

صديق : لا تسخرى... هذا هو الذى حصل... وهكذا رتبت الحكاية ودبرت ولفقت... طمعاً فى المكافأة ... ودفن بائع الحمص واللب باسم دولة صديق رفقى باشا . . . ووضعت بقايا جثته ملفوفة فى علم البلاد على مدفع... تحف به الجنود ...

لطفية : عجباً لك يا صديق ؟! ... ما جدوى أن تجهد خيالك هكذا لتصل إلى هذه الخرافة ! . . . ولماذا لا تريد أن تعتقد أن الذى شيعت جنازته عسكريا كان فعلا صديق رفقى باشا؟!...

صديق : لأن صديق رفقى باشا حى ... حى بلحمه وعظمه ودمه !...

لطفية : حى ؟... وأين هو إذن؟...

صديق : أمامك !...

لطفية : «فى رعدة» ماذا تقول ؟...

صديق : أنا هو... رفقى باشا...

لطفية : « فى صيحة مكتومة مرتاعة » إلهى ... إلهى...

صديق : ثقى يا لطفية انى لا أكذب... أنا صديق رفقى باشا...

لطفية : «تنظر إليه فى رعب» جن هو أيضاً !...

صديق : لا ترتاعى يا لطفية ... إنى معك فى أن ما حدث عجيب ... ولكنه الحقيقة... الحقيقةالتى لا يعرفهاسوى زوجك طلعت... لقدا كتشف حقنة تمحو الهرم وتعيد الشباب ... جربها فى الأرانب فنجحت... وجربها فى شخصى فنجحت... ما من أحد يعرف ذلكسواه...وسواك الآن.. قلت لك منذ لحظة أن هنا لك سراً ، لا أستطيع أن أبوح لك به... ولكن ها أنذا لم أستطع أن أخفيه عنك طويلا... لأنه يضغط على صدرى... ولم يبق لى فى الحياة من يثق بى ويصغى إلىغيرك أنت... هل ترتابين فى كلامى يا لطفية؟.. تكلمى... تكلمى.. ولا تنظرى إلى هكذا برعب ... أترتابين ؟...

لطفية : «بصوت خافت مرتجف» لا ...

صديق : سأثبت لك ... سأقص عليك الأمر بالتفصيل ... أجلسى هنا ... اقتربى منى ... « يحاول الدنو منها... »

لطفية : « تتراجع عنه صائحة » لا ... لا تقترب منى ...

صديق : لا تخافى منى يا لطفية ... لا تخافى...

لطفية : إذن فابق فى مكانك ... ولا تتحرك. . « تتجه إلى التليفون »

صديق : ماذا تفعلين ؟ ...

لطفية : استدعى طبيب المصحة.. على عجل.. إنك متعت ياصديق..الجوالمحيط

بنا أثر فى أعصابك المرهفة ! ..

صديق : إنى لست مريضاً بعقلى ! لا تطلبي الطبيب !. « يهم بمنعها عن التليفون»

لطفية : «صارخة» لا تقترب منى .. لا تقترب منى . قف مكانك .. بعيداً !... سأصرخ فى طلب النجدة .. سأصرخ ! . .

صديق : « يجلس » لا تصرخى ! ... اهدئى يا لطفية ... جلست فى مكانى . . لا ترعبي منى ولا تخافى ... إنى كنت أمزح ...

لطفية : كان مزاحاً منك !..

صديق : طبعاً ...

لطفية : « تتنفس الصعداء » آه . . قل لى هذا يا صديق .. لقد كاد دمى يهرب من الرعب.. ومن الفجيعة عليك...

صديق : اطمئنى !.. لقد أردت أن أثبت لك أنى أستطيع المزاح ... والتحمس فيه ... كما يفعل الشبان ... بقية الشبان !...

لطفية : الحمد لله !.. «تجلس» فلنضحك إذن على «نكتتك» ... ولو متأخراً ... ثق يا صديق انك لولم تبالغ فى إتقان التمثيل إلى هـــذا الحد المخيف ، لأثار مزاحك أظرف المرح ... ومع ذلك لم يفت الأوان..هلم نضحك معاً .. صديق باشا رفقى !..«تضحك » الله يرحمه !...كل ما بينكما من تشابه هو الإسم !..

صديق : « يتكلف الضحك» حقاً ..

« يرن جرس الباب الخارجى »

لطفية : «تنهض» الباب !.. ترى من يكون القادم !؟ . .

« تتجه نحو باب القاعة مستطلعة ... »

صديق : « مخاطباً نفسه مطرقاً » قضى الأمر ! . . فلتدفن الحقيقة إلى الأبد ! . لن يصدقها أحد ! . . .

لطفية : «على العتبة صائحة» نبيلة .. مدحت

« تظهر نبيلة فى ثياب الحداد . . .
وخلفها مدحت فى ملابس قاتمة
ورباط رقبة أسود اللون . . . »

نبيلة : إنى متأسفة يا لطفية .. لم أتمكن من المجىء إلا اليوم . . لشكرك على مواساتك لنا فى مصابنا...

لطفية : وكيف حال «تيزة» ؟. . .

نبيلة : ماما كما تعلمين لم تزل ملازمة البيت..لا تخرج إلا أيام الخميس .. لتوزيع الرحمة فى المدفن على روح المرحوم .. وطلعت كيف حاله الآن ؟ . . .

لطفية : كما هو .. ها نحن نحمل إليه ملابس خفيفة تناسب الطقس فى حلوان ..

نبيله : « تلتفت إلى صديق الواقف » الأستاذ صديق ... « تحييه » تعرف طبعاً مدحت خطيبى . . .

صديق : «وهو يحييه» لعله نسينى . لقد قدمتنى إليه . . .

مدحت : «يتذكر» نعم..نعم..ليلة المأتم..عندما صعد يعزى الست الكبيرة . . .

نبيلة : « لصديق » هذه فرصة لأقدم لك بلسانى ولسان ماما جزيل شكرنا على تعزيتك لنا .. وحضورك المأتم وتشييعك الجنازة. . .

صديق : « يطرق متمتما » واجب . . .

نبيلة : أرجو أن تكون وجدت الوظيفة التى تريدها. . .

لطفية : كادت المساعى تنجح بالفعل . . . وكان يتباحث مع زوجى فى ذلك. . . لكن شاء سوء الحظ أن يصاب طلعت بمرضه يومئذ بالذات ...

صديق : حقاً من سوء حظى ! ...

نبيلة : لا بأس ! ... أمامك الأيام ...

لطفية : اجلسوا... لماذا أنتم وقوف ! ... سأطلب قهوة ... « تتحرك »...

نبيلة : « تستوقفها » لا يالطفية ... لاداعى .. سننصرف بعد لحظة ... أمامنا مشاغل كثيرة ... أولها البحث عن سكن مناسب ...مدحت مصر على عقد القران بعد الأربعين مباشرة ... طبعاً مراعاة للحداد لن تكون هناك حفلة ...

مدحت : حفلة عائلية بسيطة...

نبيلة : بسيطة جداً يامدحت ... حتى لا يستاء المرحوم أبى فى قبره ...

صديق : ثق أنه لن يستاء ...

مدحت : هذا رأيى . . . بل قد يسره أيضاً أن نحضر فى ليلة الحفلة مغنية معروفة تزفنا . . .

نبيلة : مغنيه تزفنا ؟ ! ... لا ... كل شىء إلا الغناء والزفة ... هذا لا يمكن أن يرضى أبى ! ...

مدحت : أيرضية أن تزفه إلى قبره موسيقى الجيش... ولا ترضيه أن تزفك مغنية إلى عريسك ! ...

لطفية : كلام فى محله ...

نبيلة : أبى لم يرض ولم يكره...الميت ليس له إرادة ...الدولة وهى التى أرادت أن تتوج خدماته الطويلة بهذا التشييع الرسمى بالموسيقى والجنود ...

مدحت : فليكن . . . لقد خرج على كل حال من الدنيا ، بعد حياة مديدة وخدمات عديدة ، أجمل خروج ... أفيأبى على شبابنا أن يدخل الدنيا

أجمل دخول ! ...

صديق : ومن قال إن لديه مانعاً من أن تدخلوا الدنيا بالموسيقى كما خرج ؟ ! ...

مدحت : سيقال إن هذا ليس من حقنا ...

نبيلة : نعم ... ستقول ماما إن هذا مستحيل ... وان الناس سيعيبون ذلك التصرف علينا.. وسينتقدونه الانتقاد المر...ولن يغتفروه لنا أبداً...

مدحت : « صائحاً » وما شأن الناس بنا ... وماذا يهمنا نحن من أمر الناس ... فليعيبوا كما يشاءون ... ولينتقدوا كما يحلو لهم ... لن نحفل بالناس ... ولن يقعدنا كلامهم عن الظفر بما نريد ... والجرى وراء مانشتهى ...

لطفية : مرحى ! ... مرحى !... هذه حقاً لغة شاب ! ... سر يامدحت بك على أفكار الناس ... واندفع وراء رغبتك ! ...

صديق : ليس فى كل الأحوال ، وإلا ندمت فيما بعد ...

مدحت : فيما بعد ؟ ... متى ...

صديق : يا للشباب الذى لا يبصر إلا بالعاطفة ... وياللعاطفة التى لاتبصر أبعد من حاضرها ! ...

مدحت : إنى على كل حال لست عاطفيا ... أليس كذلك يا نبيلة ؟ ...

نبيلة : هذا كان رأيى فيك أولا ... ولكن عشرتى لك أخيراً ، صححت فيك نظرتى الخاطفة الأولى..فأنت يامدحت متأجج العاطفة فى دخيلتك.. ولكنك تعمد أحيانا إلى إخفاء ذلك ... لتبدو فى صورة المهندس الجاد ورجل الأعمال الجامد الشعور ...

مدحت : «باسماً» وما الذى تفضلين منى ؟ ! ...

نبيلة : أفضلك كما أنت ... كما اكتشفتك آخر الأمر...عاطفى لى وفى بيتك...

جامد الشعور للناس وفى عملك : ...

مدحت : ثق أن كل ما عندى من عاطفة سأضعه بين يديك ... لأن مشروعاتنا التى تعرفينها ستستنفذ كل ذخيرتى من جمود الشعور ! ...

نبيلة : « للجميع » حقاً ... مشروعات مدحت سوف تحدث حدثاً فى القاهرة... ولا أقوم بالدعاية لها الآن ... ولكن سوف تسمعون بخبرها قريباً... أولا يا لطفية ... مدحت لن يسافر إلى الخارج ... عدل عن بعثته وزارة الأشغال ...

صديق : « بدون وعى » لماذا ؟ ...

مدحت : ما الداعى ... سأعود بعد ثلاث سنوات لأمنح الدرجة الرابعة ! ...

صديق : ستعود مسلحاً بأرقى الشهادات ، التى تؤهلك فيما بعد للترقى السريع ...

مدحت : مهما يكن من أمر الترقى السريع ... كم سيبلغ مرتبى فى نهاية الشوط ؟!.

صديق : ستحتل أعلا المناصب إن شاء الله ...

مدحت : هذا تفكير عتيق ... أعلا المناصب لن تمنحنى فى عام ما يدره على مشروعى فى شهر ...

نبيلة : مدحت لا يريد وظيفة ... ولا يحب أن يربط إلى مكتب فى مصلحة ... ولكنه سينطلق بجرأة إلى ميدان الأعمال الكبرى ... سينشىء حيا بأكمله على أرض مدينة الأوقاف الجديدة ...

لطفية : « بإعجاب » حى بأكمله ! ... مشروع ضخم ! ..

نبيلة : ونافع ... لنا وللبلد ...

صديق : « بهدوء » ورأس المال ؟!...

نبيلة : رأس المال موجود ... أنسيتم أنه ستؤول إلى من تركة المرحوم أبى

ثروة كبيرة ؟ ! ..

صديق : « بدون وعى » أبوك ! ... تضيعين ثروته التى جمعها طول العمر فى مشروع وهمى ! ...

مدحت : مشروع وهمى ؟ !. هل درسته حضرتك ؟ . هل تعرف شيئا عنه ؟ ... هل ساهمت فيه بعلم ؟ ... بأى حق تتكلم هكذا ؟ ! ...

صديق : « مأخوذاً » بأى حق ؟!...

لطفية : إنى أعرف لماذا يتكلم صديق هكذا !! . إنه قليل الجرأة ... لايستطيع الاندفاع فىمشروع أو الثورة على وضع... أو الإقدام على فكرة ...

مدحت : « لصديق » منرأيك إذن أن أحبس فى وظيفة صغيرة ... وأن تحبس زوجتى مالها فى المصارف كما حبسه أبوها من قبل ؟ ! .

صديق : « كالمخاطب نفسه » لو كان أبوهايعلم أن ماله سينفق يوما بهذا التهور ...

مدحت : تهور ؟ ! . هكذا تسمى الشجاعة والابتكار والتجديد والبناء ؟ ! ...

لطفية : إنك كالنغمة النشاز بيننا ياصديق ... أرجوك لا تبالغ ... « للجميع » لاحظوا أنه يتقن دائما تمثيل دور المسن بعزمه البطىء وحكمه المتئد ... تلك هى فيما أرى هوايته الغريبة ، التى كادت تصبح فيه طبيعة ! ...

نبيلة : حقا ... كلامه يصح أن يصدر عن المرحوم أبى ! ...

مدحت : المرحوم أبوك الآن فى ذمة التاريخ ! ... من حسن حظنا ! ... « يستدرك » معذرة يانبيلة ... لم أقصد جرح إحساسك ... بل لم أقصد الإشارة إلى المغفور له والدك بالذات... إنما أردت إطلاق الكلام على وجه عام...أبوك وأبى وجدك وجدى...كل أولئك قد ذهبوا بآرائهم وتفكيرهم وتجاربهم ، بعد أن عاشوا عصرهم ، وعملوا عملهم ، وتركوا

لنا ميراثهم ، نتصرف فيه من بعدهم طبقاً لما تراه عيوننا الجديدة وعصرنا الجديد . . . فلو أنهم بقوا معنا دائماً ، يدبرون أمورنا بما اعتادوا عليه ، لما تغير أو تجدد فى الدنيا شىء ... ما من شك فى أننا نحبهم ونقدر جهدهم ونقدس ذكرهم ونشكرهم على ما تركوه لنا ... ولكن ثق يا عزيزتى نبيلة أن خير ما يمكن أن يتركوه لنا هو أن يتركونا فى الوقت المناسب !...

نبيلة : « تخرج منديلها وتكفكف دمعها » هلم بنا يا مدحت . . . إلى شأننا ! ... « تمد يدها إلى لطيفة » إلى اللقاء يا لطيفة . . . سنزور طلعت قريباً فى المصلحة ...

لطيفة : شكراً يا نبيلة ! . . .

نبيلة : « تتجه إلى صديق » إلى اللقاء يا أستاذ صديق ! ...

صديق : « محاولا أن يخفى تأثره متمتما » أتمنى لك حياة سعيدة ! ...

(مدحت يسلم على الجميع فى صمت . . .
ويخرج هو ونبيلة . . . تشيعهما لطفية إلى
الباب . . . بينما يبقى صديق مطرقاً . . .)

صديق : « كالمخاطب نفسه هامساً » خير ما يمكن أن يتركوه لنا ! ... هو أن يتركونا فى الوقت المناسب ! ...

ستار

الفصل الثالث

(مصحة فى حلوان ... حديقة المصحة بها
بعض المقاعد .. وقد جلست «لطفية» على
مقعد تحت شجرة وإلى جوارها زوجة الباشا
«جليلة هانم» فى ثياب الحداد ...)

زوجةالباشا : ثقى أنى كنت أسأل ابنتى نبيلة أولا بأول عن صحة طلعت ... ولولا ظروفى التى تعرفينها لما تأخرت عن زيارته إلى اليوم يا لطفية ...

لطفية : إنى مقدرة ظروفك ياتيزة . . .

زوجةالباشا : هذا أول يوم أخرج فيه لزيارة بعد «الأربعين» . . .

لطفية : انى متشكرة ...

زوجةالباشا : وجود طلعت فى هذه المصحة الهادئة لابد قد أراح أعصابه . . .

لطفية : الحمد لله ياتيزة ... الواقع أن هناك بعض التحسن فى حالته ... هذا ما يؤكده الآن طبيبه المعالج . . . وما لاحظناه نحن بأنفسنا ... فهو لم يعد ينزعج لمرآى الناس كما كان يفعل من قبل ... ولم يعد يعتقد أن كل من يقترب منه يريد خطفه ... بل بدأ يأنس إلى الجميع . . . وبدأت عيناه ترسلان النظرات الهادئة الباسمة المطمئنة . . .

زوجةالباشا : عند ما سيرانى الآن سيعرفنى ؟ ...

لطفية : ربما ... إن أزمته الحادة كانت فى ذلك الرعب الذى ينتابه من فكرة وهمية . . . وهذه قد خفت وطأتها . . . أما فيما عدا ذلك فهو دمث لطيف . . . وإن كان لم يزل مختلط الذاكرة فى أشياء كثيرة من

شئونه وأعماله ومعارفه ...

زوجةالباشا : اسأل الله يالطفية أن يرد إليك قريباً زوجك صحيحا معافى... إنى أرثى لك وأرثى لنفسى ... كل منا فجعت فى زوجها فى نفس الأسبوع !.

لطفية : قواك الله ياتيزة وألهمك الصبر ... إن للباشا فى قلوبنا جميعاً ذكرى لا تنسى ...

زوجةالباشا : فى مثل سنى أنا يالطفية تتعذر الحياة بعيداً عن هذه الذكرى ... صديق هو كل ماضى وكل شبابى وكل حياتى ... لا أستطيع التفكير فى ماضى بدون التفكير فيه ، ولا يمكن التفكير فيه بدون التفكير فى الماضى . والماضى لمثلنا هو كل ذخيرتنا .. أما الباقى لنا فى الحياة فأيام فارغة نقضيها فى التحسر على زماننا ، وفى انتظار نهاية عمرنا...

لطفية : عمر مديد إن شاء الله ! ...

زوجةالباشا : وماذا أفعل بالعمر المديد يالطفية ؟... هل سأضع به مستقبلا جديداً ؟ !.. المستقبل لكم أنتم ... نحن يكفينا الماضى ... «تنظر فى ساعتها ... » الأولاد نسونى ! ...

لطفية : أعذريهم ياتيزة ... مشاغلهم كثيرة ...

زوجةالباشا : أكدت لى نبيلة أنها ستكون هنا مع مدحت قبل الخامسة والنصف .. لنعود معا إلى البيت ...

لطفية : انت تعرفين ماهما فيه الآن ؟ ...

زوجةالباشا : حقا ليس فى رأسهما غير عقد القران .. وتأسيس حياتهما الجديدة ... ووالله لولا تدخلك يالطفية ورجاؤك وإقناعك وإلحاحك ماوافقت

على هذا الإسراع المعيب في عقد القران بعد « أربعين » الباشا بأيام !. دون مبالاة بعوايد ولا عرف ولا تقاليد ولا أصول!...

لطفية : دعيهما يفرحا .. لاشيء ينكد على العروسين مثل هذه العقبات !... بالله ياتيزة لوحدث لك مثل هذا في شبابك ، ماذا كنت تصنعين ؟..

زوجة الباشا : بيني وبينك ... حدث ... كانت في أيامنا عوائد تقضي بأن تمضي بين تقديم الشبكة وعقد العقد فترة طويلة ... وبين العقد والدخلة فترة أطول ... وقبل الدخلة أفراح في ليال متعددة متعاقبة ، تحييها العوالم بالطبلة والرق والصاجات ، كانت تسمى « الضميات »... كل هذا كان يبدو في عيني أنا العروس بطيئاً مملا سخيفاً ... وكنت أسأل بصبر نافد عن نهاية هذه الإجراءات ... فكان العجائز يقلن لي : « عيب ... عيب ... أيوجد بنت تظهر لهفتها أو تسرعها ! .. »

لطفية : « باسمة » أرأيت ياتيزه ؟ .. نبيلة ومدحت إذن لهما حق ...

زوجة الباشا : لست أنكر ذلك ... كانا في الشباب كنا متعجلين ، متلهفين على المستقبل ... لأنه كان كل ماتملك .. لم يكن لنا الماضي بعد .. ولكن ضعي نفسك يالطفية في مركزي الآن ... إني مقيدة ...

لطفية : ولكن الشباب غير مقيد ...

زوجة الباشا : عارفة ... ولذلك نختلف ونصطدم ... ولكنك انت يالطفية التي توسطت في المسألة ، كنت أود أن تفهميني ...

لطفية : لاتؤاخذيني ياتيزه !... لا أستطيع أن أفهم غير شعور نبيلة ومدحت !...

زوجة الباشا : جيلك ... صدقت ... ليس من السهل عليك أنت أيضا أن تفهميني

ثق انى لست ظالمة ولا متعنتة ... إنى أحب لابنتى أن تفرح اليوم قبل الغد ... ولكن ماذا أصنع ؟... الأيام علمتنى أن هذا التصرف جائز ، وأن هذا التصرف معيب ...

لطفية : أيامنا الناشئة لم تعلمنا بعد شيئا غير أن نفرح بشبابنا !. . افرحى معنا ياتيزة... ووافقى من كل قلبك ، واذكرى أيامك الأولى عندما كنت تسمعين من العجائز كلمة « عيب يا بنت » فتضحكين !...

زوجة الباشا : « تهز رأسها وتجمد عينها تذكراً للماضى » صدقت يا لطفية . . . صدقت ! . . .

« تظهر عندئذ نبيلة حاملة باقة زهر ...
وخلفها مدحت يحمل صندوقا من الحلوى ... »

نبيلة : تأخرنا عليك قليلا يا ماما ! ... كنا نبحث فى الدكاكين عن « بابيون » أبيض لسترة مدحت . . .

مدحت : بل سبب التأخير الحقيقى الحذاء الفضى الذى يجب أن يتمشى مع ثوب العرس ! . . .

زوجة الباشا : ما علينا ! . . . ما علينا ! . . . النتيجة واحدة ! . . .

نبيلة : « تشير إلى باقة الزهر » هذه لطلعت ... كيف حاله الآن يا لطفية ؟ . . .

مدحت : « يشير إلى صندوقه وهو يضعه على مقعد » وهذا له . . . أرجو أن تكون صحته قد تحسنت . . .

لطفية : متشكرة جداً ... إنه الآن فى حجرته ... معه الشاب صديق ... سأرى إذا كان من الممكن أن نصعد إليه ؟ ... « تتحرك »

نبيلة : لا تقلق راحته ... « تنظر فى ساعتها » الوقت الآن غير مناسب ... سنمكث معك لحظة ... ونمضى تماما إلى البيت ، ثم نذهب إلى عمل هام ، أنا ومدحت .

مدحت : «مصادقا» نعم... نعم...

لطفية : «باسمة» دائماً فى عجلة !... أعرف ذلك... وكنت أدافع عنكما الآن أيضاً ... اسألا تيزة ...

زوجة الباشا : حقاً... ما أسعد حظكما بهذا المحامى!...

نبيلة : لطفية مثل أختى ... ولا يدهشنى أن تقف دائماً إلى جانبى...

« صديق يظهر خارجا من مبنى المصحة »

صديق : «موجهاً الكلام إلى لطفية» طلعت يريد الخروج إلى الحديقة قليلا...

لطفية : ولم لا؟... على شرط أن يضع على كتفيه غطاء.. لحظة عن اذنكم... أنا أخرجه بنفسى... «تتحرك بسرعة نحو مبنى المصحة»

صديق : «يتقدم إلى جليلة هانم مسلماً فى شىء من التأثر المكتوم» ...

زوجة الباشا : كيف حالك يا ابنى ؟ ...

صديق : لمحتك منذ يومين فى المقصورة بدار الأوبرا . . . فى حفلة التأبين بمناسبة مرور الأربعين ...

زوجة الباشا : كنت حاضراً فى حفلة تأبين الباشا؟!... إنى لم أرك... أين كنت؟...

نبيلة : «وهى تسلم عليه » كان فى « الصاله » ... رآك مدحت ... وهمس فى أذنى مشيراً إلى موضعك ...

مدحت : « وهو يسلم عليه » نعم ... فى الصف الثالث قبل الأخير . . . أليس كذلك؟...

صديق : بالضبط ...

زوجة الباشا : فى ذيل «الصالة» ! ... ولماذا لم تأت وتجلس معنا فى المقصورة ؟...

صديق : «متمتماً » بأى حق ؟ ..

مدحت : « بدون وعى » حسناً فعل ! .. إنه كان فى خير مكان يستطيع منه التسلل خارجاً من هـذه الحفلة فى أى وقت شاء ! .. بينما نحن فى المقصورة كنا مرغمين على حضورها إلى النهاية ...

صديق : أنا أيضاً حضرت هذه الحفلة من المبدأ إلى النهاية ...

مدحت : وما الذى يضطرك أنت إلى تحمل هذا ؟!...

صديق : أكانت مملة إلى هـذا الحد ؟!. .

مدحت : وكانت طويلة ... طويلة...

زوجةالباشا: لم ألاحظ ذلك بالمرة يامدحت..

صديق : ولا أنا...

مدحت : « لزوجة الباشا » أنت ياتيزة كنت تبكين طول الوقت ... وكذلك نبيلة فى أول الأمر ... ولكن عندما توالت القصائد والمنظومات والخطب الرنانة الفارغة يلقيها بعض أنصار الحزب ويصفق لها بعض الأذناب والمأجورين والمتفرجين والمتطفلين ، كفكفت نبيلة دمعها وجعلت تغمزنى وتسألنى هامسة عمن حضر من أقطاب الحزب وعمن لم يحضر ...

نبيلة : لقد دهشت حقاً من أن رئيس الحزب ووكيله لم يحضرا واعتذرا وأنابا عنهما عضواً غير بارز ... أما الحكومة فلم ترسل غير موظف صغير.. لم أر أحداً ذا مقام فى الحفلة ... وهى أول حفلة تأبين تقام لدولة صديق باشا رفقى ! ... فكيف إذن سيذكرونه فى الأعوام القادمة ! ...

زوجةالباشا: حقاً يانبيلة ! ... لقد لاحظت هـذا الجحود والنسيان والأهمال

وكتمت همى فى نفسى ... ثم حمدت الله أن زوجى فى التراب لا يرى ماترى من انصراف زملائه وأهل بلده عن ذكراه ! ..

صديق : هى ياسيدتى ان زوجك شاهد الحفلة ، ورآى منها مارأيت ...ماذا كان يصنع ؟ ! . .

نبيلة : « بسرعة » أنا أعرف ماذاكان يصنع...كان يغادر الحفلة بعد بدئها بقليل ساخطاً صائحاً : « أهذا هو الخلود فى بلدنا ؟ ! ...

صديق : من رأيى أنا انه كان يبقى إلى آخرها...يصغى إلى كل كلمة تقال بلذة ومتعة..ويراقب كل وجه وكل حركة بحرص واهتمام..كان بالطبع يتألم جداً من غياب رجال الحزب وأعضاء الحكومة والأصدقاء والزملاء...ويستمع إلى تلاوة برقياتهم التى يعتذرون فيها بالمرض أو السفر أو الارتباط بالموعد السابق ...وينظر إلى من نابوا عنهم وهم يخرجون ساعاتهم خلسة متبرمين،منتظرين قرب الفرج..بينما الخطباء يتشدقون متباطئين بالكلام المرصوص ... والشعراء يتمهلون بالشعر المنظوم ...لأنها فرصتهم التى يروون فيها عطشهم إلى التصفيق..أما الفقيد فكل ماقالوه فيه ينطبق على كل فقيد..لأن الذين يجهلونه هم الذين تكلموا ، والذين يعرفونه هم الذين صمتوا.. ولكن على الرغم من كل ذلك فإنه لا يستطيع أن يغادر الحفلة... ولا أن يجدها طويلة مملة..على النقيض..إنه يتمنى أن تطول ... وان يبرز فى ختامها خطيب مجهول..أوتضاف قصيدة فوق البرنامج.. كل فضيلة تلصق به يرى لها أصلا...وكل فضل ينسب إليه يرده إلى موضع أو موقف ... إنه يقيم فى رأسه شخصيته الماضية من

جديد على ضوء هذا المديح المفرط ... من يدرى؟... ربما كان هو قد جهل نفسه ... وان حقيقته هى تلك التى صورها هؤلاء الخطباء والشعراء الذين يجهلونه !... أليس هذا من الجائز؟!.. لم لا يصغى إلى كل كلمة تقال فيه ويقدرها قدرها ... لعل فيها مفتاح ذاتيته ... وسر شخصيته ... نعم ... هذا ما كان يفعله فى حفلة تأبينه ... كان يبقى إلى آخر دقيقة ويستمع إلى آخر شخص ... ويصغى إلى آخر كلمة ...

مدحت : ربما ... أن الإنسان الذى يمضى إلى بحر النسيان ، ليتشبث بقشة من بيت شعر !...

نبيلة : إنكم لا تعرفون أبى .. ثقوا أنه كان يثور .. ويترك مثل هذه الحفلة ويذهب ...

مدحت : نرجو ذلك .. إنه على كل حال لو فعل ما قاله صديق الآن وما صوره، لكان رجلا أنانياً يتصيد المدح الرخيص ، ولا يرتفع إلى مستوى الرجل العظيم !...

زوجة الباشا : ما من أحد منكم يعرفه كما أعرفه ... زوجى كان رجلا عظيما !..

صديق : « يخفى تأثره » ياسيدتى ... إنك تعرفينه فى حياته ... ولكن بعد موته ما من أحد يعرفه ... حتى ولا هو نفسه...

زوجة الباشا : ماذا تقصد ؟ ...

صديق : أقصد أن الموت قد يغير الإنسان !.. هل ندرى ما تصير إليه شخصية إنسان بعد موته ؟ !.. بعد تغير الصلة التى كانت تربطه بمجتمعه ؟..

زوجة الباشا : هذا كلام لا أفهمه ... كل ما أعرف هو أن زوجى فى حياته وموته رجل عظيم ... عاش فى خدمة بلده ... ومات فى خدمة بلده ...

وانه كان يستحق من بلده أكثر من ذلك الذى رأينا ...

مدحت : لا تتهموا البلد !... إن البلد الناهض ينظر إلى الأمام ، ولا يلتفت إلى الخلف !..

زوجةالباشا : « بقوة » صديق رفقى هو أحد الكبراء الذين مهدوا الطريق ودفعوا البلد إلى الأمام..ولا أسمح لك يامدحت ولا لغيرك أن ينتقص من قدر هذا المقام ، ولا أن يهون من شأن ذلك الرجل الكريم!..

صديق : « بتأثر » ما أكرم نفسك أيتها الزوجة الصالحة الوفية !.. وما أطهر قلبك!..وما أثبت إخلاصك !..وما أسعد زوجك بك..«يستدرك» لو كان حياً .. ورأى منك ما نرى !.. أنت حقاً الشريك الذى قاسمه حلو الحياة ومرها .. وعاش بذكراه ، ودافع عن أثره ..وفهمه حياً وميتاً ..بينما كل شخص وكل شىءقد بداغريباً عنه ..ما أكثر الغرباء فى الدنيا الواحدة. .والبلد الواحد .. والبيت الواحد..ولكنك أنت مازلت الوطن الرؤوم لهذا الغريب الشارد .. فى عالمه الآخر ..

زوجةالباشا : يسرنى أن أجد من يفهمنى !.. إنى أشكرك أيها الشاب .. وأعجب لهذا القول السديد .. هذا كلام أكبر من سنك!...

نبيلة : لا تعجبي ياماما ... إنه هكذا دائماً ...

زوجةالباشا : لكم أود أن أراك أكثر من ذلك ! .. وأن أستمع إلى حديثك .. وأن تطلعنى على أخبارك ..

مدحت : أخباره لاتتعدى أمراً واحداً .. البحث عن وظيفة ... « لصديق » بلغنى أنك التحقت بعمل ... أهذا صحيح ؟..

صديق : عمل تافه ... فى شركة زيوت ...

مدحت : شركة زيوت ؟ ! ... ماذا تصنع هناك ؟ ...

صديق : أعاون فى تحرير « كشوف » أرقام .. وفى عمليات الجمع والطرح..

نبيلة : وماهو مستقبلك فى هذا العمل ؟ ...

صديق : مستقبلى ؟! ... طبعا لا يمكن أن أصل به يوما إلى رئيس وزارة!..

مدحت : حقاً . . . شق طريق الحياة صعب جداً اليوم أمام الشباب ! . . . لكن اسمع يا صديق ... لى عم مستشار فى محكمة الاستئناف ، أحيل حديثاً إلى المعاش لبلوغه السن ، ومعه آخرون ، وسيترتب على ذلك إجراء حركة قضائية واسعة النطاق . . . وعمى يعرف النائب العمومى ... ومن السهل أن يرشحك فى إحدى وظائف مساعدى أو معاونى النيابة التى ستخلو ... ما قولك ؟ . . .

صديق : نعمة من الله ! . . .

زوجة الباشا : نعم ... ساعده يا مدحت ... ساعده من أجل خاطرى ! . . .

مدحت : سأكلم عمى الليلة ... والفرصة سانحة ... والترقيات فى سلك القضاء سريعة ... وطريق المستقبل مفتوح ... لأن الشيوخ يخلون المناصب لبلوغهم السن ، فيحتلها الشباب ... ما عليك أنت يا صديق إلا أن تجهز بعض البيانات ... فى أى عام تخرجت ؟ . ..

صديق : « مرتبكا » فى أى عام تخرجت ؟!...

مدحت : نعم .. حتى نطالب بمساواتك مع فريق دفعتك ! ...

صديق : « مأخوذاً هامساً » دفعتى ؟ ! . ..

مدحت : طبعاً ... كل أوراقك حاضرة ... شهادة ميلادك ... وشهادة الليسانس

صديق : « كمن يفيق من حلم » حقاً ... حقاً ... ميلادى ؟!.. شهادة ميلادى

الليسانس ! ... شهادة الليسانس ؟! ... أين كل هذا ... الآن ؟! . .

مدحت : ماذا تقول ؟! ...

صديق : « لمدحت » لا تكلم عمك الليلة ... انتظر حتى أحضر ..البيانات .. لا تكلم عمك ...

مدحت : « ينظر إليه في دهشة » ؟ . . .

« تظهر لطيفة خارجة من مبنى المصحة تسند ذراع طلعت اليمنى بينما تسند ذراعه اليسرى ممرضة . . . ويتقدمان به ويجلسانه على مقعد مريح تحت شجرة . . . »

لطفية : « وهي تسوى الغطاء الخفيف على كتفي طلعت » أصدقاء أعزاء ، تسرك رؤيتهم ، تفضلوا علينا بالزيارة . . .

زوجة الباشا : « تتقدم بشيء من الخوف» أتذكرني يا دكتور طلعت؟! .. أنا جليلة حرم..

طلعت : « بدون تردد » حرم صديق باشا رفقي ... طبعاً ... طبعاً ... إني سعيد برؤيتك . . .

زوجة الباشا : أنا السعيدة إذ عرفتني لأول وهلة ...

طلعت : عرفتك ؟! .. وكيف لا أعرفك ؟..

نبيلة : « تتقدم بوجل » وأنا . . . نبيلة ...

طلعت : « باسماً » كيف حالك يا نبيلة ؟ ! . . . لقد ازددت جمالا ، وازداد قوامك اعتدالا .. امسكي الخشب ! ..

لطفية : « تتناول باقة الزهر » هذه الأزهار الجميلة يا طلعت من نبيلة ...

طلعت : « يتأمل الأزهار » ما أبدع ذوقها حقاً ... متشكر يا نبيلة ! ...

لطفية : « تناول الأزهار للممرضة » ضعيها في حجرته من فضلك ... « ثم

تأخذ الصندوق وتريه لطلعت ، وهذه علبة حلوى فاخرة من مدحت تناولها للممرضة التى تحمل هذه الأشياء وتنصرف بها من حيث ظهرت ... »

طلعت : شكراً يامدحت !... لماذا تنظر إلى هكذا من بعد ... اقترب يا أخى وسلم على ...

مدحت : « خجلا مرتبكا يتقدم » عفواً إنى لم أرد ازعاجك ... وخفت أن تكون قد ... نسيتنى ...

طلعت : « وهو يسلم عليه » نسيتك ؟ ... كيف أنساك ؟ ! ...

مدحت : انى مسرور جداً لهذا التحسن...

طلعت : أى تحسن ؟ ! ...

مدحت : لقد عرفتنا بكل سهولة ...

طلعت : « يجيل فيهم نظره » عرفتكم بكل سهولة ؟ ... ما هذا الكلام الذى تقولونه .. كلكم ؟ ! . أكنتم تتوقعون أن أجهلكم ؟ ! . لماذا ؟ .. أأنا فى غيبوبة ؟ ...

مدحت : « مرتبكا » لا ... ولكن ...

طلعت : ماهذه النظرات ؟. . . إنكم لستم فى حالتكم الطبيعية معى . . . أقالوا لكم إن مرضى خطير ؟ . .

زوجةالباشا : لا ... أبداً ... بالعكس ...

طلعت : « باسماً » ربما كانت المصحة لها أثر فى حالتكم المعنوية ...

زوجةالباشا : كلنا نعلم أن مرضك بسيط ...

طلعت : إذا صدق طبيبى المعالج ... وصدقت الأشعة التى أراها لى ... فانى

لست مريضاً حتى الآن ... أنا نفسى بالطبع طبيب وأفهم ... حقاً العمل المرهق كان بدون شك سيضعف رئتى اليمنى . . . المتأثرة من التهاب قديم ... ولكن هذه الراحة التامة قد كان لها أكبر الفائدة .. وربما أزالت كل احتمال لمرض فى الرئة ... هذا كل ما فى الأمر ...

زوجة الباشا : « بدون فهم » الرئة ؟ ...

لطفية : « هامسة » نسيت أخبركم ... الطبيب أفهمه أن وجوده هنا ...

زوجة الباشا : « هامسة ومعها نبيلة ومدحت » فهمنا ... فهمنا ...

طلعت : « ينقل بصره بينهم » لماذا تتهامسون ... هكذا ؟ ...

زوجة الباشا : لطفية تدخل على قلوبنا الاطمئنان ... الحمد لله ... المسألة بسيطة جداً يا طلعت ... أبسط مما كنا نظن ... وجودك هنا من غير شك من أجل الرئة ... وكل ما يلزمك الراحة التامة ... وإن شاء الله تخرج فى أتم صحة ... قريباً ... من هذه المصحة ... ونراك فى القاهرة ... فى بيتك كالعادة ... « تمد يدها مودعة » لا ينبغى أن نزعجك أكثر من ذلك ... إلى اللقاء القريب . .

طلعت : إلى اللقاء ... بلغى سلامى واحترامى لدولة الباشا ...

زوجة الباشا : « فى ذعر مكتوم » الباشا ؟ ...

طلعت : « باسماً » كيف حاله الآن ؟... أهو مواظب على صبغ شاربه بالصبغة المضمونة ؟...

زوجة الباشا : « هامسة مضطربة » الباشا ...

طلعت : « محدقاً فى وجوه الحاضرين » ماذا بكم ؟... ما هذا الوجوم !.. كأنى فى نظركم أهرف بكلام غير معقول ...

الجميع : « وهم فى وجومهم » لا ... أبداً ...

طلعت : ماذا يدهشكم من سؤالى عن الباشا ؟ ! . أليس هذا طبيعياً ؟ ! .

مدحت : «متكلفاً الهدوء» بدون شك ..

طلعت : « ينظر إليه » تقولها يا مدحت وفى نظراتك شك كبير ... « ينظر إلى الجميع » كلكم فى عيونكم هذه النظرات ... نظرات أعرفها من الجميع هنا ... حتى من لطفية أحياناً .. نظرات كلها حذر وريبة وخوف ... منى أو على ... لست أدرى بالضبط ... نظرات ترى فى كل ما أفعل وما أقول غرابة أو خروجا على المنطق أو المألوف ! .. نظرات يصاحبها أحيانا كلام لطيف مرتجف عطوف ... ولكنها هى الأبلغ فى الدلالة على حقيقة ماوراءها ... وهى وحدها التى أصدقها وهى التى تخيفنى من نفسى وعلى نفسى ... وتجعلنى أقول : لقد دخلت هذه المصحة خشية الإصابة فى الرئة ، ولكن هذه النظرات ستخرجنى منها مصاباً فى عقلى ! ...

لطفية : لا ... لا تفكر هكذا ياطلعت ... أرجوك ... ثق أننا ننظر إليك دائما بعيون المحبة والرحمة والمودة ...

طلعت : « مستمراً » لقد عرفت الآن كيف يصاب شخص بالجنون ! ... إنها نظرات الناس ! ...

زوجة الباشا : « برعب » لا تتكلم فى الجنون يادكتور طلعت ! ... ثق أنك هنا فى هذه المصحة للوقاية من مرض الرئة .. ولا شىء غير الرئة ! .

طلعت : أعرف هذا... ولا داعى أن تؤكدى لى ذلك بهذه النظرات ؟ ! .

زوجة الباشا : «مرتبكة» هذه النظرات ؟! . إلى اللقاء ياطلعت ! .. إلى اللقاء يادكتور ! ..

طلعت : إلى اللقاء ... كنت أحب أن أسألك سؤالا بسيطاً ... ولكنى أخشى أن تجدى فيه ... كالعادة مايثير العجب ... هل تسمحين بالسؤال ؟.

زوجةالباشا : « بدون إرادة » تفضل ... تفضل ...

طلعت : صحة الباشا ... أظن من حقى بل من واجبى أن أسأل عن صحة الباشا وأنا طبيبه المعالج...أفى هذا عجب أيضاً ؟امن الذى يعطيه الآن الحقن حقن « الأنجيوكسيل » ! ...

زوجةالباشا : « هامسة » إلهى ! .

صديق : « يتقدم بسرعة » انه الآن لم يعد فى حاجة إلى هذه الحقن ! ...

زوجةالباشا : « كالمخاطبة نفسها فى تنهد » حقا ... لم يعد فى حاجة إلى حقن الآن !.

طلعت : هذا خبر سار !... تحسنت صحته !... زال عنه خطر الذبحةالصدرية!

زوجةالباشا : « فى تنهد » زال عنه كل شيء ! ..

طلعت : الحمدلله!.. لاتنسى أن تبلغيه تحياتى.. وسأزوره بمجردخروجى من هنا.

زوجةالباشا : « وهى تتحرك للانصراف » اسأل الله لك الشفاء العاجل ! ..

طلعت : أشكرك ..

نبيلة : « تتقدم مودعة » إلى اللقاء ياطلعت ..

طلعت : « باسما » إلى اللقاء يانبيلة .. فى عرسك إن شاء الله ! ... متى تنتهى الخطوبة ويعقد القران ؟ ! . من المسئول عن هذا التأخير حتى الآن أهو مدحت ؟ ! .

نبيلة : « بدون وعى » بالعكس ... مدحت يريد أن يخطفنى خطفا ...

طلعت : يخطفك خطفا ! ...

لطفية : « هامسة فى قلق » لماذا ذكرت كلمة الخطف !

نبيلة : « خائفة مرتبكة » ويلى ! ... خرجت من فمى ... لا أقصد شيئاً ... أقصد بالخطف... انه ...

طلعت : « ينظر إليهم وهم فى خوف وتهامس » عدتم إلى هذه الهمسات ... وهـذه النظرات ...

مدحت : نبيلة تقصد بالخطف ...

طلعت : أعرف ماذا تقصد..

زوجةالباشا : «بصوت متهدج» نعم ... ثق أنها لا تقصد شيئاً مخيفاً ...

طلعت : مخيفاً ؟! ... ولماذا هو مخيف ؟ !... ومن قال إنه يخيف ؟ ... ويخيف من ؟... يخيفنى أنا ؟... تقصدون ذلك؟... تعتقدون أنى أخاف من الخطف؟... دائماً يتجنبون هنا هـذه الـكلمة أمامى ؟... وإذا لفظها أحـــد عفواً أسكتته النظرات ... فى الحال ... ثم أحاطت به الهمسات !... لا بد أن يكون لهذه الـكلمة أصل ! ... أليس كذلك يا لطفية ؟!...

لطفية : « بقوة » لا ... لا ... مطلقاً ...

طلعت : نبرات صوتك تقول نعم...

لطفية : صدقنى يا طلعت... إنه لا علاقة لك بالخطف. .. على الإطلاق...

طلعت : ومن الذى له علاقة بالخطف؟...

لطفية : لست أنت على أى حال ...

زوجةالباشا : «بصوت مهتز» نعم ... لست أنت ...لست أنت. .

طلعت : من إذن ؟... هناك إذن شخص قد خطف ؟...

لطفية : لا تفكر فى هذا يا طلعت ...أرجوك . . أرجوك... حالتك كانت قد تحسنت ...

نبيلة : «هامسة نادمة» إنى آسفة... إنى آسفة...

طلعت : « متصفحاً وجوههم الواجمة » كل شىء فى وجوهكم ينطق بأنكم تخفون عنى أمراً ...

لطفية : ثق أننا لا نخفى عنك شيئاً ...

طلعت : هناك شخص قد خطف ...

لطفية : ما من أحد خطف ...

طلعت : كيف دخلت هذه الكلمة إذن حياتى؟! ... ما الذى أعطاها هذه القوة؟ ... من الذى جعل لها هذه الأهمية؟! ... كل ذلك لا بد أن يكون له أصل ... إنى خطفت ... أليس كذلك يا لطفية ... قولى الحقيقة...

لطفية : خطفت أنت ... آه يا ربى ... إنها النكسه!...

طلعت : نكسة؟! ...

لطفية : « بقوة » صدقنى يا طلعت ... إنى أقول الحقيقة ... وأقسم لك ... ما من أحد يستطيع أن يخطفك؟! ... لا تخف أبداً... لا تخف... لا تخف ...

طلعت : لست بخائف... ولكنى أريد أن أعرف... لأستريح ... ليرتاح رأسى... ما سر كلمة الخطف؟... هل سبق أن خطفت؟... ما معنى هذه الكلمة؟ ... لماذا هى محيطة بى؟ ... لماذا هى تعيش معى؟ ... لماذا هى تتعقبنى؟ ... لماذا أراها فى أعينكم وأسمعها فى همساتكم؟... «يضع رأسه بين كفيه» سأجن... سأجن...

لطفية : « هامسة لصديق » ناد الممرضة يا صديق ... لندخله ونستدعى الطبيب ...

صديق : « همساً » الحق معه ... نحن الذين سوأنا حالته ... بهذا الجو الخانق من الكذب والتهامس والتغامز والمداراة . . . سأمكث معه لحظة على انفراد ... هنا ... بعيداً عن الممرضة التى أجدها دائما معه ! ..

لطفية : ماذا ستقول له على انفراد ؟ ! . . .

صديق : لا شىء ... سوى كلمات لطيفة مهدئة . . .

زوجة الباشا : « همساً » نستأذن نحن يا لطفية . . بدون أن نزعجه . . أو نسترعى التفاته . . .

لطفية : إنى معكم ... أشيعكم إلى الباب الخارجى . . .

« ينصرفون كلهم وهم يلقون على طلعت المطرق نظراتهم القلقة ... ولا يبقى سوى صديق الذى يجذب مقعداً ليجلس بقرب طلعت ... »

صديق : « يهز ذراع طلعت منادياً » طلعت . . طلعت . .

طلعت : « يرفع رأسه ويلتفت حوله » أين الجميع ؟ . . .

صديق : انصرفوا . . .

طلعت : ولطفية ؟ . . .

صديق : تشيعهم ... وستعود بعد قليل ... وفى هذه الفترة أرجو أن تصغى إلى كلامى جيداً .. إذا أردت أن تخرج من هذا المكان .. وأخرج أنا من هذا الوضع .. قبل كل شىء يجب أن تعلم أنهم يعالجونك هنا علاجا لن يؤدى إلى نتيجة . . هذا الحبس الذى تقيم فيه . . هذا الانفصال عن العالم الخارجى . . . لا صحف تعطى لك ولا أخبار يفضى بها إليك ... حتى عملك لا يسمح لك بالتفكير فيه .. عزلة

مطلقة بحجة توفير الراحة التامة لك . . أى راحة ؟ . . أنت لست فى حاجة إلى الراحة . . ولكنك فى حاجة إلى الذاكرة . . لا ينبغى لك أن تنفصل . . بل أن تتصل بكل حلقة من حلقات حياتك . . لماذا يتركونك تنسى أن صديق باشا رفقى مات ..

طلعت : مات ؟ ! ...

صديق : إنك تعرف ذلك ... أو كنت تعرفه يوم تناقشنا فى ذلك آخر مرة قبل أن تأتى إلى هنا .. ألا تتذكر ما قلناه يومئذ .. تذكر جيداً ..

طلعت : ماذا قلنا ؟ . .

صديق : تحدثنا فيما نشرته الصحف يومئذ من أن صديق باشا رفقى قد خطف

طلعت : خطف ؟ ! .. خطف ؟ !..

صديق : هذا ما نشرته الصحف . . وتكلمنا فيه معا فى بيتك فى القاهرة ... ألا تذكر ؟ ! . .

طلعت : خطف ؟! أترانى اقتربت من سر الكلمة التى تطن دائما فى رأسى !..

صديق : بالضبط ... ولقد تأثرت أنت أشد التأثر مما قيل فى أمر خطفه... حتى توهمت أنك ستخطف أنت أيضا ...

طلعت : أخطف أنا أيضاً ؟ ! ...

صديق : وهم بالطبع ... من أثر وقع الخبر ... خيل إليك أن الارهابيين الذين زعموا أنهم خطفوا الباشا سيخطفونك أنت أيضا . . . وأوجست خيفة من أقرب الناس إليك .. من لطفية زوجتك ومنى..

طلعت : ما هذا الكلام ؟ ... كنت أهذى ...

صديق : لاشك أنه نوع من الهذيان ... الذى يصيب الإنسان عرضا فى أى

صدمة أو حمى ... ولا يلبث أن يمر ويمضى ... وقد مر بسلام فيما أرى ... ولكن حياتك هنا بهذه الطريقة ، لن تعجل بشفائك ؟ ...

طلعت : من الرئة ؟ ...

صديق : أى رئة ... الخوف على الرئة هذا ستار يخفون وراءه السبب الحقيقى لوجودك هنا ...

طلعت : السبب الحقيقى لوجودى هنا هو الخوف على عقلى ؟ ... أليس كذلك؟!

صديق : بكل صراحة ... نعم ...

طلعت : آه ... فهمت الآن سر النظرات والهمسات ! ... ولماذا لم يقولوا لى ذلك من أول الأمر ؟ ! . . .

صديق : يقولون لك ماذا ؟ ... انك ...

طلعت : نعم ... انى متعب العقل ... هكذا بكل بساطة .. حتى أعاون فى تتبع سير الحالة ... ومراقبة الأعراض ... ومباشرة العلاج ...

صديق : أظن أنه لم تجر العادة بذلك فى مثل هذه الحالة ...

طلعت : جرت العادة أن يحاط المصاب بهذا التمثيل غير المتقن الذى يفسد الأعصاب ! ...

صديق : ما من عاقل يقول لمجنون أنت مجنون ! ...

طلعت : ولماذا يقولون للمحموم أنت محموم ، وللمصدور أنت مصدور ؟ !...

صديق : لأن الحمى تقاس بميزان الحرارة ، والرئة تكشف بالأشعة ... ولكن المصاب بعقله كيف يمكن أن نريه داءه ... ونقنعه بأنه مجنون ؟ ! ...

طلعت : فى حالة العقل الميزان هو الغير ... والأشعة هم الآخرون ... وما دمت ياصديق قد صارحتنى هكذا بحقيقة الأمر ... فإنى أرجوك أن تمضى

إلى النهاية فى صراحتك وشجاعتك وأن تقول لى بكل إخلاص وصدق: هل أنا حقاً مجنون؟...

صديق : الآن... كما أرى من حديثك ، وألمح من تفكيرك ، أقسم غير حانث أنك عاقل ... وفى أتم قواك العقلية ...

طلعت : وفيم إذن وجودى هنا ؟ ! ...

صديق : هذا مالم أعد أقره أو أجد له معنى ...

طلعت : ولطفية مارأيها ؟ ...

صديق : لطفية ليس لها من هدف إلا أن تراك على خير حال ... وليس لها من رأى إلا ما يأمر به الطبيب المباشر من وسائل العلاج ...

طلعت : وكيف نقنع الطبيب المباشر بأنى صحيح العقل ، قدير على الخروج إلى شغلى واستئناف عملى ؟...

صديق : هذه هى المسألة ! ...

طلعت : حقاً ... ليس هذا بالأمر الهين ... إن إثبات العقل لمن أشق الأمور ... أعرف ذلك ... كلما أمعنت فى إثبات عقلك ، كلما ابتسم الناس رحمة بجنونك !...

صديق : مهما يكن من أمر ، فلابد من خروجك حالا من هنا ، واستئناف أعمالك وأبحاثك ! ...

طلعت : بمساعدتك أنت ياصديق قد يتم لى ذلك ... أنت المؤمن بصحتى العقلية إياك أن تتخلى عنى ! ...

صديق : أتخلى عنك ؟... أنا أستطيع أن أتخلى عنك ؟! ... أنت مفتاح حياتى ... أيوجدلى الآن أمل إلا فيك وفى عودتك إلى عملك وبحثك وحقنتك الملعونة.

طلعت : « بدهشة » حقنتى الملعونة ؟ ! ...

صديق : انتظر... لاتتسرع ولا تفجعنى مرة أخرى فى ذاكرتك الضائعة... سر معى خطوة خطوة حتى نصل إلى عتبة الباب. الباشا مات... أليس كذلك ؟ ...

طلعت : خطف ...

صديق : نعم ... خطف ثم قتل ... هكذا قالوا فى الصحف ...

طلعت : لم أطلع على الصحف ... كيف قتلوه ؟ ! ...

صديق : لم يقتلوه هو فى الحقيقة ... ولكن الذى قتل ... هو رجل آخر ..

طلعت : رجل آخر ؟ ! ...

صديق : طبعاً ... لأن الباشا لا يمكن أن يكون قد قتل أو مات ... لأنه موجود ... حى ... وأنت تعرف ذلك ؟ ... إرجع يا طلعت بذاكرتك إلى يوم الحقنة ...

طلعت : حقنة « الانجيو كسيل ... ؟ »

صديق : بالضبط ... فى هذا اليوم ... جئت أنت لتعطيه هذه الحقنة ... ولكنك أعطيته حقنة أخرى... كنت قد حقنت بها أرانب فأعادتها إلى الشباب ... وإذا الباشا ...

طلعت : يعود إلى الشباب ! ...

صديق : بالضبط ... أتذكرت الآن ؟ ...

طلعت : « وهو ينظر إلى صديق بريبة خفية » نعم... نعم... نعم...

صديق : عرفتنى ؟ ... تأملنى جيداً ياطلعت... وانظر إلى صنعك وعملك ! ...

طلعت : « وهو ينظر إليه » صديق ...

صديق : نعم ... صديق ... صديق رفقى ... صديق رفقى باشا ...

طلعت : « ينظر إليه فاحصاً » أنت ؟ !! ...

صديق : « بفرح » نعم ... أنا ... تذكرت أخيراً كل شيء ياطلعت تذكرت ماجرى كله ! ... أخيراً ؟ ... أخيراً ... وافرحتاه ... « يقبل عليه فى جد واهتمام » والآن اسمع ياطلعت ... إنى أعيش بأمل واحد الآن ... هو أن يكون عندك لتلك الحقنة الملعونة ترياق ... بالطبع ... إنى أعرف أن لكل تركيب ضداً ... وما من شك أن فى مقدورك أن تركب حقنة أخرى تزيل أثر الحقنة الأولى وتردنى فى الحالى إلى حالتى السابقة من الشيخوخة ... لا تسأل الآن عن الأسباب ... طبعاً سأذكرها لك بعد قليل ... ولكنى الساعة أريد أن تبادر بادخال الاطمئنان على قلبى ... قل لى إن هذا فى الإمكان ، وانك تستطيع أن تقوم به فى أسرع وقت ... أخبرنى ياطلعت ... هل تستطيع ؟ ...

طلعت : « وهو ينظر إليه بشك خفى » نعم ... نعم ...

صديق : « بلهفة » متى ؟ ... متى يمكن ذلك ؟ ...

طلعت : « بدون وعى » غداً ...

صديق : « بفرح » غداً ... غداً أعود سيرتى الأولى ؟ ... غداً أعود صديق باشا رفقى فى نظر أسرتى ... وفى نظر الناس ... وفى نظر المجتمع ! ... ياللسعادة ! ... قلبى يدق ... كمن سيعود إلى بيته بعد طول السفر ! ... هذا القلب الذى لم يستطع أن يدق لحب جديد ... ولا لمصير جديد ! ... نعم ... تلك هى الحقيقة ياطلعت ... ان الشباب ليس فى الجسم ... ولكنه فى النفس أيضاً ... إنك قد أعطيتنى الجسم الفتى ، ولم تعطنى النفس الفتية الجديدة ، التى تبصر الحياة جديدة ... وترى كل معنى من معانيها كنتا بالم يفتح بعد : الحب ، المجد ، الغد ... كل هذه المعانى قد زالت عندى جدتها ،

وضاعت فرحتها ... أتستطيع أن تصـــدق أو تتصور أن الأكلة الدسمة التى كنت أتمناها فى شيخوختى ، قد ذقتها اليوم فلم أجدلهاعين الطعم اللذيذ الذى كنت أجده لها فى شبابى الأول ... الحقيقى ... وقل مثل ذلك عن النساء والملاهى والسهر والعبث واللعب والحب والطموح والحرية والمستقبل ... كل هذا لم يعد له عندى نفس المعنى ولا نفس المذاق... ماقيمةالشباب لى إذن ؟... إنه بالنسبة إلى نفسى الهرمة دار غربة!.. إنك ألقيت بى فى عالم غريب ياطلعت !..وقد زاده غرابة اضطرارى إلى الكفاح من أجل العيش!.. رئيس وزارة سابق مثلى يعمل صبي كاتب قيودات فى شركة زيوت ! لم أستطع غير ذلك؟. أين هى الشهادات التى يمكن أن أتقدم بها الآن إلى وظيفة أرقى ؟. تصور هذا الدماغ الذى صرف شئون البلاد مدى أعوام ...واعتاد الاشتغال بالأمور الجسام ، يتراجع ويصغر وينكمش ليشغل بجمع وطرح أتفه الأرقام !.. ستقول لى ياطلعت إن تجاربى الخطيرة فى سياسة الدولة لم تزل موجودة ... نعم... هـذا صحيح ... ولم يفتنى ذلك ... خذ وانظر واقرأ ... « يخرج من جيبه أوراقا » خـذ واقرأ ...

طلعت : « بدون أن يمده » ماهذا ؟ ...

صديق : مقالات وبيانات وبحوث فى السياسة والاقتصاد ... وتعليقات على الموقف الداخلى والخارجى...أرسلتها إلى جميع الصحف...فردت إلى بالتالى ... دون أن تنشر ... إنها عين الافكار والمعلومات والخبرة التى كانت الصحف تتهافت على طلبها من دولة صديق باشا رفقى !.. لم ينقص منها شيء سوى ... ألامضاء ...بالطبع ليس من الممكن أن

أوقع باسمه وهو فى نظر المجتمع قد توفى ودفن ... جعلت الامضاء: « صديق رفقى الصغير » ... فإذا بتلك الأفكار والمعلومات والخبرة، تصبح شيئاً لا يستحق من أحد نظرة !...

طلعت : « ينظر إليه هازاً رأسه » نعم ... نعم ... نعم ...

صديق : فهمت الآن ياطلعت حقيقة ما أنافيه ؟ !. لو تركتنى أمضى فى حياتى هذه فأى مصير ينتظرنى ؟. لن أصل أبداً إلى ماسبق أن وصلت إليه!. إن الظروف التى قادتنى فيما مضى إلى رياسة الحكومة لن تتكرر !.. قد تكون قمة مجدى الجديد الوصول إلى رياسة قلم فى شركة الزيت !.. وقد لا أبلغ ذلك ... فإنى فقدت كما قلت لك لذة الطموح ... إن كلمة « المستقبل » تضحكنى ... وكلمة « الماضى » تحسرنى ... إن الأمس هو بيتى . . كما أن الغد هو بيت الشاب الحق ... إنى لست شاباً ... لست شابا ياطلعت ... أعدنى إلى بيتى ... أعدنى إلى بيتى !..

طلعت : « وهو ينظر إليه فاحصاً » أعيدك إلى بيتك ..

صديق : نعم ... أتوسل إليك ... فى أسرع وقت ... غدا كما قلت ووعدت ... غدا جهز لى الحقنة المضادة المباركة ... وعلى أنا أن اخرجك من هذا المكان الليلة نعم ... سأخرجك الليلة من هذه المصحة ، على أن تخرجنى أنت غدا من هذا الشباب ...

« تظهر لطيفة وخلفها الممرضة وهى تنظر فى ساعة معصمها ... »

لطيفة : حان موعد الدواء ياطلعت ... يجب أن تدخل الآن ... « تساعده على النهوض مع الممرضه » ...

صديق : ألم يأت بعد الطبيب المعالج ؟ ! ...

لطفية : سيأتى بين لحظة وأخرى ... ابق أنت ياصديق فى مكانك ... ريثما أدخل طلعت وأعود ... «تسير بطلعت مع الممرضة نحو باب المصحة..»

صديق : « يلتفت نحو طلعت » لا تنس يا طلعت ما قلناه ! ... إنى عند وعدى ... فكن أنت عند وعدك ! ...

« يعتدل صديق فى جلسته ويكون ظهره إلى حيث يسير طلعت نحو الداخل . . . وعندئذ يهمس طلعت ويشير للطفية بيده إلى رأسه علامة تدل على ذهاب العقل . . . ثم يختفى الجميع من باب المصلحة ... ويبقى صديق وحده مطرقا مفكرا . . . »

لطفية : «لاتلبث أن تخرج بسرعة من المصحة عائدة إلى حيث يجلس صديق» ماذا كان موضوع حديثكما ؟ ...

صديق : أشياء كثيرة اقنعتنى كل الاقتناع أن طلعت فى أتم صحة عقلية ونفسية ومعنوية . . .

لطفية : لاداعى إذن إلى بقائه هنا ؟ ...

صديق : « بقوة » على الإطلاق ... إنه رجل عاقل ...

لطفية : فليخرج إذن لتحتل أنت حجرته ! . . .

صديق : ماذا تقولين ؟ . . .

لطفية : ما قاله لى بالحرف ... قال لى انك مجنون . . .

صديق : أنا ؟ ! ...

لطفية : أكدلي الآن أنه سمع منك كلاما كثيراً ، لا يصدر إلا عن مجنون ...

وأوصانى بعرضك على الطبيب ، وبأن تحجز لك هنا حجرة ! . . .

صديق : « كالخاطب نفسه خائب الأمل » واخسارتاه ! ... أنا الذى ظننته يصغى إلى كلامى بفهم وعقل ! ... وإذا به لم يزل مجنونا ! ...

لطفية : « باسمة » أهكذا نسمى دائماً من لا يصغى إلى كلامنا ؟ ! ...

صديق : لا يالطفية لا ... زوجك قطعا لم يزل فاقدالذاكرة فى أشياء كثيرة ..

لطفية : « باسمة » ياله من تحول سريع ! . . .

صديق : بل هى غفلة منى ... وتسرع فى الحكم ... وكان يجب أن أحسن امتحانه ... على كل حال ... لقد انهار البناء الذى شيدته على .. عقله ! ..

لطفية : أى بناء ! . . .

صديق : « كالخاطب نفسه » بناء حياة بأكملها ! ...

لطفية : حياتى ... نعم ياصديق ... لقد كان لك هذا الفضل ... أنت الذى استعطت بتفكيرك الرزين أن تدعم أساس حياتى الزوجية .. لا تنس أن فى حياة كل امرأة شابة لحظة طيش واندفاع ... تنبت من الفراغ والملل ... منى حسن الحظ أنك ظهرت فى ذلك الوقت ... فجعلتنى اتئــد ... وأصابتنى عدوى طبيعتك المتحفظة ، فصرت أنفر من المغامرة . . . وتحولت عاطفتى الثائرة إلى شعور هادىء بالواجب الزوجى ... فإذا بى أشعر بنوع من السعادة اللطيفة فى رعاية اطلعت وسهرى عليه ، وتكريس حياتى له ... إنى أشكرك ياصديق . . . تصور ماذا يكون مصيرى لو كان صادفنى فى مثل هذا الظرف شاب .. اقصد لو صادفنى شاب آخر نزق الطبع ... طائش ... ثائر مندفع ...

صديق : إنى كنت لك أباً ؟ ...

لطفية : لم أرد أن أقولها... ولكنك بالفعل لم تكن لى شيئاً غير هذا !...

صديق : وهل كنت تفضلين لو كنت لك شيئاً غير هذا؟!..

لطفية : لا تسألنى هذا السؤال يا صديق ! ...

صديق : لن أسألك ... ولكنى أقول لك .. وأنا واثق مما أقول: إنك لن تندمى أبداً على ما سلكت اليوم من طريق ...

لطفية : إنى على كل حال أشعر اليوم أن حياتى قد استقرت على أساسها السليم .. وكن واثقاً أن مرض زوجى مهما يطل فلن يؤثر فى هذا الأساس ...

صديق : مرض زوجك لن يطول ... ولا يجب أن يطول.. «كالمخاطب نفسه» لأن اقوة الاحتمال حداً ...

لطفية : تأكد أنى الآن قوية الاحتمال ...

صديق : لست أتكلم عنك أنت ...

لطفية : عمن إذن تتكلم ؟ ...

صديق : عن ... عنه هو ... عن هذا الوضع ... عن وضعه ... يجب أن يعود سيرته الأولى ... يجب أن يرجع إلى عمله ودرسه وبحثه ومعامله وحقنه ... بأسرع وقت ... بأسرع وقت ..

لطفية : وما السبيل إلى ذلك ؟! ...

صديق : «كالمخاطب نفسه» لا أدرى... إن ذاكرته يجب أن تعود إليه كاملة... كاملة ... مرتبة ... منذ ... منذ ذلك اليوم ...

لطفية : ذلك اليوم ؟ .. أى يوم ؟..

صديق : يوم الحقنة . . أقصد اليوم الذى اختفى فيه الباشا ...

لطفية : «كمن يتذكر» نعم ... فى ذلك اليوم كنت ذاهبة أنا أيضاً إلى بيت

الباشا . لأرى أثواب نبيلة التى أحضرتها الخياطة... ولكن طلعت سبقنى ليعطى الحقنة ...

صديق : « فى لهفة » أى حقنة ؟ ...

لطفية : حقنة « الأنجيوكسيل» طبعاً ...

صديق : «مطرقا فى خيبة » آه ...

لطفية : ألا يوجد طريقة لتذكيره بلطف ...

صديق : بلطف أو غير لطف...لابد أن يتذكر... لابد أن يتذكر كل شيء .. من البداية . . . منذ ذلك اليوم الملعون . . . « فجأة يصيح » إسمعى يالطفية !... عندى فكرة . . .

لطفية : أسرع ...

صديق : ما قولك فى أن ننقل طلعت بملابسه التى كان يرتديها فى ذلك اليوم .. وبحقيبته وحقنته إلى بيت الباشا ...فى نفس الساعة ونفس المكان ، ونفس الوضع الذى كان عليه عند إعطاء الحقنة ؟..ألا ترين أن هذا كله قد يرد إليه كل ذاكرته فجأة؟ !...

لطفية : « تتأمل الاقتراح ثم تصيح متحمسة» فكرة مدهشة!...

صديق : المهم..كيف ننفذها؟!..

لطفية : هذامن أسهل الأمور...

صديق : حذار أن تخبرى الطبيب المعالج . . . فقد يتفلسف ويعقد الموضوع ويفسد الحكاية ...فلنعتمد نحن على أنفسنا ...

لطفية : ومادخل الطبيب هنا...إنى سأخرج بزوجى لمدة ساعة،تحت مسئوليتى.. وليس لأحد هنا أن يسألنى أين أذهب به ؟ ... أليس كذلك ؟...

صديق : بكل تأكيد ... سيكون ذلك غداً ...

لطفية : فليكن غداً ... يحسن إذن أن نتصل منذ الآن بتيزة جليلة هانم لعمل الترتيب اللازم . . أليس كذلك ؟ ...

صديق : طبعاً لابد من استئذان جليلة هانم ... صاحبة البيت ! ...

لطفية : « تتحرك » علم بنا إذن نبدأ من الآن .. نتصل ونرتب وننفذ ... من يدري ؟ ... ربما فتحت لنا هذه الفكرة باب حياتنا ...

صديق : الأولى ...

لطفية : نعم ... الأولى ...

« ينصرفان معاً مسرعين ... »

(ستار)

الفصل الرابع

(عين منظر الفصل الأول . . حجرة المكتب فى منزل صديق باشا رفقى ، وبابها المؤدى إلى حجرة نومه . . ، وقد جلست « جليلة هانم » بثوب الحداد فى مقعد ، وأمامها « صديق » فى ملابس تشابه فى اللون ملابسه فى أول فصل . . .)

جليلة هانم : استخرج به لطفية من المصحة إلى هنا مباشرة ؟ ...

صديق : سيذهبان قبل ذلك إلى بيتهما ، لأحضار الحقيبة التى اعتاد أن يضع فيها الحقنة ...

جليلة هانم : « وهى تكفكف بمنديلها دمعة » نعم ... نعم ... حضر بها حقاً هنا فى آخر يوم ...

صديق : إنى آسف يا ... سيدتى ... لهذا الترتيب كله . ومافيه من إثارة لشجونك

جليلة هانم : لا بأس يا ... ابنى ... إن أمر الدكتور طلعت يهمنى ... ومن الواجب أن تجرب كل طريقة يمكن أن تؤدى إلى شفائه ... إنى لا أنسى أن ما أصابه كان من فرط تأثره بما حدث للمرحوم ...

صديق : «وهو يشير إلى حجرة النوم» نعم ... فى هذه الحجرة حدث كل شىء .

جليلة هانم : حدث كل شىء ؟ ! ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » الحقنة ! ...

جليلة هانم : نعم ... فى هذه الحجرة كان يعطيه الحقنة ! ...

صديق : أتسمحين لى أن ألقى نظرة فى هذه الحجرة ؟ ! ...

جليلة هانم : افعل ... افعل ... اجعل البيت بيتك !..

صديق : « كالمخاطب نفسه متحسراً هامساً » بيتى !...

جليلة هانم : « وهى تمسح دمعة بمنديلها » من يوم أن ذهب المرحوم ، وقدمى لم تطأ عتبة حجرته هذه ... لقد أمرت بأغلاقها على حالها الأول ... ولولا طلعت مافتح بابها اليوم ! ...

صديق : « كالمخاطب نفسه وهو متجه إلى باب الحجرة كالمشتاق » باب حياته الأولى ! ...

جليلة هانم : نعم ... كان هنا يعيش هادئاً معززاً مكرماً ... لاتزعجه حركتنا ... ولا تصل إليه ضوضاء الخدم .. يقرأ التقارير والصحف والرسائل والكتب ماشاء أن يقرأ ... ويكتب المذكرات والمقالات ما شاء أن يكتب ... فإذا أراد أن يأنس بنا ... ضغط على زر الجرس ، وطلبنى ليحادثنى وأحادثه ، أوطلب نبيلة ليداعبها وتداعبه ..ونحضر إليه الشاى الخفيف جداً ... أو فنجاناً واحداً صغيراً من القهوة . فيرشف منه على مهل ... وأنظارنا تحيطه بالعطف والمحبة ... وهو كالطفل المدلل يقول : «تختارون لى أصغر فنجان !.. هذا«كستبان» هذا لا يكفينى ... أعدوا لى سراً فنجاناً آخر ... واكتموا الخبر عن الدكتور طلعت !.. » فنضحك ونشفق ونحتار أيهما نصنع ؟... أنعطى أم نطيع ؟... ولا ينقذنا من هذا الموقف الدقيق . غير مجىء أصدقائه يحادثونه فى الموقف السياسى ...

صديق : « وقد وقف يصغى إليها» نعم...نعم ... جوعائلى لايملؤه بالدفء ... ولا يصبغه بلونه الرمادى . غير يد الأعوام الطويلة ! ...

جليلة هانم : ما كان أجملها من أعوام !...

صديق : جمالها فى طولها كالشعر ، حتى وإن اتخذ لون الفجر ! ...

جليلة هانم : إنى لا أكاد أشعر لها بطول ... إنها عندى لمحات من العواطف والحوادث والذكريات قد تشابكت خيوطها فى نسيج بديع ، لاتشبع أبداً عينى من تأمله والنظر فيه ...

صديق : نسيج كالسجاد الثمين ، يجمل خيطه لونا كلما ازداد سناً !...

جليلة هانم : حتى الخيط الأسود فيه لا يشوب بهجته ... لا أنسى أن المرحوم كانت له فى شبابه نزوات . وهناك حادثة بالذات . حدثت قطعاً قبل أن تولد أنت ... ولعلك سمعت بها ... فهى إلى حد ما معروفة.. كانت له علاقة بامرأة انتحرت بسببه وتحطم بيتها ... كان قد مضى على زواجنا عدة سنوات ...ولم تكن نبيلة قد جاءت بعد ... بالطبع صدمتنى هذه الحادثة ... ولكنى تجلدت واكتفيت بتجاهله عاماً بأكمله ...

صديق : « بدون وعى » كان عليه من أقسى الأعوام وأمرها ! ...

جليلة هانم : كيف عرفت ؟..

صديق : « يستدرك » يخيل إلى ذلك ...

جليلة هانم : هذا ما كان بالفعل ... لقد كان هذا الصمت والتجاهل أقسى عليه من أى عقاب ..هكذا قال لى .. بعد أن جاء وقت الندم . لقد حاول المستحيل ليحملنى على الأصغاء إليه وإلى دفاعه واعتذاره ...

صديق : ولكنه لم يجد منك غير احتقاره ! ...

جليلة هانم : تلك كلمته بالضبط .. على أن موقفى لم يكن فى الحقيقة احتقاراً

لشخصه .. بل ترفعاً منى عن صغاره ...

صديق : « بدون وعى » لطالما بكى الليالى الطوال أمام بابك الموصد من دونه ! ..

جليلة هانم : « فى دهشة » عجباً ! ... من أخبرك بهذا ؟ ...

صديق : « مرتبكا يستدرك » أخبرنى ... أخبرنى الدكتور طلعت ...

جليلة هانم : نعم ... من الجائز أن يكون قد أفضى إليه ... حقاً ... لطالما فعل ذلك ... ولطالما كتب إلى الرسائل ، يلقيها فى حجرتى ليلا من تحت بابى ... يذكرنى فيها بحبنا الأول الذى لا يمكن أن ينساه ...

صديق : ولم يتلق منك على رسائله ردا !...

جليلة هانم : أبدا ...

صديق : لو علمت كيف كان وقتئذ يتحرق شوقا إلى كلمة منك ! . .

جليلة هانم : «غارقة فى ذكرياتها» لا أنكر أن رسائله هذه كانت تهز نفسى وقتئذ هزا عنيفا ... كنت اقرؤها فى فراشى مرة ومرة ومرة ... فتسرنى وترضينى وتبكينى ... وكنت أتمنى فى قرارة نفسى أن يستمر فى إرسالها.. وأن يمضى فيها دائما يحدثنى عن حبه لى ... ذلك الحب الأول فى حياته...وماله فى قلبه من منزلة... فيوقعنى كلامه فى ذلك الشك المؤلم اللذيذ : أهو صادق ؟ ... أهو كاذب ؟ ...

صديق : « بحرارة » صادق ... صادق ... ليس غير الحب الأول ...لا طعم كطعمه أبداً ... ولا يتكرر أبداً كما كان أول مرة !...

جليلة هانم : نعم كان صادقا فى أعماق قلبى ... لأنى لو لم أومن بذلك ، لما كنت استطعت الحياة حتى الآن ... ثم جاء يوم الصلح ...

صديق : « بدون وعى » ويا له من يوم ! ... لقد شفى فى الحال لمرآك ! ...

جليلة هانم : كيف عرفت ؟ ...

صديق : « يستدرك » الدكتور طلعت...

جليلة هانم : نعم... حقاً... لم يصالحنا غير المرض... مرضه... حسبت لأول وهله أنه تحايل منه... ولكن عندما تأكد عندى أنه أصيب حقيقة ببرد شديد مصحوب بحمى... لم تطاوعنى نفسى وهرعت إليه أمرضه ...

صديق : منذ ذلك اليوم وهو يحفظ فى نفسه لهذا المرض أجمل الذكرى !...

جليلة هانم : « تمسح بمنديلها دموعها المنهمرة » كل ذكرياته جميلة ... مرضه وصحته خصامه وصلحه ... صدقه وكذبه ... لا شىء منه إلا ويثير فينا الحسرة عليه ...

صديق : هو أيضاً ولا شك ... مهما يكن فى عالمه الآخر متمتعاً بالشباب ، فإنه لن يذكر إلا بالحسرة كل تلك الأيام !...

جليلة هانم : «تلتفت إليه باهتمام» أتعتقد أنه الآن فى الجنة، متمتعاً بالشباب؟!...

صديق : « كالمخاطب نفسه » إنه متمتع بالشباب ، ولكنه ليس فى جنة !...

جليلة هانم : « فى ارتياع » ماذا تقول ؟ ! إن ذنوبه طفيفة ! ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » أكبر ذنب له أنه ترك عالمه ! ...

جليلة هانم : « وهى تتنهد» وهل كان هذا بيده؟ !...

صديق : « كالمخاطب نفسه » بيد الوهم الخداع ! ...

جليلة هانم : وهم الآثمين الذين خطفوه وقتلوه ! ..

صديق : « مجارياً » نعم ...

جليلة هانم : « ترفع يديها إلى السماء» إنه لشهيد !... اللهم ارحمه رحمة واسعة!...

صديق : آمين !...

« يسمع صوت بوق سيارة فى الخارج ، من النافذة المفتوحة على الحديقة ... »

جليلةهانم : «تنهض» لطفية وطلعت !..

صديق : فى الغالب ...

جليلةهانم : نستقبلهما فى « الصالون » أولا ؟...

صديق : من رأيى أن تستبقى طلعت لحظة ... حتى أدبر مع لطفية الأمر ...

جليلةهانم : إذن أرسل لطفية إليك هنا بمجرد دخولها ! ...

صديق : أكون شاكرا ...

« جليلة هانم تخرج مسرعة ... ويبقى صديق وحده يقلب النظر فى الحجرة .. ويفحص المكتب وما عليه من أقلام وأدوات وتحف كمن يستعيد ذكراها .. إلى أن تدخل لطفية على عجل .. »

لطفية : إنه هنا ... طلبت أن ترانى على انفراد ؟ !..

صديق : نعم ... ماذا صنعت ؟...

لطفية : صنعت ما اتفقنا عليه ... خرجنا من المصحة إلى بيتنا ؛ حيث ألبسته الثياب التى كانت عليه فى ذلك اليوم ..

صديق : « بدون وعى » أنا أيضاً قد لبست عين الثياب التى كنت أرتديها فى ذلك اليوم ...

لطفية : أنت ؟ !...

صديق : « مستدركا » نعم ... أنسيت أنى فى ذلك اليوم جئت مع الدكتور طلعت لمقابلة الباشا ...

لطفية : حقاً ... من أجل الوظيفة ...

صديق : يجب أن يكون كل شيء كما كان بالضبط فى ذلك اليوم ..

لطفية : هذا ما اجتهدت أن يكون ...

صديق : وحقيبة الحقنة ؟ ...

لطفية : فى يده الآن .. وهو الذى أعدها بنفسه كما كان يفعل من قبل...

صديق : أهو يعلم لماذا يأتى بها اليوم الى هنا ؟ ...

لطفية : ليعطى الباشا طبعاً حقنة « الانجيوكسيل » كالمعتاد . . . وقد قال إنه سعيد أن يبدأ عمله ، بعد راحته الطويلة باستئناف العناية بالباشا ...

صديق : أنت التى أفهمته ذلك ؟ ...

لطفية : بل هو الذى فهم هذا من تلقاء نفسه ... كل ما قلته له هو كما اتفقنا أن يحمل حقيبته ويذهب معى إلى بيت الباشا ... لماذا ؟ ... لم أخبره . فلما فهم مافهم وافقته ...

صديق : لا بأس ... مادام قد نسى أن الباشا مخطوف أو مقتول ...

لطفية : إنه لم ينس ... ولكنه لم يصدق ... فقد قال لى ضاحكا إنه سمع من ذلك الشاب المجنون الذى لايدرى من أين طلع له . ويقصدك انت . ان الباشا مات وإنه حى ... وان كل هذا بالطبع خلط مجانين.. وقد وافقته ...

صديق : وافقته ؟ ! ..

لطفية : على أن الباشا حى ... كى يكون مجيئه هنا بالحقيقة سبب مقبول ...

صديق : المهم هو إنه جاء الآن كما كان يجىء . ليعطى الباشا الحقنة المعتادة.. هذا هو اعتقاده ... أليس كذلك ؟ ...

لطفية : نعم ... هذا هو اعتقاده ...

صديق : إنه قد أحكم لنا التدبير ، أدق مما كنا نتصور ... الآن وقبل كل شيء لا ينبغي أن يراني في هذه الحجرة ...

لطفية : بالطبع لا ... لأنه يعتقد أنك مصاب في قواك العقلية ...

صديق : أيعرف أين أنا الآن ؟ ...

لطفية : تركته على وهمه أنك محجوز في المصحة ...

صديق : حسناً فعلت ... اسمعي الآن يا لطفية ما استقر عليه رأيي... سأدخل أنا في حجرة النوم هذه ، واستلقي على الفراش ... وأحاول تقليد صوت الباشا ... وعليك أنت أن تمضي الآن إلى جليلة... جليلة هانم ، وتخبريها في أذنها أن تقود إلى هنا الدكتور طلعت ... كما فعلت في ذلك اليوم بالتمام ...

لطفية : وأبقى أنا هناك في الانتظار ؟ ...

صديق : « كالمخاطب نفسه » نعم ... في انتظار ما سيحدث ... من يدري ؟ ... ربما حدثت معجزة ! ...

لطفية : « وهي تتحرك » ليس هذا على الله بكثير ! ...

« تنصرف مسرعة »

صديق : « همساً وهو يلتفت الى باب حجرة النوم » والآن الى الحجرة ... إلى ... حجرتي ...

يتحرك صديق ببطء كأنه منوم تنويماً مغنطيسياً نحو حجرة النوم .. ويبدأ النور في الشحوب والزوال تبعاً لخطواته ... إلى أن يدخل الحجرة ويختفي فيها ، وعندئذ ينطفىء النور ويسود الظلام ... ويبقى الظلام مخيماً لحظة ، تسمع فيها عين النغمة الموسيقية

الحقيبة التى سمعت عندما كان فى حجرته فى
الفصل الأول ... ثم ينحصر الظلام شيئاً فشيئاً ،
عن طلعت وهو جالس فى نفس مكانه فى أول
فصل ، بعد أن أعطى الحقنة للباشا ... »

طلعت : « وهو يرد حقنته إلى الحقيبة » يا باشا ... تستطيع أن تنهض الآن من فراشك ! ...

« ما من أحد يجيب »

يا باشا ! ... يا باشا .. لا تستسلم للنوم بعد الحقنة ...

« لا يجيبه أحد »

لقد تركتك تنعس لحظة ... ولكن يحسن الآن أن تستيقظ ...

« لا يجيب ... وعندئذ يكون طلعت قد
انتهى من غلق حقيبته ، فينظر فى ساعته »

أزف موعد محاضرتى فى الكلية يا باشا ... إنى مضطر إلى ايقاظك ليس من عادتك النوم هكذا بعد الحقنة ... « يقترب من باب حجرة النوم وينادى بصوت يتدرج فى القوة : » باشا ... يا باشا ... !

« يسمع من الداخل صوت من يفيق
من نوم عميق ... »

الباشا : « من الداخل » من ؟ ... من ؟ ... ماذا حدث ؟ ... من ينادينى ؟ ...

طلعت : أنا الدكتور طلعت ... أوقظك ...

الباشا : « من الداخل فى صوت المذهول » طلعت ! ...

طلعت : « وهو يعود إلى مكانه قرب المكتب » نعم ... كفى نوما ... ادخر نومك لليل ... قم الآن يا باشا واخرج إلى مكتبك ... واخبرنى عن الساعة التى تناسبك للحقنة القادمة ...

الباشا : « من الداخل » الحقنة القادمة ؟ ! ... أكنت نائما ؟ ! ...

طلعت : طبعاً ...

« يظهر الباشا على عتبة حجرة النوم وهو كالمترنح يفرك عينيه ... وهو كما كان بالضبط فى مبدأ الفصل الأول ، ويتقدم بخطاه المتثاقلة فى المكان ... »

الباشا : أشعر بخمود فى جسمى ، وثقل فى حركتى .. ماذا فعلت ياطلعت ؟ ... أهى الحقنة ؟ ...

طلعت : بالعكس ياباشا ...

الباشا : الترياق ... الترياق ...

طلعت : أى ترياق ؟ ! ...

الباشا : « وهو يتجه إلى مرآة الحائط » الحقنة المضادة ! ...

طلعت : « بدون فهم » حقنة مضادة ؟ ! ...

الباشا : « ناظراً فى المرآة » ياللعجب ! ... هذا الشعر الأبيض ! ... وهذه التجاعيد ! ... كل شىء قد عاد إلى أصله ! ... بهذه السرعة ؟ ! ... ياطلعت ؟ ... بهذه السرعة ؟ ! ...

طلعت : « بغير فهم » ماذا تقصد ياباشا ؟ ! ...

الباشا : « يمسك برأسه » لاشىء .. لاشىء .. مامن ريب إنى كنت أحلم .. كل هذا إذن كان حلماً ! .. لقد استغرقت إذن فى نوم طويل ! ...

طلعت : « ينظر فى ساعة معصمه » أنا أقول لك ياباشا كم من الوقت نمت ...

الباشا : « باهتمام » كم ؟ ... كم ؟ ...

طلعت : « ناظراً فى الساعة » نحو ... أربع دقائق ! ..

الباشا : « فى صيحة دهشة أربع دقائق ؟ ... فقط ؟ ... كل هذا الذى رأيت .. كل هذا الذى سمعت : كل هذه الأحداث التى وقعت ...

كل هـذه الأعاجيب ... كل هذه المشكلات ... كل هذا ... كل هذا جرى فى أربع دقائق ؟ ! .

طلعت : أربع دقائق لا غير ... نمتها أنت يا باشا منـــذ أن أعطيتك حقنة « الانجيوكسيل » إلى أن أيقظتك منذ قليل ...

الباشا : وهل أعطيتنى بالفعل حقنة « الانجيوكسيل » ؟...

طلعت : طبعاً ...

الباشا : ألم تعطنى حقنة غيرها ؟ ! ...

طلعت : لا ... أبدا ...

الباشا : الحقنة التى تعيد الشباب ! ...

طلعت : « ناظرا إليه فى دهشة » ما هذا الكلام يا باشا ؟ ...

الباشا : ألم تحدثنى منذ أسابيع عن أبحاث تجربها على خلايا الأرانب ، وأنك نجحت فى اكتشاف حقنة تعيدها إلى الشباب ؟ ...

طلعت : لم أحدثك يا باشا عن هذا منذ أسابيع ... بل منذ خمس دقائق فقط ... وقلت لك فعلا أن أبحاثى تتجه إلى تجديد خلايا الأرانب... وإن لى أملا فى النجاح ...

الباشا : وقلت أن من الممكن أن تنجح التجربة فى البشر ... وقد طلبت إليك أن تجرى على أنا التجربة ... فقبلت بعد توسل منى وحقنتنى ...

طلعت : « باسماً » بحقنة « الانجيوكسيل » كالعادة ... بسبب بسيط ... وهو أنى لم أحضر فى حقيبتى غيرها ... وتستطيع يا باشا أن تفتش بنفسك ها هى الحقيبة ! ...

الباشا : وكلامك لى عن تجربتك العجيبة ! ؟ ...

طلعت : « باسماً » كنت أمازحك يا باشا بدون شك . . . وخيالك صنع الباق ... هل رأيت الآن فى المنام شيئاً يتعلق بهذا الموضوع ؟ ...

الباشا : « كمن يرى حقيقة أمامه » رأيت أنك أعدتنى إلى الشباب ! . . .

طلعت : « باسماً » حلم جميل ! ...

الباشا : الآن عند ما تبين لى أنه حــــلم ، بدأت أرى أنه جميل ... ولـكن عند ما كان حقيقة واقعة جعلت أجاهد للخروج منه ! ... ما من أحد أبداً يرضى عنه حالته طويلا ! ...

طلعت : أجاهدت للخروج منه ؟ ...

الباشا : وأى جهاد ! ... لا شك أنها كانت غفلة منى .. أو ضعف حيلة... ولو أنى أعطيت الشباب فى الحقيقة لا فى الحلم لعرفت كيف أحسن التصرف وأنتفع به خير انتفاع ...

طلعت : أو لم تنتفع به فى الحلم ؟ ...

الباشا : ضيعته فى الحنين إلى حياتى هذه ... تصور ! ...

طلعت : ليس من السهل على أنا أن أتصور ما تشعر به أنت يا باشا لو عاد إليك الشباب ! . . .

الباشا : أنا أقول لك بالضبط ... فقد عشت هذا كله . . . منذ أن انطلقت من هذا البيت ... هائماً على وجهى ...

« تدخل عندئذ جليلة هانم فى الثياب التى كانت ترتديها فى الفصل ... وقد سمعت عبارته الأخيرة ... »

جليلة هانم : « باسمة » متى كان ذلك ؟ . . .

طلعت : « باسماً » منذ أربع دقائق ! . . .

الباشا : فليكن . . لا يهمنى الزمن ... إنى أقص أشياء رأيتها بعينى ...

جليلة هانم : أين رأيتها ؟ ...

طلعت : فى حلم رآه الباشا ...

جليلة هانم : تتحادثان فى الأحلام ؟ ! ...

الباشا : لو عرفت كم كنت لطيفة فى الحلم ورحيمة وكريمة ...

جليلة هانم : وفى اليقظة ؟ . . .

الباشا : أيضاً لست أنكر ولكن الأشياء تتراءى فى نسب أخرى من عالم آخر !.

جليلة هانم : يسعدنى على كل حال أن أعيش معك أيضا فى حلمك ! ...

الباشا : إنك لم تعيشى معى فيه ... كان يقوم بيننا باب قد أغلق من دوننا !..

جليلة هانم : وكيف كنا إذن نعيش ؟ ! ...

الباشا : تلك قصة طويلة ... تحتاج إلى فنجان من القهوة ...

طلعت : « ينظر فى ساعته » اسمحوا لى ... موعد محاضرتى قد اقترب ...

جليلة هانم : انتظر يا دكتور طلعت .. حتى أحضر له فنجان القهوة أمامك !..

الباشا : « متأوها شاكيا » آه ... عدنا إلى المفاوضة والمناقشة والمخالسة فى حجم فنجان القهوة ! ...

طلعت : « لجليلة هانم » ليس أكثر من فنجانه الصغير المعتاد ! . . .

الباشا : آه ... كنت فى راحة منك ... ومن أوامرك ونواهيك ..

طلعت : متى ذلك ! . . .

الباشا : عندما كنت شاباً ! ...

طلعت : « باسماً » فى الحــــلم ! . . .

الباشا : كنت أشرب ما أريده ... وآكل ما أريد ... وأسهر كما أريد وألهو

كما أريد... وأستيقظ كما أريد... وأنام كما أريد ...

طلعت : ولكنك كرهت هذه الحياة ... كما تقول ... « يلتفت إلى جليلة هانم موضحا » رآى فى الحلم أنه عاد إلى الشباب ... ولكنه ود الهروب منه ...

جليلة هانم : « فى عجب» تهرب من الشباب ؟! ... أهناك أحد يود أن يهرب من الشباب ؟... لماذا؟ ...

الباشا : نسيت الأسباب الآن ...

جليلة هانم : ولكننا لا بد نذكر من الأحلام أثرها فى نفوسنا على وجه العموم.. إن كان هو الفرح والبشر أو الضيق والانقباض ؟ !..

الباشا : كدت أطير بشراً وفرحا فى أول الأمر ... ثم انقلب كل شىء إلى يأس وضيق ...

طلعت : « باسما» هل تقلبت فى فراشك من جنب إلى جنب ؟!...

الباشا : لم أتقلب ... ولكن المصائب هى التى تقلبت علىّ ... لقدمت ودفنت وأنت جننت ... ولم أعش لعمل ولا لأمل ... وبدت الحياة طويلة... طويلة... لا ظل فيها لأفق ... ولا شبح الموت.. فضاء ليس له حدود ... لأول مرة أشعر بملل الخلود...

طلعت : « باسما» كل هذا داخل أربع دقائق ! ...

الباشا : إذا عاش الإنسان دقيقة واحدة بلا أمل ولا هدف فإنه يراها خلوداً ! ...

جليلة هانم : وما هدفك.. الآن فى اليقظة؟...

طلعت : طبعا ... تقلد الوزارة ! ...

الباشا : بل ... انتظار الموت ! ... ذلك الجديد الوحيد على ! ... الصفحة الأخيرة التى لم تقرأ !...

جليلة هانم : « مرتاعة » لا تقل ذلك يا باشا . . . لا تقل ذلك يا صديق . . . لا تفجعنى عليك ! . . .

الباشا : آه يا عزيزتى ! ... اعلم حقاً أنك ستفجعين على ... ولقد شاهدت فجيعتك بنفسى ! ... وكانت هى كل ما هزنى ! . .

جليلة هانم : أتريد الآن أن تحزننى ! ... أنا التى جئت أكلمك فيما يفرح . .

الباشا : تكلمى . . . ما هو المفرح ؟ ..

جليلة هانم : نبيلة مع الخياطة ، تقيس الأثواب الجديدة ... وهى كما تعلم لا تثق إلا بذوقك ... وقد جئت أرى هل فرغت من حقنتك ... ولكنك تتكلم كلاماً مقبضاً للقلب ! .. أهذا يجوز يادكتور طلعت ؟ ! ..

طلعت : لايجوز مطلقاً .. كل هذا من النوم فى غير وقته .. غير مزاجه قليلا .. وجعله ينهض بهذا الأحساس المكتئب وهذه النظرة القاتمة..

جليلة هانم : قل له أن يبتسم ... حتى أنادى نبيلة ...

الباشا : نبيلة . . ابنتى . . ناديها ! ...

جليلة هانم : ابتسم أولا . .

الباشا : « يبتسم » ابتسمت ...

جليلة هانم : أتعدنى بأنك ستتكلم كلاماً مفرحاً ..

الباشا : أعدك .. نادى نبيلة ! . .

جليلة هانم : « تتجه إلى الباب وتنادى » نبيلة ! . . نبيلة ! . .

نبيلة : « من الخارج » نعم يا ماما ! . .

جليلة هانم : أبوك يريد أن يرى ثوبك الجديد !..

نبيلة : « من الخارج » حالا ياماما ! ...

جليلة هانم : «تعود وتقول لطلعت» لاتنظر فى ساعتك يادكتور طلعت... انتظر حتى تأتى لطفية ... لقد أخبرتنا أنها ستأتى اترى الخياطة ...

طلعت : أمامى أيضاً نحو عشر دقائق أشاهد فيها أنا الآخر ثوب الآنسة نبيلة ، وأقول لها « مبروك » !...

« تظهر نبيلة مرتدية ثياباً أنيقة جديدة... »

نبيلة : « مزهوة بثوبها » مارأيكم ؟ ... دام فضلكم !...

طلعت : إنى لست من أصحاب الاختصاص ... ورأيى قد لا يعتد به ... ولكن الإبداع لايخفى عن أى عين ... هذا فى الحق بديع...مبروك عليك يا آنسة نبيلة !...

نبيلة : اشكرك يادكتور طلعت ...

جليلة هانم : انتظرى الآن الحكم العسير من أبيك ... ألا ترين كيف يطيل فيه النظر !

الباشا : « وهو يفحص بنظره » اتدرين يانبيلة ما الذى ينقص ليكون فى غاية الأناقة ؟ ...

نبيلة : ماذا يابابا؟ ..

الباشا : حزام من « الشاموا » بلونه !...

نبيلة : « وهى تتأمل الثوب » ما رأيك ياماما ؟ ! ...

جليلة هانم : مارأيك انت فيما قاله أبوك ؟ !...

نبيلة : حزام من الشاموا ؟! .. بدون شك هذا يجعله فى منتهى الأناقة !..

شكراً يا بابا ! ...

الباشا : خـذى أيضاً رأى مدحت ! ...

نبيلة : مدحت ؟ ! ... مدحت آخر من يفهم فى الأذواق ؟ ! ...

الباشا : كيف تحـكمين عليه هذا الحـكم ؟ ...

نبيلة : هذا رأيي فيه ... انه لا يهتم بغير عمله...انه جامد الشعور ...

الباشا : هل تعرفينه تمام المعرفة ؟ ! ...

نبيلة : أظن أنى أعرفه ...

الباشا : لا ... إنك يا بنتى لم تعرفيه بعد ... رأيك فيه رأى سطحى... عندما تتأكد بينكما الصلة ... وتطلعين على حقيقة عواطفه... ستكتشفين تحت مظهره الجامد رقة بالغة فى الشعور ...

نبيلة : من أين جاءك علم هذا يا بابا ؟ ! ...

الباشا : لا شأن لك بمصدر علمى ... ولـكنك ستقولين غداً إنى كنت على حق...

نبيلة : أرجو ذلك ...

جليلة هانم : « لنبيلة » ألم يقل لك إنه سيأتى الآن ؟ ...

نبيلة : إنك تعرفين ياماما أنه يحلو له أن يجعلنى انتظر قليلا ...

الباشا : ربما كنت أنت المتعجلة قليلا ! ...

نبيلة : أنا يا بابا المتعجلة ؟!..إنك تعرف أنى لست متحمسة له كل التحمس..

الباشا : عندما تغيرين رأيك فيه ، أرجو أن تتذكرى هـذه اللحظة ! ...

نبيلة : لا يهمنى فى هذه اللحظة غير رأيك فى ثوبى هذا... « تتأمل ثوبها»...

الباشا : « كالمخاطب نفسه»فقط؟!...حقاً إنها لمزية!..هذه العيون التى لا تتفتح إلا

على اللحظة التى هى فيها ...

جليلة هانم : وما مزية ذلك يا باشا ؟ ! ...

الباشا : وما مزية تلك العيون التى ترى ما كان وما سيكون ؟ ! .. إنها حبيسة التجاريب ، سجينة التنبؤات !.. الحاضر هو الحرية ... وهو الذى ينطلق فيه هؤلاء ...«يشير إلى نبيلة و إلى طلعت...»

طلعت : إنى لم أعد شاباً ! .. إنى فى الخامسة والثلاثين ! ..

نبيلة : وأنا قد جاوزت الرابعة والعشرين ... نعم .. لقد شخنا !..

جليلة هانم : «مازحة» أرى حقاً يا نبيلة أنك شخت وأن أسنانك قد تخلعت ... وشعرك قد وخطه الشيب...

نبيلة : لا تسخرى يا ماما..إنى على كل حال لم أعد صغيرة !...

طلعت : وماذا أقول أنا إذن ؟.. وقد لمحت هذا الصباح شعرة بيضاء هاهنا .. « يشير إلى رأسه فى أعلى الأذن اليسرى »

الباشا : « باسما » أين ؟ ...

طلعت : «مشيراً إلى رأسه» هنا يا باشا ... أنظر ...

الباشا : أرنى ! . . انتظر حتى أضع منظارى ! . . « يخرج من جيبه منظاره ويضعه على أنفه وينظر» أين هى !؟...

طلعت : هنا فوق الأذن مباشرة ... ألا تراها ؟! ...

الباشا : «وهو يدنو منه ويمعن النظر فى رأسه» لا ... لا أرى شيئا ...سوى شعر حالك السواد .. كالليل قبيل انتصافه ! ..

طلعت : عجيبة ! .. أين ذهبت ؟ .. لقد شاهدتها بعينى هـذا الصباح فى مرآة الحمام وأنا أحلق !... انتظر ياباشا لحظة... «يتجه إلى مرآة الحائط»

الباشا : « باسما » نعم ... ابحث عنها جيداً واخبرنى بالنتيجة ! ...

جليلة هانم : « تلتفت إلى الباشا باسمة » أتمنى أن لا يجدها ! ...

طلعت : « صائحا صيحة الظفر » وجدتها ! ... وجدتها ! ...

الباشا : اقبض عليها بيدك قبل أن تختفى ! ...

طلعت : ها هى ياباشا ! ... انظر ... « يدنو من الباشا وهو يمسك بشعرة صغيرة »

الباشا : « يسدد إليها النظر من خلال منظاره » حقاً ... حقاً ... ولكنها ... دقيقة جداً ... هذه لا ترى بالعين المجردة ..ولا بالمنظار العادى ... إنها تحتاج إلى تلسكوب ! ...

نبيلة : « ضاحكة » تلسكوب ! ...

الباشا : نعم يكتشف وجودها السحيق .. فى هذه السماء الحالكة ! ...

طلعت : إنها على كل حال قد وجدت... وهى تؤذن بظهور غيرها فى القريب ! ...

جليلة هانم : نرجو أن لا يكون ذلك فى القريب ياطلعت ! ...

طلعت : ولم لا يا تيزه ؟ ! ...

جليلة هانم : ولم تريد أن تكبر بسرعة ؟! ...

طلعت : لأنى يجب أن أكبر ! ...

نبيلة : عجباً يا ماما ! ... أتريدين منه أن يبقى صغير السن دائماً ؟! ... أهذا معقول ؟ ! ...

طلعت : معقول إذا أردنا من الشجرة أن لا تنمو ... ومن الثمرة أن لا تنضج

جليلة هانم : « متنهدة » ولكن الكبر ... لا يسر ! ...

الباشا : لن تقنعيهم بذلك ياعزيزتى ... لابد من أن يروا بأنفسهم هذا العالم المجهول ! ...

جليلة هانم : هذا صحيح ... إنى أذكر وأنا فى الثامنة عشرة أنى كنت أتمنى لو أستيقظ فى الصباح فأجد نفسى فى العشرين ... كنت أعد الشهور عداً ... وأريد أن أقفز الأيام قفزا ... « تتنهد » عهد مضى ! ... نعم عهد مضى ! ...

الباشا : سوف ينكر طلعت يوما فرحته هذه بأول شعرة بيضاء ! ...

طلعت : أنى فى الحق أود لو اقفز هارباً من شبابى ... كما قلت ياباشا الآن أنك هربت منه !...

الباشا : « كالمخاطب نفسه إن الذى هربت منه لم يكن هو الشباب ! ... لم يكن الشباب الحقيقى ... إن الشباب الحقيقى لا يعود أبدا ! ...

(يسمع صوت مدحت من الخارج مناديا...)

مدحت : « من الخارج » نبيلة ! ... نبيلة ! ...

نبيلة : مدحت حضر ! . « تتجه إلى الباب » تعال يامدحت ... نحن هنا كلنا !.

مدحت : « يدخل مسلماً على الجميع » عمى الباشا ! ... تيزة ! ... الدكتور ! ...

نبيلة : ماهذا التأخير يامدحت ؟ ...

مدحت : « يريها الساعة فى معصمه » فى ميعادى ... بالدقيقة ! ...

الباشا : ألم أقل لك يا نبيلة إنك تتوهمين إنه أبطأ ! ...

مدحت : هذا التوهم دليل على معنى يسرنى ...

نبيلة : « فى تهكم خفى » معنى التلهف على رؤيتك ! ... أظن ...

مدحت : ليس هذا بالضبط ماقصدت ...

نبيلة : دعنا من قصدك ... وقل لى رأيك فى ثوبى هذا ! ...

مدحت : بصفتى مهندساً ! أقول ...

نبيلة : « مقاطعة » وما دخل الهندسة فى ذوق الثوب ...

الباشا : دعيه يا نبيلة يتكلم ...

مدحت : أردت أن أقول إن الهيكل البديع هو المهم ، وان كل زخرفة خارجية توضع عليه مهما يكن ذوقها وقيمتها ، فهى تستمد جمالها من جمال البناء !...

الباشا : رأى لطيف ! ...

نبيلة : ولكن الثوب وطريقة تفصيله وما ينقصه ...

جليلة هانم : يكفى يا بنتى ما قاله مدحت من حلو الكلام ! ...

نبيلة : حلو الكلام هذا لا يصلح للاعتماد عليه فى انتقاء الملابس ... إنى لن أدعك يا مدحت تختار لى معطف الشتاء من انجلترا ...

الباشا : من انجلترا ؟! ...

نبيلة : طبعاً ... سنكون هناك فى الشتاء القادم ... أليس كذلك يا مدحت ؟.

مدحت : ربما فى الخريف ... نستطيع أن نسافر بعد عقد القران مباشرة ... سأستعلم بالضبط عن موعد سفر بعثتى من وزارة الأشغال ...

الباشا : بعثتك ؟ ... أستسافر فى البعثة ؟ ...

مدحت : طبعاً يا عمى .. لقد قبلت أخيراً كما تعلم ..

الباشا : ألم تعدل عن السفر فى هذه البعثة ؟ ...

مدحت : لا ... أبدا ... لم أعدل ؟...

الباشا : ومشروعاتك ؟...

مدحت : أى مشروعات ؟..

الباشا : أليس لديك أى فكرة الآن عن مشروعات معينة ؟ ...

مدحت : لا ...

الباشا : « كالمخاطب نفسه » حقاً ... لم تنبت بعد ... لن تنبت فكرتها إلا من نواة حياتى المدفونة ! ...

جليلة هانم : « فى قلق » ماذا تقول يا باشا ؟ ! ...

الباشا : « مستأنفاً » يجب أن تخرج الثمرة الجديدة من بذرة الثمرة القديمة ... أشد ما تكون جدة ... وطرافة فى النوع ... وقوة فى الحيوية ... هذا هو الخلود المنتج ...

نبيلة : أكانت هناك فكرة يا بابا فى أن يعدل مدحت عن هذه البعثة ؟ ! ...

الباشا : إذا أراد يوماً أن يعدل عنها ... فلا ينبغى لأحد أن يقف فى سبيله ! ...

مدحت : ولماذا ياعمى أعدل عنها ؟ ! ...

الباشا : إنك لا تعلم ما يأتى به الغد ! ...

مدحت : لست أرى سبباً يدعونى إلى تغيير برنامج حياتى ! ...

الباشا : بالطبع لست تراه الآن ... لكن من يدرى ... من يدرى ...

جليلة هانم : « فى ضيق » ما هذا الكلام الغريب الذى تقوله يا باشا ؟ ! ...

الباشا : أهو غريب هذا الكلام ؟ ... أغريب أن أقول إن حياة إنسان قد تتغير بتغير حياة إنسان آخر ؟ ! ... سلى الدكتور طلعت ماذا يحدث لو وقفت حياة طائفة من الناس فى مكانها لا تتحرك ...

طلعت : كيف تقف الحياة فى مكانها لا تتحرك ! ؟ ...

الباشا : هب ان علمك الحديث قد توصل إلى تلك الحقنة التى تعيد الشباب ... وحقن بها كل من فى حدود الستين والسبعين ممن يحتلون المراكز الكبرى فى الدولة والمجتمع فأرجعهم إلى حدود العشرين والثلاثين ! ماذا يفعل عندئذ الشبان

الذين ينتظرون خلو المناصب أو فراغ لمسالك المؤدية إلى حقهم فى الحياة وحظهم من التقدم !؟.. قل مثل ذلك فى كل عمل وكل هيئة وكل حرفة وكل أسرة وكل إرث... لقد سمرت الأعمال والأموال فى أيد واحدة لا تتغير... فسمرت بذلك الفلك الدائر ...ومحوت من فوق الأرض الشباب الحقيقى من أجل الشباب الصناعى ! . . . أى كارثة عندئذ تحيق بالمجتمع !.. كلمة فى أذنك ياطلعت ...أتسمح ؟ . . .

طلعت : « وهو يدنو من الباشا » تفضل يا باشا !...

الباشا : « هامساً فى أذنه » أبحاثك فى تجديد الخلايا . . . حاذر ياطلعت . . . حاذر أن تمضى فيها إلى أبعد من إعادة الشباب إلى الأرانب ! . . .

طلعت : اطمئن يا باشا ! ...

جليلة هانم : أهو سر خطير ؟! ...

طلعت : لا ياتيزه مطلقاً ... كنا نتحدث عن الأرانب . . .

« تدخل عندئذ لطفية بحركة سريعة. . »

جليلة هانم : وما مناسبة الحديث الآن فى الأرانب ؟!..

لطفية : أهو يتكلم هنا أيضاً عن الأرانب . . . « تقول ذلك وهى تسلم على الجميع بادئة بالباشا ...»

الباشا : « باهتمام » كيف حالك يالطفية...هانم؟!..

لطفية : بخير يا باشا ... طلعت يشنف أسماعكم بحديثه الذى لا يتغير !..

الباشا : حديثه دائماً ممتع . . .

طلعت : متشكر يا باشا ..

لطفية : ممتع للعلماء ربما ...لا للنساء!...

الباشا : وللنساء أيضاً ... لاسيما الظريفة الكريمة مثلك إذا احسنت إليه الاستماع ...

لطفية : إذا وجدته يوما إلى جانبي ...

الباشا : وأين يوجد إذن ؟ ...

لطفية : إلى جانب حضرات الأرانب ! ...

طلعت : ليس طول الوقت يالطفية ...

لطفية : طول الوقت ...

طلعت : لاتبالغى ! ...

لطفية : أقسم أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن استرعى بها اهتمامك واظفر بها ببعض وقتك هى أن انقلب أرنبة ! ...

« الجميع يضحكون »

طلعت : أيضايقك إلى هذا الحد أن يشغلنى عملى ؟ ...

لطفية : أنت يشغلك عملك ... وأنا ما الذى يشغلنى ؟ ... هذه الأيام الطويلة من الملل والضجر والفراغ ، من يشغلها لى ؟ ! ... انك لاترى ما أنا فيه الآن من ... من ...

الباشا : « هامساً » من خطر ! ...

طلعت : ابحثى عن شىء يلهيك يا لطفية ...

لطفية : أبحث ؟ ! ... وإذا لم يصادفنى ما يلهيني ؟ ! ...

الباشا : « كالمخاطب نفسه » اسأل الله أن لايصادفك ... ما كل مرة تسلم الجرة ! ...

لطفية : ماذا تقول يا باشا ؟...

الباشـا : أقول يالطفية هانم ... إن حالك يستوجب الالتفات ... إنى أرى الظروف التى ستمر بك ، ولا أستطيع الآن أن أكون هادياً ولا مرشداً ... لأن هذا لم يعد لى فيه حيلة ... كل ما أرجوه هو أن تتذرعى بالصبر ، وتتوسلى بالعقل ... وأن تتخذى من زوجك نفسه ومن عمله ما يشغلك وما يسد فراغ وقتك ...

لطفية : أتخذ من زوجى وعمله ما يشغلنى ويسد فراغ وقتى ... أهذا ممكن ؟..

الباشـا : ممكن ... وقد حدث لك فعلا .. أقصد قد يحدث لك فعلا . . هذا الانغماس فى الواجب الزوجى ، والشعور بالسعادة اللطيفة فى رعاية زوجك وسهرك عليه وتكريس حياتك له ... أرجو أن يحدث ذلك .. «همساً» مرة أخرى ... مرة أخرى ..

« يدق جرس التليفون على المكتب ...
فتهرع إليه نبيلة ثم جليلة هانم ... »

نبيـلة : «ممسكة بالسماعة» ألو ... ألو ... من يا افندم ؟... كاوب محمد على ؟... لحظة واحدة ! ... «تضع كفها على البوق وتلتفت إلى الباشا» بابا ...

جليلة هانم : « هامسة كالمخاطبة نفسها » خيراً ...

الباشـا : « ينهض إلى السماعة » ألو ... من؟ أنا صـــديق رفقى ... الأزمة الوزارية ... مفهوم ... لامانع ... مسافة الطريق ... إلى اللقاء . . «يضع السماعة ...»

جليلة هانم : ستخرج الآن يا باشا ؟! . . .

الباشـا : إلى الكلوب حالا .. أين معطفى ؟..

جليلة هانم : خيراً يا باشا ؟...

الباشا : ربما رشحت اليوم لرياسة قلم فى شركة الزيت ... « يتدارك فى الحال ممسكا رأسه بيده » لرياسة الوزارة فى التعديل الجديد ...

نبيلة : وستقبل طبعاً يابابا !...

الباشا : ليس هذا مما يفرحنى الآن كثيراً يا نبيلة ... إنها ليست أول مرة !. ولكنى مع ذلك لا أستطيع أن أرفض ...

الجميع : « فى فرح » مبروك ياباشا !... مبروك !...

الباشا : اشكركم ... المعطف !...

جليلة هانم : « صائحة » المعطف لأبيك يانبيلة ...

نبيلة : « وهى تسرع بإحضاره من حجرة النوم صائحة بفرح » معطف رئيس الوزراء ...

جليلة هانم : « بفرح » ياله من يوم سعيد ...

الباشا : « يخرج ساعته القديمة وينظر فيها » يخيل إلى أنها وقفت ... «يضعها على أذنه ... »

نبيلة : « تأتى بالمعطف مسرعة » دعنى ألبسك يابابا ...

جليلة هانم : هذا واجبى أنا ... أنا التى ألبسه معطفه ...

« تهم بأن تلبسه المعطف ... ولكنه يتخاذل بين ذراعيها ... »

الباشا : « فى شبه حشرجة » افتحوا النافذة !...

جليلة هانم : « مرتاعة » النافذة مفتوحة ... يا دكتور ... يادكتور ...

طلعت : « مسرعاً نحو الباشا يجلسه على مقعد بمساعدة الجميع ويشق قميصه من العنق ويصيح فى الحاضرين » :

حقنه الكافور ... حقنة الكافور ! ..

« يحدث هرج ومرج ... ويسرعون إلى طلعت بحقيبته ... ويعد الدكتور على عجل الحقنة ... بينما يستولى على الجميع الذهول ... »

لطفية : « تنتبه هامسة » ذبحة صدرية ! ...

طلعت : « منتهزاً » صه ! ...

« يحقن الباشا ... فيفيق قليلا »

الباشا : « كالهامس » لا فائدة يا ... طلعت ! ... إنها الصفحة الأخيرة ! ...

طلعت : لا تقل ذلك يا باشا .. إنها أزمة بسيطة ، ستمر بسلام ...

الباشا : « فى صوت ضعيف بطىء » إنى أعرف ... أكثر من طبك ! ... وقفت حياتى ... فى الوقت المناسب ... نعم ... هذا خير ما نفعله وما نتركه ... « ناظراً إلى مدحت ونبيلة » لكم ... « ينظر إلى جليلة هانم » تلبدت الغيوم فى عينيك منذ الآن ! ... لا يا جليلة ... لا تسرفى .. أعرف ما سوف تصنعين ... تأملى نسيج الذكريات ... ولكن فى غير أسى ! ... لا تسخطى كثيراً على نذالات الناس ... ابتسمى لها كما أبتسم الآن ... ليس فى الإمكان منع حفلات التأبين ... دعى للمتكلمين فرصتهم فى إظهار حسن الإلقاء ... لا بد لهم من أموات ، يعلقون على أجداثهم القصائد والخطب ! ... لا تغضبى للنسيان السريع ... ليس يهمنى غير ذاكرتك أنت وحدها ... هى التى سأعيش فيها معززاً مكرماً ... بخيوطى البيضاء والسوداء ! ... « يلتفت إلى لطفية » أوصيك بزوجك طلعت ! ... « ملتفتاً إلى طلعت » أظن من تحت نوافذ عيادتك تمر الجنازة ! .. هذه المرة لن أمشى فى جنازتى ...

« تميل رأسه على ذراع زوجته »

ستار

٢١ – من وحي العادات الريفية

أغنية الموت

(قصة تمثيلية في فصل واحد

« دار من دور الفلاحين فى الصعيـــد . . .
امرأتان جالستان فى ثياب ســـوداء قرب
المدخل .. هما «عساكر» و «مبروكة»
وعلى مدى خطوة منهما عجل وجدى يأكلان
الحشائش والدريس الجاف . . . والمرأتان
فى إطراق وصمت . . . وعندئذ يسمع صوت
صفير القطار »

مبروكة : «ترفع رأسها» هذا هو القطار...

عساكر : «بلا حراك» أتظنين أنه سيأتى فيه..

مبروكة : ألم يقل ذلك فى خطابه..الذى قرأه علينا البارحة الشيخ محمد الإسناوى عريف الكتاب ؟ ...

عساكر : إياك يا مبروكة أن تكونى قلت لأحد إنه ابنى ! .. .

مبروكة : أأنا مجنونة ؟ ! ... ابنك علوان مات وهو طفل ابن عامين ... مات غريقاً فى بئر الساقية ... البلدة كلها تعرف ذلك ...

عساكر : ولكنهم هم ما عاد يدخل عقولهم هذا الكلام !...

مبروكة : من هم ؟ .. الطحاوية ؟!...

عساكر : ألم يقل لك ابنك صميده ما سمع ذلك النهار فى السوق ؟!...

مبروكة : ماذا سمع؟...

عساكر : سمع أحدهم يقول فى حلقة من الناس : اما أن العزايزة لم يبق فيهم غير نساء وإما أنهم يخبئون رجلا للأخذ بالثأر...رجلا أقرب إلى القتيل من صميده ابن أخيه...ومن يكون أقرب من ابن الأخ غير الابن؟!..

مبروكة : نعم ... قال ذلك ابنى صميده ... ولولا هذه الإشاعة لما استطاع أن يمشى فى البلد مرفوع الرأس !...

عساكر : فليعلموا اليوم أن ابن القتيل لم يزل حياً ... لم يبق هناك خوف عليه وقد بلغ مبلغ الرجال ... لست أنا الآن التى أخاف ... بل هم الذين يؤرق أجفانهم الخوف ! ... أسرع به أيها القطار ... أسرع .. لقد انتظرت طويلا ! .. سبع عشرة سنة ! .. أعدها ساعة ساعة .. سبع عشرة سنة ! .. أحلبها من ضرع الدهر قطرة قطرة كما يحلب اللبن من ضرع البقرة العجوز ...

مبروكة : « تصغى إلى صوت صفير » ها هو القطار قد دخل المحطة ... سيجد ابنى صميده فى انتظاره ...

عساكر : « كالمخاطبة نفسها » نعم ...

مبروكة : « تلتفت إليها » مالك يا عساكر ... ترتعدين ! ..

عساكر : « كالمخاطب لنفسها » أغنية صميدة ... ستدلنى ...

مبروكة : تدلك ؟ ...

عساكر : على حضوره ...

مبروكة : قلت لابنى أن يغنى علامة على وصول علوان ؟ ! ...

عساكر : نعم إذا اقتربا معاً من داير الناحية ...

مبروكة : تجلدى ياعساكر .. تجلدى .. مضى الكثير .. ولم يبق غير القليل ..

عساكر : ليس الذى بى الساعة خوف ولا ضعف ...

مبروكة : أيام الخوف ذهبت إلى غير رجعة ... لن أنسى ذلك اليوم الذى أخفيت فيه ابنك « علوان » وهو ابن عامين فى « قفة » الطحين ، وحملته ليلا ، خارجة به من البلدة إلى القاهرة لتستودعيه قريبك الدقاق فى دكان العطار بحى سيدنا الحسين.

عساكر : قلت له أنشئه جزاراً ... ليحسن استخدام السكين ...

مبروكة : لم ينفذ رغبتك ...

عساكر : بل نفذها وألحقه عندما بلغ السابعة بدكان جزار ... ولكنه هرب بعد ذلك من دكان الجزارة ...

مبروكة : ليلتحق بالأزهر الشريف ...

عساكر : نعم .. وعندما ذهبت إليه فى العام الماضى ، رأيته فى عمامته وجبته ، تكسوه المهابة .. فقلت له : آه لو كان رآك أبوك على هذه الحال ، لقرت عينه بك ! ... ولكنهم لم يتركوه ليرى ابنه يكبر ويفرح به هذه الفرحة ! ...

مبروكة : أما كان من الخير أن يبقى فى دكان الجزارة ؟ ...

عساكر : لماذا تقولين هذا يا مبروكة ؟ ! ...

مبروكة : لا أدرى ... هو خاطر مر بى ...

عساكر : أنا أعرف هذا الخاطر ...

مبروكة : ما هو يا عساكر ؟ ...

عساكر : يسوؤك أن يلبس ابنى العمامة والجبة.. بينما يبقى ابنك بالدفية والزعبوط !

مبروكة : أحلف لك بروح المرحوم أن هذا شىء لم يمر بخاطرى . .

عساكر : ولماذا إذن تكرهين لعلوان أن يكون فى الأزهر الشريف ؟...

مبروكة : ما كرهت والله ذلك .. ولكنى فقط أخشى ..

عساكر : تخشين ماذا ؟ ...

مبروكة : أن ... أن لا يحسن استخدام السكين ...

عساكر : اطمئنى... اطمئنى يا مبروكة... عندما ترين علوان الآن وقد شب رجلا

ستجدين عنده قوة الساعد التى تعرفينها فى العزايزة . . .

مبروكة : « تصغى إلى الصفير » القطار يخرج من المحطة . . .

عساكر : فليخرج إلى حيث شاء . . . على أن يكون قد أحضر لنا علوان ، يخرج روح القاتل ، ويتركه لكلاب العزب جيفة وأشلاء ! ...

مبروكة : وإذا لم يحضر ؟ ! ...

عساكر : لماذا تقولين هذا يا مبروكة ؟!...

مبروكة : لا أدرى . . . هذا تخمين . . .

عساكر : وما الذى يمنعه من الحضور ؟ ...

مبروكة : وما الذى يدفعه إلى ترك القاهرة والبندر والأزهر ، ليحضر إلى هنا...

عساكر : هنا مسقط رأسه . . . هنا مكان الدم الذى يناديه . . .

مبروكة : ما أبعد قريتنا عن القاهرة ! . . . هل يستطيع صوت الدم أن يصل البنادر ؟ ! . . .

عساكر : أتعتقدين أنه لن يحضر ؟ . . .

مبروكة : علمى علمك يا عساكر ...

عساكر : وخطابه الذى قرأه علينا العريف ؟...

مبروكة : أنسيت أنه قال فيه : « ربما أحضر إذا سمحت بذلك الظروف » . . . من يدرى هل الظروف سمحت له أو لم تسمح ؟ ...

عساكر : لا تكسرى نفسى يا مبروكة . . . ولا تهدمى أملى . . . أنا التى سمعت صفارات القطار تنقلب فى قلبى زغاريد ، مؤذنة بقرب انتهاء هذا الحداد الطويل !...علوان لم يحضر؟!... وماذا يكون مصيرى ؟ !... وإلى أى وقت انتظر مرة أخرى ؟! ...

مبروكة : المحطة ليست بعيدة...وداير الناحية قريب... ولو أنه حضر لكان صميده الآن قد غنى ...

عساكر : ربما كانا يمشيان متثاقلين ... يتحادثان ... انهما لم يتقابلا منذ أكثر من ثلاث سنوات ... منذ آخر مرة ذهب فيها ابنك إلى القاهرة ... فى مولد سيدنا الحسين ...

مبروكة : لو كان حضر لكانت الفرحة هزت ابنى فغنى قبل أن يصل إلى داير الناحية ...

عساكر : ربما نسى أن يفعل ...

مبروكة : لا يمكن أن ينسى ...

عساكر : «تنصت»لا أسمع غناء..

مبروكة : «منصتة» ولا أنا ...

عساكر : «وهى تنصت» ما من أحد يغنى...حتى ولا راعى غنم !...وما من شىء يغنى ولا بومة فى خرابة ! ... صدقت يامبروكة انه لم يحضر ...

مبروكة : «كالمخاطبة نفسها» قلبى يحدثنى بشىء ! ...

عساكر : بل قلبى أنا... قلبى الكتوم كالقبر... الجامد كالصخر ، بدأ يحدثنى الآن بأشياء ...

مبروكة : بماذا يحدثك؟...

عساكر : بأشياء ستقع...

مبروكة : اخبرينى ...

عساكر : «ترهف الإذن»صه.. اسمعى.. اسمعى...سمعت يامبروكة؟..سمعت؟..

مبروكة : صميده يغنى ؟ ...

عساكر : وافرحتاه ...

« تصغيان مليا إلى أغنية صميده التى تسمع
من الخارج واضحة شيئاً فشيئاً .. »

صميدة : « يغنى فى الخارج باللهجة الصعيدة : »

ياخـــل كم عـــذر جدمنا إليك وتاب
لومك لما زاد مزجنا الجميص والتوب
أنا لما سمعت بالأب خجلى مابقيش وصفه
وعنى الاتنين صبوا على الخد يد وصفوا

عساكر : حضر ... علوان حضر ؟.. اليوم امزق قميص الذل ، وألبس ثياب العز..

مبروكة : ونقيم للمرحوم مأتمه ...

عساكر : وننحر على روحه الجدى والعجل ...

مبروكة : يافرحتنا ... « تريد أن تزغرد »

عساكر : « تمنعها » لاتزغردى الآن ... لئلا ينكشف الأمر قبل الأوان...

مبروكه : ساعاتك معدودة منذ الآن ياسويلم ياطحاوى ...

« يدق باب الدار. .فتبادر عساكر إلى
فتحه...وعندئذ يظهر صميده حاملا حقيبة .. »

صميدة : جئت بالشيخ علوان ؟... « يضع الحقيبة على الأرض ويظهر علوان فى أثره » ...

عساكر : «فاتحة ذراعيها لعلوان »ابنى ... علوان ... ولدى! ...

علوان : « وهو يقبل رأسها» أماه! ...

عساكر : « لابنها » سلم على خالتك مبروكة !...

علوان : «يلتفت» كيف حالك ؟!... يا خالتى مبروكة؟...

مبروكة : حالنا هو حالنا يا علون...والبركة فيك !...

صميدة : هلى بنا الساعة يا أمى إلى دارنا ...

مبروكة : إلى دارنا...ساعة الفرج قربت يا عساكر ! ...

« تنصرف مبروكة مع ابنها صميدة ...
ولا يبقى غير عساكر وعلوان ... »

عساكر : ألست جوعان يا علوان ؟ ! ... عندى اناء لبن رايب ! ...

علوان : ليس بى جوع يا أمى ... أكلت فى القطار شيئاً من كعك وبيض...

عساكر : ألست عطشان ؟...

علوان : ولا عطشان ...

عساكر : نعم ... لم تجىء لطعامنا ولا لشرابنا ... إنما جئت لتأكل من لحمه وتشرب من دمه...

علوان : « كالحالم » جئت يا أمى لأمر عظيم ! ...

عساكر : أعرف يا ابنى ... أعرف ... انتظر حتى آتى إليك بما لم تر عينك قبل الآن ... « تسرع إلى حجرة داخلية وتغيب فيها لحظة ... »

علوان : « وهو يقلب النظر فيما حوله » لم تزل عينى ترى فى دوركم هذا الحيوان وروثه ، وزير الماء وقذره ، وأعواد الحطب والذرة تعرش هذه السقف المتداعية ! ...

عساكر : « تظهر من الحجرة حاملة خرجا تطرحه أمام ابنها » سبع عشرة سنة... وأنا أحتفظ لك بهذه الأشياء !...

علوان : « ينظر إلى الخرج من غير أن يتحرك » ما هذا ؟ ! . . .

عساكر : الخرج الذى جاءنى فيه جثة أبيك . . . محمولة على حماره . . . فى هذا الجيب وجدت رأسه المقطوع ، وفى الجيب الآخر بقية الجسم مقطعاً . . . قتلوه بسكينه الذى كان يحمله . . . والقوا معه بالسكين فى الخرج . . . أنظر ها هو السكين . . . تركته بدمه حتى صدىء عليه .. أما الحمار الذى جاءنى بأبيك المقتول ، بخطواته التى تعرف الدار ، وبرأسه المطأطىء ، كأنه على صاحبه متفجع محزون ، فلم أستطع الاحتفاظ به لك ، فقد نفق بالموت ، وعجز عن احتمال هذه السنين الطوال !! . . .

علوان : ومن الذى فعل ذلك ؟ . . .

عساكر : سويلم الطحاوى . . .

علوان : كيف عرفت ؟ . . .

عساكر : البلدة كلها تعرف ! . . .

علوان : نعم .. قلت لى ذلك .. وذكرت لى هذا الاسم عشرات المرات .. كلما جئت لزيارتى فى القاهرة .. وكنت صغيراً لا أفكر ولا أناقش أما اليوم فإن عقلى يريد أن يقتنع .. ما هو الدليل .. هل حصل تحقيق فى هذه الجريمة ؟ ..

عساكر : تحقيق ؟ ! . . .

علوان : نعم . . . ماذا قلتم للنيابة ؟ . . .

عساكر : النيابة ؟ . . . ياللعار . . . نحن نقول للنيابة ؟ ! . . . العزايزة يفعلون ذلك ؟ ! . . . أكان الطحاوية فعلوا ذلك فى يوم من الأيام ؟ ! . . .

علوان : ألم تسأ لكم النيابة ؟ ! . . .

عساكر : سألتنا . . . وقلنا لا نعرف شيئاً . . . ولم نر جثة . . . وقد دفنا أباك فى الليل سراً . . .

علوان : « كالمخاطب نفسه » كى نقتص نحن بأيدينا ! . . .

عساكر : بعين السكين الذى قتل به أبوك ! . . .

علوان : والقاتل ؟ . . .

عساكر : حى يرزق . . . حى . . . وما من شيخ فى الناحية ولا مزار ولا ولى ، لم أتعلق بحديد شباكه ، ولم أعفر رأسى فى ترابه ، ولم أكشف شعرى فى مقامه ، داعية أن يطيل الله فى أجله . . إلى أن تقبض روحه أنت يا ابنى بيدك ! . . .

علوان : أواثقة أنت يا أمى أنه هو ؟ . . .

عساكر : ليس لنا من عدو غير الطحاوية . . .

علوان : ومن أدراك أنه سويلم الطحاوى بالذات ؟ ! . . .

عساكر : لأنه يعتقد أن أباك هو الذى قتل أباه . . .

علوان : وهل أبى قتل أباه حقاً ؟ . . .

عساكر : الله أعلم ! . .

علوان : وما أصل هذه العداوة بين الأسرتين ؟ ! . . .

عساكر : لا أدرى ... لا أحد يدرى ... هذا شىء قديم ... كل ما نعرف هو أنه دائماً بيننا وبينهم دم . . .

علوان : قد يكون الأصل أن عجلة لأجدادنا شربت ذات يوم من مروى فى غيط لأجدادهم ! ! . . .

عساكر : علم ذلك عند علام الغيوب ! ... كل مايعلم الناس هو أن بين الغزايزة

والطحاوية دماء تجرى كالأنهار ...

علوان : أنهار لا تروى الزراعة ولا الثمار !...

عساكر : « مستمرة » لم يقف لها جريان إلا بعد موت أبيك . لصغر سنك .. وجرت الأعوام جافة كأيام التحاريق ... حتى همس الهامسون ، وأرجف المرجفون... وأنا أتلوى على نار الغيظ وأكظم.. انتظارا لهذه الساعة ... وهاهى قد جاءت ... فقم يا ابنى وأطفىء نارى ، وارو غليلى من دم سويلم الطحاوى !...

علوان : وهل لسويلم الطحاوى هذا ولد ؟. .

عساكر : له ابن فى الرابعة عشرة ...

علوان : لن يبقى لى إذن فى الحياة غير أربعة أعوام ، أو خمسة !...

عساكر : ماذا تقول ؟ ...

علوان : « مستمراً » إلى أن يشتد ساعده فيصنع بى ما أصنع بأبيه ! ...

عساكر : أتخاف على حياتك ياعلوان ؟ ! ...

علوان : وأنت يا أماه ... ألا تخافين عليها ؟ ...

عساكر : شهد الله كم أخاف على الشعرة التى فى رأسك !..

علوان : تحرصين على حياتى يا أماه ؟...

عساكر : وهل لى حياة ياعلوان إلا بحياتك ؟ وهل للعزايزة حياة إلا بك .. إننا لا نعيش جميعاً إلا بأنفاسك منذ سبعة عشر عاماً ...

علوان : « مطرقا » نعم ... فهمت ...

عساكر : كم شعرنا بالمذلة وكم صبرنا على الضيم...فما يخطر لنا طيفك ، حتى تنشط فينا الهمم وتقوى العزائم وتتلاقى نظراتنا على الأمل المعقود عليك..

علوان : « مطرقا كالخاطب نفسه » حقاً ... لا بد لكم من حياتى ...

عساكر : حتى مأتم أبيك فى انتظارك ياعلوان ... وهذه الذبائح معدة للنحر .. وعويلى الذى حبسته فى حلقى طوال هذه الأعوام ينتظرك لينطلق ... وقميصى الذى أمسكت عن شقه كل هذا الزمن يترقبك ليشق ... كل شىء فى وجودنا هامد راكد ... يتطلع إليك لتدب فيه الحياة ...

علوان : « كالمخاطب نفسه » أهكذا تدب فيكم الحياة ؟...

عساكر : نعم ياعلوان ... عجل بالساعة الموعودة ... عجل لقد انتظرناها طويلا ...

علوان : « فى عجب » الساعة الموعودة ...

عساكر : مامن شىء نسيته ... حتى الحجر الذى سيسن عليه السكين الصدىء .. أحضرته لك وأخفيته فى هذه الحجرة ...

علوان : وكيف أعرف سويلم هذا ، وأنا لم أره فى حياتى !..

عساكر : صميده يدلك عليه ويريك مكانه ...

علوان : « ينظر إلى زيه » وهل سأرتكب هذه الفعلة ، وأنا بهذه الثياب؟...

عساكر : اخلع ثيابك هذه ... عندى عباءة لأبيك ... أحتفظ بها لك ... تتجه إلى الحجرة الداخلية »...

علوان : « يستوقفها » مهلا يا أمى مهلا ... فيم الإسراع ؟ ..

عساكر : كل نسمة يستنشقها سويلم وأنت هنا هى منحة منك له ...

علوان : وأى ضرر فى ذلك ؟..

عساكر : انها تؤخذ من أنفاسنا ... وتستقطع من هنائنا ... لقد مددنا له من حبال العمر برغمنا ما كاد يلحقنا نحن بالقبور ... تأمل أمك ياعلوان !..

كنت فى الشباب عند موت أبيك ... انظر ماذا فعلت بى هـذه السنون ؟!... لـكأنها أربعون عاما ... لا سبعة عشر!... غاض ماء الصبا... ووهن العظم ... وما بقى لى من قـــوة غير الذاكرة التى لا يمكن أن تنسى ، والقلب الذى لا يمكن أن يلين ...

علوان : « كالمخاطب نفسه » نعم ... ما أبهظ ثمن الثأر على صاحب الدم !...

عساكر : « غير فاهمة » ماذا تقول يا علوان ؟ ! ...

علوان : أقول أن المنتقم الجبار كان بنا رحيما عندما أراد تعالى أن يحمل عنا هذا العبء بلا ثمن ! ...

عساكر : « بلهجة ارتياب » ماذا تقصد؟...

علوان : لا شىء يا أمى ... لا شىء ...

عساكر : «حاسمة اللهجة» اخلع ثيابك... وسأحضر لك العباءة!... وأسن لك بيدى السكين !...

علوان : أليس هنا من مسجد قريب !...

عساكر : ما عندنا غير «زاوية صغيرة بجوار كتاب الشيخ الأسناوى...

علوان : «يتحرك» سأذهب إليها لأصلى المغرب ...

عساكر : الآن ؟!...

علوان : أظن الشمس قد أوشكت على الغروب ...

عساكر : أتريد أن يراك فى المسجد كل أهل البلد ؟!...

علوان : إنها لخير فرصة تخدم غرضى!...

عساكر : «تحملق فى وجهه» أأنت مجنون يا علوان ؟! ...

علوان : «مستمراً» هذا الاجتماع بأهل البلد هو لى من أهم الأمور ... ألم أقل

لك يا أمي الساعة إني جئت لأمر عظيم؟...

عساكر : « كالمتهكمة » ما أظنك ستكشف لأهل البلد عما جئت له ؟ ! ...

علوان : لا بد من أن أطلع الجميع على هذا الأمر...

عساكر : علوان !... ابني !... ماذا أسمع منك ؟!... أأنت جاد !... أأنت في وعيك !... ماذا ستقول لهم ؟! ...

علوان : « كالحالم » سأقول لهم ما جئت لأقول ... إني طالما فكرت في بلدتي وأهل بلدتي ... على الرغم من اغترابي الطويل ... هناك بعد الفراغ من دروس الأزهر، حيث يجتمع الزملاء ، وتقرأ الصحف، ويعاودنا الحنين إلى الأرض التي أنبتتنا ، نسائل أنفسنا متلهفين : متى يعيش أهلنا في الريف كما يعيش الآدميون ، في دور نظيفة لا يؤاكلهم فيها الحيوان ؟! ... ومتى تعرش سقوفهم بغير أحطاب القطن والذرة ، وتطلى جدرانهم بغير الطين وروث البهائم ؟! ... متى يختفي « الزير » وتجري في الدور المياه النقية...وتذهب المسرجة وتضيء المصابيح الكهربائية ؟!... أكثير هذا على أهلنا ... أليس لأهلنا حق في الحياة مثل الآخرين ! ...

عساكر : « كمن لم تفهم » ما هذا الكلام يا علوان !! ...

علوان : هذا ما يجب أن يعرفه أهل البلد . . . وواجبنا نحن الذين تعلمنا في القاهرة أن نبصرهم بحقهم في الحياة...وليس بلوغ هذا المأرب بالصعب عليهم، إذا اتحدوا وتضافروا وتعاونوا على إنشاء مجلس منهم، يفرض الأتاوات على القادرين ، وعلى تكوين فرق من الأشداء ، تنهض في أوقات الفراغ الطويلة هنا ، باقامة الجسور والمنشآت ... بدلا من اضاعتها في التفرر والمشاحنات...لو جمعت هذه الكلمة، وبذلت هذه

المهمة ، لقامت هنا بلدة نموذجية ... لن تلبث حتى تكون مثالا يحتذ به كل بلاد القطر ...

عساكر : كلام القراءة والكتابة هذا تسامر به فيما بعد الشيخ محمد الاسناوى، هو الذى يفهمه ... أما الآن ياعلوان فأمامنا ما هو أهم من ذلك ...

علوان : « مصدوما » ما هو الذى أهم من ذلك ؟!...

عساكر : نعم ... دعك من الصلاة فى الجامع الليلة لئلا يفسد الأمر .. صل هنا الليلة إذا شئت ... قم واخلع ثيابك .. وسأحضر لك من « الزير » ماء تتوضأ ... والبس العباءة ... ثم سن معى السكين ! ...

علوان : « مطرقاً هامساً » اللهم رحمتك ورضوانك وغفرانك ؟...

عساكر : ماذا تقول يا علوان ؟ ...

علوان : «يرفع رأسه » أقول إنى ما جئت إلا لأبصر الحياة ... وأحمل لكم الحياة ...

عساكر : وهذا ما صبرنا الليالى ترقبا له ... سبعة عشر عاما والعزايزة كلهم أموات ... فى انتظار مجيئك لترد إليهم الحياة ! ...

علوان : « يطرق هامساً » رباه ! ... ماذا أصنع مع هؤلاء ؟ !...

عساكر : ما بالك ياعلوان تكثر من الإطراق؟! انهض ولا تضيع الوقت. انهض.

علوان : «يرفع رأسه متشجعا» أمى .. لن أقتل !...

عساكر : « تكتم ارتياعها » ماذا اسمع ؟ ! ...

علوان : لن أقتل . . .

عساكر : « بصوت أجش » دم أبيك !..

علوان : أضعتموه أنتم بإخفائه عن الحكومة ... القصاص لولى الأمر ! ...

عساكر : « بلا وعى » دم أبيك ! ...

علوان : يدى لم تخلق لتزهق روحا ! ...

عساكر : « شبه غائبة الصواب » دم أبيك !...

علوان : « مرتاعا لحالها » أمى .. ماذا أصابك ؟ ... أماه ...

عساكر : « كمن لا ترى أحداً أمامها » دم أبيـك ... سبعة عشر عاما ... دم أبيك ... سبعة عشر عاما...

علوان : هدئى روعك يا أمى... إنها حقا لصدمة... ولـكن يجب أن تفهمى أنى لست الرجل الذى يغتال بسكين ! ...

عساكر : « هامسة كمن أصابها مس » سبعة عشر عاما ... ثأر أبيك ... سبعة عشر عاما ...

علوان : « كالمخاطب نفسه» أعرف أنك احتملت وصبرت طويلا يا أمى... لو كان صبركم هذا وقوة احتمالـكم لهدف نافع ، لأقمتم المعجزات !... لـكن افهمى منى ..

عساكر : « فى شبه حشرجة » دم أبيك ! ...

علوان : « يسرع إليها مرتاعا » أمى ... أمى .. أمى ...

عساكر : « تفيق قليلا بين يديه » من أنت ؟ !...

علوان : ابنك علوان ... ابنك ! ...

عساكر : «تفطن ثم تصيح» ابنى ؟ !...ابنى أنا ؟!... لا ... لا .. أبداً..أبداً..

علوان : « مأخوذاً » أمى !...

عساكر : لست أمك..ولا أعرفك..لم يخرج من بطنى ولد..لم يخرج من بطنى ولد.

علوان : « متوسلا » افهمى منى يا أمى ...

عساكر : أخرج من داري ... لعنة الله عليك إلى يوم الدين ... أخرج من داري..

علوان : أمي ! ...

عساكر : « صائحة » أخرج من داري ... وإلا استنجدت بالرجال ليخرجوك ... عندنا رجالنا ... لم يزل في العزايزة رجال ... أما أنت فلست منهم ... أخرج ... أخرج من داري ...

علوان : « يتناول حقيبته » سأذهب إلى المحطة لأعود من حيث جئت .. واسأل الله أن تسكن نفسك الثائرة ، وأراك قريباً في القاهرة ، لأفهمك وجهة نظري ، في جو هادىء بعيد .. إلى اللقاء يا أمي !...

(ينصرف تاركاً أمه عساكر في مكانها بلا حراك ولا تمضي لحظة حتى يظهر صميدة مطلا برأسه من الباب الذي دفعه برفق ...)

صميدة : أأنت التي كنت تصرخين ياخالة عساكر ؟ !...

عساكر : « بعزم وقد ثابت إلى رشدها » تعال ياصميدة ! ...

صميدة : « يلتفت حوله » اين ابنك علوان ؟ ...

عساكر : ليس لي ابن ... لم أرزق ولداً ! ...

صميدة : ماذا تقولين ياخالتي عساكر ؟ ! ...

عساكر : لو كان لي ولد لأخذ بثأر أبيه ! ...

صميدة : « يبحث بعينه في المكان » أين ذهب ؟ ...

عساكر : إلى المحطة ... ليعود إلى القاهرة ...

صميدة : صدقت أمي ! ... عندما رأته الساعة قالت ونحن خارجان : ليس هذا « الأستاذ » هو الذي سيقتل سويلم الطحاوي ! .

عساكر : ليت بطني قطع تقطيعا قبل أن يخرج إلى الدنيا مثل هذا الابن ! ...

صميدة : هوني عليك ياخالتي ... في العزايزة رجال ! ..

عساكر : البركة فيك ياصميدة ! ...

صميدة : ولد العم في مقام الابن ...

عساكر : ولكن الابن حي ... وهو الأولى بدم أبيه ... حي ... حي يمشي بين الناس ! ...

صميدة : هب أنه قد مات ...

عساكر : ليته مات حقاً وهو صغير في بئر الساقية ... ما كنا انتظرنا هذه السنين الطوال ، نتجلب على جمر الغيظ المكتوم ، ونترقب في غير طائل ... ليته ميت ، كنا عشنا بعذرنا ، وما ارتدينا عارنا ... ولكنه حي ... وقد شاع في الناحية وذاع في الأسواق أنه حي ... فياللعيب ... وياللخجل ... وياللعار وياللشنار ...

صميدة : هوني عليك ياخالة !

عساكر : كل شيء يهون إلا هذه الوصمة ! ... ما بعد هذه الوصمة عيش ؟ ... كيف أعيش في البلد وقد عرف الناس أن لي مثل هذا الولد ؟ ؟ ... ما أكثر البصقات التي سوف تقذف من الافواه كلما لفظ اسمه ؟ ... سوف نسمع الصيحات من كل جانب : « خيبة الله على بطن قذفه ؟ ... » نعم ... هذا البطن ... « تضرب بطنها بيدها ضربات شديدة جنونية » خيبة الله على هذا البطن ... سيسخر منه كل نساء البلدة ... حتى الشوهاء والبلهاء والعاقر ... هذا البطن ... هذا البطن ... هذا البطن .

صميدة : « يحاول منعها » ياخالة عساكر ... لا تؤدي نفسك هكذا ؟ ...

عساكر : هات السكين ياصميدة ... أبقره به ! ...

صميدة : اجننت ؟ ! ...

عساكر : « صائحة » صميدة ... أنت رجل ؟ ! ...

صميدة : « يحملق فيها » ماذا تريدين ؟ ...

عساكر : ادرأ عن ابن عمك العار ! ...

صميدة : علوان ؟ ! ...

عساكر : وعن أمه ... خالتك عساكر ... ادرأ عنها العار...

صميدة : ماذا أعمل ؟ ...

عساكر : « تتناول السكين من الخرج » اقتله بهذا السكين ! ...

صميدة : أقتل من ؟ ...

عساكر : علوان ... اغمد هذا السكين فى صدره ! ...

صميدة : اقتل علوان ؟ ... ابنك ؟ ! ...

عساكر : نعم ... اقتله ... اجعله فى الأموات ...

صميدة : إعقلى يا خالة ! ...

عساكر : إفعل ذلك ياصميدة ... من أجلى ومن أجله ! ...

صميدة : من أجله ؟ ! ...

عساكر : نعم ... خير له ولى أن يقال قتل ومات من أن يقال هرب من ثأر أبيه! ...

صميدة : ولد عمى ! ...

عساكر : إذا كنت رجلا ياصميدة فلا تدعه يفضح العزايزة! .. لن تستطيع بعد اليوم أن تمشى فى الناس مشية الرجال ... سوف يتهامسون عليك ويضحكون منك فى الأكمام ويشيرون اليك فى الأسواق قائلين امرأة

تسترت على أمرأة ! ...

صميدة : « كالخاطب نفسه أمرأة ؟ ...

عساكر : لو كان فى الطحاوية مثل هذا الابن... لماتركوه حيا ساعة من الزمان ! ...

صميدة : « كالخاطب نفسه » أمرأة تسترت على امرأة ! ...

عساكر : نعم ... أنت ! ... إذا قبلت التغاضى عن ابن عمك بعد الذى حصل منه

صميدة : « مادًا يده بعزم » هاتى السكين ! ...

عساكر : « وهى تعطيه السكين » خذ ... بل انتظر ... حتى أغسل ماتجمد على حده من الصدأ والدم ! ...

صميدة : « بعجلة » هاتى ... قبل أن يفلت فى قطار المغرب ! ...

عساكر : « تعطيه السكين بقوة وعزيمة » خذ ... وليغسل دمه ماتجمد على النصل من دماء أبيه ! ...

صميدة : « وهو منصرف بالسكين » إذا تم قتله يا خالة ؛ فستسمعين صوتى يطلق بالأغنية من داير الناحية ! ...

« ينصرف مسرعاً .. وتبقى عساكر وحدها مسمرة فى الأرض كتمثال .. جامدة النظرات كالغارقة فى ذهول .. إلى أن تظهر من الباب مبروكة حاملة على رأسها إناء .. »

مبروكة : « وهى تنزل الإناء من فوق رأسها » ملوحة جئت بها للشيخ علوان ! ...

عساكر : « تلتفت ببطء » البقية فى حياتك يا مبروكة ! ...

مبروكة : حياتك الباقية ... فيمن ؟ ...

عساكر : علوان ! ...

مبروكة : ابنك ؟! ...

عساكر : ليس الآن ابنى ... بل ابن التراب ! ...

مبروكة : ما هذا الذى تقولين يا عساكر ؟ !. لقد تركته معك منذ قليل ... أين هو ؟ ...

عساكر : ذهب إلى المحطة ، ليعود من حيث جاء ، هارباً من ثأر أبيه !...

مبروكة : «مطرقة» هذا ما حدثنى به قلبى ! ...

عساكر : صدق فالك يا مبروكة ! ...

مبروكة : ليته ما حضر ! ...

عساكر : سبعة عشر عاما ونحن ننتظر ! ...

مبروكة : وفى كل عام منها تقولين قد كبر ... كأنه نبت ذرة ، تقيسينه كل يوم بالشبر ... حتى إذا ترعرع وطال نضج كوزه، نزعت غلافه ، فوجدته خالياً من الحب والثمر ! ...

عساكر : لو أنه كان نبتاً فارغا لهان الخطب ... فما كنا ننتظر منه غلة لنا ... ولكننا كنا ننتظر منه رداً لكرامتنا ... لطالما فخرت به يا مبروكة فى نفسى .. وفاخرت به أمامك ... وحسبت أنى أنجبت الولد الذى سيغسل شرف الأسرة .. وإذا ابنى أنا الذى ولدته وأخفيته كما يخفى الكنز فى «الزلعة» ليس غير وصمة أصابت شجرتنا ، كما تصيب اللطعة شجرة القطن .. ألف رحمة عليك يا زوجى المهدر الدم.. لقد خلفت لك الابن الذى يشمت خصومك وتقر به أعين أعدائك ! ...

مبروكة : يا فضيحة العزايزة ! ...

عساكر : لو بقى حياً ... ولكنه بعد قليل يوارى التراب ! ...

مبروكة : « تتلفت فجأة » أين صميدة ؟ !...

عساكر : «ترهف الأذن لصوت صفير»صه..هذا قطار المغرب يدخل المحطة!..

مبروكة : أين صميدة يا عساكر ؟ ! ...

عساكر : « وهى ترهف الأذن» اسكتى .. اسكتى . الآن فى هذه الساعة ...
فى هذه الساعة ؟ ...

مبروكة : «بدهشة» ماذا فى هذه الساعة؟! ...

عساكر : «كالمخاطبة نفسها» أترى القطار قد خطفه ؟...أم الذى خطفه . .

مبروكة : ما دام قد ذهب إلى المحطة كما قلت ، فلابد أنه قد ركب القطار . . .
ولن تجدى كل دعوات الهلاك هذه التى تصبينها عليه !..

عساكر : أتظنين حقاً يا مبروكة أنه ركب القطار ؟..

مبروكة : وما الذى يكون قد منعه ؟ ...

عساكر : « بدون وعى » صميدة ! ...

مبروكة : صميدة ؟!..أذهب خلفه ليمنعه من السفر ؟!..

عساكر : نعم ...

مبروكة : متى ذهب ؟ ...

عساكر : قبل مجيئك بقليل ...

مبروكة : ما أظنه سيلحق به ؟...

عساكر : «تتنفس» أتعتقدين يامبروكة؟...

مبروكة : إلا إذا جرى وركض ...

عساكر : « ترهف الأذن لصفير » ها هو القطار يغادر المحطة ...

مبروكة : « تحملق فيها » مالك ياعساكر ! ... ما لوجهك قد اصفر !. . .

عساكر : بماذا يحدثك قلبك يا مبروكة ؟!...

مبروكة : يحدثني قلبي بأنه ذهب ...

عساكر : ذهب ... ذهب ... أين ؟...

مبروكة : من حيث جاء ...

عساكر : « محملقة » ماذا تقصدين ؟ !...

مبروكة : « وهي تراقبها » مالصدرك ياعساكر يعلو ويهبط ؟ !...

عساكر : « تهمس زائغة البصر » ذهب من حيث جاء ؟...

مبروكة : اما زلت ياعساكر تؤملين فيه خيراً ؟...

عساكر : لا...

مبروكة : اعتبريه كأن لم يكن ...

عساكر : « كالمخاطبة نفسها » نعم ... موته استر من حياته ! ...

مبروكة : احمدى الله أنه بعيد ...

عساكر : « كمن تسائل نفسها » أهو الآن فى القطار ؟...

مبروكة : من يدرى ؟... ربما استطاع صميدة أن يلحق به ، وإن يثنيه عن السفر ، وأن يعود به الآن...

عساكر : « كالحالمة » يعود به الآن ؟...

مبروكة : ولم لا ؟ ... إن صميدة إذا أطلق ساقيه للريح فلن يفوته القطار...

عساكر : « فى همس » سيلحق به ؟...

مبروكة : وقد لا يمضى قليل حتى نراهما قد جاءا مرة أخرى معا ...

عساكر : « كالمخاطبة نفسها » لا ... هذه المرة لن يجيء صميدة إلا وحده ؟...

مبروكة « وهى تراقبها بقلق » وجهك ياعساكر يخيفنى ؟...

عساكر : « ترهف الأذن » صه .. اسمعى .. اسمعى .. ألا تسمعين شيئاً ؟...

مبروكة : لا . . ماذا تريدين أن أسمع ؟ ! . .

عساكر : غناء ؟ ! . .

مبروكة : « تصغى » لا . . . لا أسمع غناء . . .

عساكر : « وهى تتنفس » ولا أنا . . .

مبروكة : أقال لك صميدة أنه سيغنى ؟ ! ...

عساكر : « كالمخاطب نفسها فى قلق » لعله لم يصل بعد إلى داير الناحية ! ...

مبروكة : فى ظنى أنه وصل ...

عساكر : « وهى تتنفس » وصل إلى داير الناحية ولم يغن ! ...

مبروكة : ما لوجهك يا عساكر قد تورد ! . . .

عساكر : « هامسة » لم يلحق به . .

مبروكة : تفضلين يا عساكر أن لا يعود ... وأن يحمله قطاره بعيداً عن هذه البلدة ... أنا أيضاً معك . . . أفضل له العودة إلى قاهرته وشيوخه واترابه... فما هو منا الآن وما نحن منه!... ولقد أحسن صنعاً بالإسراع إلى تركنا ، قبل أن يختلط به أهل البلد ويعرفوا من أمره ما عرفنا...

عساكر : « مصغية إلى صوت بعيد» ؟ ...

مبروكة : « تلتفت إليها » أذنك ليست معى يا عساكر . . . الست أقول حقاً ؟ ! ...

عساكر : « بصوت اجش مروع » لا ... لا اسمع شيئاً ! ...

مبروكة : « مصغية » بل هذا صميدة يغنى ! ... « تلتفت مذعورة إلى عساكر التى تبلورت عيناها » عساكر .. عساكر . . ماذا أصابك ؟ .. إنك تخيفيننى ! . .

صميدة : « يغنى من الخارج باللهجة الصعيدية : »

يا خـــل كم عذر جـدمنا إليك والتوب
لومــك لما زاد مزجنا الجميص والتوب
أنا لما سمعت بالأب خجلى ما بجيش وصفه
وعينى الاثنين صبوا على الخـــديد وصفوا

عساكر : « تتجلد بقوة حتى لا تنهار ولكن صيحة خافتة مكتومة كالحشرجة تفلت منها : » ولدى ! . .

ستار

فهرس

صفحة

